كتاب

صهاريج اللؤلؤ

تأليف

صاحب السماحة والسيادة السيد محمد توفيق البكري

نقيب الاشراف وشيخ المشايخ الصوفية

بالديار المصرية

وشرحه

العالمان الفاضلان الشيخ احمد بن أمين الشنقيطي

والشيخ ابو بكر محمد لطفي المصري



طبع بمطبعة الهلال بشارع الفجالة بمصر

سنة ١٩٠٦

كتاب

صهاريج اللؤلؤ

تأليف

صاحب السماحة والسيادة السيد محمد توفيق البكري
نقيب الاشراف وشيخ المشايخ الصوفية
بالديار المصرية

وشرحه

العالمان الفاضلان الشيخ احمد بن أمين الشنقيطي
والشيخ ابو بكر محمد لطفي المصري

طبع بمطبعة الهلال بشارع الفجالة بمصر

سنة ١٩٠٦

مقدمة

الحمد لله رب العالمين · والصلاة والسلام على اشرف المرسلين · وعلى آله واصحابه اجمعين (اما بعد) فانني منذ فارقت شنقيط · ووصلت الى البحر المحيط · ورحلت من المغربين الى المشرقين · وطفت الشام والحرمين · وأنا اتطلب طرف الادب · وفصيح كلام العرب · وأدأب في ذلك كل الدأب · حتى كانت الرحلة الى مصر · والنزول بهذا القطر · فقصدت حضرة الفضل · ومصرع الجهل · وباحة الادباء · وساحة العلماء والشعراء · وهي حضرة امام الادب · وفصيح العجم والعرب · مولانا صاحب السماحة · والفضل والرجاحة · الندب الغطريف · والشريف بن الشريف · السيد محمد توفيق البكري نقيب اشراف الديار المصرية · وشيخ مشايخ الطرق الصوفية

فاطلعني حفظه الله من مؤلفاته على كل مصنف غريب · وتأليف عجيب : فرأيت بينها كتاباً أسماه (صهاريج اللؤلؤ) وضمنه طائفة من نثره · وجملة من شعره · فاذا حكمة لقمان · وبيان سحبان · وفصاحة معد بن عدنان · كلم ليس مما تثنى اواخره على اوائله · ويموت من قبل قائله · بل مما يبقى على الأحقاب والأحوال · بقاء الثريا في جبين الليال · وبلاغة ترتفع عن مساجلة فضلاء هذا الزمان · ومناظرة أدباء العصر والأوان · وتلتحق باشرف ماصنعه بلغاء الدواوين · الأموية والعباسية · وأنفس ماوضعه فصحاء الفرقتين · المشرقية والاندلسية · (جَرَى الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرِيِّ) ولا والله لولا خشية ان أحمل على المغالاة · أو التشيع والموالاة · لقلت انه ما خط قلم من الاقلام منذ الف عام · مثل هذا الكلام · وهب انه وجد في متقدمي الشعراء من

أتى بمثل هذا الشعر . فأنى لنا من علية الكتاب من أتى بمثل هذا النثر . ولو نظرنا فيما دونه البلغاء لألفينا ان من رزق اللفظ حرم المعنى . ومن اجاد المفهوم لم يجد المبنى . ومن احسن في الشعر . لم يحسن في النثر . ومن اتفق لهم بعض هذي الخصال . حرموا قوة الخيال . ومقابلة الحقيقة بالمثال . فلم يجتمع لاحد منهم ما اجتمع لهذا السيد الشريف من أركان البلاغة . وأصول هذه الصياغة . فسبحان واهب القوى والقدر . ومصور الاشباح والصور

فلما وقفت عليه انا والفاضل الجليل . الدراكة النبيل (الشيخ ابو بكر لطفي) احببنا خدمته بهذا الشرح ليبين معضله . ويفصل مجمله . و يشير الى ما فيه من لطيف الاشارات . وبعيد التلميحات . وغرائب الامثال . ونفائس الاقوال . كل منّا سائل الله ان يجعل هذا الشرح كمتنه مشمولاً بالافادة . موصوفاً بالاجادة . امين



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ • بَارِئِ النَّسَمِ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ [1] • وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى السَّيِّدِ الْعَاقِبِ • صَفْوَةِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ • سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا أَبِي الْقَاسِمِ • مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ • وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ • وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ [2]

(أَمَّا بَعْدُ) فَهَذِهِ كَلِمَاتٌ مِنَ النَّثْرِ • وَأَبْيَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ • ضَمَّنْتُهَا نُخَباً مِنَ الْحِكَمِ • وَأَقَاوِيلَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ • وَذِكْرَى مِنْ مُغَرِّبَةِ الْأَخْبَارِ • وَنُعُوتًا لِبَعْضِ الْأَنَاسِيِّ وَالْآثَارِ • وَمَثُلَاتٍ فِي الْمَوَاعِظِ وَالْاعْتِبَارِ [3] • وَشَعْشَعْتُهَا بِأَنْظَارِ الْجَهَابِذَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ • وَالْحُكَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ • كَمَا

---

(١) بارئ خالق • النسم الروح •

(المعنى) — : الجملة الاولى آية من كتاب الله تعالى وهي اول سورة سبأ

(٢) العاقب من اسمائه صلى الله عليه وسلم اي آخر الانبياء • صفوة الشيء ما صفا منه • لؤيّ بن غالب احد اجداده صلى الله عليه وسلم

(٣) نخب جمع نخبة وهي المختار من الشيء • مغرّبة اي الأخبار الغريبة يقال اغرب اذا اتى بالغريب • اناسيّ جمع انسيّ ومنه قول الله تعالى (وانزلنا من السماء ماءً طهورًا لنحيي به بلدة ميتًا ونسقيه مما خلقنا انعامًا وأناسيّ كثيرًا) • مثلات جمع مثلة عن ابن اليزيدي ان المراد في قوله بالمثلات الامثال • الآثار جمع اثر وهو هنا الخبر

(المعنى) — : انه ضمّن هذا الكتاب طائفة من شعره ونثره وأتى فيه بكل حكمة عالية وكلمة بليغة وغريبة مستملحة وصفة لبعض الاعاظم من الرجال وعظة مؤثرة وعبرة بالغة

تُشَعْشِعُ الرَّاحُ · بِثُغْبَانِ البِطَاحِ ¹ · فَجَاءَتْ بِحَمْدِ اللهِ مِنَ الْبَلاَغَةِ فِي الْقَرَارِ الْمَكِينِ · وَالرُّكْنِ الرَّكِينِ · وَقَدِ الْتَزَمْتُ فِي أَكْثَرِ عِبَارَتِهَا فُصَحَ الْحَجَّاجِ · وَلِسَانَ رُؤْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ · وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْأُدَبَاءِ الْيَوْمَ مَنْ يَنْفِرُ مِنَ الْغَرِيبِ وَلاَ يَنْفِرُ مِنَ الدَّخِيلِ · لِاسْتِيلاءِ الْعُجْمَةِ عَلَى هٰذَا الْجِيلِ ² فَلَمْ يَثْنِنِي ذَلِكَ عَنْ أَنْ

---

(١) شعشعتها اي مزجتها · الجهابذة جمع جهبذ بالكسر وهو النقاد الخبير · ثغبان جمع ثغب وهو المستنقع في صخرة أو صلابة من الارض

(المعنى) — انه مزج افكاره وانظاره بأفكار وخواطر الحكماء والجهابذة المتقدمين في هذا المؤلف النفيس وقدقال بعضهم

واحفظ نقل ما شئته   ان الكلام من الكلام

وكان ابو العلاء المعري يفضل المتنبي على الشعراء وسمّى شرحه لديوانه معجز احمد فقيل له ان كل معنى للمتنبي نجده منقولا عن غيره فقال هذه مآخذه من سواه لديكم فليصنع كلّ منكم مثل ديوانه ان كان ذلك في امكانه · وقيل عن البحتري

كل بيت له يجوّد معنـــاه فمعناه لابن أوس حبيب

فلم يضع ذلك من الوليد ولم يهجن ما صاغه من قصيد

(٢) فصح جمع فصحى ككبر جمع كبرى والمراد بها افصح كلمات الحجاج · الغريب البعيد عن الفهم · الدخيل الكلمة الاعجمية تدخل في كلام العرب · العجمة عدم الافصاح في الكلام الحجاج هو ابن يوسف بن ابي عقيل الثقفي ولد سنة ٤١ ه ونشا بالطائف وكان منطيقا مفوّها وخطيبًا بليغًا وسياسيًّا محنكاً قد اتصل في اول امره بروح بن زنباع ثم بعبد الملك بن مروان و لم يزل يترقى الى ان ولي العراق وطار ذكره وعظم سلطانه وعند دخوله العراق دخل الكوفة و بدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التي يقول فيها

يا اهل العراق والنفاق والله لأعصبنّكم عصب السلمة ولأجوبكم نحو العصا فطالمــا أوضعتم في الضلالة وتماديتم في الجهالة ياعبيد العصا انا الغلام الثقفي لا اعد الاّ وفيت ولااخلق الاّ فريت انمــا مثلكم كما قال الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بمــا كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم اشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا اقسم بالله لتدعنّ الارجاف ولتقبلن على

اودِّع كلامَ الأعرابِ بهذا الكتابِ . وأحدُو في إثرِ تلك الرِّفاقِ . بما في هذه الأوراق

أينَ امرؤُ القيسِ والعذارى
إذ مالَ مِن تحتِهِ الغبيطُ
إستنبطَ العُربُ في الموامي
بعدَكَ واستعربَ النبيطُ

وَاللهُ سبحانهُ المسؤولُ أَنْ يجعلَ هذا العملَ نافعاً مقبولاً بمنِّهِ وكرمِهِ [١]

الانصاف ولتنزعن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أو لاهبرنكم بالسيف هبرًا يدع النساء أيامى والولدان يتامى والله لكاني أنظر الى الدماء تترقرق بين اللحى والغلاصم . وتوفي بواسط سنة ٩٥ ه وهي مدينته التي انشاها

ورؤبة هو ابو محمد رؤبة بن العجاج والعجاج لقب واسمه ابو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميميّ السعدي هو وابوه راجزان مشهوران وكان روبة بصيرًا باللغة عالماً بحوشيها وغريبها وكان يقيم بالبصرة فلما ظهر بها ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وخرج على ابي جعفر المنصور وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج الى البادية ليتجنب الفتنة فلما وصل الى الناحية التي قصدها ادركه اجله بها فتوفي هناك سنة ١٤٥ ه ولما مات قال الخليل دفنا الشعر واللغة والفصاحة ومن اراجيزه

تسئلني عن السنين كم لي فقلت لو عمرت سنَّ الحسل
او عمر نوح زمن الفطحل كنت رهين اجل أو قتل

(المعنى) — : انه استعمل في اكثر هذا الكتاب فصيح الكلام وغريب اللغة وجزل الالفاظ وضخم التراكيب فسلك في ذلك مسلك الفصحاء المفوهين كالحجاج ورؤبة بن العجاج :

(١) الرفاق الجماعة ترافقهم في سفرك . امرؤ القيس هو الشاعر الجاهليّ المشهور صاحب المعلقة . الغبيط الرحل يشد عليه الهودج استنبط اي صاروا نبيطا . والنبيط او النبط جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين ومن كلام ابن القرية (اهل عمان عرب استنبطوا واهل البحرين

القسطنطينية

نهضت من القاهرة المعزية · قاصداً القسطنطينية · وهي بلد الإمام · ومدينة السلام · ودار خلافة الإسلام [1] فركبت سفينة عدولية [2] إلى الثغور الفرنجية · فجرى بنا الفلك في خضم عجاج · ملتطم الأمواج · أخضر الجلد · كأنه افرند [3] · بحر عباب · لايقطعه الخليل بأوتاد وأسباب · تصطخب فيه

نبط استعربوا) استعرب اي صاروا عرباً · الموامي جمع موماة وهي الصحراء
ولقد قال الاعشى   وطوفت للمال افاقه   عمان فحمص فاورشلم
اتيت النجاشي في داره   وأرض النبيط وارض العجم

(المعنى) — البيتان لابي العلاء المعري وقد اشار بهما الى ماجاء لامرئ القيس في معلقته من قوله
ويوم نحرت للعذارى مطيتي   فوا عجباً من رحلها المتحمل
تقول وقد مال الغبيط بنا معا   عقرت بعيري يا امرئ القيس فانزل

ومعناها اين زمن امرئ القيس وعهد تلك الفصاحة العربية والبلاغة اليعربية فقد صرنا الى زمن استوات عليه العجمة وعمت بين ابنائه البكمة

(١) القسطنطينية كانت حاضرة ملك الروم وهي الآن قاعدة ملك الإسلام ومقر السلاطين من آل عثمان وفاتحها السلطان المجاهد الغازي ابو الفتوحات محمد الفاتح وهذه الرسالة كتبها السيد السند والأجل الأوحد منذ اكثر من اثنتي عشرة سنة وقد نشرت اذ ذاك في بعض الكتب ثم بداله تحورها الى هذا الشكل الذي نشرت به الآن وتلك سنة الادباء المؤلفين قال حماد الراوية ماتمم ذو الرمة قصيدته التي مطلعها (مابال عينيك منها الماء ينسكب) حتى آخر حياته وقال العماد الكاتب ما الف احد كتاباً الا قال في غده لو قدمت او اخرت وهو ما يدل على عجز عموم البشر والتفرد بالكمال لواهب القوى والقدر

(٢) المعزية نسبة للمعز لدين الله ابي تميم معد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله المهدي العبيدي رابع الخلفاء الفاطميين واول من ملك مصر منهم وعمر القاهرة

(٣) عدولية منسوبة الى عدولي وهي بلدة بالبحرين أو الى عدول وهو رجل كان يتخذ

النِّينَانُ · وَتَضْطَرِبُ الدَّعَامِيصُ وَالْحِيتَانُ[1] · وَأَخَذَتِ السَّفِينَةُ تَشُقُّ الْيَمَّ · شَقَّ الْجَلَمِ · فِي رِيحٍ رُخَاءٍ · أَوْ زَعْزَعٍ وَنَكْبَاءَ · فَهِيَ تَارَةً فِي طَرِيقٍ مُعَبَّدٍ · وَمِيثٍ مُطَرَّدٍ · وَطَوْرًا فَوْقَ حَزْنٍ وَقَرْدَدٍ · وَصَرْحٍ مُمَرَّدٍ · فَبَيْنَمَا هِيَ تَنْسَابُ · كَالْحُبَابِ · إِذَا هِيَ تَلْحَقُ بِالرَّبَابِ · وَتُحَلِّقُ كَالْعُقَابِ · فَتَحْسَبُهَا تَارَةً تَحْتَ الْقَتَامِ · جَبَلًا تَقَشَّعَ عَنْهُ الْغَمَامُ · وَتَخَالُهَا مَرَّةً عَائِمًا عَلَى شَفَا · قَدْ غَابَ إِلَّا الْهَامَةَ أَوْ كَتِفَا[2] وَالْبَحْرُ آوِنَةً كَالزُّجَاجِ النَّدِيِّ · أَوِ السَّيْفِ الصَّدِيِّ · يَلُوحُ كَالصَّفِيحَةِ

السفن أو الى قوم كانوا ينزلون هجر والمراد سفينة ضخمة · الخضم البحر · العجاج الكثير الاصوات الافرند السيف شبه البحر به في الخضرة

(١) العباب البحر : الخليل المراد به الخليل بن احمد الفراهيدي كان اماماً في النحو وهو الذي استنبط علم العروض واخرجه الى الوجود وكانت له معرفة بالايقاع والنغم وتلك المعرفة احدثت له علم العروض فانهما متقاربان في المأخذ وقد كان رجلا صالحًا عاقلا وقورا حليما وله من التصانيف كتاب العين في اللغة وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب في العوامل وكتاب النغم واخبار الخليل كثيرة وعنه اخذ سيبويه علوم الادب وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتوفي سنة مائة وسبعين ودفن بالبصرة — : الوتد ما كان في العروض على ثلاثة احرف كعلى · السبب من مقطعات الشعر حرف متحرك وحرف ساكن جمعه اسباب · تصطخب تصوت وتضطرب · النينان جمع نون وهو الحوت · الدعاميص من دواب البحر وكان الأمير خليل بن عرام فاضلا مؤرخًا وتولى نيابة الاسكندرية واتهم بقتل الأمير بركة فحكم بقتله فوثب عليه مماليك بركة فضربوه بسيوفهم وقطعوه وتلاعبت ايديهم بجسده فقال احمد بن العطار في ذلك

بدت اجزاء عرّام خليل مقطعة من الضرب الثقيل
وأبدت أبحر الشعر المراثي محررة بتقطيع الخليـل

(المعنى) — : ان هذا البحر ليس من أبحر العروض التي وضعها الخليل وقطعها بأوتاد واسباب وانما هو بحر لجيّ تضطرب دوابه وتصطخب

(٢) اليم البحر · الجلم المقراض · الرخاء الريح اللينة · الزعزع التي تزعزع الأشياء اي

الْمَدْحُوَّةِ · أَوِ الْمِرْآةِ الْمَجْلُوَّةِ [1] · وَحِينًا يَضْرِبُ زَخَّارُهُ · وَيَمُوجُ مَوَّارُهُ ·
فَكَأَنَّمَا سُيِّرَتِ الْجِبَالُ · وَكَأَنَّمَا تَرَى قِبَابًا فَوْقَ أَفْيَالٍ · [2] وَكَأَنَّ قُبُورًا فِي الْيَمِّ
تُحْفَرُ · وَأَلْوِيَةً عَلَيْهِ تُنْشَرُ · وَكَأَنَّ الْعِدَّ · يَمْخَضُ عَنْ زُبْدٍ [3] · وَكَأَنَّ الدَّوِيَّ ·
مِنْ جَرْجَرَةِ الآذِيِّ · زَئِيرُ الأُسْدِ · وَهَزِيمُ الرَّعْدِ [4]

يَكُبُّ الْخَلِيَّةَ ذَاتَ الْقِلاَ عِ وَقَدْ كَادَ جُؤْجُؤُهَا يَنْحَطِمُ [5]

تحركها · النكباء ريح انحرفت ووقعت بين ريحين · المعبّد المذلل · الميث الارض السهلة · المطرد المحدد المستقيم · الحزن ماغلظ من الارض · القردد الارض الغليظة · الصرح البيت الواحد يبنى مفردا طويلا ضخما · الممرد المملس · تنساب تمشي مسرعة · الحباب الحية · الرباب السحاب · حلق ارتفع · العقاب طائر معروف · القتام المراد به هنا الدخان · تقشع انكشف · الهامة العنق

(المعنى) — : يقول ان السفينة اخذت تشق وجه الماء كما يشق المقراض الثوب وهي في يد الرياح تقلبها كيف شاءت فهي تارة تستقيم في سيرها واخرى تنخفض وترتفع وآونة تخالها كجبل عظيم تحت الغمام وطورا كالسابح في لج الماء ولم يبن لاعين النظارة منه الا هامته او كتفه

(١) الصفيحة السيف · المدحوّة المبسوطة · المجلوّة المصقولة

(المعنى) — : ان البحر في سكونه يشبه السيف والمرآة في استوائه وخضرته

(٢) زخاره طاميه وموجه المضطرب

(المعنى) — : ان البحر اذا ارتفعت امواجه كانت كالجبال رفعة وكان زبدها كقباب بيضاء فوق أفيال

(٣) العدّ بالكسر البحر · يمخض يحرك

(المعنى) — : ان البحر يفتح بين كل موجة واختها قبرا وينشر من موجه ألوية في الهواء وكأن زبده زبد يمخض في السقاء

(٤) الجرجرة الصوت · الآذي الموج · الهزيم صوت الرعد · الزئير صوت الاسد

(المعنى) — : ان صوت الموج في اضطرابه يشبه زئير الاسد وهزيم الرعد

(٥) يكب يميل · الخلية السفينة العظيمة · القلاع شراع السفينة · الجؤجؤ الصدر · يحطم ينكسر

فإذا كانَ الأَصِيلُ . وَسرَى النسيمُ العَلِيلُ . رأَيْتَ البَحْرَ كأنهُ مبْرَدٌ . أَوْ دِرْعٌ مُسَرَّدٌ أَوْ أَنَّهُ مَاوِيَّةٌ . تَنظُرُ السَّمَاءُ فِيهَا وَجْهَهَا بُكْرَةً وَعَشِيَّةً . وَكأنَّمَا كُسِّرَ فِيهِ الحُلِيُّ . أَوْ مُزِجَ بِالرَّحِيقِ القُطْرُبُلِّيّ [1] . وَكَأَنَّمَا هُوَ قَلاَئِدُ العِقْيَانِ . أَوْ زُجَاجَةُ المُصَوِّرِ يُؤَلِّفُ عَلَيْهَا الأَصْبَاغَ وَالأَلْوَانَ [2] . حتَّى إِذَا أَخْضَلَ اللَّيْلُ . وَأَرْخَى الذَّيْلَ . بَدَا الهِلاَلُ كَأَنَّهُ خِنْجَرٌ مِنْ ضِيَاءٍ . يَشُقُّ الظَّلْمَاءَ . أَوْ قِلاَدَةٌ . أَوْ سِوَارُ غَادَةٍ . أَوْ سِنَانٌ لَوَاهُ الضِّرَابُ . أَوِ اللَّيْلُ فِيلٌ وَهُوَ نَابٌ [3] . أَوْ

وأيسر اشفاقي من المـاء انني   أمرّ به في الكوز مرّ المجانب
وأخشى الردي منه على كل شارب   فكيف بأمنيه على نفس راكب

وكان أبو نواس يخشى النيل ايّام اقامته بمصر وقال

اضمرت للنيـل هجرانًا ومقلية   اذ قيل لي انما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأى العين عن كثب   فما أرى النيل الاّ في البراقيل

والبراقيل الجرار التي يشرب فيها الماء

(المعنى) — : ان الموج في اضطرابه يميل بالسفينة العظيمة فيكاد يكسرها . ولقد كان ابن الرومي يخاف ركوب البحر لمثل هذه الاهوال الموصوفة في الرسالة ومن شعره

(١) الأصيل وقت مابعد العصر الى المغرب . المسرّد المثقب . الماوية المرآة . القُطْرُبُلّي خمر منسوب الى قطربل وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر

(المعنى) —: يقول انه اذا صفا البحر في الأصيل وسكن أصبح كأنه درع وكأن الوان الشمس وضوئها فيه حليّ من فضة وذهب مكسرة أو أن ماءه قد مزج بالرحيق الاصفر

(٢) العقيان الذهب

(المعنى)— : شبه الماء تحت ضوء شمس الأصيل بقلائد الذهب والزجاجة التي يضع عليها المصور الوان الاصباغ من أحمر وأصفر وأخضر ثم يرسم بها ما يشاء من الصور

(٣) أخضل أظلم الليل وأقبل طيب برده . السنان نصل الرمح . الضراب مصدر المضاربة

عُرْجُونٌ قَدِيمٌ . أَوْ نُونٌ مِنْ خَطِّ بْنِ الْعَدِيمِ[١] . أَوْ بُرْثُنُ ضَيْغَمٍ . أَوْ مِخْلَبُ قَشْعَمٍ[٢] . أَوْ مَاءٌ خَرَجَ مِنْ أُنْبُوبٍ فِي رَوْضٍ . أَوْ ثَمَدٌ فِي أَسْفَلِ حَوْضٍ . أَوْ وَشْيٌ مَرْقُومٌ . أَوْ دِمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ مَفْصُومٌ . أَوْ قُلَامَةُ ظُفْرٍ . أَوْ صِنَارٌ فِي شَبَكٍ فِي بَحْرٍ[٣]

أَيَا ضَوْءَ الْهِلَالِ لَطُفْتَ جِدًّا
كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدُّنْيَا ٱبْتِسَامُ
يُحَبِّبُ لِي سَنَاكَ الْعِشْقَ حَتَّى

---

(١) العرجون اصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً : وابن العديم هو كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرارة الصاحب العلامة رئيس الشام العقيلي الحلبي ولد سنة ٥٨٦ هـ وكان محدثاً فاضلاً حافظاً مؤرخاً صادقاً فقيهاً مفتياً منشئاً بليغاً كاتباً محموداً وكان رأساً في الخط المنسوب لا سيما النسخ والحواشي لهُ من المصنفات تاريخ حلب وكتاب الدراري في ذكر الذراري وكتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة وكتاب في الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه واقلامه وكتاب رفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري وكتاب تبريد حرارة الاكباد في الصبر على فقد الاولاد وكانت وفاته سنة ٦٦٦ هـ ودفن بسفح المقطم في القاهرة

(المعنى) — : هذه كلها تشبيهات للهلال في اعوجاجه والتوائه

(٢) الضيغم السبع . المخلب ظفر كل سبع من الطائر والماشي . القشعم النسر الكبير

(٣) الانبوب كعب القصب . الثمد الماء القليل لامادة له . الوشي نقش الثوب ويكون من كل لون ونوع . المرقوم رقم الكتاب اعجمه وبينه والثوب خططه واعلمه . والدملج المدرهم وقنفذ حلي يلبس في المعصم . مفصوم مكسور . القلامة ما سقط من طرف الظفر . الصنار بالكسر الحديدة المعقفة الدقيقة التي في رأس المغزل ويستعمل مثلها لصيد السمك

(المعنى) — : شبه الهلال في نوره والتوائه باشياء مختلفة منها دملج مكسور نصفين وأخذ النصفين هو الهلال ومنها صنار في شبك في بحر اي الهلال هو الصنار والنجوم هي الشبك والبحر هو السماء

يُصاحِبني وأصحبُهُ الغرامُ ١

(للمؤلف)

ثُمّ إذا غابَ الهِلالُ . وتوارَى في الحِجالِ . ألفيتَ الكونَ منَ السوادِ . في لَبُوسِ حَديدٍ أو لِباسِ حِدادٍ . وكأنَّما الماءُ سماءٌ . وكأنَّ السَّماءَ ماءٌ . وكأنَّ النجومَ دُرٌّ . يموجُ في بحرٍ ٢ أو ثقوبٌ في قبَّةِ الدَّيجورِ . يلوحُ منها النورُ . أو سِكَاكُ دِلاصٍ . أو فِلَقُ رَصاصٍ ٣ . أو عيونُ جَرادٍ . أو جَمرٌ في رَمادٍ . أو الماءُ . صفائحُ فضَّةٍ بيضاءَ . سُمِّرَتْ بمساميرَ صِغارٍ . من نُضارٍ ٤ . فلا تَفتَأُ السفينةُ تُكابِدُ الويلَ . منَ البحرِ والليلِ . حتَّى يلوحَ منَ الأفقِ الضياءُ . كابتسامِ

---

(١) هذان البيتان هما للسيد المؤلف يصف بهما الهلال وضوءه والشطرة الثانية من البيت الاول هي لابي الطيب المتنبي وصدرها

لقد حسنت بك الايام حتى   كانك في فم الدنيا ابتسام

واستعملها السيد هنا اشارة الى لألاء نور الهلال في الليل

(٢) الحجال الستر . لبوس الدرع ومنهُ (وعلّمناه صنعة لبوس) اي عمل الدرع . الحداد ثياب المأتم

(المعنى) يقول اذا اظلم الليل رأيت الكون كانه في عدة الحرب من الحديد او في لباس الحزن من السواد وقد اختلط البحر بالسماء في لونه واخضراره فكان السماء ماءٌ وكان النجوم فيها درّ وقال امرؤ القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله   عليَّ بانواع الهموم ليبتلي

(٣) الديجور الليلة المظلمة . السكاك المسامير . الدلاص الدرع الملساء اللينة . الفلق جمع فلقة وهي القطعة

(٤) النضار الذهب او الفضة

(المعنى) شبه النجوم في الماء بمسامير من ذهب مضروبة على صفائح من فضة

الشَّفَةِ اللَّمْيَاءِ [٥] · فَإِذَا السَّفِينَةُ كَأَنَّهَا سِرٌّ كَتَمَهُ الظَّلَامُ · وَكَشَفَهُ الضِّرَامُ [٦] ·

* * *

وَكَانَ غِذَاؤُنَا فِيهَا قِطَعًا مِنْ نُونٍ · وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ · وَفَاكِهَةً وَأَبًّا · وَمَاءً عَذْبًا · وَفَانِيذًا مُرَوَّقًا · وَجُلَّابًا مُصَفَّقًا ·

يَظَلُّ فِي دَرْمَكٍ وَفَاكِهَةٍ
وَفِي شِوَاءٍ مَا شِئْتَ أَوْ مَرَقَه
إِلَى رُدُحٍ مِنَ الشِّيزَى مِلَاءٍ
لُبَابَ الْبُرِّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ [٢]

أَمَّا الشَّرْبُ · مِنَ الرَّكْبِ · فَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ سُقَاةٌ كَجُمَّاعِ الثُّرَيَّا · بِأَقْدَاحِ

---

(٥) اللمياء الشفة التي بها سمرة والعرب تمدح ذلك

(المعنى) شبه ظهور الفجر من الظلام بالثغر البراق اذا بدا من الشفة السمراء

(٦) الضرام الضوء

(المعنى) يقول كان السفينة في خفائها في الظلام سرّ كتمه صدر كتوم واخفاه حتى كشفه نور الصباح وابداه

(١) النون الحوت · الاب المراد به هنا الخضر · الفانيذ نوع من شراب السكر · الجلاب العسل او السكر عقد بوزنه من ماء الورد فارسي معرب · المصفق المصفى · الدرمك دقيق الحوّاري قال الاعشي :

له درمك في رأسه ومشارب وقدر وطباخ وكاس وديسق

وفي الحديث في صفة الجنة وتربتها الدرمك وهو الدقيق الحوّاري · الردح جمع ردح وهي الجفنة العظيمة · الشيزي شجر تعمل منه القصاع والجفان · اللباب الطحين المرقق · يلبك يخلط · الشهاد جمع شهد وهو العسل ما دام لم يعصر من شمعه

الْحُمَيَّا ١ • وَفِي كُلِّ مَكَانٍ • أَرَائِكُ وَإِيوَانٌ • وَأَضْوَاءٌ تَبْهَرُ • وَشُمُوعٌ تَزْهَرُ • وَنَايٌ وَمِزْهَرٌ • وَحَدِيثٌ وَسُمَّرٌ ٢ • فَكَأَنَّمَا نَحْنُ فِي الْمَدِينَةِ • لَا فِي السَّفِينَةِ • وَفِي أَنْدَرِينَ أَوْ جُدُرٍ • لَا فِي ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ٣ • وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَكَسْرٍ • قَضَيْنَاهَا فِي الْبَحْرِ • وَصَلْنَا إِلَى أُورُبَّا فَإِذَا أَرْضٌ أَرِيضَةٌ • وَبِلَادٌ عَرِيضَةٌ • وَجَنَّةٌ وَحَرِيرٌ • وَمُلْكٌ كَبِيرٌ

كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ
مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ ٤

(المعنى) يريد ان غذاءهم في السفينة كان من اطيب مأكل وانفس مشرب والبيت الاخير لأمية بن ابي الصلت يمدح به عبد الله بن جدعان لما اطعم العرب الفالوذج ولم يعرفوه من قبل

(١) الشرب جماعة الشاربين • جمّاع بالضم كل ما تجمع وانضم بعضه الى بعض • الثريا سبعة كواكب في عنق الثور • الحميا الخمر

(المعنى) يقول ان من كان يشرب الطلا من ركاب السفينة كان يطوف عليهم سقاة باقداحها

(٢) الارائك جمع اريكة وهي السرير المنجد المزين • الايوان الصفة العظيمة فارسي معرب • الناي آلة تتخذ للملاهي معرب • المزهر بالكسر عود يضرب به • سمّر جمع سامر • تزهر اي تضي

(٣) اندرين قرية بالشام كثيرة الخمر • جدر محركة بلدة مثلها بين حمص وسلميه • الدسر جمع دسار وهو المسمار والمراد بذات الالواح والدسر السفينة

(٤) اوربا قسم من اقسام الدنيا الخمس مشهور بما فيه من الحضارة والمدنية

(المعنى) يقول انه قد تهيأت جميع الاسباب في السفينة حتى كأنهم في مدينة عامرة هذا البيت من قصيد لأبي الطيب المتنبي قالها في صباه يمدح بها ابا المنتصر شجاع بن محمد ابن اوس الازدي ومطلعها

أرق على أرق ومثلي يأرق   وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وَلاَ وَاللهِ مَا الْفَرْخُ نُقِلَ مِنَ الْغِرْقِيءِ إِلَى اللُّوحِ . وَلاَ مَنْ كَانَ فِي غَبَشٍ فَبَدَتْ لَهُ يُوحُ . وَلاَ بَدَوِيٌّ طَرَقَ إِحْدَى اللَّيَالِي . قَرْيَةَ بَكْرِ بْنِ عَاصِمٍ الْهِلاَلِيِّ . بِأَحْيَرَ نَظَرًا . وَأَدْهَشَ مِمَّا رَأَيْتُ فِكْرًا [١] .

جهد الصبابة ان تكون كما ارى عين مسهدة وقلب يخفق

ومنها اما بنو اوس بن معن بن الرضى فاعز من تحدى اليه الاينق

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وقد استشهد السيد بهذا البيت حينما رأى حضارة أوربا وأبصر شمس العلم مشرقة في المغرب وهو ليس موضع شروقها وهو غاية في حسن الاستشهاد

(١) الغرقيء القشرة الملتصقة ببياض البيض أو البياض الذي يؤكل . اللوح الفراغ الذى بين السماء والأرض . الغبش بقية الليل اوظلمة اخره . يوح الشمس

(المعنى) يقول ان من انتقل الى حضارة اوربا وما فيها من ضخامة العمران كان مثله مثل الفرخ الذي تفلقت عنه البيضة فخرج من ذلك المكان الى سعة الدنيا ويقول ان من رأى ذلك وهلة حار نظره كأنما خرج من ظلمة الى نور ويقول ايضاً ان مثله مثل ذلك البدوي الذي دخل حضر المسلمين فصار يعجب من كل شيء رآه ولا يدرك مغزاه لعدم سبق معرفته بمثل ذلك ولهذا البدوي قصة لطيفة جداً نوردها هنا — من لطيف اخبار الاعراب ما رواه محمد بن يزيد قال كنت نازلاً بحلب على الهيثم بن عدي فبعث الى ضيف له من عذرة اعرابي فقال له حدث ابا عبد الله بما رأيت في حضر المسلمين من الاعاجيب قال نعم رأيت اموراً معجبة منها انني دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالي واذا انا بدور متباينة واذا خصاص بيض بعضها الى بعض واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون وعليهم ثياب حكوا بها انواع الزهر فقلت لنفسي هذا احد العيدين الفطر او الاضحى ثم رجع الي ما عزب من عقلي فقلت خرجت من اهلي في عقب صفر وقد مضى العيدان قبل ذلك (والذى رآه هو احتفال بعرس) فبينما انا واقف اتعجب اذ أتاني رجل فأخذ بيدي وادخلني بيتاً قد نجد وفي وجهه فرش ممهدة وعليها شاب ينال فرع شعره كتفيه وقد اصطفت الناس حوله سماطين فقلت في نفسي هذا الامير الذي يُحكى لنا جلوسه وجلوس الناس حوله فقلت وانا ماثل بين يديه السلام عليك ايها الامير ورحمة الله قال فجذب رجل بيدي وقال ليس بالامير اجلس قلت فمن هو قال عروس قلت واثكل اماه لرب

ثُمَّ بعدَ بُرْهَةٍ منَ الزَّمنِ . نهضْنا لِلظَّعنِ . ورَحلْنا إلى القُسْطَنْطِينِيَّةِ .

عروس بالبادية قد رأيته اهون على اصحابه من هن امه فلم ألبث ان ادخلت الرجال علينا آلات مدورات من خشب اما ماخف منها فيحمل حملا واما ما ثقل فيدحرج فوضعت امامنا وحلق القوم عليها حلقا ثم اتينا بخرق بيض فالقيت علينا فهممت والله أن أسال القوم خرقة منها أرقع بها قميصي وذلك اني رأيت لها نسجًا متلاحمًا لا يتبين له سدى ولا لحمة فلما بسط القوم أيديهم اذا هو يتمزق سريعًا واذا هو صنف من الخبز لا أعرفه ثم اتينا بطعام كثير من حلو وحامض وحار و بارد فا كثرت منه وانا اعلم ما في عقبه من التخم والبشم ثم اتينا بشراب احمر في عساس بيض فلما نظرت اليه قلت لا حاجة لي به لاني اخاف ان يقتلني وكان الى جانبي رجل ناصح لي احسن الله جزاءه كان ينصحني بين اهل المجلس فقال لي يا اعرابي انك قد اكثرت من الطعام فان شربت الماء همي بطنك فلما ذكر البطن ذكرت شيئًا اوصاني به الاشياخ قالوا لا تزال حيًا ما دام بطنك شديدًا فان اختلفت فاوص فلم أزل اتداوى بذلك الشراب ولا امله حتى داخلني به صلف لا اعرفه من نفسي ولا عهد لي به وكان الى جانبي الرجل الناصح لي فجعلت نفسي تحدثني بهتم اسنانه مرة وهشم انفه أخرى واهم احيانًا ان اقول له يا ابن الزانية فبينا نحن كذلك اذ هجم علينا شياطين اربعة أحدهم قد علق جعبة فارسية مفتحة الطرفين قد شبكت بالخيوط وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القر ثم بدا الثاني فاستخرج من كفه هنة كأذن الحمار فوضع طرفها في فيه فصاح فيها ثم جاس على جحرتها فاستخرج منها صوتًا مشاكلاً بعضه بعضًا (هؤلاء هم المغنون ولم يعرفهم لبداوته) ثم بدا الثالث وعليه قميص وسخ وقد غرق رأسه بالدهن ومعه سرتان فجعل احداها على الاسرى ثم بدا الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصيرة فجعل يقفز صلبه ويهز كتفيه ثم التبط بالارض فقلت معتوه ورب الكعبة (هذا هو الراقص) ثم ما برح مكانه حتى كان اغبط القوم عندي ثم ارسلت الينا النساء ان امتعونا من لهوكم فبعثوا بهم اليهن وبقيت الاصوات تدور في آذاننا وكان معنا في البيت شاب لا آبه له فعلت الاصوات له بالدعاء فخرج فجاء بخشبة في يده عينها في صدرها فيها خيوط اربعة فاستخرج من جوانبها عوذًا فوضعه على اذنه ثم زم الخيوط الظاهرة فلما احكمها عرك اذنها فنطق فوها فاذا هي احسن قينة رأيتها قط فاستخفني حتى قمت من مجلسي فجلست اليه فقلت بابي انت وامي ما هذه الدابة قال يا اعرابي هذا البربط (أي العود) قلت فما هذه الخيوط قال أما الاسفل فزير والذي يليه مثنى والذي يليه مثلث والذي يليه بم فقلت آمنت بالله

فَرَكِبْنَا إِلَيْهَا وَابُورَ الْبَرِّ فِي لَيْلَةٍ عَرِيَّةٍ ١ . فَسَرَى بِنَا وَكَأَنَّهُ ثُعْبَانٌ . لَهُ عَيْنَانِ نَقِدَانِ . يَنْسَابُ فِي الْقِيعَانِ . وَيَلْتَوِي عَلَى الرِّعَانِ ٢ . أَوْ أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ مُتَعَدِّدُ الْأَخْبَارِ . أَوْ كَلِمٌ مَجْرُورَةٌ بِحَرْفٍ جَارٍّ . أَوْ أَنَّهُ بَيْتٌ ذُو تَقْطِيعٍ . مِنَ الْبَحْرِ السَّرِيعِ ٣ . فَتَارَةً وَعِلٌ عَلَى الْجِبَالِ . وَأُخْرَى جَدْوَلٌ بَيْنَ الْأَدْغَالِ . وَآوِنَةً يَنْطَلِقُ كَالْجَوَادِ . وَمَرَّةً يَثِبُ كَالْجَرَادِ ٤ . وَقَدْ يَدُورُ فِي الصَّعِيدِ . كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ . إِنِ ارْتَقَى فَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ . أَوِ انْحَطَّ فَرُوحُ الظَّلُومِ .

---

(١) البرهة الزمان الطويل . الظعن السير . العرية الباردة

(٢) ينساب يمشي مسرعا . القيعان جمع قاع وهو ارض سهلة مطمئنة . الرعان جمع رعن وهو انف يتقدم الجبل والجبل الطويل

(المعنى) شبه الوابور في سيره والتوائه بالثعبان وشبه السراجين الموضوعين في مقدمه بعيني الثعبان

(٣) المبتداء هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية . الاخبار جمع خبر والخبر هو الجزء الذي حصلت به الفائدة مع مبتداء والصحيح تعدد الخبر كقوله تعالى (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد) . حرف جار مشى السيد المؤلف على ان العامل في التابع للمجرور بحرف الجار هو العامل في المتبوع على ما هو الصحيح . البحر السريع هو أحد أبحر العروض الستة عشر ومن أعاريضه واضربه مستفعلن مستفعلن فاعلن مرتين ومثاله

هاج الهوى رسم بذات الغضى مخلولق مستعجم محول

(المعنى) شبه الوابور وجره لعرباته بمبتداء متعدد الاخبار وبكلم مجرورة بحرف جار وكذلك شبه القطار في تركبه من غرف متباينة بالبيت الشعر اذا قطعت كلماته بالوزن العروضي وخصص البحر السريع للتورية بسرعة الوابور

(٤) الوعل تيس الجبل . الأدغال جمع دغل وهو الشجر الكثير الملتف

(٥) الصعيد وجه الأرض . الخذروف شيء يدوره الصبي بخيط في يديه فيسمع له دوي وهي اللعبة التي تسميها العامة النحلة

هَزِجٌ يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ
فِعْلَ الْمُكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ [١]

أَسْرَى فِي اللَّيَالِ . مِنْ طَيْفِ الْخَيَالِ . وَأَمْضَى فِي الذَّهَابِ . مِنَ الْعُقَابِ . (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) [٢] . كَأَنَّهُ غُرَابُ الْبَيْنِ . إِنْ نَعَبَ فَفُرْقَةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ . رَاحِلَةٌ لاَ تَرْعَى الشِّيحَ وَالسَّعْدَانَ . وَلاَ تَسِيرُ الذَّمِيلَ وَالْوَخْدَانَ . وَلاَ تَرِدُ عَيْنَ أُثَالٍ . وَلاَ تَعْقُرُهَا الرِّحَالُ [٣] . فَمَا زَالَ يَطْوِي

(المعنى) ان هذا الوابور سريع في صعوده سريع في انحداره فان صعد كان في سرعة دعوة المظلوم وان انحدر كان في سرعة روح الظالم في انحطاطها

(١) الهزج المترنم المتتابع الصوت . المكب الدائم النظر الى الارض . الزناد جمع زندوهو العود الأعلي الذي يقتدح به النار الاجذم هو المقطوع اليد وقيل الذاهب الأنامل جمعه جذمى على حد احمق وحمقى قال عويف القوافي

ولم ارقتلي لم تدع لي بعدها يدين فما ارجو من العيش أجذما

(المعنى) انه شبه الوابور الجار للعربات في تحريكه يديه عند السير بالذباب في تحريكه يديه او بالاجذم اذا اكب على الزناد والبيت من معلقة عنترة التي مطلعها

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

(٢) هذه اية من القرآن الكريم

(٣) الراحلة النجيب الصالح لان يرحل من الأبل والقوي على الاسفار والأحمال يقال للمذكر والمؤنث والهاء للمبالغة والجمع رواحل . الشيح نبت . السعدان نبت من افضل مراعي الابل ومنه (مرعى ولا كالسعدان) . الذميل السير اللين للابل . الوخدان الاسراع . أثال كغراب ماء لعبس وواد يصب في ماء الستارة . تعقرها تجرحها

(المعنى) يقول ان الوابور اذا صفر يكون كغراب نعب اذ يعقب ذلك فراق وسفر كما ان نعيب الغراب يعقبه ذلك كما تزعم العرب وشبه الوابور بالناقة في سيرها وانما قال انه ناقة لا ترعى الشيخ والسعدان الذي هو من مراعي الأبل ولا يسمى سيرها بالذميل والوخدان وهما من اسماء سير

الْمَنَازِلِ طَيَّ السِّجِلِّ · بَيْنَ ارْتِحَالٍ وَحِلِّ ·

يَوْمًا بِحُزْوَى وَيَوْمًا بِالْعَقِيقِ وَبِالْ
عُذَيْبِ يَوْمًا وَيَوْمًا بِالْخُلَيْصَاءِ
وَتَارَةً يَنْتَحِي نَجْدًا وَآوِنَةً
شِعْبَ الْحُزُونِ وَأُخْرَى قَصْرَ تَيْمَاءِ ١

إِلَى أَنْ وَصَلْنَا دَارَ السَّعَادَةِ · وَأَلْقَيْنَا بِهَا عَصَا الْوِفَادَةِ

نَؤُمُّ بِهَا ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَتَفْرِي

الابل ولا ترد المنهل المشهور عند العرب المسمى بأثال ولا يجرح ظهرها الرحل

(١) السجل الكتاب والجمع سجلات · حزوى كقصوى موضع · العقيق موضع بالمدينة · العذيب كزبير موضع · الخليصاء موضع · نجد موضع معروف اعلاه تهامة اليمن واسفله العراق والشام واوله من جهة الحجاز ذات عرق · الشعب الطريق بين الجبلين · الحزون موضع · قصر تيماء قال ياقوت بليد في اطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق والابلق الفرد حصن السموأل مشرف عليها فلذلك كان يقال لها تيماء اليهودي ولما بلغ اهلها سنة ٩ هجرية قدوم النبي صلى الله عليه وسلم الى وادي القرى ارسلوا اليه وصالحوه على الجزية واقاموا ببلادهم فلما اجلى عمر اليهود عن جزيرة العرب اجلاهم معهم وقال بعض الاعراب

الى الله اشكو لا الى الناس انني بتيماء تيماء اليهود غريب

وقال الاعشى

ولا عاديًا لم يمنع الموت ماله وورد بتيماء اليهودي أبلق

وكانت تيماء حصنًا أعمر من تبوك وحاضرة بني طيّ

(المعني) يقول ان الوابور ينتقل كل ساعة من مكان لآخر في سيره فهو اليوم في بلد وغدا في أخرى وهكذا

(٢) نؤم نقصد · ابن ذي يزن ملك حمير · الخف للبعير والنعام بمنزلة الحافر والجمع أخفاف وخفاف : صنعاء مدينة باليمن · العتيق القديم من كل شيء والكريم

بُطُونَ خِفَافِهَا أُمُّ الطَّرِيقِ
فَلَمَّا وَافَقَتْ صَنْعَاءَ صَارَتْ
بِدَارِ الْمُلْكِ وَالْحَسَبِ الْعَتِيقِ (٢)

*
* *

فَمَا تَبَالَةُ مُخْصِبًا أَهْضَامُهَا · وَلَا بَابِلُ مُعَلَّقَةً أَجَامُهَا · وَلَا دِمَشْقُ فِي مُلْكِ الْوَلِيدِ · وَلَا بَغْدَادُ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ · بِأَضْخَمَ رُفَهْنِيَةً وَحَضَارَةً · وَأَرْوَعَ زِبْرِجًا وَشَارَةً · بَرٌّ حُوٌّ تِلَاعُهُ · خُضْرٌ آكَامُهُ وَأَجْرَاعُهُ · مُعْشِبٌ مَحَاجِرُهُ · مُنْبَثِقَةٌ

(١) تبالة بلدة باليمن خصبة · الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الارض وبطن الوادي · بابل هي مدينة قديمة فيما يعرف الآن بتركية آسيا واقعة على الضفة الشرقية من نهر الفرات نفسه والذى بناها هو بختنصر الذي قال عنها انها بابل الكبرى التي بنيتها لبيت ملك دولتي وقيل ان بختنصر جعلها نزهة لزوجته أميتيس فانشأ بساتينها مؤلفة من جبل صناعي اتساع كل من جوانبه اربعمائة قدم وكان مرتفعاً بسطوح متوالية اكثر من أسوار المدينة وكانت السطوح نفسها مؤلفة من أبنية متعاقبة يغشى رؤوسها حجارة مسطحة طولها ستة عشر قدماً وعرضها أربعة اقدام وكانت فوق تلك الحجارة مواد مما تسقف بها البيوت يعلوها طبقة من القار ويغشي هذه الطبقة صفائح من الرصاص وكان التراب يفرش فوق ذلك ويجعل بعض الجاميع متخلخلاً بحيث تتخللها أصول اكبر الاشجار وكان الماء يجري من النهر لسقي تلك البساتين فباتت أشبه بجبل رافل بحلل الخضرة تعلوه حدائق غلباء ورياض غنّاء · الاجام الجنان والغابات · دمشق هي المدينة المشهورة قصبة الشام وهي جنة الدنيا بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وغزارة مياه وهي مدينة قديمة وقد فتحها المسلمون في رجب سنة ١٤ للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن أشهر مبانيها الجامع الاموى كان قد بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان وابتدأ في عمارته سنة ٨٧ هجريه ويقال ان الوليد انفق على عمارته خراج المملكة سنة حكى موسى بن حماد قال · رأيت في مسجد دمشق كتابة بالذهب في الزجاج محفورة سورة

بِالْمِيَاهِ مَفَاجِرُهُ [١] يَشُقُّهُ خَلِيجٌ كَأَنَّهُ سَيْفٌ مَسْلُولٌ · أَوْ سَجَنْجَلٌ مَصْقُولٌ [٢] · وَعَلَى شَاطِئَيْهِ قُرًى وَدَسَاكِرُ · وَرَسَاتِيقُ وَمَقَاصِرُ · وَقُصُورٌ بِيضٌ عَلَى الْخَضْرَاءِ · كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ · أَوْ أَشْرِعَةِ فُلْكٍ فِي مَاءٍ

الهاكم التكاثر الى آخرها ورأيت جوهرة حمراء ملصقة في القاف في قوله تعالى حتى زرتم المقابر فسالت عن ذلك فقيل لي انه كانت للوليد بنت وكانت هذه الجوهرة لها فماتت فامرت امها ان تدفن هذه الجوهرة معها في قبرها فامر الوليد بها فصيرت في قاف المقابر ثم قال لامها انه قد اودعها المقابر فسكتت · بغداد هي مدينة شهيرة بالعراق من تركية اسيا وهي قاعدة ولاية باسمها والذي بناها هو ابو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين شرع في تخطيطها سنة ١٤٥ هجريه وأتم بناءها سنة ١٤٩ هجرية وجعلها مدورة لئلا يكون بعض الناس اقرب اليه من بعض وسماها مدينة السلام وكانت هذه المدينة قديمًا جليلة الشأن عظيمة الشهرة والعمارة والتجارة والزخرفة وقد اخذ العلم فيها كلّ مأخذ ولا سيما في ايام الرشيد والمأمون فالمامون انشأ فيها مرصدًا فلكيًّا وامر باستخراج كتب الحكمة من اليونانية فزهت بالعلماء والفضلاء وخرج منها فطاحل الأئمة في كل العلوم و بلغ عدد سكانها في تلك الايام سنة ٣١٦ ه نحو مليونين من الانفس وكانت مقر الخلافة لبني العباس فلما سقطت الخلافة سقطت بغداد وامتد فيها الخراب واشتدت بها الفتن وكثر الحريق والتخريب فخمدت نارعزها وتهدمت اسوار مجدها واندرست رسوم مدارسها وتقوضت قباب مصانعها · الرفهنية كبلهنية رغد الخصب ولين العيش · أروع من راعه اعجبه · الزبرج الزينة · الشارة الحسن والجمال والهيئة

(المعنى) يقول ان القسطنطينية في حدائقها المرتفعة المشرفة على بيوتها كبابل في جناتها وانها في عمرانها كدمشق في ايام الوليد وبغداد في زمن الرشيد

(١) حوّ خضر · التلاع جمع تلعة وهو مسيل الماء من أعلى الوادي الى اسفله · الأجراع جمع اجرع وهو الرملة الطيبة المنبت · المحاجر جمع محجر كمجلس وهو الحديقة · منبثق منفجر · المفاجر مواضع انفجار الماء

(٢) السجنجل المرآة

فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ
حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا [١]

وَكَأَنَّ كُلَّ شَاطِئٍ مِنْهُمَا قَدِ انْتَهَتِ الْمَحَاسِنُ إِلَيْهِ · فَلَا يَفْضُلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ إِلَّا لِكَوْنِهِ يَطُلُّ عَلَيْهِ · فَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ حِينَ دُلُوكِ الشَّمْسِ · وَقَدْ شَعْشَعَ نُورُهَا كُلَّ بِنَاءٍ وَغَرْسٍ · وَقَدْ عُكِسَ فِي الْمَاءِ · صُوَرُ مَا يُحِيطُ بِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ · أَبْصَرْتَ فِي الْمَاءِ قِبَابًا مِنْ ذَهَبٍ · وَأَهِلَّةً مِنْ لَهَبٍ · وَكُثْبَانًا مِنْ زُمُرُّدٍ · وَوِدْيَانًا مِنْ زَبَرْجَدٍ · وَجِبَالًا وَأَيْفَاعًا · وَحُصُونًا وَقِلَاعًا · وَسِدْرًا وَدُلَّاعًا · وَسُقُوفًا مِنْ جَوْهَرٍ · وَعُمُدًا مِنْ مَرْمَرٍ · وَصَرْحًا مِنْ قَوَارِيرَ · وَتَمَاثِيلَ وَتَصَاوِيرَ · وَدُورًا وَحُورًا · وَنَارًا وَنُورًا · وَحُلَلًا تُطْوَى وَتُنْشَرُ · وَسُيُوفًا تُغْمَدُ وَتُشْهَرُ · وَأَقْمَارًا تُصَاغُ وَتُكْسَرُ [٢] · فَكَأَنَّمَا تَقْرَأُ فِي الْبَرِّ · قَصِيدَةً مِنْ

---

(١) الشاطيء للنهر شطه · الدساكر جمع دسكرة وهي الارض المستوية وبيوت الاعاجم يكون فيها الشراب والملاهي او بناء كالقصر حوله بيوت · الرساتيق جمع رستاق وهو القرية فارسي معرب · المقاصر جمع مقصورة وهي الناحية من الدار على حيالها ومنها قوله (ومن دون ليلى مصمتات المقاصر) والمصمت المحكم · الاشرعة جمع شراع وهو شيء كالملاءة الواسعة فوق خشبة تصفقه الريح فيمضي بالسفينة · ينع الثمر حان قطافه

(٢) الدلوك غروب الشمس أو اصفرارها او ميلانها · شعشع اضاء · الكثبان جمع كثيب وهو التل من الرمل سمي به لانه انكثب اي انصب في مكان فاجتمع فيه · الزمرد جوهر معروف · الزبرجد يشبه الزمرد وهو الوان كثيرة والمشهور منها الاخضر المصري والاصفر القبرسي · ايفاع جمع يفع وهو التل · الدلاّع كرمان ضرب من محار البحر · الصرح القصر وكل بناء عال · القوارير اواني من زجاج في بياض الفضة

(المعنى) خليج القسطنطينية احد شاطئيه يسمى الروملي والآخر يسمى الاناضول وهما من

شِعْرٍ · وَتَنْظُرُ فِي الْبَحْرِ · فَانُوسًا مِنْ سِحْرٍ ¹ · أَمَّا الْمَدِينَةُ الْعَتِيقَةُ فَتَلُوحُ كَأَنَّهَا جَبَلٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ · أَوْ غَمَامٌ مُطْبِقٌ عَلَى الْأَرْضِ · وَكَأَنَّ مَآذِنَهَا أَجَمَةٌ مِنَ الْقَصَبِ وَالْأَسَلِ · بِأَعْلَى الْجَبَلِ ² فَإِنْ دَخَلْتَهَا وَجَدْتَهَا وَاسِعَةَ الرُّقْعَةِ · جَيِّدَةَ الْبُقْعَةِ · وَرَأَيْتَ اخْتِلَافًا فِي الْبِقَاعِ · وَتَبَايُنًا فِي الْأَوْضَاعِ · إِذْ تَرَى الْقَصْرَ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ · وَالْجَوْسَقَ كَأَنَّهُ إِرَمُ ذَاتُ الْعِمَادِ ³ · بَيْنَهُمَا

احسن منازه الدنيا لا تزال تميل بهما الاشجار وتتدفق الانهار وتتغنى الاطيار فهو يقول انهُ لا يمكن تفضيل احدهما على الآخر الاّ ان يقال ان هذا يفضل هذا لانهُ يطل عليه والثاني يفضل الاول لانهُ ينظر اليهِ علي حد قولهم فلان عقله اكبر من علمه وعلمه اكبر من عقله ثم وصف مناظر جانبي الخليج منعكسة في مائه وصورها بصور العجائب والغرائب التي لا توجد الاّ في اقاصيص القصاص والكهان وقد ابدع في ذلك ووصل الى غاية لا يبلغها قول قائل ولا تنالها يد متناول

(١) الفانوس النمام عن الماذري وكأن فانوس الشمعة منه

(٢) الاجمة الشجر الكثير الملتف · الاسل محركة نبات الواحدة بهاء والرماح والنبل وشوك النخل وعيدان تنبت بلا ورق يعمل منها الحصر

(٣) الرقعة القطعة من الارض · البقعة بالضم وقد تفتح القطعة من الارض ومنه قوله تعالى (نادي موسى في البقعة المباركة) · القصر ذى الشرفات من سنداد هو اسم قصر بالعذيب وقيل هو من منازل اياد اسفل سواد الكوفة وكان عليه قصر تحج العرب اليه ومنه قول الاسود بن يعفر النهشلي

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد أياد
اهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذى الشرفات من سنداد

الجوسق القصر · ارم قيل موضع بفارس وقال المتلمس لعمرو بن هند

ألك السدير وبارق ... ومرابض ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات من ... سنداد والنخل المبسّق
والتغلبيّة كلها ... والبدو من عانٍ ومطلق
وتظل في دوّامة المـولود يظلمها تحرّق

دُورٌ كَنَافِقَاءِ الْيَرْبُوعِ ۰ أَوِ الأَطْلَالِ الْبَالِيَةِ فِي الرُّبُوعِ (١) ۰ وَيَتَخَلَّلُ الْمَدِينَةَ طُرُقٌ بَعْضُهَا كَأَفَارِيزِ الْبَسَاتِينِ ۰ وَالْبَعْضُ كَرُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ (٢) ۰ وَفِيهَا أَسْوَاقٌ كُلُّ سُوقٍ أَضْيَقُ مِنْ جِحَاظٍ ۰ وَأَحْفَلُ مِنْ عُكَاظٍ (٣) ۰ لَا تَزَالُ تَفْهَقُ بِطُرَفِ الْهِنْدِ ۰ وَمُلَحِ فَارِسَ وَالسِّنْدِ ۰ وَتُحَفِ فِرِنْجَةَ وَالتُّرْكُمَانِ ۰ وَأَفْلَاذِ الْبَحْرَيْنِ وَعُمَانِ

وَتَرَى الرَّوَاسِمَ تَخْتَلِفْنَ وَفَوْقَهَا
وَرَقُ الْعِرَاقِ سَبَائِكٌ وَحَرِيرُ (٤)

يقول له لك هذا الملك الكبير وهذه القصور وانت تحرق غضباً اذا اخذ منك دوامة اي لعبة

(١) النافقاء احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق ۰ اليربوع نوع من الفار طويل الرجلين قصير اليدين جدًّا

(المعنى) يقول ان المدينة القديمة في القسطنطينية لا تناسبَ بين بعض مبانيها والبعض الآخر اذ ترى بها القصور الكبيرة يتخللها ابنية حقيرة

(٢) الافاريز جمع افريز وهو من الحائط طنفه فارسي معرب

(المعني) ان طرق الاستانة اغلبها مفروش بالاحجار الكبيرة النائئة ولهذا شبهها برؤُوس الشياطين وقد جاء في القرآن (طلعها كأنه رؤُوس الشياطين) قال الزجاج وجهه ان الشيء اذا استقبح شبه بالشياطين فيقال كانه وجه شيطان وكانه راس شيطان والشيطان لا يرى ولكنهُ يستشعر انهُ اقبح ما يكون من الاشياء ولو روئي لروئي في اقبح صورة ومثله قول امرئ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال

ولم تر الغول ولا انيابها ولكنهم بالغوا في تمثيل ما يستقبح من المذكر بالشيطان وفيما يستقبح من المؤنث بالتشبيه له بالغول

(٣) جحاظ محجر العين ۰ عكاظ كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً قبائل العرب فيتعا كظون اي يتفاخرون ويتناشدون

(٤) تفهق تمتلاء ۰ الطرف جمع طرفة وهي الملحة والغريب المستحسن المعجب ۰ الهند

وَقَدْ يَخَالُ مَنْ يَجُوزُ فِيهَا · وَيَتَقَلَّبُ فِي نَوَاحِيهَا · أَنَّهُ فِي دُنْيَا صَغِيرَةٍ · لَا فِي بَلْدَةٍ كَبِيرَةٍ · فَثَمَّ عَرَبِيٌّ وَأَعْجَمِيٌّ · وَرُومِيٌّ وَكُرْدِيٌّ · وَطَمَاطِمَةٌ صُفْرٌ · وَصَقَالِبَةٌ حُمْرٌ · وَالْعِمَامَةُ وَالسَّرْبُوشُ · وَالْقُبَّعَةُ وَالْكَنْبُوشُ · وَلِسَانُ التُّرْكُمَانِ · وَفَصَاحَةُ قَحْطَانٍ · وَرَطَانَةُ الزُّطِّ وَالسُّودَانِ · وَسُنَّةٌ وَشِيعِيَّةٌ · وَنَصْرَانِيَّةٌ وَيَهُودِيَّةٌ ·

ارض متسعة من قارة آسيا يقطنها جيل من الناس يقال لهم الهنود · فارس ارض يقطنها جيل من الناس يقال لهم الفرس · السند بالكسر بلاد وطائفة من الناس يتاخمون الهند والوانهم الى الصفرة والواحد سندي · الافرنجة جيل معرب افرنك · التركمان بالضم جيل من الترك سمّوا به لانهم آمن منهم مائتا الف في شهر واحد فقالوا ترك ايمان ثم خفف فقيل تركمان · الافلاذ جمع فلذة وهي الذهب والفضة · البحرين بلد والنسبة اليه بحراني على خلاف القياس · عمان بلد آخر · الرواسم الابل السائرة رسيماً الواحدة راسم وراسمة · الورق المال من ابل ودراهم وغيرها وهذا البيت من قصيدة للاخطل يمدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي ومطلعها

صرمت حبالك زينب وقذور وحبالهن اذا عقدن غرور
يرمين بالحدق المراض قلوبنا فغوينهن مكاتف مضرور
وزعمن اني قد ذهلت عن الصبا ومضى لذلك اعصر ودهور
واذا اقول صحوت من ادوائها هاج الفؤاد دُمى اوانس حور

ومنها يحس الخليفة على التمسك بالحجاج

فعليك بالحجاج لا تعدل به احداً اذا نزلت عليك أمور
ولقد علمت وانت اعلمنا به ان ابن يوسف حازم منصور
واخوا الصفاء فما تزال غنيمة منه يجيء بها اليك بشير
وترى الرواسم تختلفن وفوقها ورق العراقي سبائك وحرير
وبنات فارس كل يوم تصطفى يعلونهن وما لهن مهور

ومعنى هذا البيت الاخير ان قتيبة بن مسلم لما قتل فيروز بن كسرى بن يزدجرد بعث الى الحجاج بابنتيه فامسك احداهما وبعث بالاخرى الى الوليد فأولدها يزيد الناقص

(١) العرب هم سكان الامصار أو عام · الاعجمي من لا يفصح · الروم بالضم جيل من

وَجُنْدٌ مُشَاةٌ وَرُكْبَانٌ · كَأَنَّهُمْ فِي يَوْمِ الْمِهْرَجَانِ

رِجَالٌ يُعَدُّ الْفَرْدُ مِنْهُمْ بِجَحْفَلٍ
كَمَا صَرَفَ الدِّينَارُ كُثْرَ الدَّرَاهِمِ
فَمَا تَصِفُ الْمِرْآةُ يَوْمًا وُجُوهَهُمْ
وَلٰكِنْ صِفَاحُ الْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ [١]

(للمؤلف)

وَمَشْيَخَةٌ حَلَبُوا الزَّمَانَ شَطْرًا عَنْ شَطْرٍ · كَأَنَّ الشَّيْبَ عَلَيْهِمْ غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ · وَشَبَابٌ · فِي أَوْلَقِ الصِّبَا وَالتَّصَابِ · وَرِقَّةِ الْحَضَرِ وَفِطْنَةِ الْأَعْرَابِ [٢] ·

الناس · الكرد جيل جدهم كرد بن عمر مريقياء بن ماء السماء · الطماطمة جمع طمطم بكسرهما وطمطماني بالضم وهو الذي في لسانه عجمة · الصقالبة جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغار وقسطنطينية · القبعة كسكرة خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الرهبان · الكمبوش كالسربوش · قحطان بن عام بن شارخ ابو حي · الرطانة و يكسر الكلام بالعجمية · الزط بالضم جيل من الهند وانشد بعضهم

حديث بني زط اذا ما لقيتهم　　كنزو الدبى في العرفج المتقارب

(المعنى) يقول ان القسطنطينية حوت الناس من سائر الاجناس فكانها دنيا لا بلدة

(١) المهرجان عيد الفرس وهو اول الشتاء عند نزول الشمس اول الميزان · الجحفل الجيش والجمع جحافل · الصفاح جمع صفح وهو من السيف عرضه · المرهفات جمع مرهف وهو السيف المحدد المرقق الحد · الصوارم جمع صارم وهو السيف القاطع

(٢) اولق الجنون اوشبهه

(المعنى) يقول ان هذه الشيوخ كأنهم اعتركوا مع الدهر وكأن هذا الشيب الذي عاق بهم غبار تلك المعركة و يقول ان شبابها مع انهم في رفهنية الحضارة قد حازوا فطانة الاعراب والاعراب توصف بالفطانة والحذق و يظهر ذلك في كلامهم وما تضمنه من الحكمة العالية والعظة البالغة فمن ذلك ان اعرابياً مدح رجلاً فقال ذاك والله فسيح النسب مستحكم الادب من اي

وَقَسَاوِسَةٌ فِي الْمِسْحِ وَالطَّيْلَسَانِ • كَالْحِدَاءِ وَالْغُرْبَانِ • قَدْ تَزَنَّرُوا بِالْحَبْلِ • وَأَسْمَعُوا دَوِيَّ النَّحْلِ [1] • وَحِسَانٌ غِيدٌ • كَالأَمَالِيدِ • فِي وُجُوهٍ كَالدَّنَانِيرِ • وَأَوْسَاطٍ كَأَوْسَاطِ الزَّنَابِيرِ [2] • عَلَيْهِنَّ مَطَارِفُ كَأَلْوَانِ الْحِرْبَاءِ • وَأَزْهَارِ الرَّوْضِ مِنْ حَمْرَاءَ وَصَفْرَاءَ [3] • خَدٌّ تَحْتَ النِّقَابِ • كَالْخَمْرِ فِي كَأْسِ الشَّرَابِ •

أقطاره اتيته انتهى اليك بكرم فعال وحسن مقال وقال العتبي خرجت ليـلة حين انحدرت النجوم وشالت ارجلها فما زلت اصدع الليل حتى انصدع الفجر فاذا انا بجارية كأنها علم فجعلت اغازلها فقالت يا هذا أما لك ناه من كرم ان لم يكن لك زاجر من عقل قلت والله ما يراني الا الكواكب قالت فأين مكوكبها • وهو قليل من كثير من الآثار الدالة على فطنتهم وشدة ذكائهم

(١) القساوسة جمع قسيس وهو رئيس النصارى • المسح الكساء من شعر تلبسه الرهبان • الطيلسان كساء مدوّر اخضر • تزنروا شدّوا الزنار على اوساطهم

(المعنى) يقول ان القسيسين في ارديتهم السود كالغربان وان اصواتهم في البيع والكنائس وهم يرتلون الاناجيل كاصوات الزنابير ومنه قول بن المعتز

سقي المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر
فطالما نبهتني للصبوح بها في غرة الفجر والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير في صلاتهم سود المدارع نعارين في السحر
مزنرين على الاوساط قد جعلوا على الرؤوس اكاليلاً من الشعر

(٢) الغيد جمع غيداء وهي المنثنية ليناً • الاماليد جمع املود وهي الناعمة اللينة • الزنابير جمع زنبور وهو ذباب لسّاع

(المعنى) شبه اوساطهن باوساط الزنابير لدقتها ورقتها

(٣) المطارف جمع مطرف وهو ثوب معروف • الحرباء ذكرُ امّ حبّين أو دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وهي مشهورة بالتلون قال المتنبي

يتلوّن الخرّيت من خوف التوى فيها كما تتلوّن الحرباء

(المعنى) ان نساء الاستانة يرتدين المطارف ذات الالوان البهجة فكانها الازهار في الوانها

وَوَجْهٌ يُخْفِيهِ وَيُبْدِيهِ اللِّثَامُ ۰ كَالشَّمْسِ تَحْتَ الْغَمَامِ [١] ۰ وَذِمِّيٌّ يَتَرَمَّزُ هَلُوعًا (يَبْكِي إِلَيْهِ شِبَعًا وَجُوعًا) ۰ وَفِرِنْجِيٌّ يُحْلِي وَيُمِرُّ ۰ (هَيَّجَ عَلَى غَيٍّ وَذَرْ) [٢] ۰ وَبَيْنَمَا تَرَى الْمَدِينَةَ مِنْ هٰؤُلَاءِ كَقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى النَّمْلِ ۰ بَيْنَ الضُّحَى وَالطَّفَلِ ۰ إِذَا هِيَ فِي اللَّيْلِ خَالِيَةٌ ۰ عَلَى عُرُوشِهَا خَاوِيَةٌ [٣] ۰ لَا جَرْسَ ۰ وَلَا تَرْجِيعَ حِسٍّ ۰ إِلَّا قَرْعُ الْحَارِسِ بِالْقَضِيبِ ۰ وَنُبَاحُ الْكَلِيبِ ۰ فَكَأَنَّ أَهْلَهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَالَ حَسَّانُ ۰ فِي آلِ جَفْنَةَ وَغَسَّانَ

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلَابُهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ [٤]

***

---

(١) النقاب القناع على مارن الانف تستتر به المرأة وجهها

(المعنى) شبه خد الحسناء بكاس من الخمر الاحمر في اناء من الزجاج الابيض ووجهها تحت اللثام بالشمس يسترها الغمام تارة وينقشع عنها اخرى

(٢) الذمي الذي أعطى الذمة وهو الذي يؤمن على ماله وعرضه ودمه ممن يُعطون الجزية واهل الذمة المعاهدون من النصارى وغيرهم ممن يقيم بدار الاسلام ۰ يترمز يشير ۰ هلوعًا الهلوع من يفزع ويجزع من الشر ويحرص و يشح على المال ۰ (يبكي اليه شبعًا وجوعًا) هذا مثل عربي و يضرب لمن عادته الشكاية ساءت حاله أو حسنت ۰ يحلي يلين ۰ يمر يشتد ۰ (هيج على غي وذر) وهذا ايضًا مثل عربيّ يضرب للمتسرع الى الشرّ اي هيج بينهم حتى اذا التحمت الحرب كف عن المعونة

(المعنى) ان اهل الذمة هناك من روم وارمن ونحوهم لا يزالون في رهب من المسلمة وانهم لا يزالون يشتكون من الحكومة احسنت اليهم ام اساءت وان الفرنج القاطنين هناك لا يزال اكثرهم يبذر بذر الشقاق بين الطوائف

(٣) الطفل قرب الغروب ۰ خاوية خوت الدار خلت من اهلها

(٤) الجرس الصوت او خفيه ۰ الحس الحركة ۰ الكليب جماعة الكلاب ۰ حسّان هو

وَفِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْيَوْمَ مَحَالٌّ . تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ . وتُضْرَبُ بِهَا الأَمْثَالُ .

حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي احد فحول الشعراء قيل انهُ اشعر اهل المدر كان يفضل الشعراء بثلاث فقد كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي عليه الصلاة والسلام وشاعر اليمن في الاسلام وهو المؤيد بروح القدس وكان له عند اولاد جفنة حظ عظيم ومقام كريم وطالما انشد فيهم القصائد البليغة والمدح العالية ومن مدائحه فيهم قوله

لله در عصابة نادمتها   يوما بجلّق في الزمان الاول
اولاد جفنة عند قبر أبيهم   قبر بن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم   كأسا يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم   شمّ الانوف من الطراز الاول

وقد ادرك حسان ملوك بني امية ومات في اول خلافتهم . آل جفنة هم ملوك من اهل اليمن كانوا قد استوطنوا الشام وفيهم يقول حسان (اولاد جفنة عند قبر ابيهم) واراد بقوله عند قبر ابيهم انهم في مساكن آبائهم التي كانوا ورثوها عنهم . غسَّان اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو جفنة رهط الملوك قال حسان

اما سألت فانَّا معشر نجب   الأزد نسبتنا والماء غسَّان

ويقال غسَّان اسم قبيلة . تهر تنبح . سواد الناس عامتهم

(المعنى) ليست الاستانة من كثرة الحركة والعمران في الليل كالمدائن الغربية فلا تكاد ترى فيها بعد العشاء حانوتا مفتوحًا او جماعة سائرة ولايزال يسمع الساري بها قرع الحارس الارض بعصاه أو نبح كلب اذ الكلاب بها كثيرة جدًّا يقول فكأن تلك الكلاب ليست ككلاب آل جفنة الذين لا ينبحون الساري والطارق من الضيوف لتعودها كل يوم على رؤيتها لكرم اصحابها . والكلاب كثيرة بالاستانة اذ لا يعدُّ موتهم نفعًا كما يفعل في البلدان الاخرى فلا تزال تتهارش وتتقاتل وتنبح ومن ملح النوادر في ذلك ما ذكر من ان الربيع العامريّ كان واليًا باليمامة فأتى بكلب قد عقر كلبًا فقاده فقال الشاعر

شهدت بان الله حق لقاءه   وان الربيع العامريّ رقيع
اقاد لنا كلبًا بكلب فلم يدع   دماء كلاب المسلمين تضيع

وقال المرار الحماني في كلبه

فَمِنْ ذٰلِكَ (أَيَا صُوفِيَةُ) · وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ · مَسْجِدٌ كَأَنَّهُ هَيْكَلٌ · لِجَبَلٍ · قَدْ طُرِحَ تُرْبُهُ وَرِضَامُهُ · وَرُكِّبَتْ أَحْجَارُهُ وَعِظَامُهُ · قُبَّةٌ جَوْفَاءُ · كَأَنَّهَا قُبَّةُ السَّمَاءِ · فَإِنْ أُوقِدَتْ رَأَيْتَ بِهَا الْكَوَاكِبَ غَيْرَ سَائِرَةٍ · وَالْأَفْلَاكَ غَيْرَ دَائِرَةٍ · وَدَعَائِمُ كُلُّ دِعَامَةٍ · كَالْحَقِّ اسْتِقَامَةً · وَأَرْضٌ مِنْ مَرْمَرٍ أَلَّاقٍ · وَحَجَرٍ بَرَّاقٍ · يَصِفُ مَا يُحِيطُ بِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ · فَكَأَنَّهُ وَجْهُ مِرْآةٍ وَضَّاءٍ ·

أَلف الناس فما ينبجهم من اسيف يبتغي الخير وحر

وقال عمران بن عصام

لعبد العزيز على قومه وغيرهم منن غامره
فبابك ألين ابوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالمعتفيـ ـن من الأمّ بابنتها الزائره

١ أيا صوفية هو مسجد عظيم بالاستانة كان كنيسة للروم قبل فتح القسطنطينية فلما دخلها المسلمون جعلوها مسجداً تقام فيه الصلوات وحسبنا من وصفه ما ذكره السيد المؤلف في الرسالة · والرضام بالكسر صخور عظيمة

(المعنى) الهيكل في اصطلاح الاطباء يطلق على عظام الانسان اذا اخذت بعد موته وركبت كما كانت عليه تحت الجلد والعصب حتى يرى الانسان منها ماثلاً وانما ينقصه اللحم والدم فهو يقول كانما فعل بجبل عظيم مثل هذا الفعل فطرح ترابه الذي هو بمنزلة الجلد والعصب وركبت احجاره على بعضها التي هي بمنزلة العظام فكان من ذلك هيكل هائل لهذا الجبل وكان هذا الهيكل هو هذا المسجد العظيم

(٢) جوفاء مؤنث الاجوف وهي من الدلاء الواسعة ومن القنا والشجر الفارغة والجمع جوف قال الشاعر

نصبنا له جوفاء ذات صبابة من الدهم مبطانًا طويلاً ركودها

الدعامة عماد البيت

(المعني) يقول ان عمد هذا المسجد في الاستقامة كالحق لا زيغ فيه ولا ميل

وَكَأَنَّمَا تَلْتَمِعُ السُّيُوفُ . فِي تِلْكَ السُّقُوفِ . وَيَكَادُ يُرَى الْقَمَرُ . فِي مَاءِ ذَلِكَ الْحَجَرِ . إِلَى مَحَارِيبَ وَحَنَايَا . وَخَبَايَا وَزَوَايَا . كَأَنَّهَا مِمَّا صَنَعَ الْجِنُّ لِسُلَيْمَانَ . بِالصُّفَّاحِ وَالصَّفْوَانِ [٢] . فَإِنْ دَخَلْتَهُ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَبْصَرْتَ الشُّمُوعَ صِنْوَانًا وَغَيْرَ صِنْوَانٍ . كَأَنَّهَا رِمَاحٌ وَفِي كُلِّ رُمْحٍ سِنَانٌ . وَكَأَنَّ أَقْبَاسَهَا نَضْنَضَةُ الْحَيَّاتِ . أَوْ إِشَارَةُ السَّبَّابَةِ فِي التَّحِيَّاتِ [٣] . وَرَأَيْتَ النَّاسَ بَيْنَ رُكَّعٍ وَسُجَّدٍ . وَأَيْقَاظٍ وَهُجَّدٍ . شِيبٌ مَا زَالُوا يَغْسِلُونَ بِالْوُضُوءِ السَّوَادَ . حَتَّى مُحِيَ مَحْوَ الْمِدَادِ . وَشَبَابٌ . قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ كَسَطْرٍ فِي كِتَابٍ [٤] . وَالْكُلُّ يَجْأَرُونَ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ . تَحْتَ أَسْتَارِ الظَّلَامِ [٥]

* * *

(١) الآق اي لمّاع واصل الالاق البرق الكاذب . الوضّاء الحسن النظيف

(٢) الحنايا اصل الحنية القوس وجمعها الحنايا . سليمان بن داوود نبي الله الذى سخرت له الجن والانس والطير الريح . الصفاح حجارة عراض رقاق . الصفوان جمع صفوانة وهي الحجر

(المعنى) كان سليمان يستعمل الجن لاقامة المباني العظيمة قال النابغة

الّا سليمان اذ قال الاله له   كن في البرية فاحددها عن العند
وخيس الجنّ اني قد اذنت لهم   يبنون تدمر بالصفّاح والعمد

(٣) الصنوان اصله النخلتان . اقباس جمع قبس وهي الشعلة تؤخذ من معظم النار . النضنضة يقال حية نضناضة ونضناض لا تستقر في مكان ونضنضتها تحريكها للسانها . السبابة الاصبع التي تلي الابهام لانه يشاربها عند السبّ يقال اشار اليه بالسبّابة

(٤) الهجد جمع هاجد وهو المصلي بالليل

(المعنى) ان هؤلاء الشيوخ لا يزالون يتوضأون كلّ يوم من زمن الشباب الى ان ادركهم المشيب فكأن سواد الشباب كان مداداً فما زال به الوضوء حتى محاه

(٥) جأر رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث

وَكَمْ عَلَى سِيفِ الْخَلِيجِ . مِنْ رَوْضٍ وَثِيجٍ . وَمَرْأَى بَهِيجٍ . وَرَسَاتِيقَ وَرِعَانٍ . وَخُلُجٍ وَغُدْرَانٍ . فَكَأَنَّمَا هَذَا الْمَكَانُ . شِعْبُ بَوَّانَ . أَوْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجِنَانِ [١] . وَمِنْ أَبْهَرِ مَا يُجْلَى لِلنَّظَرِ . مِنْ تِلْكَ الْمِيَاهِ وَالْخُضَرِ . مُنْتَزَهُ (الْبَنْدِلَرِ) . وَهُوَ رِيَاضٌ فِي رِيَاضٍ . وَبَسَاتِينُ وَحِيَاضٌ . وَوِهَادٌ وَأَنْجَادٌ . وَنِجَافٌ وَأَسْنَادٌ .

حُفَّتْ بِأَطْوَادِ جِبَالٍ وَسَمُرٍ
فِي أَشِبِ الْغِيطَانِ مُلْتَفِّ الْحُظُرِ [٢]

وَأَطْيَارٌ تَصْدَحُ . وَأَمْوَاهٌ تَنْضَحُ . وَأَعْطَارٌ تَنْفَحُ . وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ لَوْحٌ مُصَوَّرٌ . أَوْ بُرْدٌ مُحَبَّرٌ . أَوْ طِرْزٌ عَلَى خَزٍّ . أَوْ وَشْيٌ عَلَى قَزٍّ . أَوْ فُسَيْفِسَاءُ مَفْرُوشَةٌ . أَوْ دَنَانِيرُ مَنْقُوشَةٌ .

بِنَفْسِيَ تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَى

---

(١) السيف بالكسر ساحل البحر وساحل الوادي او لكل ساحل سيف . الرساتيق جمع رستاق وهو السواد او القرى وقد تقدم معناه . الرعان انف الجبل او الجبل الطويل . الوثيج الكثير الملتف . شعب بوان احد المنتزهات المشهورة

(٢) البندلو هو روض وارف الظلال ملتف الاشجار مهدل الاغصان منبثق المياه قد اورقت اغصانه واينعت ازهاره وقد تتخذه اهالي الاستانة منتزهاً لهم في اوقات فراغهم فيخرجون اليه ذرافات ووحداناً ليستنشقوا صحيح هوائه وليمتعوا انظارهم بصفاء مائه . الوهاد جمع وهدة وهي الارض المنخفضة . الانجاد جمع نجد وهو ما اشرف من الارض . النجاف جمع نجف وهو مكان لا يعلوه الماء . الاسناد جمع سند وهو ما قابلك من الجبل وعلا . السمُر شجر معروف . الاشب الشجر الملتف . الحظيرة هي المحيط بالشيء خشباً او قصباً

(المعنى) يقول ان على ضفتي خليج القسطنطينية اماكن متعدّدة مشهورة بمياهها وخضرها ولا يزال يخرج الانتزاه فيها في كل يوم من ايام الاسبوع لكل منتزه يوم مخصوص

وَمَا أَحْسَنَ المُصْطَافَ وَالمُتَرَبَّعَا (١)

وَقَدْ حَفَّ الشَّجَرُ الدَّوَّاحُ · بِتِلْكَ البِطَاحِ · فَمِنْ شَوْعٍ وَدَرْمَاءَ · وَخِلَافٍ وَطَحْمَاءَ · وَرَيْحَانٍ نَضِرٍ · وَعَيْدَانَةٍ مُرْجَحِنَّةٍ مِنْ سِدْرٍ (٢) · وَقَدْ تَلَاحَقَتْ غُصُونُهَا · وَتَعَرَّشَتْ خِيطَانُهَا وَفُنُونُهَا · وَخَضَبَ بَيْنَهَا العَرْفَجُ · وَأَزْهَرَ اليَاسِمِينُ وَالبَنَفْسَجُ (٣) · فَكَأَنَّ تَحْتَ كُلِّ عَرْشٍ إِيوَانًا · وَفَوْقَ كُلِّ فَرْشٍ دِيوَانًا · وَفِي كُلِّ تُرْبٍ جَوْنَةُ عَطَّارٍ · أَوْ مِسْلَكٌ بَيْنَ أَفْهَارٍ (٤) · وَقَدْ عَلِقَتِ الطَّيْرُ بِهَذَا الشَّجَرِ · كَأَنَّهَا ثَمَرٌ · فَمِنْ فَوَاخِتَ وَقَطَامِيٍّ · وَحُبَارَى وَقَمَارِيَّ (٥) · وَكَأَنَّ

(١) المحبر المزخرف · الطراز علم الثوب معرب · الخز من الثياب معروف · القز هو ما يسوّى منه الابريسم · الفسيفساء قطع صغيرة من الرخام ملونة يؤلف بعضها الى بعض ثم تركب في حيطان البيوت من داخل

(٢) الدواح الشجر العظيم · الشوع بالفم شجر البان وقيل ثمره ينبت في السهل والجبل ويقال لثمره حب البان ولزيته دهن البان · الدرماء نبت احمر الورق · الخلاف صنف من الصفصاف · الطحماء نبت او هو النجيل · العيدانة اطول ما يكون من الشجر · المرجحنة المائلة المهتزة · السدر شجر معروف · ثم ان كثيرًا من الاشجار والازهار الموجودة في تلك البلاد لم تكن معروفة عند العرب ولا اسماء لها في اللغة والظاهر ان السيد المؤلف اطلق على كثير منها اسماء الازهار المنبتة القديمة

(٣) الخيطان جمع خوط وهو الغصن الناعم لسنة اوكل قضيب · العرفج شجر سهلي واحدته بهاء · البنفسج نبات جميل اللون طيب الرائحة

(المعنى) يقول ان كل شجرة قد تلاحقت اغصانها واشتبكت وقد أينع العرفج بينها وأزهر البنفسج والياسمين

(٤) الجونة سليلة مغشاة او ما تكون مع العطارين · الافهار جمع فهر وهو حجر يدق به

(٥) الفواخت جمع فاختة وهي من ذوات الاطواق من الحمام قيل لها ذلك للونها لانه يشبه الفخت اي ضوء القمر · القطامي و يضم الصقر · الحباري طائر معروف · القماري جمع قمرية

كُلَّ وَرْقَاءَ عَلَى عُودٍ ۰ حَسْنَاءَ فِي يَدِهَا عُودٌ ۰ تُرَجِّعُ مِنْ كِتَابِ الْأَغَانِي ۰ ضُرُوبَ الْخَفِيفِ الْأَوَّلِ وَالثَّقِيلِ الثَّانِي ۰ وَتَفُوقُ فِي الْغِنَاءِ ۰ أَصْوَاتَ مَعْبَدٍ وَالْمِيلَاءِ ۰ وَأَلْحَانَ عِنَانٍ وَالذَّلْفَاءِ[1] ۰ وَقَدْ شَهُرَ رَوْضُ (الْبَنْدَارِ) بِمَائِهِ ۰ فِي عُذُوبَتِهِ وَصَفَائِهِ ۰

---

(١) الورقاء الحمامة التي يضرب لونها الى خضرة ۰ كتاب الاغاني هو لابي الفرج علي بن الحسين الاصفهاني المتوفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وهو كتاب لم يؤلف مثله اتفاقًا الفه صاحبه في خمسين سنة وكتبه في عمره مرة واحدة بخطه واهداه الى سيف الدولة فانفذ له الف دينار ولما سمع الصاحب بن عبّاد قال لقد قصر سيف الدولة وانه ليستحق اضعافها اذ كان مشحونًا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتادب بضاعة وتجارة وللبطل رحلة وشجاعة وللمضطرب رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة ولقد اشتملت خزائني على مائة الف وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميري غيره ولقد عنيت بامتحانه في اخبار العرب وغيرهم فوجدته قد ألف جميع ما فرقه العلماء في كتبهم ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه في سفره ولا في حضره ولقد بيعت مسودته ببغداد باربعة آلاف درهم ۰ معبد هو معبد بن وهب وقيل قطن وابوه اسود وكان هو خلاسيًا مديد القامة احول غنى من اول الدولة الاموية وتوفي ايام الوليد بن يزيد وكان اطبع المغنين المتقدمين وقد برز في صنعة الغناء حتى صار يضرب به المثل في حسن صوته ودقة توقيعه وعلمه بالغناء ۰ الميلاء هي عزة المغنية الشهيرة كانت مولاة للانصار ومسكنها المدينة وهي اقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز قال معبد كانت عزة الميلاء من احسن ضربًا بعود وكانت مطبوعة على الغناء لا يعييها ضربه ولا تاليفه ولا اداؤه وكان المشايخ من اهل المدينة اذا ذكروا عزة قالوا لله درها ما كان احسن غناءها ومد صوتها واندى حلقها واحسن ضربها بالمعازف والمزاهر وسائر الملاهي واجمل وجهها واظرف لسانها واقرب مجلسها واكرم خلقها واسخي نفسها واحسن مساعدتها ۰ عنان هي عنان جارية الناطفي كانت حاذقة في الغناء والشعر واشتهرت بهما شهرة فائقة وقد اشتراها الرشيد من مولاها الناطفي بثلاثين الفًا ۰ دخل عليها بعض الشعراء وهي عند الناطفي قبل صيرورتها الى الرشيد فامرها مولاها ان تغني فابت فمال عليها بالسوط فالمها وبكت فقال الشاعر

فَلاَ يَفْتَأُ بِهِ يَتَحَدَّرُ . كَمَا تَكَسَّرَ الْمَرْمَرُ . وَيَلْتَوِي عَلَى الْأَشْجَارِ . كَالسِّوَارِ . وَيَنْبَثِقُ مِنْ غُدُرٍ . وَأَفْوَاهِ أُسُودٍ وَنُمُرٍ ١ . وَيَذْهَبُ فِي الْهَوَاءِ كَلِسَانِ السِّرَاجِ . وَيَعُودُ كَقُبَّةٍ مِنْ زُجَاجٍ . كَأَنَّهُ فِي الصَّفَاءِ دَمْعٌ جَرَى . أَوْ بَرْقٌ سَرَى . أَوْ بِلَّوْرٌ مُذَابٌ . أَوْ نَصْلُ قِرْضَابٍ . أَوْ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ . أَوْ مِعْصَمُ بَضَّةٍ . . وَكَأَنَّ الْحَصْبَاءَ . تَحْتَ الْمَاءِ . عِقْدٌ مَنْثُورٌ . أَوْ جَوْهَرٌ مَنْشُورٌ ٢

لَعِبَ السُّيُولُ بِهِ فَأَصْبَحَ مَاؤُهُ
غَلَلاً يُقَطَّعُ فِي أُصُولِ الْخِرْوَعِ ٣

هذي عنان اسبلت دمعها ... كالدر اذ ينسل من خيطه

وقال لها اجيزي فقالت

فليت من يضربها ظالماً ... تجف كفّاه على سوطه

الزلفاء هي جارية سعيد بن عبد الملك الاموي كانت حاذقة في صنعة الغناء بارعة في الجمال ثم بعد وفاة سعيد صارت الى اخيه هشام بن عبد الملك

(المعنى) كأن كل حمامة قابضة على عود اخضر من الشجر قينة في يدها عود الغناء المعروف ترتل عليه الالحان المشهورة الواردة في كتاب الاغاني

وقد استعمل صاحب السماحة المؤلف عبارة الثقيل الاول تورية في شعر له من قصيدة لم تنشر في هذا الكتاب وهو

واقمت في افرنجة يعتادني ... همّان مغتربي وبعد المنزل

ما بين ذي ثقل كثير هتره ... أو آخر مثل الثقيل الاول

(١) انبثق انفجر . غدر جمع غدير . نمر . جمع نمر على غير قياس

(٢) النصل الرمح والسهم والسيف مالم يكن له مقبض . القرضاب السيف القطاع . السبيكة كسفينة القطعة المذوبة . البضّة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد

(٣) الغلل الماء الذي يجري بين الاشجار والجمع اغلال . الخروع شجر معروف

وَكَثِيرًا مَا يَهْطُلُ الْمَطَرُ · عَلَى هٰذَا الْمَاءِ وَالشَّجَرِ · فَإِذَا مَعْرَكَةٌ شَعْوَاءُ · بَيْنَ الْخَضْرَاءِ وَالزَّرْقَاءِ · فَالْوَبْلُ نَبْلٌ · وَالْقَنَا أَسَلٌ · وَالْبُرُوقُ ظُبًى وَأَسِنَّةٌ · وَفِي كُلِّ غَدِيرٍ جُنَّةٌ ١

وَأَبْهَى مَا يَكُونُ هٰذَا الْمَكَانُ وَقْتَ الْأَصِيلِ · حَيْثُ يَفِيءُ الظِّلُّ الظَّلِيلُ · فَتَرَى فِيهِ أَسْرَابَ الْغِزْلَانِ · وَالرَّعَابِيبَ الْحِسَانَ · يَمْشِينَ مَشْيَ الْقَطَا الْكُدْرِيِّ · فِي الدَّمْثِ النَّدِيِّ ٢ · فَتَارَةً وُقُوفًا عَلَى شَرِيعَةِ مَاءٍ · وَحِينًا جُلُوسًا تَحْتَ رَفْرَفِ أَيْكَةٍ خَضْرَاءَ · وَآوِنَةً يَبْدُونَ لِلنَّظَرِ · وَطَوْرًا يَخْتَفِينَ فِي الشَّجَرِ ٣ وَكَأَنَّ الثَّوْبَ طَاوُوسٌ · وَصَلِيلَ الْحُلِيِّ نَاقُوسٌ · وَالْوُجُوهَ أَقْمَارٌ وَشُمُوسٌ ٤ · وَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ

---

(١) الشعواء المنتشرة · الخضرا الاخضر ما فيه لون الخضرة يريد الارض · الزرقاء لقب للسماء يقال ما تحت الزرقاء خير منه · الوبل المطر الشديد الضخم القطر · الظبا جمع ظبة وهي حد السيف او سنان ونحوه · الاسنة جمع سنان وهو نصل الرمح · الجنة بالضم كل ما وقي

(المعنى) يقول اذا نزل المطر على هذه الرياض خلت ان حرباً وقعت بين الارض والسماء اذ ترى الوبل في سقوطه كانه النبل وقنا الروضة وقصبها في اهتزازها كانهما الرماح وكان البروق في الجوّ سيوف تخترط وكان الحبك المتجعد فوق وجه الماء من تأثير الهواء دروع يتقى بها نبل الوبل

(٢) يفيء يرجع واصل الفيء ما كان شمساً فينسخه الظل · الاسراب جمع سرب وهو القطيع من الظباء والنساء · الرعابيب جمع رعبوب ورعبوبة وهي الجارية الحسناء اللينة · الكدري كتركي ضرب من القطا غبر الالوان رقش الظهور صفر الحلوق · الدمث المكان السهل

(٣) الشريعة مورد الشاربة · الرفرف ما تهدّل من اغصان الايكة

(٤) الطاووس · طائر معروف · الصليل صوت الحليّ · الناقوس شيء يضرب به النصارى لاوقات صلاتهم

مِنْهُنَّ ذَاتَ دَلٍّ لَعُوبًا · فَيْنَانَةً خَرْعُوبًا · غَرَّاءَ فَلْجَاءَ · خَدَلَّجَةً لَفَّاءَ · أُمْلُودًا خَمْصَانَةً · شَمُوعًا خُوطَانَةً [١] · فِي وَجْهٍ كَالْوَذِيلَةِ · وَخَدٍّ كَالْجَابِلَةِ · وَقَوْسِ حَاجِبٍ · كَأَنَّهُ قَوْسُ حَاجِبٍ [٢] · وَشَعْرٍ كَاللَّيْلِ · أَوْ أَذْنَابِ الْخَيْلِ · وَثَغْرٍ أَشْنَبَ · كَأَنَّمَا ذُرَّ عَلَيْهِ الزَّرْنَبُ · وَثَنَايَا غُرٍّ · ذَاتِ أُشُرٍ · وَمُبْتَسِمٍ بَرْدٍ · وَشِفَاهٍ كَأَنَّهَا وَرَقُ الْوَرْدِ · وَعَيْنَيْنِ · كَسَيْفَيْنِ فِي جَفْنَيْنِ · أَوْ سَهْمَيْنِ فِي قَوْسَيْنِ · وَقَدٍّ كَالرُّمْحِ · وَفَرْقٍ كَالصُّبْحِ [٣] · حُسْنٌ لِلتُّرْكِ وَالْجُرْحِ · لَا يُوجَدُ عِنْدَ الْإِفْرِنْجِ اللَّهُمَّ إِلَّا صُوَرًا فِي أَلْوَاحِ رَفَائِيلَ · مَثَّلَ بِهَا إِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ · أَوْ صِفَاتٍ فِي أَشْعَارِ

(١) الدل دل المرأة غنجها · اللعوب الحسنة الدل · الفينانة الكثيرة الشعر · الخرعوب الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضاء اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم · الغراء البيضاء · الفلجاء امراة فلجاء الاسنان متباعدتها قال ابن دريد لا بد من ذكر الاسنان · الخدلجة مشددة اللام المراة الممتلئة الذراعين والساقين · اللفاء الضخمة الفخذين · الاملود الناعمة · الشموع المزاحة اللعوب · الخمصانة الضامرة البطن · الخوطانة امراة خوطانية وخوطانة بضمهما كالغصن طولاً ونعومة

(٢) الوذيلة المرآة والقطعة من الفضة المجلوّة او اعم · الجابلة الثامة · قوس حاجب هو ابن زرارة التميمي يقال انه اتى كسرى في جدب اصابهم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في قومه ان يصيروا في ناحية من بلاده فقال انكم معاشر العرب قوم غدر حرص فان اذنت لكم افسدتم البلاد واغرتم على العباد قال حاجب اني ضامن للملك ان لا يفعلوا قال فمن لي ان تفي قال ارهنك قوسي فضحك من حوله فقال كسرى ما كان ليسلمها ابداً فقبلها منه واذن لهم

(٣) اشنب الشنب ماء ورقة وبرد وعذوبة في الاسنان او نقط بيض فيها او حدة الانياب · الزرنب طيب او شجر طيب الرائحة والزعفران · الاشر حدة ورقة في اطراف الاسنان · الجفن الغمد ويكسر · الفرق الطريق في شعر الراس

(المعنى) يقول ان عين الحسناء في جفنها كالسيف القاطع في جفنه

دَانْتِي وَلَامَارْتِينَ · صَوَّرُوا بِهَا الْخُلْدَ وَالْحُورَ الْعِينَ[1] · فَلَمَّا لَمَحْتُهَا أَشَرْتُ إِلَيْهَا بِالْكَفِّ · فَأَوْمَتْ لَنَا بِالطَّرْفِ · فَحَسِبْتُهَا أَقْرَبَ مِنْ مُدَارِكَةٍ · فَإِذَا هِيَ أَمْنَعُ مِنْ عَاتِكَةَ · وَتَخَيَّلْتُ أَنَّهَا مِنَّا عَلَى طَرَفِ الثُّمَامَةِ · وَإِذَا بِهَا طَارَتْ كَالْحَمَامَةِ

تَقَارَبُ حَتَّى تُطْمِعَ التَّابِعَ الصِّبَا
وَلَيْسَتْ بِأَدْنَى مِنْ إِيَابِ الْمُنَخَّلِ[2]

***

---

(١) الجرج جيل من الترك مشهور بالجمال · رفائيل هو اكبر المصورين وقد ظهر في القرون الوسطى وفي صوره كثير من صور الملائكة وآخر صورة له رسمها هي صورة الملاك ميكائيل وهي الآن في متحف اللوفر بباريس · اسرافيل اسم ملاك من الملائكة وميكائيل اسم ملاك ايضاً · دانتي شاعر طلياني مشهور ولد سنة ١٢٦٩ ميلادية وله كتاب في وصف الجنة والنار وتكلم فيه على ما تخيل رؤيته في كل منهما · لامارتين شاعر فرنساوي من اكبر الشعراء المتأخرين ولد سنة ١٧٩٠ وله كتب جليلة واشعار كثيرة ومن مصنفاته كتاب التفكر وهو الذي شهره شهرة عظيمة — الخلد الجنة · الحور جمع حوراء والحَوَر بالتحريك ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها او شدة بياضها وسوادها في بياض الجسد او اسوداد العين كلها مثل الظباء ولا يكون في بني آدم بل يستعار لها · العين بالكسر بقر الوحش

(المعنى) يقول ان الحسن الصحيح انما يوجد عند الترك والجرج وامثالهم من الامم الشرقية ولا يوجد عند الافرنج الا في مثل صور رفائيل عند تمثيله اشكال الملائكة فانه يبالغ في تحسين صورهم وكذلك في اشعار شعرائهم عند توصيفهم الكمال في الحسن او حسن اهل الجنان

(٢) الطرف العين لا يجمع لانه في الاصل مصدر وقيل اطراف · المداركة السهلة القياد · عاتكة كانت عاتكة تضع خمارها بين يدي اثني عشر خليفة كلهم لها محرم ابوها يزيد بن معاوية واخوها معاوية بن يزيد وجدها معاوية بن ابي سفيان وزوجها عبد الملك بن مروان وابو زوجها مروان بن الحكم وابنها يزيد بن عبد الملك وبنو زوجها الوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك وابن ابنها الوليد بن يزيد وابنا ابن زوجها يزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد · الثمامة نبت ضعيف معروف ·

وَفِي هَذِهِ الْبَلْدَةِ الْيَوْمَ نَفَرٌ مِنَ الْأَعْلَامِ · وَأَسَاطِينِ الْإِسْلَامِ · مِنْهُمْ السَّيِّدُ فُلَانٌ وَهُوَ رَجُلٌ رَفِيعُ الْعِمَادِ · كَثِيرُ الرَّمَادِ · رَحْبُ الصَّدْرِ رَحْبُ النَّوَادِ · قَدْ صُرِفَتْ إِلَيْهِ وُجُوهُ الْأَمَلِ · فَكَأَنَّ بَيْتَهُ قُبَّةٌ أَطْنَابُهَا السُّبُلُ · مِعْطَاءٌ غِطْرِيفٌ · يَرَى أَنَّ شِقًّا فِي بَاطِنِ الْبُرَّةِ قِسْمٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الضَّعِيفِ · أَيَادِ قَتَلْنَ دَفْرًا وَالدُّهَيْمَ بِالْفَوَاضِلِ · فَأُمُّ دَفْرٍ وَأُمُّ الدُّهَيْمِ ثَاكِلٌ · غِيَاثُ الْمُرْمِلِ الْمُمْتَاحِ · وَعِصْمَةٌ فِي الزَّمَنِ الْكُلَاحِ · عَرَبِيٌّ فِي سَجَايَا مُضَرَ وَزَيْدِ مَنَاةَ · أَجْوَدُ بِالْجَاهِ مِنَ الْمَالِ وَبِالْمَالِ مِنَ الْجَاهِ · كَعْبٌ فِي الْكَرَمِ · وَالسَّمَوْأَلُ فِي الذِّمَمِ · وَعَمْرُو

البيت لذي الرمة والمخبل هو ابن عمرو اليشكري كان نديم النعمان مع النابغة الذبياني ثم غضب عليه النعمان فطرحه في الحبس ثم غاب خبره حتى ضرب العرب المثل بغيابه فيقال لا يكون هذا حتى يؤوب المنخل مثل حتى يؤوب القارظان وللمنخل في وصف حالته في السجن والشقاء قوله

يطوف بي عِكَبٌ في معدٍّ   و يطعن بالصميلة في قَفَيَّا
فان لم تثأروا لي من عِكَب   فلا رويتم ابداً صديَّا

وعكب هذا هو حارسة

(٧) الاساطين حكماء الزمان وافراده · كثير الرماد كناية عن كثرة الضيوف

(٣) الاطناب جمع طنب وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت · الغطريف بالكسر السيد الشريف والسخي السري · أم دفر وأم الدهيم اسمان من اسماء الداهية

(المعنى) يريد بهذا السيد الامام الكبير والصدر الشهير سماحة السيد محمد ابي الهدى نقيب الاشراف بالاقطار الحلبيه وصدر الصدور في الدولة العليه يقول ان بيته مقصود من الناس من كل جهة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فكان ذلك البيت خيمة وحبالها الطرق الآتية منها القصاد لان تلك الطرق ممتدة من كل جهة كما تمتد الحبال الى جهة الخيمة · ثم يقول انه لحبه للكرم يكاد يشاطر الفقراء والضعفاء ماله ويرى لذلك ان الشق الذي في باطن حبة القمح اشارة الى انها يجب ان تقسم بين الغني والفقير و يقول ان ايادبه ومكارمه قد أزالت الدواهي والمصائب من الناس والداهية تسمى أم دفر فكأنه قتل دفراً هذا واثكل امه وام الدهيم مثلها

ابْنُ الْعَاصِ فِي الرَّأْيِ . وَالْمُغِيرَةَ فِي الدَّهْيِ . وَالشَّعْبِيَّ فِي الْعِلْمِ . وَابْنُ أَبِي دُؤَادَ فِي الْحُكْمِ ١ فِي فَصَاحَةٍ لَا تَبْلُغُهَا مَقَاوِلُ مَذْيَلٍ فِي آكَالِهَا . وَقَرَاضِبَةُ نَجْدٍ فِي

(١) المرمل المحتاج . الممتاح طالب العطية . الكلاح الدهر الشديد — مضر هو مضر بن نزار بن معد بن عدنان — زيد مناة هو ابو قبيلة من العرب ومن اولاده سعد وسعد قد خلف خمسة ابناء وهم عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم — كعب هو كعب بن مامة الأيادي وكان كريماً واحد اجواد الجاهلية الثلاثة وهم حاتم وهرم بن سنان وكعب بن مامة ومن نوادر كرمه انهُ آثر رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشاً ونجا السعدي وله يقول حبيب

يجود بالنفس اذ ضنَّ البخيل بها   والجود بالنفس اقصى غاية الجود

السموأل هو السموأل بن عاديا يضرب به المثل في الوفاء وقصة وفائه ان امرأ القيس لما الح المنذر في طلبه لجأ بعمرو بن جابر يستجير به فقال له يا ابن حجر الا ادلك على رجل لم ارَ احسن جواراً منه فدله على السموأل وبعث معه الربيع بن ضبع فلما نزلوا على السموأل عرف حقهم وانزل هنداً بنت امريء القيس في قبة من ادم وطلب منه امرؤ القيس ان يكتب للحارث بن ابي شمر الغساني ليوصله الى قيصر ففعل فاستودعه بنته وادراعه الخمس واقام عند قيصر حتى البسه الحلة المسمومة فمات فلما بلغ المنذر خبر موته قصد تيماء حصن السموأل وبعث اليه ان يعطيه ادراع امريءْ القيس وما ترك عنده من المال فقال ادفع كل ماله لورثته فحاصره المنذر في الحصن واخذ ابناً لهُ صغيرا وقال للسموأل اما تعطيني ما اطلبه او اقتل ابنك وانت تنظر اليه فقال له والله لا وفيت له في حياته واغدره بعد وفاته انت وشأنك يا بني فافعل به ماشئت فذبحه وهو ينظر اليه ولم يرض بالغدر فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها لابنته وورثته وقال

وفيت بأدرع الكنديّ اني   اذا ما خان اقوام وفيت
وقالوا انهُ كنز عظيم   ولا والله اغدر ما حييت
بني لي عاديا حصناً حصيناً   وبئرا كلما شئت استقيت

فضرب به المثل في الوفاء — عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم كان من رجال الاسلام المشهورين المعدودين وكان حسن الرأي عالي الهمة اسلم عام خيبر سنة ثمان قبل الفتح بستة اشهر وولي فلسطين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وسيره عمر في جيش الى مصر فافتتحها ولم يزل والياً عليها الى ان مات عمر فابقاه عثمان اربع سنين او نحوها ثم عزله عنها فلما قتل عثمان لحق بمعاوية وعاضده وشهد معه صفين ومقامه فيها مشهور وهو احد الحكمين وقد ابدى في هذه الواقعة من

بِطِحَائِهَا ۞ وَقَرِيضُ كَالآلِ ۞ كُلُّ بَيْتِ شِعْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَيْتِ مالٍ ۞ فَكَأَنَّ

الدهاء والحيلة ما جعله في مصاف دهاة الرجال بما هو مشهور وكان ايضاً والياً لمعاوية على مصر فما زال بها حتى مات ودفن بسفح المقطم — المغيرة بن شعبة احد دهاة العرب الاربعة وهم معاوية ابن ابي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد أسلم المغيرة عام الخندق وتولى البصرة في خلافة عمر بن الخطاب والكوفة ايضاً فلم يزل عليها حتى قتل عمر فأمَّره عثمان عليها ثم عزله ومن دهائه ان معاوية كان جاعلا عمرو بن العاص على مصر وابنه عبد الله على الكوفة وكان المغيرة خالياً من المناصب فقال لمعاوية اتجعل عمرا على مصر وابنه على الكوفة فتكون بين فكي اسد فعزل عبد الله عن الكوفة واستعمل عليها المغيرة فلم يزل عليها الى ان مات سنة خمسين — الشعبي هو عامر بن شراحيل ولد سنة عشرين للهجرة وهو كوفي تابع جليل القدر وافر العلم روى ان ابن عمر مرّ به وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم وانه لاعلم بها مني ·وقد ادرك خمسمائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان الحجاج قال يوماً كم عطاءك في السنة فقال الفين فقال ويحك كم عطاءك فقال الفان قال كيف حتى لحنت اولا قال لحن الامير فلحنت فلما اعرب اعربت وما امكن ان يلحن الامير واعرب انا فاستحسنها منه واجازه وكان كثيراً ما يتمثل بقول سكين الدارمي

ليست الاحلام في حال الرضا انما الاحلام في حال الغضب

وقد توفي فجأة سنة اربع ومائة ـ ابن ابي دؤاد هو ابو عبد الله احمد بن ابي دؤاد ولد سنة ستين ومائة وكان معروفاً بالمروءة والعدل في الاحكام ومن اعظم الادلة على مروءته وعدله في احكامه ان المعتصم غضب على محمد بن الجهم فأمر بضرب عنقه فلما رأى ابن ابي دؤاد ذلك وان لا حيلة له فيه وقد شدّ برأسه واقيم في النطع وهزّ له السيف قال للمعتصم وكيف تأخذ ماله اذا قتلته قال ومن يحول بيني وبينه قال يأبى الله تعالى ذلك ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم ويأباه عدل امير المؤمنين فان المال للوارث اذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله فقال احبسه حتى يناظر فتاخر امره الى ان تشفع فيه فشفعه وخلص محمد وكان مشهوراً بالحكومة في الاسلام واما في الجاهلية فمشاهير حكامهم هم اكثم بن صيفيّ وحاجب ابن زرارة وعبد المطلب والعاصي بن وائل وربيعة بن ضرار والاقرع بن حابس وربيعة بن مخاشن وغيلان بن سلمة الثقفي وكان جميل الهيئة وجاء الاسلام وعنده عشر نسوة فخيره النبي صلى الله عليه وسلم فاختار اربعا وكانت وفاة ابن ابي دؤاد بمرض الفالج في المحرم سنة اربعين ومائتين

(المعنى) يقول انه عربي في سجايا العرب الاولين من الفضل والكرم والال والذمم والمروءات والهمم

(١) مقاول جمع مقول وهو الحسن القول او كثيره · هذيل احدى قبائل العرب المشهورة

أَبْيَاتَهُ رِمَاحٌ وَالْقَوَافِي أَسِنَّةٌ • وَكَأَنَّ شَطْرَيْ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ مِصْرَاعَا بَابِ قَصْرٍ مِنْ قُصُورِ الْجَنَّةِ [1] • حَمَاسٌ وَسَمَاحٌ • كَالْمَاءِ وَالرَّاحِ • وَبَأْسٌ فِي جُودٍ • كَالنَّارِ فِي الْعُودِ

وَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا
خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
كَالْخَطِّ يَمْلَأُ مِسْمَعَيْ مَنْ أَبْصَرَا [2]

* *

بالفصاحة • الاكلاء جمع كلاء وهو المرعى • القراضية هم اعراب البادية

(١) المصراع مصراع الباب احد غلقيه

(٢) الحماس الشجاعة • السماح الكرم

(المعنى) يقول وان له شجاعة وكرماً قد اختلطا بنفسه وامتزجا بها كما يمتزج الماء بالخمر فيصيران واحداً وان له لبأساً وجودا قد اشتهر بهما بين الخاص والعام وعرفهما الناس فيه كما يعرفون رائحة الندّ اذا مسته النار • فالبأس هو النار والجود هو الند ويقول ان اعداءك وحاسديك مع عداواتهم لك يدعونك الرئيس والله سبحانه وتعالى يدعوك الرئيس الاكبر لان سجاياك وصفتك قد خلفت كلام الله وقامت مقامه في الهداية والرشد فمثلها كمثل الخط في ابلاغ معانيه لسمع من يقراه

وَمِنْ هَؤُلَاءِ فُلَانٌ . وَهُوَ عَقْلُ لُقْمَانَ . وَحِكْمَةُ يُونَانَ . فِي جُبَّةٍ وَقَبَاءٍ .
وَعِمَامَةٍ عَجْرَاءَ عَالِمٌ قَلْبُهُ كِتَابُهُ . وَعَيْنُهُ أُسْطُرْلَابُهُ . كَأَنَّ بَيْنَ فَكَّيْهِ حُسَامَ عَلِيٍّ .
وَصَمْصَامَةَ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيِّ . قَدْ بَذَّ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرَ .
شَاعِرٌ إِلَّا أَنَّهُ فَيْلَسُوفٌ وَفَيْلَسُوفٌ إِلَّا أَنَّهُ شَاعِرٌ . فِكْرُهُ عَالِمُ الْحَقِيقَةِ

---

(١) لقمان هو لقمان الذي اثني عليه الله تعالى في كتابه فقيل في التفسير انه كان نبيا وقيل كان حكيما لقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة وهو الصحيح • يونان هم الجيل من الناس المسمى باليونانيين • قباء كسحاب درع مفرج • العجراء الغليظة الضخمة

(المعنى) يقول وممن رأيتهم بالاستانة فلان ونكره لزيادة التعظيم ثم أخذ يصفه فقال ان له اعقلا كعقل لقمان الحكيم حصافة رأي وتوقد ذهن وان له لحكمة كحكمة اليونان والمراد حكماؤهم الماضون كأفلاطون وخلافه ممن دونوا في الحكمة . ثم أخذ يصف لباسه فقال انه في جبة وهي ما يلبسه علماء المشرق اليوم وفي عمامة ضخمة غليظة

(٢) الاسطرلاب آلة يتوصل بها الى معرفة كثير من احوال الكواكب على اسهل طريق واقرب مأخذ كارتفاع الشمس وسمت القبلة واعراض البلاد وغير ذلك • الفك هو اللحي او مجمع الخطم او مجمع اللحيين • حسام علي المسمى بذي الفقار • الصمصامة سيف عمرو ابن معدى كرب الزبيدي وعمرو بن معدى كرب هو احد الصحابة ومن مشاهير العرب في الباس والنجدة

(المعنى) يقول انه حافظ فكأن قلبه وعاء للعلم وله عين كاسطرلاب الفلكي فان كان هذا يرى به الظواهر الجوية فان الثاني يرى بعينه الفواعل الطبيعية في الكون . ويقول انه فصيح العبارة قوي الحجة فكأن لسانه على أعدائه حسام علي رضي الله عنه صرامة وقطعاً وصمصامة ابن الزبيدي رضي الله عنه مضاء ونفوذاً

وَالْمِثَالِ . لأَنَّ الْفَلْسَفَةَ شِعْرٌ إلاَّ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ وَالشِّعْرَ فَلْسَفَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ خَيَالٌ ١

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسْطَالِيسَ وَالْإِسْكَنْدَرَا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
رَدَّ الْإِلَهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَا ٢

ضَرَّارٌ نَفَّاعٌ . شَرَّابٌ بِأَنْقَاعٍ . أَمْضَى مِنْ نَصْلٍ . وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ جُؤْجُؤُهُ عَبْلٌ ٣ إِلَى زُهْدِ ابْنِ أَدْهَمَ

---

(١) بذّ غلب . الفيلسوف الحكيم والفلسفة الحكمة وهي اعجمية

(٢) رسطاليس هو بن نيقو ماخس الطبيب المشهور كان اعظم الحكماء الأقدمين ورأس الحكماء المعروفين بالمشائين ويعرف بالمعلم الاول لانه اول من وضع التعاليم المنطقية واخرجها من القوه الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض — الاسكندر هو بن فيلبس المقدوني الملقب عند الافرنج بالكبير وعند العرب بذى القرنين وقد كان شجاعاً باسلا فاتحاً شهيراً قد اتسع ملكه اتساعاً عظيما وهو مؤسس مدينة الاسكندرية .

(٣) انقاع جمع انقع وانقع جمع نقع وهو الماء المستنقع (يقال انه لشراب بأنقع) مثل يضرب لمن جرب الامور او للداهي المنكر لان الدليل اذا عرف الفلوات حذق سلوك الطرق الى الانقع . الجؤجؤ الصدر . العبل الغليظ

(المعنى) كانت العرب تمدح الرجل بانه يضر وينفع لان الذى لا يضر ولا ينفع لغو قال الشاعر

اذا انت لم تنفع فضرّ فانما حياة الفتى في أن يضرّ و ينفعا

قال حبيب بن اوس

ولم ار نفعاً عند من ليس ضاررا ولم ار ضرّا عند من ليس ينفع

وَالرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ ١ . يَقُولُ الْحَقَّ وَلَوْ أَغَصَّهُ الْحَقُّ بِرِيقِهِ . وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ أَحَدًا مِنْ صَدِيقِهِ

الْقَائِلُ الصِّدْقَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ
وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السِّرِّ وَالْعَلَنِ ٢

وَلَا تَثْنِيهِ الصِّعَابُ . عَنْ بُلُوغِ الْأَسْبَابِ

وقال آخر

قبح الاله عداوة لا تتقى وقرابة يدلى بها لا تنفع

وقال احدهم ما اتى فلان بيوم خير فقيل له ان لا يكون اتى بيوم خير فقد اتى بيوم شرّ . ونخر رجل فقال اين الذي قتل الملوك وعصف المنابر وفعل وفعل فقال له رجل لكنه اسر وقتل وصلب فقال دعني من اسره وقتله وصلبه ابوك حدث نفسه بشيء من هذا قط وقال الحسن ابن هانيء

يرجو ويخشى حالتيك الورى كأنك الجنة والنار

(١) ابن ادهم هو ابو اسحاق ابراهيم بن ادهم بن منصور بن اسحاق البلخي من كورة بلخ وهو من شيوخ الصوفية ومن اكبر من اشتهر بالزهد والتقشف واخلص لله في جميع اعماله — الربيع ابن خيثم كان امام الزاهدين توفي سنة ٦٧ هجرية ومن كلامه لو ان لي نفسين اذا علقت احداها سعت الأخرى في فكاكها ولكنها نفس واحدة فان انا اوثقتها من يفكها

(٢) هذا البيت من قصيدة للمتنبي يمدح بها محمد بن عبد الله الخطيب الخصيبي ومطلعها

افاضل الناس اغراض لذي الزمن يخلو من الهمّ اخلاهم من الفطن
وانما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن

ومنها

قد هون الصبر عندي كل نازلة ولين العزمَ حد المركب الخشن
كم مخلص وعلىً في خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجُبن
لا يعجبن مضيما حسن بزته وهل تروق دفيناً جُودة الكفن .

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ
الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَّالُ (١)

لَذَّتُهُ فِي تَعَبِهِ · وَرَاحَتُهُ فِي نَصَبِهِ

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتُهَا
فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ (٢)

---

(١) هذا البيت ايضاً من قصيدة للمتنبي يمدح بها ابا شجاع فاتكا ومطلعها

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

وفيها يقول

كان نفسك لا ترضاك صاحبها   الا وانت على المفضال مفضال
ولا تعدك صوانا لمهجتها   الا وانت لها في الروع بذال
لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته   ما كل ماشية بالرحل شملال

(٢) هذا البيت من قصيدة للمتنبي يرثي بها ابا شجاع ومطلعها

حتام نحن نساري النجم في الظلم   وما سراه على خف ولا قدم
ولا يحس باجفان يحس بها   فقد الرقاد غريب بات لم ينم

ومنها

هون على بصر ماشق منظره   فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمته   شكوى الجريح الى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره   ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة   وأعوز الصدق في الاخبار والقسم
سبحان خالق نفسي كيف لذتها   فيما النفوس تراه غاية الالم
الدهر يعجب من حملي نوائبه   وصبر نفسي على أحداثه الحُطم
وقت يضيع وعمر ليت مدته   في غير أمته من سالف الامم
أتى الزمان بنوه في شبيبته   فسرهم وأتيناه على الهرم

عَلَى أَنَّهُ قَضَى العُمْرَ إِلاَّ الأَقَلّ . وَكَادَ يَحُولُ الأَجَلُ دُونَ الأَمَلِ . وَهُوَ شَمْلٌ لَمْ يُؤْتَلَفْ . وَكَنْزٌ لَمْ يُكْتَشَفْ .

أَضَنَّ أَخِلاَّءُ وَضَنَّ أَحِبَّةٌ
فَلاَ خُلَّةٌ تُصْغِي وَلاَ خَلَّةٌ تُجْدِي (١)
أَيَذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يَرَ مَوْضِعِي
وَلَمْ يَدْرِ مَا مِقْدَارُ حَلِّي وَلاَ عَقْدِي

* * *

أَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . وَخَلِيفَةُ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . السُّلْطَانُ بْنُ السُّلْطَانِ . سَلِيلُ الْغَرَانِيقِ الْعُلاَ مِنْ آلِ عُثْمَانَ . فَقَدْ دَعَانِي إِلَى حَضْرَتِهِ . وَالْقُرْبِ مِنْ

---

(١) الخلة بالضم الخليلة . والخلة بالفتح الخصلة

(المعنى) يقول هل الصحب والاخلاء ضنوا علي وهل كذلك كل حبيب فأصبحت ولا حبيب يصغى الى قولي ولا خلة من خلالي تجدي لديهم نفعاً . وهل ينقضي هذا الدهر وتذهب الأيام وتمضى سنو العمر ولم ير ذلك الدهر موضعي من بنيه ووجودي في مقدمتهم بل ينقضى ولا يرى ايضاً مقدار حلي الامور وعقدي لها وهو يشبه قول ابي الطيب في وصفه لمعاندة الدهر له

أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه واطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله

ضاق صدري وطال في طلب الر زق قيامي وقل عنه قعودي
أبدا أقطع البلاد ونجمى في نحوس وهمتي في صعود

و يقول ان هذا العالم لم ينتفع به في حياته فكأنه كنز بقي ركازا في الارض لم يكتشف

سُدَّتِهِ [١] . وَبَلَغَ مِنْ حُسْنِ اللُّقْيَا . وَكَرَمِ الْمَثْوَى . مَا لَوْ أُعْطِيتُ لَسَنَ النَّابِغَةِ فِي النُّعْمَانِ . وَزُهَيْرٍ فِي هَرِمِ بْنِ سِنَانٍ [٢] . لَمَا قُمْتُ فِيهِ بِحَقِّ الشُّكْرَانِ . فَأَيَّ دُرٍّ أَنْثُرُ . وَأَيَّ مَدِيحٍ أَذْكُرُ . وَقَدْ جَلَّ الْمَقَامُ عَنِ الْمَقَالِ . وَتَرَفَّعَتِ الْحَقِيقَةُ عَنِ الْخَيَالِ

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ
فَأَنْتَ الَّذِي نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي
وَإِنْ جَرَتِ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ
لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي [٣]

وَلَا جَرَمَ فَقَدْ وَرِثَ الْمَجْدَ جَدًّا عَنْ جَدٍّ . فِي الْأُسْرَةِ الْحَصْدَاءِ وَالْعِيصِ

---

(١) الغرانيق جمع غرنيق وهو طير ابيض ٭ السدّة بالضم باب الدار

(٢) اللسن الفصاحة ٭ النابغة هو زيد بن معاوية ومن شعره

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولست بمستبق اخاً لا تلمه ... على شعث اي الرجال المهذب

النعمان هو ابن المنذر آخر ملوك العرب بالحيره — زهير بن ابي سلمى هو احد الثلاثة المقدمين على الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة وهو القائل في هرم بن ابي سنان

قد جعل المبتغون الخير في هرم ... والسائلون الى ابوابه طرقا
من يلق يوماً على علاته هرما ... يلق السماحة منه والندى خلقا

ويقال ان هرم بن سنان كان قد حلف ان لا يمدحه زهير الا اعطاه ولا يساله الا اعطاه ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او لبدة او فرساً فاستحى زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في

الأَشدِّ [١] . وَالْمجْدُ كالْخَمرِ كُلّما طالتْ عليهِ الأَمادُ [٢] جادَ . وكالْحديثِ كُلَّما علا فِي الإِسْنَادِ . سَادَ

وَمَا بلغتْ كَفُّ امرِئٍ مُتناوِلٍ بِها الْمجْدَ الاَّ حيْثُ ما نلْتَ أطْوَلُ
وَمَا بلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلاَّ وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ [٣]

أمير المؤمنين

أَمَا وَيَمِينِ اللهِ حَلْفَةَ مُقْسِمٍ
لَقَدْ قُمْتَ بِالْإِسْلَامِ عَنْ كُلِّ مُسْلِمِ

ملأً قال عموا صباحاً غير هرم وخيركم استثنيت . وقد مات ولم يدرك الاسلام — هرم بن سنان بن ابي حارثة المرّي من بني مرة بن عوف وهو صاحب زهير الذي يقول فيه

ان البخيل ملوم حيث كان ولكـ ـن الجواد على علاته هرم

وهو احد اجواد العرب المشهورين وقد بالغ الخليفة امير المؤمنين السلطان عبد الحميد في في اكرام المؤلف عند وفادته عليه في القسطنطينية سنة ١٨٩٢ ميلاديه وقداعطاه رتبة الوزارة العلمية وهي قضاء العسكر ولم يسبق في تاريخ الدولة العلية ان اعطيت هذه الرتبة لاحد مرة واحدة او اخذها احد وهو في سن المؤلف اذ كان سنه في ذلك الوقت نحو ٢٢ عاماً

(١) الاسرة الرهط الادنون . الحصداء يقال درع حصداء ضيقة الحلق محكمته وشجرة حصداء كثيرة الورق . العيص بالكسر الشجر الكثير الملتف

(٢) الآماد جمع امد محركة وهو الغاية

(٣) يقول ان كل امرئ مهما تناولت كفه من المجد فما نلته اطول وكل ما قاله مادحوك وان اطنبوا فما فيك افضل

فَلَوْلَاكَ بَعْدَ اللهِ أَمْسَتْ دِيَارُهُ
بِأَيْدِي الأَعَادِي مِثْلَ نَهْبٍ مُقَسَّمِ
لَقَدْ سَرَّ هذَا النَّصْرُ قَبْرًا بِطَيْبَةٍ
وَبَيْتًا ثَوَى عِنْدَ الْحَطِيمِ وَزَمْزَمِ ١
إِمَامٌ لَهُ فِي آلِ عُثْمَانَ لُحْمَةٌ
تَبَحْبَحَ مِنْهَا فِي الذُّرَى وَالْمُقَدَّمِ
أُولَئِكَ فَتَّاحُ الْبِلَادِ وَذَادَةُ الثُّـ
غُورِ وَقُوَّادُ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ ٢

---

(١) النهب الغنيمة وفي الحديث فأتى بنهب اي بغنيمة والجمع نهاب ونهوب قال العباس ابن مرداس

كانت نهاباً تلافيتها بكري على المهر بالاجرع

— طيبة على وزن شيبة وهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيها قبره وقبر ابي بكر وعمر عثمان رضي الله عنهم وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى طيبة لانها كانت تسمى يثرب فنهى النبي ان تسمى بهذا الاسم وقال الشاعر • فاصبح ميموناً بطيبة راضياً — الحطيم حجر مكة والذي فيه الميزاب لانه رفع البيت وترك ذلك حطماً اى محطوماً — زمزم بالفتح بئر بمكة ولها اثنا عشر اسما • زمزم • مكتومة مضنونة • شباعة • سقيا • الرواء • ركضة جبريل • هزمة جبريل • شفاء سقم • طعام طعم • حفيرة عبد المطلب

(٢) اللحمة بالضم القرابة او الرهط الأدنون وفي الحديث الولاء لحمة كلحمة النسب تبحبح تمكن في المقام والحلول • الذرى جمع ذروة بالضم او بالكسر اعلى الشيء • المقدم مقدم الشيء

لَهُ فِي الأَعَادِي حَمْلَةٌ يَعْرِفُونَهَا
وَأَكْبَرُ مِنْهَا حَمْلَةٌ فِي التَّكَرُّمِ

عَطَايَا تَظُنَّاهَا لإِعْظَامِ قَدْرِهَا
أَمَانِيَّ نَفْسٍ أَوْ رُؤًى مِنْ مُهَوِّمِ (١)

أَيَادِيهِ أَبْدَتْ خَافِيَ الشِّعْرِ لِلْوَرَى
وَكَانَ مُجَنًّا مِثْلَ سِرٍّ مُكَتَّمِ

اوله • الذادة جمع ذائد وهو الحامي الدافع وفي الحديث واما اخواننا بنو أمية فقادة ذادة • الثغر من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدوّ • الخميس الجيش لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة • العرمرم الجيش الكثير

(المعنى) يقول ان هذا الممدوح هو من آل عثمان الفاتحين البلاد والدافعين عن الثغور والقائدين الجيوش الكثيرة الى معمعان الضرب والقتال وانه قد تمكن من الذروة العليا منهم — ومن اكبر الفتوحات في الاسلام فتح القسطنطينية وكانت دار ملك الروم وهي الآن دار ملك المسلمين وفاتحها السلطان المجاهد الغازى ابو الفتوحات محمد بن السلطان مراد بن السلطان محمد ابن السلطان بايزيد بن السلطان مراد الاول بن اؤرخان بن عثمان المستقر على كرسي مملكته سنة ٨٥٥ والمتوفي سنة ٨٨٦

(١) تظني اعمل ظنه • الرؤى جمع رؤيا وهو ما رأيته في منامك • التهويم والتهوم هز الرأس للنعاس

(المعنى) يقول كما انه يحمل على الاعادي فيمزق شملهم كذلك يحمل على الاموال فيفرقها في ابواب المكارم ويقول ايضاً ان عطاياه من عظمها كانها الاماني والآمال او الاحلام في المنام وكلاهما عظيم اذ النفس اذا استرسلت مع الامل فربما طلبت ما هو فوق القدر والطاقة والنائم يري نفسه اميراً كبيراً وهو وضيع حقير ومثله شارب الخمر قال الشاعر

فاذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير

كَذَلِكَ زَهْرُ الرَّوْضِ يَبْدُو مِنَ الثَّرَى
إِذَا مَا سَقَاهُ مُسْجِمٌ بَعْدَ مُسْجِمِ ١
وَقَدْ رَاضَ مِنْ أَقْوَامِهِ كُلَّ أُمَّةٍ
وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ مُقْرَمًا لَمْ يُخَطَّمِ

---

(١) اياديه نعمه وعطاياه · المجن المستور · المسجم المطر

(المعنى) يقول ان اياديه ومكارمه على الافاضل اخرجت الشعر الذي كان مخبأ في صدورهم فشكروه به وكانوا يضنّون به على غيره وان مثل ذلك مثل الغيث الذي اذا صب على الارض اخرج ما استكن فيها من ذخائر النبات وألوان الزهر — وقد جرت عادة الشعراء من القديم ان يمدحوا ملوك وقتهم بفاخر الشعر وجيده فمن ذلك ما رواه سعيد بن مسلم الباهلي قال قدم على الرشيد اعرابيّ من باهلة وعليه جبة حبرة ورداء يمان قد شده على وسطه ثم ثناه على عاتقه وعمامة قد عصبها على فوديه وارخى لها عذبة من خلفه فمثل بين يدي الرشيد فقال سعيد يا اعرابي خذ في شرف امير المؤمنين فاندفع في شعره فقال الرشيد يا اعرابي اسمعك مستحسنًا وانكرك متهما فقل لنا بيتين في هذين يعني محمدا الامين وعبد الله المأمون ابنيه وهما حفافاه فقال يا امير المؤمنين حملتني على الوعر والقردد وارجعتني على السهل الحدرد روعة الخلافة وبهر الدرجة ونفور القوافي على البديهة فأمهلني تتألف لي نوافرها ويسكن روعي قال قدفعلت وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك قال يا امير المؤمنين نفست الخناق وسهلت ميدان السباق وانشاء يقول

بنيت لعبد الله ثم محمد ذرى قبة الأسلام فاخضر عودها
هما طنباها بارك الله فيهما وانت امير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد وانت يا اعرابي بارك الله فيك فسل ولا تكن مسئلتك دون احسانك قال فلهنيدة يا امير المؤمنين فامر له بمائة ناقة وسبع خلع — ولقد كان الشريف الرضي نقيب اشراف بلده مثل المؤلف وكانت له المدائح الكثيرة في خليفة وقته الطائع بالله العباسي ومن مدائحه ايه قوله

جزاء امير المؤمنين ثنائي على نعم ما تنقضي وعطاء
ومنها وادنى اقاصي جاهه لوسائلي وشدّ اواخي جوده برجائي

وَأَرْسَى عَمُودَ المُلْكِ فِي مُسْتَقَرِّهِ
وَثَبَّتَ رُكْناً مِنْهُ لَمَّا يُهَدَّمِ
وَلاَ غَرْوَ إِمَّا شُذِّبَتْ مِنْهُ أَفْرُعٌ
هُوَ الدَّوْحُ إِنْ تُشْذَبْ نَوَاحِيهِ يَعْظُمِ

* * *

رَمَى الرُّومَ لَمَّا أَنْ عَتَوْا بِكَتِيبَةٍ
تَمِيلُ بِأَعْطَافِ الوَشِيجِ المُقَوَّمِ
أَمَدَّ لَهُمْ فِي الحِلْمِ بَاعاً رَحِيبَةً
فَزَادُوا طِمَاحاً فِي عُتُوٍّ وَمَلاَمِ
كَذَلِكَ مُرَّارُ النَّبْتِ إِمَّا سَقَيْتَهُ

وعلمني كيف الطلوع الى العلى وكيف نعيم المرء بعد شقاء

(١) راض ذال · المقرم البعير الذي لم يذال ولم يحمل عليه · يخطم بوضع الخطام في انفه شذبت شذب الغصن قشر ماعليه

(المعنى) يقول ان الامة العثمانية لتالفها من عناصر مختلفة واديان متباينة واجناس متنوعة كانت من الدهر الاول كثيرة الخروج على الملوك والفتوق في الجهات حتى جاء هذا الملك العظيم فاسلس قيادتها بسياسته حتى اصبحت كالبعير الذلول بعد ان كانت كالبعير الهائج ويقول ايضاً انه وان انتقصت بعض اطراف الملك في زمن هذا الملك فذلك لا يأس منه بل الامل معقود والنفس مطمئنة بانه سيعظم ويكبر عما كان كالشجرة التي اذا اخذ من اطراف فروعها زادت ونمت ولاجرم فاكثر ما نقص من الدوله في هذا الزمن انما كان من بلاد الاقوام الذين لا تربطهم واياها رابطة جنس ولا دين ولا لسان ومثل هؤلاء نقصهم زيادة لقوة الدولة بل هم كالعضو المجذوم الذي قطعه أولى لصحة البدن

مِنَ الْعَذْبِ يَزْدَدْ طَعْمَ صَابٍ وَعَلْقَمِ ٢

وَزَجُّوا جُمُوعًا كَالدَّبَى فِي عَدِيدِهَا

فَأَلْقَاهُمُ فِي جَوْفِ دَهْيَاءَ صَيْلَمِ

أَسَالَ فِجَاجَ الْأَرْضِ بِالْجُنْدِ يَلْتَوِي

كَأَغْدِرَةِ الْوِدْيَانِ فِي كُلِّ مَخْرِمِ

يَمُوجُ بِهَا الْمَاذِيُّ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى

كَمَا مَاجَ لُجٌّ بَيْنَ أَرْجَاءِ عَيْلَمِ ١

فَمِنْ كُلِّ مِغْوَارٍ تَرَى الرُّومَ دُونَهُ

طَرَائِدَ وَحْشٍ بَيْنَ أَظْفَارِ قَشْعَمِ

---

(٢) الروم جيل وهم اليونان · عتوا استكبروا وتجاوزوا الحد · الكتيبة الجيش · الوشيج شجر الرماح · المقوم المعدل · الملاءم يقال لؤم الرجل لؤما وملاءمة ضد كرم كان دنيء الاصل · المرار بالضم شجر مرّ · الصاب جمع صابة وهو شجر مر · العلقم الحنظل وكل شيءٍ مر

(المعنى) يقول انه كثيراً ما قابل طغيان الروم بالحلم والأناة فلم يزدهم ذلك الاّ عتوا كشجر المر الذي كلما تسقيه بالماء العذب يربوا ويخضر فيزيد مرارة ومن هذا قال المتنبي

اذا انت اكرمت الكريم ملكته   وان انت اكرمت اللئيم تمردا

(١) الدبى الجراد والنمل · دهياء صيلم هي الداهية الشديدة القاطعة · فجاج جمع الفج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين · مخرم الجبل انفه · الماذيّ كل سلاح من حديد · العيلم البحر الخضم ·

(المعنى) يقول ان الاعداء ساقوا الجموع العديدة الى معترك الحرب فارسل عليهم جيشاً عرمرماً قد ملأ الارض والتوى في طرقها وسبلها كما تلتوي الغدران في مسالك الجبال ومشاعبها فكأن الحديد الاخضر وقد رفعته جنوده وهي سائرة امواج خضر يتدفق بها بحر فاقترب الجمعان واقتتل الفريقان فما هي الاّ لفتة حتى القتهم جيوشه في جوف دهياء شديدة قاطعة — قال ابن

وَمِنْ كُلِّ ذَيَّالٍ كَأَنَّ هُوِيَّهُ
هُوِيُّ شِهَابٍ أَوْ عُقَابٍ مُحَوِّمِ
وَمِنْ كُلِّ حَصْدَاءَ دِلَاصٍ كَأَنَّهَا
عَلَى عَاتِقِ الْأَجْنَادِ بُرْدَةُ أَرْقَمِ ١

عبد ربه

سيوف يقيل الموت تحت ظباتها | لها في الكلى طعم وبين الكلى شرب
اذا اصطفت الرايات حمرا متونها | ذوائبها تهفوا فيهفوا لها القلب
ولم تنطق الابطال الاّ بفعلها | فألسنها عجم وافعالها عرب
اذا ما التقوا في مأزق وتعانقوا | فلقياهم طعن وتعنيقهم ضرب

(٢) المغوار الكثير الغارات . القشعم النسر الكبير . الذيال الطويل الذيل المتبختر في مشيته يريد الفرس . الهوي السقوط من أعلى لأسفل الحصداء الدرع الضيقة الحلق المحكمة . الدلاص الدرع الملساء اللينة . الارقم الافعى

(المعنى) يقول ان جيشه مؤلف من شجعان كل شجاع كأنه نسر عظيم والرومي فريسة في يده فكأنما عناهم ابو تمام بقوله

قوم اذا لبسوا الحديد حسبتهم | لم يحسبوا ان المنية تخلق

و يقول ايضاً ان في جيشه خيولاً صافنات كأن كل فرس منها عقاب في سرعته وشهاب في انحداره على الأعداء

وقال ابن المعتز

ولقد وطئت الغيث يحملني | طرف كلون الصبح حين وقد
يمشي ويعرض في العنان كما | صدف المعشق بالدلال وصد
وكأنه موج يسيل اذا | أطلقته واذا حبست جمد

ويقول ان على جنوده دروعاً كل درع كأنها ثوب ثعبان في نقشه ورقشه وقد اجاد المعري في وصف الدرع بقوله

هيمنة الخرصان في عطفها | هيمنة الأعجم اللأعجم

وَبيضٍ كَلَوْنِ الْمِلْحِ أمَّا مُتونُها
كَنَمْلٍ عَلى نِهْيٍ مِنَ الْماءِ عوّمِ (١)
وَمِنْ مَنْجَنيقٍ يَسْتَطيرُ شُواظُهُ
بِفُوَّهَةٍ فيهِ كَبابِ جَهَنَّمِ
عَلَيْهِ دُخانٌ يَقْطُرُ الْجَمْرُ بَيْنَهُ
كَأَسْوَدِ دَجْنٍ بِالصَّواعِقِ يَرْتَمي
وَجاؤوا حَرّى كَالْوَطايِس أَقامَها
عَلَيْهِمْ فَكانَتْ كَالْقَضاءِ الْمُحَتَّمِ
يَطيرُ قُشارِيُّ الْحَديدِ بِأُفْقِها

مستخبرات ما حوى صدرها فأعرضت عنها ولم تفهم
تزاحم الزرق على وردها تزاحم الورد على زمزم

(١) المتن الظهر · النهي الغدير

(المعنى) يقول ان سيوف هذا الجيش كالملح في ابيضاض لونه وان سواد الافرند في صفاحها اشبه بنمل عائم على غدير ماء وقال الشاعر

وذي شطب تقضي المنايا لحكمه وليس لما تقضي المنية دافع
فرند اذا ما اعتن للعين راكد وبرق اذا ما اهتز بالكف لامع
يسلل ارواح الكماة انسلاله ويرتاع منه الموت والموت رائع
اذا ما التقت امثاله في وقيعة هنالك ظن النفس بالنفس واقع

(٢) المنجنيق والمنجنوق آلة ترمى بها الحجارة · الشواظ لهب لا دخان فيه · الفوهة من السكة والطريق والوادي فمه · الدجن الباس الغيم الارض

(المعنى) يريد بالمنجنيق المدفع ويقول ان دخانه المعقود عليه وناره المستطيرة خلال هذا الدخان اشبه بالسحب السود تلمع فيها البروق والصواعق

بِجَبْلِ وَتِينٍ أَوْ بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ
كَأَنَّ النِّصَالَ الْبِيضَ وَسْطَ عَجَاجِهَا
شَرَارٌ تَعَالَى فِي دُخَانٍ مُخَيِّمِ [١]
وَلَا شَيْءَ فِيهَا غَيْرُ ضَرْبٍ مُفَلِّقٍ
لِهَامٍ وَرَمْيٍ مِثْلِ تَهْطَالِ مِرْزَمِ
وَطَعْنٍ دِرَاكٍ يَسْبِقُ الْحِسَّ لِلرَّدَى
فَلَيْسَ وَإِنْ أَفْنَى النُّفُوسَ بِمُؤْلِمِ [٢]
أَمَالَ (بِلَارِيسَا) عُرُوشَ عُدَاتِهِ
وَأَشْرَقَ مِنْ (فِرْسَالَةَ) الْأَرْضَ بِالدَّمِ [٣]
كَأَنَّ الْإِكَامَ الْأُدْمَ لَمَّا تَصَبَّغَتْ
بِهِ أَنْبَتَتْ نَبْتَيْ شَقِيقٍ وَعَنْدَمِ

---

(١) الجأواء الحرب واصلها من الجأوة وهي المجاعة وانما سميت الحرب بذلك لانها تاكل اهلها . الوطيس التنور واستعير للحرب فيقال حمي الوطيس اي اشتدت الحرب . قشاري الحديد ما تناثر منه وتطاير . الوتين عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه . العجاج الغبار والدخان

(المعنى) يقول كأن النصال في الغبار المثار شرار نار في دخان

(٢) الهامة رأس كل شيء والجمع هام . المرزم الرعد الشديد . دراك متتابع ومتلاحق

(المعنى) يقول ان رمي الرصاص بها كوقع حبات المطر وان طعن الاسنة والرماح بها تقتل قبل ان تؤلم لسرعتها

(٣) لاريسا مدينة باليونان وكانت بها الواقعة المشهورة بين جنود الاتراك واليونان . العرش سرير الملك . اشرق بالغ في صبغها . فرسالة مدينة ايضاً باليونان وكانت بها موقعة شهيرة . الأكام جمع اكمة وهي الربوة المرتفعة من الارض . الأدم البيض . الشقيق نبت احمر .

وَيَوْمَ (فِلَسْطِينُو) أَقَامَ نَعِيمُهُمْ
بِشَعْوَاءَ تَنْفِي حِدَّةَ الْمُتَعَشْرِمِ
فَأَصْلَاهُمُ نَارًا فَقَوَّمَ دَرْأَهُمْ
كَمَا قَوَّمَ التَّثْقِيفُ مِعْوَجَّ لَهْذَمِ
فَأَمْسَوْا حَدِيثًا فِي الْبِلَادِ وَعِبْرَةً
وَبَادُوا كَطَسْمٍ فِي الْأَنَامِ وَجُرْهُمِ ١
لَهُ الْفَضْلُ إِنْ خَاضَ الْوَقَائِعَ قَائِدٌ
فَآبَ بِنَصْرٍ مِنْ جَنَاهَا وَمَغْنَمِ
أَصَابَ الَّذِي قَدْ سَدَّدَ السَّهْمَ أَوْ رَمَى
إِذَا مَا أَصَابَ السَّهْمُ شَاكِلَةَ الرَّمِي ٢

العندم نبت احمر

(١) فلسطينو بلد باليونان كانت بها موقعة عظيمة في الحرب اليونانية . الشعواء المنتشرة . المتعشرم الخشن الشديد . الدرأ الميل والعوج . التثقيف التقويم . لهذم كجعفر القاطع من الاسنة . طسم قبيلة من عاد انقرضوا . جرهم كقنفذ ابو حي من اليمن من العرب البادية

(المعنى) يقول انه في يوم فلسطينو اصلاهم نارا فقوم عوجهم كسن الرمح اذا اعوج ادخل النار ليعدل ويسمى هذا التثقيف

(٢) شاكلة الناحية والنية والطريقة والمذهب . الرمي الهدف الذي ترمى عليه السهام

(المعنى) يقول اذا انتصر القائد وغلبت الجيوش فانما الفضل له لانه هو الذي انتخب هذا القائد بل هو رب الجند فالقائد كالسهم اذا اصاب الغرض فالفضل لراميه لا له

نابوليون

وقفتُ على قبرِ نابليونَ أمسِ . أحدّث النفسَ بما في ذلك

(١) فتح نابوليون مصر سنة ١٢١٣ ه وكان دخوله في مدينة الاسكندرية في ١٥ محرم من هذه السنة المذكورة وهو قائد الجيوش فرنسا قبل ان يصل الى الملك ولم يكرم من اهل مصر أحدا اكرامه لاسرة السادة البكرية بها وقد كان رئيس هذه الاسرة الشريفة في ذلك الوقت السيد خليل البكري فكان نابليون يزوره كثيراً في بيته وفي مواسمه ويبالغ في اكرامه وقبول قوله وشفاعته الى غير ذلك وقد ولاه رئاسة الديوان الذي أنشأه وكانت تصدر منه جميع احكام مصر في ذلك الوقت بعد عزل الشيخ عبد الله الشرقاوي . وقد ولد نابوليون سنة ١٧٦٩ ميلادية وكان في اول امره ضابطاً في الجندية ثم وطد العزم على ان يسود امته ويجلس على عرش فرنسا ويفتح البلدان ويدوخ الممالك كما فعل يوليوس قيصر امبراطور الرومان فسعى الى غايته ووري بغيرها نخدم الجمهورية اولاً ثم قلبها ونال ما ربه في ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ حيث صار امبراطورا . وقد خاض جملة وقائع وحروب مع دول اوربا وانتصر فيها فمن ذلك موقعة استرلتز ويينا وفريد لاند وواجرام وغيرها وقد تحالفت عليه اخيراً دول اوربا فقهرته في واقعة واترلو وارسلته منفيا الى جزيرة هيلانة حيث مات فيها سنة ١٨٢١ وقد كان نابليون رجلاً شجاعاً عاقلاً مفكراً مدبراً حكيماً باحثاً في الاديان عالماً بها وقد روت مجلة المقتطف التي تصدر بمصر القاهرة في عددها الصادر في يناير سنة ١٩٠٥ تحت حديث نابوليون . قالت (وكانت الديانة من أهم المواضيع التي يحدث رفاقه بها ويكثر من قراءة التوراة ويعجب ببولس الرسول ويقال انه قابل مرة بين قيصر والاسكندر وبين السيد المسيح وقال ان المسيح لا يمكن ان يكون انساناً . ولكن يظهر مما كتبه غورغو عنه انه كان اميل الى الاسلام منه الى النصرانية وكان يقول ان الديانة التي تكفر سقراط وأفلاطون والانكليز لا يستطيع ان يدين بها ثم هو لا يفهم لماذا يكون العقاب ابديا . وقال ايضاً انه لا يزال يفكر في حجة مشايخ الاسلام في مصر على النصارى وهي انهم يعبدون ثلاثة آلهة فهم مشركون . وان الاسلام أبسط الاديان وهو اقوى من النصرانية لان اصحابه تغلبوا على نصف المسكونة في عشرة اعوام اما النصرانية فمضى عليها مائة سنة قبلما رسخت قدمها . وقال مرة (نحن معاشر المسلمين.) وقدمات نابليون في منفاه كما ذكرنا وقدكان اوصى ان تنقل رفاته الى باريس وتدفن على شط نهر السين المار بها . فبعد مضي سنين نقله

الرَّمْسِ ¹ . فإذا أستكانة بعد صولة . وقبرٌ في جوفه دولة . وصولجانٌ كرتُه الأرضُ . أمسى مخراق لاعب . وسريرٌ كان فوقه البسط والقبضُ . أضحى ملتقى ناعٍ وناعبِ ²

أضحت قبورهمُ من بعد عزّهمُ
تسفي عليها الصبا والحرجفُ الشمَلُ
لا يدفعون هواماً عن وجوههمُ
كأنهم خُشُبٌ بالقاعِ منجدلُ

اللهمَّ غفرًا : هذا غلاّب القياصرة . وقهّار الجبابرة . دفع عنه سلطانهُ الأبطال

الفرنساويون الى عاصمتهم كما اوصى ودفنوه في محل هناك مشهور واقاموا عليه قبراً مزخرفاً من انفس القبور ونصبوا حول قبره الاعلام والبنود التي اخذها في حروبه من الأعداء وله تمثال مشهور في باريس ايضاً على عمود مرتفع صيغ من حديد المدافع التي ظفر بها في وقائعه —

(١) الرمس القبر قال الشاعر

وبينما المرء في الاحياء مغتبط   اذا هو الرمس تعفوه الأعاصير

(٢) الاستكانة الخضوع والذل • الصولة الوثبة • الصولجان عصا يعطف طرفها ويضرب بها الكرة على الدواب والجمع صوالجة وهو فارسيّ معرب ومنه صولجان الملك • الكرة هي ما ادرت من شي والتي يلعب بها واصلها كروة حذفت الواو والجمع كرات وكرون وأكر قالت ليلى الاخيلية تصف قطاة تدلت على فراخها

تدلت على حص ظماء كأنها   كراة غلام في كساء مؤرنب

مخراق لاعب الجمع مخاريق وهو ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة قال عمر بن كلثوم

كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بايدي لاعبينا

البسط والقبض اي النهي والامر • الناعي الذي يأتي بخبر الموت والجمع ناعون ونعاة • الناعب المصوت بالبين

(المعنى) يقول ان حال الرجل تبدلت من حركة الى سكون ومن عزة الملك الى ذلة الموت

وَالأَقْيَالَ [٢] . وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ الآرَضَ وَالنِّمَالَ . وَكَانَتِ الأَرْضُ تَضِيقُ عَنْ نَفْسِهِ . فَأَمْسَى تَسَعُهُ حُفْرَةٌ مِنْ رَمْسِهِ . فَوَاهاً لِهٰذَا الْمَوْتِ الَّذِي يَخْبِتُ الأُسُودَ . وَيَقْتَلِعُ أَنْيَابَ الْحَيَّاتِ السُّودِ . وَيَفُكُّ النِّطَاقَ عَنِ الْجَوْزَاءِ . وَيُسَاوِي عَمْرَو بْنَ دَرْمَاءَ بِالدَّرْمَاءِ [٣]

وَغَايَةُ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ
كَغَايَةِ الْمُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ
فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ

---

(١) تسفي اتته اب تذره وتحمله • الصبا ريح مهبها من مطالع الثريا الى بنات نعش مؤنثة ويقابلها الدبور مثناها صبوان والجمع صبوات واصباء • الحرجف الريح الباردة الشديدة الهبوب قال الفرزدق

اذا اغبر افاق السماء وهتكت ستور بيوت الحي نكباء حرجف

الشمَل والشمال والشمْل والشمأل والشأمل الريح التي تهب من ناحية القطب قال الشاعر

نوى مالك ببلاد العدى وتسفي عليه رياح الشمل

الهوام جمع هامة وهو طائر صغير من طيور الليل يألف المقابر • القاع ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام والجمع اقواع وافوع وقيع وقيعان وقيعة وفي التنزيل كسراب بقيعة وفي الحديث انه قال لاصيل كيف تركت مكة قال تركتها قد ابيض قاعها اراد ان ماء المطر غسله فابيض • المتجدل الصريع الذي على الارض

(٢) القياصرة جمع قيصر وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم • الاقيال الملوك • الآرض جمع ارَضة بفتحتين وهي دويبة صغيرة أكل الخشب • النمال جمع نملة ونملة بسكون وضمّ وهو حيوان صغير حريص على جميع الغذاء

(المعنى) ان هذا الملك الذي كان يدفع عنه جيوش الاعداء والجبابرة امسى لا يستطيع دفع دود القبر عن جسمه وانه كان لطموح آماله تكاد الارض تصغر في عينه ولا تسعه فاصبح وقد وسعته تربة ضيقة وهذا لا يملأ عين ابن آدم الا التراب

(٣) يخبت يذل . النطاق ما يشدّ به الوسط . الجوزاء برج في السماء . عمرو بن درماء

فُؤَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُعْبِهِ

عَلَى أَنَّهُ لَوْلَاهُ لَاسْتَوَى الشُّجَاعُ . وَالْجَبَانُ الْوَعْوَاعُ . إِذْ لَوْ أَمِنَ الْمَفْؤُودُ الْحِمَامَ . لَأَمْسَى كَفَارِسِ خَصَافٍ أَوْ كَبِسْطَامٍ

*
* *

نَابِلْيُونُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هُوَ : اسْمٌ مَلَأَ كُلَّ مَكَانٍ . وَاسْتَغْنَى عَنِ التَّعْرِيفِ

رجل من ثعل وكان عزيزاً في قومه كريماً لديهم . الدرماء الارنب . وتوصف بالضعف قال الاعشي

اراني لدن ان غاب رهطي كانما   يراني فيكم طالب الضيم أرنبا

وقال الشاعر يصف روضة كثيرة النبات تمشي بها الارنب ساحبة قصبها حتى كأن بطنها حبلى

تمشي بها الدرماء تسحب ذيلها   كأن بطن حبلى ذات اونين متئم

(المعنى) يقول ان الموت يذل كل جبار فلا يقي نفسه منه الاسد الغضنفر ولا الحية السامة ولا الجوزاء في رفعتها بل الصغير والكبير سواء في حكمه وعمر بن درماء بعظمته وعزته في حكم الموت كالدرماء التي هي الأرنب

(١) هذان البيتان من قصيدة للمتنبي يرثى بها عمة عضد الدولة ومطلعها

آخر ما الملك معزى به   هذا الذي اثر في قلبه

لا جزعا بل انفا شابه   ان يقدر الدهر على غصبه

ومنها

يموت راعي الضأن في جهله   ميتة جالينوس في طبه

وربما زاد على عمره   وزاد في الأمن على سربه

وغاية المفرط في سلمه   كغاية المفرط في حربه

فلا قضى حاجة طالب   فؤاده يخفق من رعبه

(٢) الوعواع المهذار . المفؤود الجبان — فارس خصاف كان من اشد الناس بأساً

بِابْنِ فُلَانٍ (١) . إِذَا لَمْ يَرِثِ الْمَجْدَ . مِنْ أَبٍ وَجَدِّ
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ
فَإِنَّ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا (٢)

واقداماً وذلك ان جند ملك من ملوك الفرس غزت قبيلته التي هي غسان وكان عندهم ان جنود الملك لا يموتون فشد فارس خصاف على رجل منهم فطعنه فخر صريعاً فرجع الى اصحابه فقال ويلكم القوم امثالكم يموتون كما نموت فتعالوا نقارعهم فشدوا عليهم وهزموهم فضرب بفارس خصاف المثل لاقدامه عليهم وصار من عداد فرسان العرب المشهورين وخصاف اسم فرسه — بسطام هو بسطام بن قيس احد شجعان العرب المشهورين

(المعنى) يقول ان الموت وان كان مذموماً ممقوتاً الا انه يمدح لكونه يميز بين الفضائل والرذائل وضرب لذلك مثلاً فقال انه لولا الموت لكان كل جبان شجاعاً اذ لو امن الجبان الموت لم يبق له داعية للخوف وحينئذ تضيع مزية الشجاع ولا يكون لشجاع فضل على الجبان — وفي لولاك ولولاي ولولاه خلاف فمذهب سيبويه ان الضمائر مجرورة بلولا وهي عنده حرف جر قال لان الياء لم تقع الا منصوبة او مجرورة والنصب هنا ممتنع لخلوها عن نون الوقاية فتعين الجر وقال الاخفش الضمائر مرفوعة بالابتداء ولكن انابوا ضمير الخفض عن ضمير الرفع كما عكسوا في ما أنا كأنت ولا أنت كأنا وقال المبرد هذا التركيب لم يسمع من العرب وهو مردود بقول عمرو بن العاص

أتطمع فينا من يريق دماءنا ولولاك لم تعرض لأحسابنا عبس

وروي لم يعرض لأحسابنا حسن وبقول يزيد بن الحكم

وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قنة النيق منهوي

وقال ابو علي الفارسي اتفق أئمة البصريين والكوفيين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء على رواية لولاك عن العرب فانكار المبرد هذيان وان يك يزيد بن الحكم لحانا كما قال رؤبة

لولا كما لخرجت نفسا كما

(١) (المعنى) يقول انه ليس من بيت ملك أو امارة ونحوها فينسب في الفضل الى آبائه ولكن فضله بنفسه

(٢) هذا البيت من قصيدة للمتنبي يرثي بها جدته لأمه وكان قد ورد عليه كتاب منها

وَرَجُلٌ جَادَ بِهِ الدَّهْرُ وَهُوَ الْبَخِيلُ بِالرِّجَالِ . كَمَا تَجُودُ الصَّخْرَةُ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ [١] . وَسَمَحَ الزَّمَانُ مِنْهُ بِمَا هُوَ فَوْقَ قَدْرِهِ . كَمَا يَسْمَحُ التُّرْبُ بِتِبْرِهِ [٢] . وَمَلِكٌ جَاءَ أَخِيرًا فَتَقَدَّمَ عَلَى الْمُلُوكِ الْأُوَلَى . كَالْعُنْوَانِ يُكْتَبُ آخِرًا وَيُقْرَأُ أَوَّلًا [٣]

أَلْفَاعِلُ الْفِعْلَ الَّذِي
يَعْجَزُ عَنْهُ الْقَائِلُ [٤]

طَلَبَ مُلْكَ الثَّقَلَيْنِ . وَرَغِبَ أَنْ يَكُونَ الْإِسْكَنْدَرَ لَا ذُو الْقَرْنَيْنِ . وَآزَرَهُ

تشكوا شوقها اليه وطول غيبته عنهافتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد يئست منه فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرح على قلبها فقتلها ومطلع القصيدة

ألا لا أري الاحداث حمداً ولا ذماً   فما بطشها جهلا ولا كفها حلما
الى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى   يعود كما أُبدي ويكري كما أُرمي

ومنها

اتاها كتابي بعد يأس وترحة   فماتت سروراً بي ومت بها غما
حرام على قلبي السرور لانني   أُعد الذي ماتت به بعدها سماً

ومنها البيت ومعناه ان لم يكن لك عراقة في المجد لكفاك انك لي أم

(١) (المعنى) ان الدهر البخيل بالعظماء من الرجال جاد به كالصخرة التي قد ينفجر منها الماء

(٢) (المعنى) يقول انه اكبر من الزمان الذي جاد به كما ان التبر اشرف من التراب على انه منه يأخذ ويجمع

(٣) (المعني) يقول هو وان جاء بعد كثير من مشاهير عظماء التاريخ الا انه يقدم عليهم في الرتبة وذلك كعنوان الكتاب فان كاتبه يكتبه في الآخر وقارئه الذي يصل اليه الكتاب يبدأ به في القراءة ويقدمه على غيره مما في سائر الكتاب كما هي العادة

(٤) (المعني) يقول انه لا يفعل الافعال الكبيرة التي يعجز غيره عن فعل مثلها فقط بل

عَلَى ذَلِكَ عَزْمٌ يَمْحُو الشَّرَّ بِالشَّرِّ · كَمَا يُدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ · وَطَبْعٌ فِيهِ نَفْعٌ وَضَرَرٌ · كَالْغَمَامَةِ فِيهَا صَاعِقَةٌ وَمَطَرٌ · أَوِ الْبَحْرِ إِنْ صَدَمَ أَغْرَقَ · وَإِنْ طُلِبَ جَوْهَرُهُ أَغْدَقَ · وَجَدٌّ لَوْ صَحِبَ الإِدْبَارَ لأَرْبَى عَلَى الإِقْبَالِ · وَلَوْ حَالَفَ النَّقْصَ لَشَأَى الْكَمَالَ · فَسَارَ إِلَى غَايَتِهِ الْقُصْوَى · بِسَيْرٍ لاَ يُرَى · كَسَيْرِ ذُكَاءَ ·

التي يعجز سواه عن القدرة على وصفها بالكلام وهذا البيت من قصيدة للشريف الرضي التي مطلعها

اين الغزال الماطل بعدك يا منازل
قد بان حالي سربه فلم اقام العاطل

(١) الثقلين الانس والجن · آزره موازرة وآساه وعاونه — وديوجين هذا الملقب بالكلبي الفيلسوف المشهور صاحب النوادر الفلسفية اللطيفة وحكايته مع الاسكندر المقدوني ان الاسكندر سمع به فاراد مقابلته وسار اليه فرآه جالساً في الشمس بقرب برميله الذي كان يحمله دائماً فقال له انا الاسكندر فقال وانا الكلب ديوجين قال اما تهابني قال انت صالح ام شرير قال صالح قال او أهاب الصالح فعجب الاسكندر من ذلاقة لسانه ثم قال سلني حاجتك قال حاجتي أن تحول من هذه الجهة فقد حلت بيني و بين الشمس فزاد تعجب الاسكندر ثم قال ديوجين اينا اغني اصاحب العباءة والخرج او الذي لم يقنع بعظم سلطانه فتعجب خواص الاسكندر من احترامه لهذا الرجل مع قحته وشعر الاسكندر بذلك فالتفت اليهم وقال لو لم اكن الاسكندر لتمنيت ان اكون ديوجين

(المعنى) انه ثبت ان من زهد في الدنيا جميعها مثل ديوجين يساوي من ملك الدنيا مثل الاسكندر لان قولك لا اريد تساوى قولك املك كل شيء فنابليون اختار ان يكون احد الرجلين وهو الاسكندر ثم يقول انه ساعده على حصول بغيته عزم يفل الحديد بالحديد والعرب تقول ان شارب الخمر يداوي خمارها باعادة شربها وقال الشاعر

تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(٢) اغدق المطر كثر قطره

(٣) الجد الحظ · اربى زاد · شأى سبق والمشهور عن نابليون انه كان يعتمد على حظه وبخته اكثر من اعتماده على مقدرته

فِي السَّمَاءِ ١ . لاَ يُصَادِفُهُ فِي طَرِيقِهِ دَوْلَةٌ إِلاَّ قَلَبَهَا . وَلاَ رَايَةٌ إِلاَّ نَصَبَهَا . وَلاَ حِصْنُ ثَغْرٍ . يَحُومُ مِنْهُ نَسْرُ السَّمَاءِ عَلَى وَكْرٍ . إِلاَّ تَدَلَّى عَلَيْهِ مَعَ الظَّلاَمِ . كَمَا تَدَلَّتْ عُقَابٌ مِنْ شَمَارِيخِ الأَعْلاَمِ ٢ . وَلاَ يَمٌّ طَمٌّ . أَوْ بَحْرٌ خِضَمٌّ . إِلاَّ خَاضَهُ بِالْقَدَمِ . وَشَرِبَ مَاءَهُ بِدَمٍ ٣ . وَلاَ وَقَائِعَ إِلاَّ خَاضَهَا . وَلاَ مَلاَحِمَ إِلاَّ رَاضَهَا . فَتَرَكَ بِهَا أَيَّامًا كَيَوْمِ رَحْرَحَانٍ ٤ أَوْ يَوْمِ جَبَلَةَ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانٍ . حَتَّى

(١) القصوي البعيدة . ذكاء من اسماء الشمس

(المعنى) يقول كما ان الشمس تشرق من المشرق واذا بها تغرب في المغرب من غير ان تدرك العين لها مسيرا فكذلك هو كان يسير الى غايته من غير ان يدرك ذلك منه فان غايته كانت الملك وقد تظاهر بخدمة الجمهورية وما زال يتنقل بخطواته الخفية حتى قلبها وأسس مملكة

(٢) الثغر كل فرجة في جبل او بطن واد او طريق مسلوك . النسر المراد به هنا نسر السماء الوكر عش الطائر اين كان في جبل او شجر وان لم يكن فيه . تدلى نقل واسترسل . العقاب طائر معروف . الشماريخ رؤُوس الجبال الاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل

(المعنى) يقول ان صادفه حصن مرتفع حتى كانه لارتفاعه وكر لنسر السماء الذي هو نجم من نجومها او غير ذلك من العقبات لم يحله عن مقاصده بل تخطاه اليها

(٣) اليم البحر . الطمّ الغامر . الخضم البحر . خاض الماء دخله

(٤) الملاحم جمع ملحمة وهي الوقعة العظيمة القتل . راض ذلل — يوم رحرحان كان لعامر على تميم وذلك ان خالد بن جعفر قدم على الاسود بن المنذر أخي النعمان بن المنذر ومع خالد عروة الرجال بن عتبة بن جعفر فالتقى خالد بالحارث بن ظالم الذبياني فدعا لهما الاسود بتمر فقال خالد للحارث ألا تشكر يدي عندك أن قتلت عنك سيد قومك زهيرًا وتركتك سيدهم قال سأجزيك شكر ذلك فلما خرج الحارث قال الاسود لخالد ما دعاك الى ان تحترش بهذا الكلب وانت ضيفي قال خالد انما هو عبد من عبيدي لو وجدني نائمًا ما ايقظني وانصرف خالد الى قبته فلامه عروة الرجال ثم ناما وقد اشرجت عليهما القبة وكان مع الحارث تبيع من بني محارب يقال له خراش فلما هدأت العيون اخرج الحارث ناقته وقال لخراش كن لي بمكان كذا فان طلع كوكب الصبح ولم آتك فانظر ايّ البلاد احب اليك فاعمد لها وأتى الحارث قبة

خالد فهتك شرجها ثم ولجها وقال لعروة اسكت فلا بأس عليك واني خالد وهو نائم فقتله ونادى عروة عند ذلك واجوار الملك واقبل اليه الناس وسمع المتاف الاسود وعنده امرأة من بني عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وصرخت وفي ذلك يقول عبد الله بن جعدة

شقت عليك العامرية جيبها   أسفاً وما تبكي عليك خلالا
يا حار لو نبهته لوجدته   لا طائشاً رعشاً ولا معزالا
واغرورقت عيناي لما ابصرت   بالجعفري واسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتكم   ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رأيتم عارضاً متلبباً   منا فاننا لا نحاول مالا

وهرب الحارث ونبت به البلاد فلجأ الى معبد بن زرارة وقد هلك زرارة فأجاره فقالت بنو تميم مالك آويت هذا المشؤوم الأنكد واغريت بنا الاسود وخذلوه غير بني ماوية وبني عبد الله ابن داوود وبلغ الاخوص بن جعفر بن كلاب مكان الحارث بن ظالم عند معبد فاغزا معبداً فالتقوا (برحرحان) فانهزمت بنو تميم وأسر معبد أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب فوفد لقيط بن زرارة عليهم في فدائه فقال لها لكما عندي مائتا بعير فقالا يا ابا نهشل انت سيد الناس واخوك سيد مضر فلا نقبل فيه الاّ دية ملك فأبى ان يزيدهم وقال ان اباناا وصانا ان لا نزيد احداً في ديته على مائتي بعير فقال معبد للقيط لا تدعني يا لقيط فوالله ان تركتني لا تراني بعدها ابداً قال صبراً ابا القعقاع اين وصاة ابينا ان لا توكلوا العرب انفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذوئب بكم ذؤبان العرب ورحل لقيط عن القوم قال فمنعوا معبدا الماء وضاروه حتى مات هزالاً وقيل أبى معبد ان يطعم شيئاً أو يشرب حتى مات وفي ذلك يقول عامر ابن الطفيل

قضينا الحزن من عبس وكانت   منيّة معبد فينا هزالا

وقال جرير

وليلة وادي رحرحان فررتم   فراراً ولم تلووا زفيف النعائم
تركتم ابا القعقاع في الغلّ مصفداً   واي اخ لم يسلموا في الأداهم

وقال آخر

وبرحرحان غداة كبل معبد   نكحوا بناتكم بغير مهور

وَكِسْرَى . هُوَ كُرَةُ الأَرْضِ قَامَ بِهَا الرَّجُلُ فَكَسَبَهَا فِي

(يوم جبلة) كان بين عبس وذبيان وهو اعظم ايام العرب وذلك انه لما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر والب عليهم وبين ايام رحرحان ويوم جبلة سنة كاملة وكان يوم جبلة قبل الاسلام باربعين سنة وهو عام ولد النبيّ صلى الله عليه وسلم وكانت بنو عبس يومئذ في بني عامر حلفاء لهم فاستعدى لقيط بني ذبيان لعداوتهم لبني عبس من اجل حرب داحس والغبراء فاجابته غطفان كلها غير بني بدر وتجمعت لهم تميم كلها غير بني سعد وخرجت معه بنو اسد لحلف كان بينهم وبين غطفان حتى اتى لقيط الجون الكلبيّ وهو ملك حجر وكان يجبي من بها من العرب فقال له هل لك في قوم عادين قد ملؤا الارض نعما وشاء فترسل معي ابنيك فما اصبنا من من مال وسبي فلهما وما اصبنا من دم فلي فاجابه الجون الى ذلك وجعل له موعداً رأس الحول ثم اتى لقيط النعمان بن المنذر فاستنجده واطمعه في الغنائم فاجابه وكان لقيط وجيهاً عند الملوك فلما كان على قرن الحول من يوم رحرحان انهلت الجيوش الى لقيط واقبل سنان بن ابي حارثة في غطفان وهو والد سنان بن هرم الجواد وجاءت بنو اسد وارسل الجون ابنيه معاوية وعمرا وارسل النعمان اخاه لامه حسان بن وبرة الكلبي فلما توافوا خرجوا الى بني عامر وقد انذروا بهم وتأهبوا لهم فقال الاحوص بن جعفر وهو يومئذ رحا هوازن لقيس بن زهير ما ترى فانك تزعم انه لم يعرض امران الا وجدت في احدهما الفرج فقال قيس بن زهير الرأي ان نرتحل بالعيال والاموال حتى ندخل شعب جبلة فنقاتل القوم دونها من وجه واحد فانهم داخلون عليك الشعب وان لقيطا رجل فيه طيش فسيقتحم عليك الجبل فأرى لك ان تأمر بالابل فلا ترعى ولا تسقى وتعقل ثم نجعل الزراري وراء ظهورنا ونأمر الرجال فتاخذ باذناب الابل فاذا دخلوا علينا الشعب حلت الرجالة عُقُل الابل ثم لزمت أذنابها فانها تنحدر عليهم وتحنّ الى مرعاها ووردها ولا يرد وجوهها شيء وتخرج الفرسان اثر الرجالة الذين خلف الابل فانها تحطم ما لقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطوا من عل . فقال الاحوص نعم ما رأيت واخذ برأيه ومع بني عامر يومئذ بنو عبس وغنى في بني كلاب وباهلة في بني صعب والابناء ابناء صعصعة وكان رهط المعقر البارقي يومئذ في بني تميم بن عامر وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس . واقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بني عامر قد دخلوا الشعب فنزلوا على فم الشعب فقال لهم رجل من بني أسد خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويخرجوا فوالله ليتساقطن عليكم تساقط البعر من است البعير فأتوا حتى دخلوا الشعب عليهم وقد عقلوا الابل وعطشوها ثلاثة اخماس وذلك اثنتا عشرة ليلة ولم تطعم شيئاً فلما دخلوا حلوا عقلها

سَاعَةٍ وَخَسِرَهَا فِي أُخْرَى [١]

***

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ (أُسْتِرْلِيزَ) [٢] وَقَدْ خَرَجَ لِقِتَالِهِ الْقَيْصَرَانِ. فِي يَوْمٍ أَرُونَانٍ. (فَصَابَتْ بِقُرٍّ) [٣] (وَمَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ) [٤]. فَاصْطَفَّتْ حِيَالَهُ الرُّوسُ.

فاقبلت تهوي فسمع القوم دويها في الشعب فظنوا ان الشعب قد هدم عليهم والرجالة في اثرها أخذين باذنابها فدقت كلما لقيت وفيها بعير اعور يتلوه غلام اعسر آخذ بذنبه وهو يرتجز و يقول

انا الغلام الأعسر. الخير في والشر. والشر مني اكثر

فانهزمو الايلوون على احد وقتل لقيط بن زرارة واسر حاجب بن زرارة واسره ذو الرقيبة واسر سنان بن ابي حارثة المرّي اسره عروة الرجال فجز ناصيته واطلقه فلم تشنه واسر عمرو بن عومن وقتل معاوية بن الجون ومنقذ بن طريق ومالك بن نهشل وقالت دختنوس اخت لقيط ترثيه

فرت بنو اسد فرار الطير عن اربابها
عن خير خندف كلها من كهلها وشبابها
وأتمها حسبا اذا ضمت الى احسابها

(١) قيصر لقب كل ملك من ملوك الروم واشهرهم يوليوس. وكسرى اسم كل ملك من ملوك الفرس واشهرهم انو شروان. قامره اي راهنه ولاعبه في القمار

(٢) (استرليز) هي قرية قهر بجوارها نابليون جيوش الروس والنمساويين في اليوم الثاني من شهر دسمبر سنة ١٨٠٥ وهي اشهر وقائعه وقد حضرها قيصر الروس والنمسا وقد صور هذه الموقعة صورة جميلة المصور جيرارد وتوجد في متحف فرساي في فرنسا ومنها نقل المؤلف وصفه لها في هذه الرسالة الارونان الصعب الشديد

(٣) فصابت بقر هذا مثل عربي. أي نزل الامر في قراره فلا يستطاع له تحويل وصابت من الصوب وهو النزول والقر القرار يضرب عند شدة تصيبهم أي صارت الشدة في قرارها ويرى وقعت بقر قال عديّ بن زيد

ترجيها وقد وقعت بقر كما ترجو اصاغرها عتيب

(٤) وما يوم حليمة بسر هذا مثل عربي يضرب لكل أمر متعالم مشهور وحليمة هذه

كَالسُّطُورِ في الطُّرُوسِ ٠ وَثَبَتُوا في الْأَخَادِيدِ ٠ كَالْجَلَامِيدِ ٠ وَابْذَعَرُّوا في السُّهُولِ ٠ كَالْوُعُولِ ٠ وَأَقْبَلَ النِّمْسَاوِيُّونَ في كَتِيبَةٍ جَأْوَاءَ ٠ وَمُلَمْلَمَةٍ شَهْلَاءَ ٠ يَنْزِلُ أُولَاهَا وَلَيْسَ بِنَازِلٍ ٠ وَيَرْحَلُ أُخْرَاهَا وَلَيْسَ بِرَاحِلٍ ٠ فَقَابَلَهُمْ مِنْ جَيْشٍ

هي بنت الحارث بن ابي شمر وكان ابوها وجه جيشاً الى المنذر بن ماء السماء فاخرجت لهم طيباً من مركن فطيبتهم قال المبرد هو اشهر ايام العرب يقال ارتفع في هذا اليوم من العجاج ما غطى عين الشمس حتى ظهرت الكواكب وقال عبد الرحمن بن المفضل عن ابيه انه لما غزا المنذر بن ماء السماء غزاته التي قتل فيها وكان الحارث بن جبلة الاكبر ملك غسان يخاف وكان في جيش المنذر رجل من بني حنيفة يقال شمر ابن عمرو وكانت امه من غسان فخرج يتوصل بجيش المنذر يريد ان يلحق بالحارث فلما تدانوا سار حتى لحق بالحارث فقال اتاك مالا تطيق فلما رأى ذلك الحارث ندب من اصحابه مائة رجل اختارهم رجلاً رجلاً فقال انطلقوا الى عسكر المنذر فاخبروه انا ندين له ونعطيه حاجته فاذا رأيتم منه غرّة فاحملوا عليه ثم امر ابنته حليمة فاخرجت لهم مركنا فيه خلوق فقال خلقيهم فخرجت اليهم وهي من اجمل ما يكون من النساء فجعلت تخلقهم حتى مرَّ عليها فتى منهم يقال له لبيد بن عمرو فذهبت لتخلقه فلما دنت منه قبلها فلطمته وبكت وأتت اباها فاخبرته الخبر فقال لها ويلك اسكتي فهو ارجاهم عندي ذكاء فؤاد ومضى القوم ومعهم شمر بن عمرو الحنفي حتى اتوا المنذر فقالوا له اتيناك من عند صاحبنا وهو يدين لك ويعطيك حاجتك فتباشر اهل عسكر المنذر بذلك وغفلوا بعض غفلة فحملوا على المنذر فقتلوه فقيل ليس يوم حليمة بسر فذهبت مثلاً

(المعنى) يقول انه انتصر في يوم استرليز انتصاراً باهرًا طار ذكره في الامم الفرنجية كما طار ذكر يوم حليمة في الامم العربية ايام الجاهلية

(١) الحيال حيال الشيء قبالته يقال قعد حياله وبحياله اي ازائه • الاخاديد جمع اخدود وهي الحفرة المستطيلة في الارض قال الشاعر

ركبن من فلج طريقاً ذا قحم ضاحي الاخاديد اذا الليل ادلهم

الجلاميد والجلمد والجلمود الصخر • ابذعروا تفرقوا • السهول جمع سهل وهو ضد الحزن • الوعول جمع وعل وهو تيس الجبل

(٢) الكتيبة الجيش • جأواء اي كدراء اللون في حمرة وهو صداء الحديد • الململمة

الفَرَنْسِيسِ • بالدَّهْياءِ الدَّرْدَبِيسِ • دَوْسَرٌ بسطَ جَناحيْهِ على الشِّعابِ • كما بَسَطَتْ جَناحيها العُقابُ[١] • فلا نَرى ثمةَ إلاّ أعلاماً تخفقُ • وحديداً يبرُقُ • وجنوداً في المَاذِيّ كأنّها صخورٌ في ماءٍ • أوْ أفاعي عَرْماءُ • أوْ أُسودٌ والسيوفُ أنيابٌ • أوْ عقاربُ شائلاتُ الأذنابِ[٢] • ثمَّ حمَّ القتالُ • وزلْزلَ الزلزالُ • واتّقدَ الوَهجُ •

الكتيبة المجتمعة • الشهلاء أي الكتيبة المشعلة بكسر العين المتفرقة

الدهياء الداهية من شدائد الدهر قال الشاعر

اخو محافظة اذا نزلت به   دهياء داهية من الازم

الدردبيس الداهية قال جرير الكاهلي

ولو جربتني في ذاك يوماً   رضيت وقلت انت الدردبيس

(١) دوسر اي جيش واصلها كتيبة كانت للنعمان بن المنذر ملك العراق وهي اشد كتائبه بطشاً حتى قيل المثل (ابطش من دوسر) وكانت له خمس كتائب وهي الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب ودوسر • اما الرهائن فانهم كانوا خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجي بدلهم خمسمائة اخرى وينصرف اولئك الى احيائهم فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره • واما الصنائع فبنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبة وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه • واما الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب وكانوا ايضاً يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم الف رجل وينصرف اولئك • واما الاشاهب فاخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم وسموا الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه • واما دوسر فانها كانت احسن كتائبه واشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة وسميت دوسرا اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها قال الشاعر

ضربت دوسر فيهم ضربة   اثبتت اوتاد ملك فاستقر

وكان ملك العرب عند راس كل سنة وذلك ايام الربيع يأتيه وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد صير لهم اكلا عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون عنده شهراً ويأخذون آكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم • الشعاب النواحي

(٢) الماذي الدرع اللينة السهلة والسلاح كله • العرماء الحية الرقشاء • شائلات رافعات

وَسَطَعَ الرَّهَجُ . فَكَأَنَّمَا تَرَى جَانًا مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . أَوْ إِعْصَارًا يَدُورُ فَوْقَ إِعْصَارٍ ١ . وَكَأَنَّمَا مَدِينَةٌ فِي حَرِيقٍ . وَسَمَاءٌ تَهْطِلُ بِرَحِيقٍ ٢ . وَكَأَنَّمَا فُكَّتِ الشَّيَاطِينَ . وَانْسَابَتِ الثَّعَابِينُ ٣ . وَكَأَنَّمَا فِي قَلْبِ الْأَرْضِ وَهَلٌ . وَعَلَى خَدِّهَا مِنَ الدِّمَاءِ خَجَلٌ ٤ . وَكَأَنَّمَا فِي الْجَوِّ مِنَ الدُّخَانِ وَالنَّارِ . لَيْلٌ وَشُرُوقٌ . وَمِنَ

(المعنى) شبه الجنود تحت رقرقة الدروع بالصخور في الماء وشبههم تحت الوان الحديد بالافاعي المرقطة

(٢) حم القتال اتقد . الوهج اتقاد النار والشمس . الرهج بالتحريك الغبار أو ما اثير منه . المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وفي القرآن (وخلق الجان من مارج من نار) اي من نار بلا دخان . الاعصار ريح ترتفع بتراب بين السماء والارض وتستدير كأنها عامود ومنهُ (ان كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا) مثل يضرب للمدل بنفسه اذا صلي بنار من هو ادهى منه واشد

(١) الرحيق الخمر
(المعنى) يقول ان الدم كثر انصبابه على الارض حتى كأن السماء امطرت الأرض رحيقًا أحمر

(٢) انساب مشى مسرعًا .
(المعنى) يشير الى القصة المشهورة في انفكاك الشياطين من التسخير بعد موت سليمان عليه السلام وقد اشار الكتاب الكريم الى شيءٍ من ذلك في قوله تعالى (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ . فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)

(٣) الوهل الفزع
(المعنى) يقول قد رجفت الارض بالمقاتلة حتى كأن ذلك الرجفان خفقان قلبها من

الرَّصَاصِ وَالشِّفَارِ (١) • وَبْلٌ وَبُرُوقٌ • وَكَأَنَّمَا كُسِرَتْ قُبَّةُ السَّمَاءِ • فَهَوَتْ بِمَا فِيهَا مِنْ نُورٍ وَظَلْمَاءِ (٢) • وَكَأَنَّمَا كُلُّ صَفٍّ مِنَ الْجُنُودِ يَمِيلُ بِحَائِطٍ مِنْ جَهَنَّمَ • فَيَلْقَاهُ الْآخَرُ مِنَ الْحَدِيدِ بِلُجٍّ مِنْ يَمٍّ • فَمَا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَنْطَفِئَ (٣) • وَبَيْنَ ذَلِكَ خُيُولٌ تَكَدَّسُ • وَسِلَاحٌ يُضَرَّسُ • وَجَمَاجِمُ تَفَلَّقُ • وَأَشْلَاءٌ تَفَرَّقُ • وَمَنَا وَمَنُونٌ • وَطَعْنٌ كَأَنَّهُ طَاعُونٌ • وَشَهِيقٌ وَزَفِيرٌ • وَعِيرٌ وَنَفِيرٌ (٤) • وَصَرْعَى كَأَنَّمَا غَالَتْهُمْ

الخوف من هول ذلك اليوم وان حمرة الدم على خدها كانها حمرة الخجل مما يفعله الانسان بالانسان من بنيها

(١) الشفار جمع شفرة وهي حد السيف • الوبل المطر الشديد

(المعنى) شبه سقوط الرصاص بسقوط حبات المطر

(٢) (المعنى) يقول انه لاختلاط ضوء النور المنبعث من فوهات المدافع والبنادق بدخانها كأن قبة السماء انكسرت وسقط ما فيها من نور وظلمة

(٣) اليم البحر • ينكفئ ينكب

(المعنى) يقول ان الكتيبة اذا مالت على اختها فكانما تميل عليها من مقذوفاتها النارية بحائط من جهنم فتقابلها الثانية من دروعها وصفاح صوارمها المائية اللون بلج من يم فما تندفع حتى تخمد

(٤) تكدس تركب بعضها بعضا تضرس تكلّ • الجماجم جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ • تفلق تشقق • أشلاء الأنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق • المنا الموت • المنون المنية مؤنثة وتكون مفرداً وجمعاً • الطاعون الوباء والجمع طواعين ومن نوادر الطاعون أن الأصمعي قال رأيت رجلاً قاعداً على قصر أوس في الطاعون يعد الموتى في كوز فعد في أول يوم عشرين ومائة ألف فلما كان في اليوم الثاني عدّ خمسين ومائة الف فمرّ قوم بينهم وهو يعد فلما رجعوا اذاً عند الكوز غيره فسالوا عنه فقال لهم هو في الكوز • الشهيق تردد البكاء في الصدر • الزفير ادخال النفس • العير القافلة والنفير قيام عامة الناس لقتال العدوّ ويقال لمن لا يصلح لمهم لا في العير ولا في النفير وأول من قال ذلك أبو سفيان بن حرب وذلك أنه أقبل بعير قريش وكان

الْـكُؤُوسُ . وَوَادٍ يَسِيلُ عَلَى الْعَالَمِينَ فَقَاقِيعهُ الرُّؤُوسُ(١) . وَمَقْلَةٌ فِي مِخْلَبِ طَائِرٍ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحين انصرافها من الشام فندب المسلمين للخروج معه واقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً فقال لمجدي بن عمرو هل أحسست من أحد من أصحاب محمد فقال ما رأيت من أحد أنكره الا راكبين أتيا هذا المكان وأشار له الى مكان عدي و بسبس عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ أبو سفيان أبعاراً من أبعار بعيريهما ففتها فاذا فيها نوي فقال علائف يثرب هذه عيون محمد فضرب وجوه عيره فساحل بها وترك بدراً يساراً وقد كان بعث الى قريش حين فصل من الشام يخبرهم بما يخافه من النبي صلى الله عليه وسلم فاقبلت قريش من مكة فارسل اليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع فابت قريش ان ترجع ورجعت بنو زهرة من ثنية أجدى عدلوا الى الساحل منصرفين الى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير قالوا أنت ارسلت الى قريش أن ترجع ومضت قريش الى بدر فواقعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاظفره الله تعالى بهم ولم يشهد بدراً من المشركين من بني زهرة أحد . وروى ان عبدالله بن يزيد بن معاوية أتى اخاه خالد افقال يا أخي لقد هممت اليوم أن افتك بالوليد بن عبد الملك فقال والله بئسما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال ان خيلي مرّت بهِ فتعبث بها واصغرها واصغرني فقال خالد انا اكفيكه فدخل خالد الى عبد الملك والوليد عنده فقال يا امير المؤمنين ان الوليد مرّت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية فتعبث بها واصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة) الى آخر الآية فقال خالد (واذا أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها) إلى آخر الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني والله لقد دخل عليّ فما اقام لسانه لحنًا فقال خالد افعلى الوليد تعوّل فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان اخاه سليمان لا فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان اخاه خالداً لا فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا امير المؤمنين ثم اقبل عليه فقال ويحك من في العير والنفير غيري وجدّي ابو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان قلنا صدقت . عنى بذلك طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم الى الطائف الى مكان يدعى غنيمات وكان يأوي الى حبيلة وهي الكرمة وقوله رحم الله عثمان لردّه اياه

(١) الصرعي جمع صريع وهو المطروح على الارض • غالب قاهر • الفقاقيع جمع فقاعة

وَكَبِدٌ في رِجْلِ عاثِرٍ وَبَنانٌ في نابِ وَحْشٍ كاسِرٍ [١]

كَمْ رَأْسِ شَخْصٍ بَكَى مِنْ غَيْرِ مُقْلَتِهِ
دَمًا وتَحْسَبُهُ بالْقاعِ مُبْتَسِما [٢]

هذا ونابليونُ قدْ أَشْرَفَ على الْمَرْقَبِ . فوقَ نَهْدٍ سَلْهَبٍ . ثَبْتٌ في الْمَعْمَعانِ . كأنَّهُ خِنْذِيذَةٌ مِنْ كَتِفَيْ ثَهْلانَ [٣] . لا تَهُولُهُ كَثْرَةُ الْبُهَمِ . ولا جُمُوعُ الْأُمَمِ . كأنَّ جُنْدَهُ قَليلٌ مِنْ ضَرَمٍ . في كَثيرٍ مِنْ فَحَمٍ [٤] . يُقَلِّبُ عَيْنَهُ يَمْنَةً وشَامَةً . وَيُخْبِرُ إِخْبارَ زَرْقاءِ الْيَمامَةِ . فتَطْوَى الْجُنودُ لِأَمْرِهِ وتَنْشُرُ . وتُقَدِّمُ وتُؤَخِّرُ [٥] . كأنَّهُ

وهي نفاخة الماء

(المعنى) يقول كان الموتى في الدماء سكارى قد طرحوا بين اقداح ودنان مصبوبة وكان الرؤوس السائرة يحملها اتي الدم السائل فقاقيع على ماء نهر جار

(١) المقلة العين • المخلب ظفر كل سبع من الماشي والطائر • العاثر المنكب الساقط • الكاسر الذي يكسر ما يصيده

(٢) القاع ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والا كام والجمع اقواع واقوع وقيع وقيعان وقيعة

(المعنى) يقول كان الجروح في جسم المقتول منهم عيون تبكي بالدم وكأن القتيل وقد فتح الموت فاه باسماً وليس بباسم

(٣) المرقب والمرقبة الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب والجمع مراقب النهد الفرس الحسن الجميل الجسيم اللحيم المشرف . السلهب الجواد الطويل على وجه الارض والجمع السلاهبة المعمعان شدة الحر والبرد • الخنذيذة رأس الجبل المشرف • ثهلان جبل معروف

(٤) البهم جمع بهمة وهو الشجاع الذي يستبهم على اقرانه مأتاه • الضرم النار

(المعنى) يقول كما ان قليل النار يكفي لكثير الفحم فكذلك كان نابليون لا تهوله الكثرة مع شجاعة جنده

(٥) اليمنة جهة اليمين • الشامة بالفتح اليمنة — زرقاء اليمامة يضرب بها المثل في حدة بصرها فيقال ابصر من زرقاء اليمامة واليمامة اسمها وبها سمي البلد وهي امرأة من جديس

فِي هٰذَا الهَرْجِ وَالمَرْجِ · أَمَامَ رُقْعَةٍ مِنَ الشِّطْرَنْجِ[١] · إِلَى ان يَبْدُو لَهُ النَّصْرُ مِنْ

كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم الى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم فجهز اليهم جيشاً فلما صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت الى الجيش وقد امروا ان يحمل كل رجل منهم شجرة يستتروا بها ليلبسوا عليها فقالت يا قوم قد اتتكم الشجر او اتتكم حمير فلم يصدقوها فقالت على مثال رجز

أقسم بالله لقد دب الشجر أو حمير قد أخذت شيئاً يجر

فلم يصدقوها فقالت

أحلف بالله لقد أرى رجل ينهش كتفاً أو يخصف النعل

فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم فأخذ الزرقاء فشق عينيها فاذا فيهما عروق سود من الاثمد وكانت اول من اكتحل بالاثمد من العرب وهي التي ذكرها النابغة في قوله

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد

تطوي ضذ تنشر · تنشر تبسط

وقد اتينا بهذه الحكاية على علاتها كما وردت في كتب التاريخ ولا يخفى ما فيها من الشيء الذي لا يتصوره العقل

(١) الهرج القتال والاختلاط · المرج محركة القلق والاختلاط وانما يسكن مع الهرج مزاوجة تقول العرب بينهم هرْجٌ ومرْجٌ اي اختلاط وفتنة · الرُّقعة اللوح الذي تصف عليه ادوات الشطرنج · الشطرنج ولا يفتح أوله لعبة مشهورة والسين لغة فيه وممن كان يجيد اللعب بالشطرنج المأمون · والفضل بن يحيى · والصولي · وابو مسلم الخراساني · وزيرب · وجابر الكوفي · وعبد الغفار الانصاري · وكان هؤلاء من الاساتذة المتقدمين فيه وكانوا يلعبون في حضرة المأمون وكانوا يتوقرون بين يديه فأمرهم بترك ذلك وان يقولوا ما يقولون اذا خلوا ومن المجيدين فيه ايضاً ابو القاسم التوزي الشطرنجي وكان يلعب الشطرنج غيباً غير ناظر اليه وفيه يقول ابن الرومي

يا اخي يا اخا الدماثة والرقة والظرف والحجى والدهاء
أترى الضربة التي هي غيب خلف خمسين ضربة في وحاء
ثاقب الرأي نافذ الفكر فيها غير ذي فترة ولا ابطاء
ويلاقيك سبعة فيظلون على ظهر آلة حدباء
تهزم الجمع اوحديا وتلوي بالصناديد ايما الواء

خَلَلِ الْقَتَامِ . كَمَا تَلُوحُ الشَّمْسُ مِنْ تَحْتِ الْغَمَامِ ١

***

وتحط الرخاخ بعد الفرازين فتزداد شدة استعلاء
ربما هالني وحير عقلي أخذك اللاعبين بالبأساء
ورضاهم هناك بالنصف والربع وأدنى رضاك في الأرباء
واحتراس الدهاة منك واعصافك بالأقوياء والضعفاء
عن تدابيرك اللطاف اللواتي هن اخفى من مستسر الهباء
بل من السر في ضمير محب أدبته عقوبة الافشاء
فأخال الذي تدير على القوم حروبا دوائر الارحاء
واظن افتراسك القرن فالقرن منايا وشيكة الإرداء
وأرى أن رقعة الأدم الاحمر أرضا عللتها بدماء
غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بأنفس اللعباء
لك مكر يدب في القوم أخفى من دبيب الغناء في الاعضاء
أو دبيب الملال في مستهامين الى غاية من البغضاء
أو مسير القضاء في ظلم الغيب الى من يريده بالتواء
تقتل الشاه حيث شئت من الرقعة صبا بالقتلة النكراء
غير ما ناظر بعينيك في الدست ولا مقبل على الرسلاء
بل تراها وانت مستدبر الظهر بقلب مصور من ذكاء
ما رأينا سواك قرنا يولي وهو يردي فوارس الهيجاء
رب قوم رأوك ريعوا فقالوا هل تكون العيون في الاقفاء
تقراء الدست ظاهرا فتؤديه جميعا كأحفظ القراء

وقال بعضهم الشطرنج معتزلي والنرد مجبر وذلك ان اللاعب بالشطرنج موكول الى اختياره واللاعب بالنرد مجبر على ما يخرج منه

(١) الخلل منفرج ما بين الشيئين . القتام الغبار والدخان — هذا وقد قرأنا في مجلة المقتطف في عددها الصادر في شهر يناير سنة ١٩٠٠ ميلادية قصيدة لفكتور هوجو أشعر شعراء

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ جَارَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ الْجَائِرُ . وَدَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ . وَأَمْسَى جَيْشُهُ الَّذِي قَهَرَ الْأَرْضَ وَهُوَ مَقْهُورٌ . كَآنِيَةِ الزُّجَاجِ قَابَلَتْ غَيْرَهَا فَالْكُلُّ كَاسِرٌ مَكْسُورٌ . وَانْتَهَى بِهِ السَّيْرُ . مِنْ خَيْرٍ إِلَى ضَيْرٍ . كَمَا يَصِيرُ الْهِلَالُ

الفرنسيس اسمها (واترلوا) يصف بها موقعة واترلو الشهيرة التي وقعت بين نابليون وملوك أوربا و يصف فيها نابليون واقدامه وقد عربها بعض الادباء فاردنا أن نجيء بها هنا لنبين فضل الشاعر العربي صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكري على الشاعر الفرنجي في الاقتدار على وصف الموقعة وهي (لقد وقع في هذا السهل موقعة كبرى خالط الموت فيها الجيوش فماجت به كما يموج الماء في حوض مفعم وكانت فرنسا في ناحية واوُربا تقاتلها في ناحية فخاب ثمة امل الشجعان وحقت عليه الواقعة . ابكي على هذه الموقعة وحق لي البكاء اذ هؤلاء الشجعان كانوا خيرة الرجال وقد فتحوا فتحوا الارض ودوخوها وطردوا عشرين ملكاً وجازوا جبال الألب ونهر الرين . وقد كانوا الي المساء هاجمين ومنتصرين ومضايقين لولنجتون القائد الانكليزي اذ حازوه الى الغابة وكان نابليون والنظارة في يده يقلب نظره تارة في وسط الجيش اذ يراه كانه حصيد وتارة يتأمل الافق كانه البحر في ظلامه و بينما كان يؤمل مقدم الجرنال جروش لنجدته اذ رأى قدوم الجرنال بلوخر عدوه فانقطع الرجاء وتغير الامر في الحرب واخذت المدافع الانكليزية تحصد مربعات الفرنسيس واصبح السهل بما فيه من الدماء والقتل المستحر كفوهة متقدة تسقط فيها الفيالق كانها قطع من حائط فلما رأى ذلك نابليون وادرك الخطر بحذقه العجيب وحسن نظره امر جيش الحرس وهو اعظم فيالق الجيش الفرنسوي وعلى رؤوسهم الخوذ اللامعة بالتقدم فحيوا مليكهم وتقدموا للموت باسمين على انغام الموسيقي فلم يلبث نابليون حتي نظر الى هؤلاء الابطال وقد التحموا في الموقعة وصاروا يتساقطون في تلك الفوهة المحرقة صابرين فريقاً بعد فريق حتى لم يبق منهم احد وعندها انقطع الرجاء وامر جنوده بالتقهقر فانهزم هذا الجند الذي طالما هزم العالم باسره قبل)

(١) دارت عليه الدوائر اي نزلت به الدواهي

(المعنى) يقول كما ان آنية الزجاج اذا اصطدم بعضها في بعض كسر الكاسر المكسور فكذا كان حال جند نابليون بعد ان اصطدم مع اعداه في وقائع عديدة ولقد قالت حرقة بنت النعمان

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب حالات بنا وتصرف

بسيرِهِ بدْرًا · ويمحقُ بهِ تارةً أُخرى[١] · وزال ما لكهُ الضخمُ · فغاب مغيب الشمسِ في أُفُقٍ مِنْ دمٍ[٢] · وأصبح ولا دوْلة · ولا بأْس ولا صوْلة · كصنمِ الجاهليةِ · في الملّةِ الإسلاميةِ · كان بالأمسِ ربًّا · فأصبح حجرًا صلْبًا[٣] · وإذا هو

وقال الحسين بن مطير الأسدي

وقد تخدع الدنيا فيمسي غنيها ... فقيرًا و يغني بعد بؤس فقيرها

فلا تقرب الامر الحرام فانهُ ... حلاوتهُ تفنى و يبقى مريرها

فكم قد رأينا من تكدر عيشة ... وأخرى صفا بعدما كدرار غديرها

وكم طامع في حاجة لا ينالها ... وكم آيس منها أتاهُ بشيرها

(١) الضمير الضمر · يمحق البدر محا فاذا استسر فلا يرى غدوة ولا عشية وقيل المحاق ثلاث ليال من آخره ويسمى محاقًا لأنه طلع مع الشمس فمحقته

(المعنى) يقول وان سير نابوليون للحروب ومقاتلة الامم بعد ان كان يؤدي به للكمال كسير القمر الى ان يصير بدرًا أدى به اخيرًا الى النقص كما يؤدي سيره الى المحاق فقد كان سيره لمقاتلة الروس سبب كل بؤس وبعدها توالت عليه الهزائم

(٢) الضخم العظيم من كل شيء

(المعنى) يقول فكما ان الشمس عند الغروب تغيب في الشفق الاحمر كأن تغوص في يمّ من دم كذلك انتهت دولته وغابت في بحر من دماء

(٣) البأْس الشدة والقوة · الصولة الوثبة · صنم الجاهلية الاصنام في الجاهلية كثيرة جدًّا ولنذكر منها هنا شيئًا فمنها الانصاب وهي حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها و يذبح لغير الله تعالى والكعبات بيت لربيعة كانوا يطوفون فيه والربّة كعبة لمذحج و بُسّ بيت لغطفان بناها ظالم ابن اسعد لما رأى قريشًا يطوفون بالكعبة و يسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت واخذ حجرًا من الصفا وحجرًا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتًا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزاء به عن الحج فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالمًا وهدم بناءه · وعبدة مرحب صنم كان بحضرموت والعبعب صنم و يغوث لمذحج والبجة والسبجة وسعد كان لبني ملكان وود وآزر و باجر صنم عبدته الازد وجهار كان لهوازن والدوّار والدار صنم سمي به عبد الدار ابو بطن وسعير والاقيصر وكثرى صنم لقديس وطسم كسره نهشل بن الرئيس

مُعْتَقَلٌ فِي جَزِيرَةٍ قَاصِيَةٍ ۰ وَصَخْرَةٍ عَارِيَةٍ ۰ كَأَنَّهُ قَسْوَرٌ نُقِلَ مِنْ بَيْدَاءٍ ۰ أَوْ غِيلٍ قَصْبَاءٍ ۰ إِلَى قُيُودٍ وَأَصْفَادٍ ۰ وَبَيْتٍ مِنْ صَنْعَةِ الْحَدَّادِ ۰ فَهُوَ فِيهِ يَدُورُ ۰ وَيَحُورُ

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ
فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلاً [١]

ولحق بالنبي فاسلم والضمار صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه ونسر كان لذي الكلاع بارض حمير والشمس صنم قديم وعميانس صنم خولان والفلس لطيء وجريس كان في الجاهلية والخلصة كان في بيت يدعي الكعبة اليمانية لخثعم وعوص لبكر بن وائل والشارق صنم في الجاهلية واليعل كان لقوم الياس وسواع صنم عبد في زمن نوح والكسعة والعوف وذي الكفين كان لدوس ومناف ويعوق صنم لقوم نوح أو كان رجلاً من صالحي زمانه فلما مات جزعوا عليه فأتاهم الشيطان في صورة انسان فقال امثله لكم في محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة اصناماً يعبدونها والاشهل صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحي من العرب وهُبَل صنم كان في الكعبة وياليل والبعيم والاسحم ونهم صنم لمزينة وبه سموا عبد نهم وعائم والضيزن والمدان والجبهة واللات لثقيف وذي الشرى لدوس والعزى ومناة والالاهة والطاغوت والزون والجبت

(المعنى) يقول كما ان الصنم كان يراه الجاهلي رباً يعبده ثم اصبح يراه المسلم حجرًا يكسره ولا قيمة له فكذلك صار نابليون بعد الهزيمة

(١) الجزيرة ارض في البحر ينفرج عنها ماء البحر فتبدو ۰ قاصية بعيدة ۰ العارية التي انحسر عنها النبات ۰ القسور الأسد ۰ البيداء الفلاة جمع بيد وبيداوات ۰ الغيل بالكسر الشجر الكثير الملتف ويفتح ۰ القصباء جماعة القصب قال سيبويه واحد وجمع وكذلك الحلفاء والطرفاء ۰ الاصفاد جمع صفد وهو الوثاق ۰ يحور حار يحور تحير ۰ الآس الطبيب والجمع أُساة وإساء — وهذه الجزيرة التي ذكرها السيد هي جزيرة (سنت هيلانة) في المحيط الاطلنطيقي بالجنوب الغربي من افريقيا ۰ اعتقل بها نابليون ومات فيها — وهذا البيت من قصيدة للمتنبي يصف بها الاسد ومطلعها

في الخد ان عزم الخليط رحيلا   مطر تزيد به الخدود محولا

تَارَةً يَبْسِمُ وَيَعْجَبُ · مِنْ دَهْرٍ يَكْسِرُ النَّبعَ بِالْغَرَبِ · وَيَصِيدُ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ ¹ · وَمَرَّةً يُطْرِقُ وَيَتَفَكَّرُ · وَيَفْتَحُ عَيْنَهُ فَيَرَى كَثِيرًا وَيُغْلِقُهَا فَيَرَى أَكْثَرَ ² · وَحِينًا يَحْنِي الرَّأْسَ · مِنَ الْيَأْسِ ³ · وَآوِنَةً تَبْعَثُهُ الْأَوْجَالُ · إِلَى الْآمَالِ · فَيَوَدُّ لَوْ قَامَ شِبْلٌ مِنْ نَسْلِهِ · أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهِ · فَاسْتَرْجَعَ مُلْكَهُ بَعْدَ الذَّهَابِ · وَحَفِظَ مِنْ نُورِ ذَلِكَ الْمَجْدِ بِقَدْرِ مَا يَحْفَظُ الْبَدْرُ نُورَ الشَّمْسِ بَعْدَ الْغِيَابِ ⁴ · وَهَيْهَاتَ أَنْ يَقُومَ

يانظرة نفت الرقاد وغادرت في حد قلبي ما حييت فلولا

ومنها في وصف الاسد

ورد اذا ورد البحيرة شاربًا ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان الاّ انه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقًا من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا

(١) النبع شجر صلب · الغرب شجر ضعيف · الصقر كل طائر يصيد من البزاة والشواهين · الخرب ذكر الحباري

(المعنى) يقول انه يعجب من دهر ان قلب ظهر المجن قهر الكبير بالصغير وأذل العزيز بالذليل

(٢) (المعنى) يقول انه اذا اغمض عينه رأى ببصيرته فوق ما يراه ببصره اذا فتحها فانه اذا اغمضها رأى كل ما مرّ عليه من العبر لا ما يراه امامه فقط

(٣) (المعنى) يقول انه حينًا يحني رأسه حزنًا على ما كان فيه من عزة الملك وأبهته ويجد اليأس الى نفسه طريقًا

(٤) الوجل محركة الخوف والجمع اوجال · الشبل ولد الاسد اذا ادرك الصيد — خلف نابليون ولدًا صغيرًا من ابنة امبراطور النمسا ولقب بنابليون الثاني ونشأ في حجر جده ملك النمسا وتوفي شابا في سنة ١٨٣٢ وترك نابليون الاول ابن اخ له يدعى نابليون الثالث انتخب رئيسًا للجمهورية ثم قلبها كعمه وصار امبراطورًا وحارب جرمانيا فقهر وعزل ومات سنة ١٨٧٣

الأَفِيلُ · بِعِبْءِ الْفِيلِ · أَوْ تَتَسَاوَى الْأَشْيَاءُ · إِذَا تَسَاوَتِ الْأَسْمَاءُ · أَيْنَ ذُبَابُ السَّيْفِ · مِنْ ذُبَابِ الصَّيْفِ · وَأَيْنَ السُّنْبُلَةُ الْخَضْرَاءُ · مِنْ سُنْبُلَةِ السَّمَاءِ ١ · وَقَدْ يَقِفُ بِقَامَتِهِ الْقَصِيرَةِ · عَلَى قُنَّةٍ مِنْ قُنَنِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ · يُرَوِّحُ الْفِكْرَ · فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ · وَإِذَا بِظِلِّهِ قَدْ طَالَ عَلَى لُجَجِهِ · وَامْتَدَّ بَعِيدًا عَلَى ثَبَجِهِ · فَيَرَى فِي قَامَتِهِ وَهٰذَا الْخَيَالِ · فَرْقَ مَا بَيْنَ حَالَتِهِ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْإِجْلَالِ ٢ · فَيَبْعُدُ مِنْ نَفْسِهِ الْأَمَلُ · وَيَقْرُبُ الْأَجَلُ ·

***

كَانَ هٰذَا جَمِيعُهُ يَدُورُ فِي فِكْرِي · وَيَتَمَثَّلُ لِنَظَرِي · وَأَنَا وَاقِفٌ إِزَاءَ

المعنى) يقول كما ان نور القمر هو في الحقيقة نور الشمس الاّ انه اضعف منه فكذلك كان يرجو ان يقوم واحد من آله فيحفظ من مجده ولو بقدر ما يحفظ القمر من نور الشمس في الكون و يؤديه للناس

(١) الافيل صغير الابل جمع افال وافائل · العبء الحمل والثقل من اي شيء كان · الفيل بالكسر حيوان عجيب من اعظم الحيوانات واضخمها وله خرطوم طويل يقوم مقام يد الانسان يرفع به العلف والماء الى فمه و يضرب ويجمع على افيال وفيول وفيلة · ذباب السيف طرفه الذي يضرب به · ذباب الصيف اصناف كثيرة وتجمع على اذبة وذبان وذب · السنبلة من الزرع معروفة والجمع سنابل وسنبلات · السنبلة برج في السماء

(المعنى) يقول وهيهات ذلك فليس كل واحد يسمى بنابليون يمكنه ان يفعل افعال ذلك الرجل الكبير فان اشتراك الاسماء لا تفيد تساوي المسميات فان الذباب يطلق على اشرف شيء وهو لسان السيف والفراش وهو الطائر المعروف وكذلك كان نابليون الثالث فانه اضاع من مجد فرنسا بقدر ما اكسبه عمه

(٢) القنة قلة الجبل وقيل الجبل السهل المستوي البسيط والجمع قنن وقنان وقنون وقنات · يروح ينعش و يطيب · الثبج معظم الشيء · ومنه ثبج البحر اى معظمه · القامة من الانسان شطاطه وقده ·

(المعنى) يقول انه اذا وقف على الماء رأى ظله طويلا عليه والظل يمتد بقدر الشخص مرارًا فكأن هذا الظل اطوله وامتداده هو ما كان فيه من العزّ الاول الذي اصبح الآن كالظل

قَبْرِهِ . أَتَأَمَّلُ فِي مُبْتَدَإِهِ وَخَبَرِهِ . فَيَتْرُكُ فِي قَلْبِي عِبْرَةً . وَفِي جَفْنِي عَبْرَة ١

لَوْ يَعْلَمُ الْقَبْرُ مَنْ أُتِيحَ لَهُ
لَانْحَفَرَ الْقَبْرُ غَيْرَ مُحْتَفِر ٢

مصر

أَدِيَارَ مَيَّ تَنْظُرُ
فَدُمُوعُ عَيْنِكَ تَمْطُرُ
أَمْ أَبْرَقَ الْعَلَمَيْنِ أَمْ
سَفْحَ اللِّوَى تَتَذَكَّرُ

الزائل وان قامته القصيرة هي حالته الحاضرة لضعفها وقلتها

(١) الازاء الحذاء . العبرة العظة يتعظ بها * العبرة الدمعة من العين

(٢) اتيح هيء وقدر * هذا البيت من قصيدة لعلي بن العباس بن الرومي وقد قالها في فتاة اسمها بستان ماتت عقيب حفلة غناء وهي قصيدة مطولة تأتي منها بقوله

يا غضة السن يا صغيرته ... امسيت احدى المصائب الكبر
اني اختصرت الطريق باسكني ... الى لقاء الاكفان والحفر
ابعد ما كنت باب مبتهج ... للنفس اصبحت باب معتبر
كل ذنوب الزمان مغتفر ... وذنبه فيك غير مغتفر

ومنها

لله ما ضمنت حفيرتها ... من حسن مرأى وطيب مختبر
اضحت من الساكني حفائرهم ... شكني الغوالي مداهن السرر
لو علم القبر من اتيح له ... لا نحفر القبر غير محتفر

أَمْ تَامَ قَلْبَكَ جُؤْذَرٌ
أَحْوَى الْمَدَامِعِ أَحْوَرُ
أَمْ هَبَّ مِنْ مِصْرٍ صَبَا
أَمْ طَارَ بَرْقٌ أَشْقَرُ
أَمْ قَدْ ذَكَرْتَ بِطَاحَهَا
وَهِيَ الْبِسَاطُ الْأَخْضَرُ
وَالنِّيلُ فِي لَبَّاتِهَا
عِقْدٌ يَلُوحُ مُجَوْهَرُ
وَالْجَوُّ صَحْوٌ مُشْرِقٌ
وَكَأَنَّمَا هُوَ مُمْطِرُ
وَالظِّلُّ مِنْ خَلَلِ الشُّمُو
سِ مُدَرْهَمٌ وَمُدَنَّرُ
فَكَأَنَّهُ جِلْدٌ مِنَ النِّمْـ
ـرِ الْمُرَقَّشِ يُنْشَرُ ١

---

(١) مي ومية من اسماء النساء · الابرق جمع برق وابارق غلظ فيه حجارة ورمل وطين · العلمان مثنى علم وهو الجبل او المنار في الطريق · السفح بالفتح عرض الجبل المضطجع · اللوي بالكسر ماالتوى من الرمل او مسترقه والجمع الواء والوية · تام عبّد وذلل · الجؤذر ولد البقرة الوحشية وتشبه به الحسان لجمال عينيه · الاحوى من به لون الحوّة وهي سواد الى الخضرة · الاحور من اشتدّ بياضُ بياض عينه وسوادُ سوادِها · الاشقر ما كان له لون الشقرة وهي في الانسان

وَغُصُونُهَا لُدْنٌ تَمِيـ
ـدُ بِمَا تُقِلُّ وَتُثْمِرُ
فَكَأَنَّهُنَّ وَلَائِدٌ
فِي حَلْيِهَا تَتَكَسَّرُ
هِيَ نَسْجُ وَشْيِ نِيلِهَا

حمرة صافية مع ميل بشرته الى البياض · البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى اللبات جمع لبة وهي المنحر · الجوّ الصحو المنقشع عنه الغيم · الخلل منفرج ما بين الشيئين المدنر الذي يخالطه شهبة · المدرهم الذي صار كالدراهم · النمر بفتح النون وكسر الميم ويجوز اسكان الميم مع فتح النون وكسرها ضرب من السباع فيه شبه من الاسد الاّ انه اصغر منه واخبث واجراء وهو منقط الجلد نقطاً سوداً وبيضاً · المرقش المنقط بسواد وبياض · ينشر يبسط · النيل هو نهر مصر المشهور ومن اكبر انهار الدنيا واعذبها ماءً واكثرها نفعاً ولقد اكثر الشعراء في وصف نيل مصر وخصوصاً في تدريج زيادته وعظم منفعته فمن ذلك قول الحسن بن محمد الوزير

اری ابداً كثيراً من قليل　　وبدراً في الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء　　بمصر مسبب لخليج مال

(المعنى) : يقول لم بكاؤك هل لكونك رأيت ديار الاحباب الخالية فذكرتهم ام تذكرت مواطنهم ومنازلهم فيشوقك ذلك ويبكيك ام عشقت حسناء فاتحبت لذلك ام شممت نسيم مصر فذكرت وطنك وآلك واحبابك ام خطر على ذهنك بطاحها الخضراء ام عنَّ في خاطرك جوّها الصافي المشرق واشجارها الناضرة وظلالها الساقطة من بين اغصانها على الارض فأشبهت الدنانير المنتثرة اوكأنها جلد النمر في رقشه ونقطه · هذا والبكاء على الديار امر معروف عند الشعراء قال بعض بني قشير

ولما تبينت المنازل باللوى　　ولم يقض لي تسليمة المتزوّد
زفرت اليها زفرة لو حشوتها　　سرابيل ابدان الحديد المسرّد
لفضت حواشيها وظلت بحرها　　تلين كما لانت لداود في اليد

فِيهِ الطِّرَازُ الأَحْمَرُ
هِيَ مِثْلُ لَوْحٍ صَوَّرَا الْ
فِرْدَوْسَ فِيهِ مُصَوِّرُ
يَا جَنَّةً يُجْنَى الْجَنَى
فِيهَا وَيَجْرِي الْكَوْثَرُ
أَنَا شَاعِرٌ فِي وَصْفِهَا
لَكِنَّهَا هِيَ أَشْعَرُ
أَنِّي بِمِصْرَ وَدُونَهَا
بَحْرٌ يَعِجُّ وَيَذْخَرُ ١
يَا سَائِرَ الْفُلْكِ الْمُسَخْ
خَرِ فِي خُضَارَةَ يَمْخَرُ
إِقْرَ التَّحِيَّةَ جِيرَةً

وقال الشريف الرضي

ولقد مررت على ديارهم　　وطلولها بيد البلا نهب
فبكيت حتى ضج من لغب　　نضوى وعج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت　　عني الطلول تلفت القلب

(١) الالدن جمع لدن وهو اللين من كل شيء · تميد تلين · تقل تحمل وترفع · الولائد مفردها وليدة وهي الصبية والأمة · تتكسر تتثنى · الوشي نقش الثوب و يكون من كل لون ونوع · الطراز علم الثوب • الفردوس اسم الجنة · الجنى ما يجنى من الشجرة ما دام غضاً والجمع اجناء · يعج يصيح و يرفع صوته · يذخر ذخر البحر طمى وتملأ · المسخر كل مقهور لا يملك لنفسه ما يخلصه

حَيْثُ الْـكَثِيبُ الأَعْفَرْ
فَالنِّيلُ فَالْهَرَمانِ مِنْ
غَرْبِيِّهِ فَالأَزْهَرْ
فَالرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ وَالْمِـ
قْيَاسُ فِيهَا يُشْبِرْ [١]

من القهر

(١) خضارة علم للبحر غير مصروف للعلمية والتانيث تقول هذا خضارة طاميا . يخر يشق الماء مع صوت . الجيرة مفردها جار وهو المجاور في السكن ومنها قوله

هم جيرة الاحياء اما جوارهم فدان واما الملتقى فبعيد

الكثيب هو التل من الرمل سمي به لأنه انكثب اي انصب في مكان فاجتمع فيه . الأعفر الرمل الاحمر . الهرمان هما ابنية قديمة ضخمة مرتفعة عظيمة الأسفل دقيقة الاعلى وقد اكثر الناس من التكلم عليها والتدوين فيها عربًا وعجما وذلك لفخامتها والتعجب منها والاهرام كثيرة في ارض مصر واشهرها الهرمان الموجودان بجانب الجيزة وهما من اعجب ما بنى البناة ممـا يدل على ان المصريين القدماء كانوا اعلم الامم قاطبة بفن العمارات وقد توالت عليهما السنين والاعوام وهما هما لم ينل منهما مرّ الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب ولقـد قال احـد الحكماء كل شيء يخشى عليه من الدهر الاّ الاهرام فان الدهر يخشي عليه منها . هذا وقد اكثر الشعراء في وصف الاهرام فمن ذلك قول المتنبي

اين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومـه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانهـا حينًا ويدركها الفناء فتتبـع

وقال بعضهم

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرًا على طول ما ابصرت من هرمي مصر
انافا عنـانًا للسماء واشرفا على الجوّ اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزًا من الارض عاليًا كأنهما نهدان قاما على صدر

فَالْقَصْرُ قَصْرُ الْمُلْكِ وَالْ

أَوْهَامُ عَنْهُ تَقْصُرُ

فِيهِ الْمَقَاصِيرُ الَّتِي

أَلْوَاحُهُنَّ الْمَرْمَرُ

الازهر. هو الجامع المشهور واول مسجد اسس بالقاهرة انشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى الامام ابي تميم معد الخليفة امير المؤمنين المعز لدين الله لما اختط القاهرة وكان الشروع في بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وقد وقف عليه كثير من الملوك والامراء املاكاً وغيرها ليصرف عليه من استغلالها ومن اول نشأته للآن وهو حافل بالعلماء والمدرسين وطلبة العلم من كل الاقطار الاسلامية وقد تخرج منه جماعة كثيرون من فطاحل العلم واساطين الاسلام. وكان عدد الموجودين فيه من الطلبة سنة ٣٧٨ هجرية (٣٥) رجلا من اولي الفضل والعلم فما زال تزداد الطلبة رغبة فيه الى سنة ١٣١٩ هجرية فبلغ عددهم (١٠٤٠٣) وبلغ عدد المدرسين فيه (٢٥٠) مدرساً ما بين حنفية وشافعية ومالكية وحنابلة وتقرأ فيه جميع علوم اللغة العربية وكافة علوم الديانة الاسلامية وبالجملة فهو اكبر مدرسة للديانة الاسلامية في العالم الاسلامي اجمع. الروضة هي جزيرة في وسط النيل وهي من احسن المواضع هواءً ومنظراً وماء النيل يضرب فيها من جميع الجهات وبسبب استحكامها وقربها من التخت تقلبت بين امرين فتارة كانت تجعل حصناً منيعاً وجعله معقلاً لماله وحرمه عند ما تحرك عليه موسى بن بغا يريد ابعاده عن عمل مصر وتارة تجعل متنزهاً وكان يسكنها الامراء والاعيان ولم تزل الى الآن عامرة بالدور الفاخرة والمباني العظيمة وبها الحدائق والبساتين. المقياس هو مقياس النيل الموجود الى الآن بجزيرة الروضة وينسب الى سليمان بن عبد الملك الاموي الذي تولى الخلافة سنة ٩٦ هجرية وفي السنة الاولى من خلافته وقع المقياس الذي كان بحلوان وكان العامل على خراج مصر حينئذ امامة بن يزيد الملقب بالتنوخي فكتب الى الخليفة يعلمه بالحادثة فصدر له امره بان لا يعيده ويبني مقياساً في الجزيرة الموجودة في وسط النيل بين الفسطاط والجزيرة فامتثل لامره واخذ في وضع الاساس في السنة

حيطانها الذهب الصقيـ
لُ وأرضهن العرعرُ
قد صوّر التاريخ في
أرجائهن مصوّرُ
فترى الوقائع منظرا
وكأنما هي مخبرُ
والجند تخطر في الحديـ
دِ فدارعون وحسّرُ
والخيل بين عجاجها
تخفى وحيناً تظهرُ
وتظن أحياءً به

التي وقع فيها مقياس حلوان واجتهد في بنائه فتم في سنة سبعة وتسعين هجرية واتفق موّرخو العرب على ان عمود المقياس الموجود الآن هو نفس العمود الذي وضعه امامة والذي يؤيد ذلك الكتابة الكوفية الموجودة عليه الى وقتنا هذا ومع ذلك قد وقع العمود مرارًا واعادوه في كل مرة في اوقات مختلفة وفي زمن الخليفة المامون حصل للمقياس خلل وذلك من تهاون العمال وتلاشي الاحوال بالديار المصرية فأمر الخليفة المامون بردّه الى اصله سنة تسع وتسعين ومائة من الهجرة وبعض موّرخي العرب ينسبون اليه مقياس الروضة والاصح هو ما قدمناه من نسبته الى الخليفة سليمان ابن عبد الملك . يشبر يقاس بالشبر

(١) القصر هو قصر الملك المسمى بعابدين وقد بناه الخديوي اسماعيل وهو كثير الزخرفة جميل الوضع حسن البنيان والتشييد وقد علقت في حيطان غرفه جملة رسوم تمثل وقائع تاريخية

فَتَمسُّ كَيْمَا تُخْبَرُ
قَدْ حَلَّهُ الْعَبَّاسُ يَـ
ـحْيِ فِي الْأَنَامِ وَيَأْمُرُ
فَكَأَنَّهُ عِرِّيسَــةٌ
وَبِهِ الْأَمِيرُ غَضَنْفَرُ
مَلِكٌ بِضَوْءِ جَبِينِهِ
تُسْقَى الْبِلَادُ وَتُمْطِرُ
السَّيِّدُ الْمَحْضُ الْعُــلَا
وَالْجَوْهَرُ الْمُتَخَيَّرُ
الْعَدْلُ مِمَّا يَنْشُرُ
وَالْمَجْدُ مِمَّا يَذْخَرُ
خُلُقٌ حَوَى كُلَّ الْفَضَا
ئِلِ فَهِيَ عَنْهُ تُؤْثَرُ

وغيرها · نقصر تكلف عنه مع العجز · المقاصير جمع مقصورة وهي الحجرة من حجر الدار · المنظر ما نظرت اليه فأعجبك · المخبر خلاف المنظر

(المعنى) يقول ان مافي هذا القصر من الواح الصور قد اتقن رسمها فصورت الوقائع والحوادث حتى كأنك تشاهدها

(١) الدارع من عليه درع · الحسر مفردها حاسر وهو من لا مغفر له ولا درع · العجاج الغبار

(المعنى) يقول ان الانسان قد يظن هذه الصور اشباحاً حية فيلمسها ليتحقق امرها

جُودٌ وبأسٌ في الورى
بهما يُخصُّ ويشهرُ
مثلُ الصواعقِ والحيا
في مزنةٍ تتحدرُ ١

* * *

ثُمَّ الجزيرةُ تستبيـ
ـك بها أوانسُ نفَّرُ ٢
عجلاتُها فلكٌ بأشـ
ـباهِ النجومِ يدورُ
من كلِّ خرْكاةٍ بحسـ

(٢) العباس هو مولانا الخديوي عباس الثاني بن توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي امير مصر الحالي تولى ملك مصر في يوم ٢٣ يوليه سنة ١٨٩٢ ولا يزال بها الى الآن حرسه الله وادام ملكه . العريسة مأوى الاسد . الغضنفر من اسماء الاسد . المحض العلي اي خالصه وصريحه . يذخر يخبأ . الصاعقة نار تسقط من السماء . الحيا المطر . المزنة القطعة من المزن

(٣) الجزيرة هي منتزه جميل الوضع بالجهة الغربية من النيل بجوار مصر القاهرة قد اخضرت ارضه واورقت اغصانه وتفتحت ازهاره واشتبكت فروع اشجاره يقصده سكان القاهرة في كل يوم بعد العصر لترويح النفس واستنشاق نسيمه البليل ما بين فارس وراجل وممتط متن مركبته والكل غادون ورائحون تارة على شط النيل واخرى بين الاشجار والجداول . تستبيك تاسرك . الاوانس جمع آنسة وهي الطيبة النفس . النفر جمع نافرة وهي المعرضة الصادة

(المعنى) ان العادة ان المتنزهين فى هذا المنتزه يدورون حوله بعرباتهم مرارًا لأنه مستدير الشكل فيقول ان عربات الحسان فيه كأنها فلك يدور بكواكبه

نَاءِ تُضِيءُ وَتُقْمِرُ
فَكَأَنَّهَا الْمِشْكَاةُ وَالْ
مِصْبَاحُ فِيهَا يَزْهَرُ

***

فَالْجِيزَةُ الْخَضْرَاءُ يَعْ
بَقُ رَنْدُهَا وَالْعَبْهَرُ
فِيهَا النَّعَامَةُ وَالْحُبَا
رَى وَالْمَهَا وَالْقَسْوَرُ
كَسَفِينِ نُوحٍ أَظْهَرَتْ
مَا كَانَ فِيهَا يُضْمَرُ(١)

---

(١) الحركاة مركبة النساء في المواكب وقد استعملها المقريزي وغيره من المؤلفين · المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل · يزهر يضيء · الجيزة هي مدينة قديمة واقعة على الشاطيء الغربيّ للنيل تجاه مصر القديمة وهي جيدة الهواء وبجانبها جسر طويل ممتد من البحر النهر الى الجبل الغربي يعرف بجسر الاهرام تحفه الاشجار من الجانبين ويمرّ به المتفرجون على الاهرام وبجانبها ايضاً حديقة متسعة جدّاً قد جمعت فيها صنوف جمة من انواع الحيوان · يعبق تنتشر رائحته · الرند شجر طيب الرائحة من شجر البادية · العبهر الزجس والياسمين · النعامة كسحابة حيوان مركب من خلقة الطير والجمل أخذ من الجمل العنق والوظيفُ والمنسم ومن الطير الجناح والمنقار والريش · الحبارى طائر يقع على الذكر والانثى والجمع حباريات · المها جمع مهاة وهي نوع من البقر الوحشي اشبه بالمعز الاهلية · القسور الاسد · سفين نوح هي السفينة التي اوحى الله الى نوح بصنعها حينما طغى قومه وأبوا ان يستمعوا نصيحته بعد ما اكثر لهم منها وكثر بينه وبينهم الجدال فاوعدهم بعذاب الله ان لم يهتدوا بنور التوحيد فاستعجلوا العذاب وقالوا (فأْتنا بما تعدنا ان كنت من

وَتَرى الغُصونَ على الأرا
ئِكِ تَلْتَوِي فتشجرُ
وجداولٌ كسبائك
بسنا الأصيلِ تعصفرُ
ماءٌ كبلّورٍ يذو
بُ وأدمُعٌ تتقطّرُ
يَرْوى القطا الكدريُّ مِنْـ
ـهُ وَيَنْتَحِيهِ الجُؤذَرُ
في حافتيهِ الوَرْدُ وَالنَّسْـ
ـرِينُ وَالنَّيْلُوفَرُ
وَعَلَيهِ مِنْ نَسْجِ الصبا
دِرْعٌ هُنَاكَ وَمِغْفَرُ

الصادقين) فقال الله تعالى (واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فا انا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الاّ من سبق عليه القول ومن آمن ومن آمن معه الاّ قليل) فركب السفينة وحمل معه فيها زوجين زوجين من كل انواع الحيوان وسار بها فلما اراد الله ان يرسيها امر الارض ان تبلع الماء والسماء بأن تقلع واستوت السفينة على الجودي وخرج كل ما فيها من انسان وحيوان

(المعنى) — : يقول حديقة الحيوانات التي في الجيزة اشبه بسفينة نوح لاحتوائها على سائر الحيوانات من كل جنس ونوع

فالقصرُ وَهُوَ لِمَنْ مَضَى
مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ مَقْبَرُ
نُشِرَتْ بِهِ أَمْوَاتُهُمْ
فَكَأَنَّمَا هُوَ مَحْشَرُ
رَمْسِيسُ أَيْنَ مَطَارِفُ الدِّ
يبَاجِ أَيْنَ الْجَوْهَرُ
أَيْنَ السَّرِيرُ وَأَيْنَ تَا
جُ الْمُلْكِ أَيْنَ الْعَسْكَرُ
نَمْ فِي رُقَادٍ لَيْسَ فِي

---

(١) الارائك جمع اراكة شجر من الحمض يستاك بقضبانه . تشجر اي يرفع ما تدلى من اغصانها . السبائك جمع سبيكة وهي القطعة المذوبة المفرغة في القالب من الفضة ونحوها . الاصيل وقت ما بعد العصر الى المغرب . تعصفر اي تصبغ بنور الاصيل الذي يشبه لون العصفر . القطا جمع قطاة وهو طائر معروف في حجم الحمام صوته قطا قطا . الكدري نوع من القطا غبر الالوان رقش الظهور صفر الحلوق . ينحيه يجد اليه . الجؤذر ولد البقرة الوحشية . النسرين ورد ابيض عطري قوي الرائحة فارسي معرب . النيلوفر ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة . المغفر نوع من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . القصر هو قصر الجيزة كان قصرًا صغيرًا للمرحوم سعيد باشا فبعد موته جدد بنايته الخديوي اسماعيل وزاد عليه بأن اخذ أرضًا بجانبه وألحقها به ووسع دائرته واحضر له صناعًا نظموا بستانه وفرشوا مماشيه وطوقه بالحصى الملون المجلوب من جزيرة رودس على رسوم اشكال مختلفة و نوا به هضابًا مرتفعة تشبه الجبال بشكلها الطبيعي وبركا متسعة وانهرًا وغدرانًا واقفاصًا واسعة للطيور الي جملة اشياء كثيرة وقد جعلته الحكومة اخيرًا متحفًا جمعت فيه آثار المصريين القدماء ورفاتهم . المقبر موضع القبور

(المعنى) يقول ان قصر المتحف لاحتوائه على جثث المصريين القدماء وآثارهم كأنه محشر

أحلامه ما يذعر

فالموت نوم أكبر

والنوم موت أصغر

دنيا تشابهُ ملعبا

والليل ستر يستر

و (الفصل) يضحك والثرى

. الشمس فيه تنوّر

جندٌ هناك وسوقة

ومتوّج ومسخّر

فإذا طرحت ثيابهم

ساوى الأعزّ الأحقر

***

نشرت فيه الاموات

(١) رمسيس هو رمسيس الثاني الشهير بسوزستريس ويلقب بالاكبر ولقب بذلك لانه اكبر واعظم ملوك مصر سلطه وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل اثر من الآثار القديمة. والعمائر الشهيرة الآن وعليه اسمه ورسمه وارتقى على كرسي الملك صغيرًا في حياة والده ويؤيد ذلك ما هو مؤرّخ في السنة الثالثة من حكمه بالنقوش على حجر مستكشف بقرب دكة ببلاد النوبة ونصها

(انك ايها الملك لما كنت طفلاً صغيرًا وكان لك جدائل مسبلة ما كان اثر يعمل بدون رسمك ولا امر ينفذ من غيرك ولما صرت غلامًا وبلغ سنك عشر سنين كانت كل العمارات في يدك

فَالأَزْهَرُ الزَّاهِي يدوِّ
ـيُّ بالعلومِ وَيجْأَرُ
كَدَوِيِّ نَحْلٍ وَهُوَ يجمـ
ـعُ شُـهْدَهُ أَوْ يَدْخَرُ (١)
فَالأَزبــكِيَّةُ حيْثُ تَطْـ

وكنت انت الواضع لاساساتها) وهو ابن سيتي وقد تربى في حجر الشجاعة والحماسة والرياسة واراد ابوه ان يعلمه اقتحام الاهوال فارسله لغزو بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاهم بجنود والده حتى ادخلها تحت الطاعة ثم حارب جملة حروبات وفتح كثيرًا من البلدان وخصوصًا في آسيا الشمالية وهو الذي كان في ايامه بَنْتَاؤر الشاعر المصري الشهير وله فيه جملة مدائح يصف شجاعته واقدامه فيها . المطارف جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو اعلام وكان لباس المصريين القدماء كلباس قدماء العرب والرومان اشبه بالمطارف الملتفة على الجسم وليست على اساليب الثياب في الازمنة الحديثة . الديباج الثوب الذي سداه ولحمته حرير جمع دبابج ودبابيج — الملعب محل ما يلعب فيه والجمع ملاعب والمراد به هنا دار التمثيل وهي التي تمثل فيها الوقائع التاريخية كما وقعت في ازمنتها واول من فعل ذلك اليونان ثم تبعهم الافرنج وتوسعوا فيه كثيرًا واتقنوه . الثريا المنارة تعلق في البيوت . السوقة الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث سموا بذلك لان الملك يسوقهم و يصرفهم الى ما يشاء ومنه قول جبلة بن الايهم (ألا يفضل في هذا الدين ملك على سوقة فقيل لا ان الملك والسوقة عندنا سواء) . المتوج الذي وضع التاج على رأسه . المسخر كل مقهور لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر . الاعز العزيز . الاحقر الحقير .

(المعنى) — : يقول ان الدنيا اشبه بتياتروكبير والليل ستاره والشمس ثرياه التي توجد عادة في وسط الملعب وما فيها من الناس في الغالب كاللاعبين فيه فمنهم الامير والكبير بالاسماء والالقاب فقط فاذا نزعت ثيابهم عنهم تساوى الحقير والعظيم

(١) الازهر قد تقدمت ترجمته . يدوي اي يسمع له صوت كدوي النحل . يجأر يرفع صوته بالدعاء . الشهد بالضم والفتح العسل ما دام لم يعصر من شمعه والجمع شهاد . يدخر يخبأ

وَى بِالْعَشِيِّ وَتَنْشُرُ
وَتَبِيتُ تَسْجَعُ فِي الدُّجَى
وَرْقَاؤُهَا وَالْمِزْهَرُ
وَالْبِرْكَةُ الْفَيْحَاءُ فِي
فَضْفَاضِهَا تَتَمَرْمَرُ
مَاءٌ كَعَيْنِ الدِّيكِ يَنْ
ظَمُ بِالنُّجُومِ وَيَنْثُرُ
وَتَرَى ضِيَاءَ الْبَدْرِ فِيهِ
هِ كَمِثْلِ عَيْنٍ تَفْجُرُ
وَإِذَا تَلُوحُ الشَّمْسُ فِي
لَأْلَائِهِ أَوْ تَسْفِرُ
أَلْفَيْتَهُ الْمِرْآةَ وَالْحَسْ
نَاءُ فِيهَا تَنْظُرُ ١
فَالْقَلْعَةُ الْعَلْيَاءُ تَجْ

---

(١) الازبكية متنزه بالقاهرة في وسطها وهو حديقة متسعة الجوانب كثيرة الاشجار والنباتات جميلة النسق منتظمة الطرق تتوسطها بركة صافية الماء • الورقاء الحمامة التي يضرب لونها الى الخضرة • المزهر بالكسر العود يضرب به • البركة مستنقع المياه • الفيحاء الواسعة • الفضفاض الارض التي يملأها الماء تتمرمر تترجرج • تفجر تنشق • اللألاء الضوء • تسفر تكشف • (المعنى) — : يقول كأن البدر وهذه البركة وجه حسناء ومرآة

لِي العِيانِ وتبصرُ
بمآذنٍ كالحقِّ لا
جَنِفٌ ولا متأطرُ (١)
قُطْرٌ تمصّرَ في الورى
والأرضُ برٌّ أقفرُ
وَطَنُ الغريبِ ودارُهُ
وقبيلُهُ والمعشرُ
مُلْكٌ مُحيطُ الأرضِ يصْ
غُرُ عَنْ مداهُ ويكبُرُ
في كلِّ صرحٍ مخبَرٌ
وبكلِّ سفحٍ منظرُ
ولكلِّ ابنةِ غُرفةٍ

(١) القلعة هي على قطعة من الجبل وتتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة في الجهة البحرية منها والنيل الاعظم في غربيها وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية وكان موضعها يعرف اولاً بقبة الهواء الى ان انشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وبجانب هذه القلعة بنى المغفور له محمد علي باشا مؤسس الاسرة المحمدية الخديوية بمصر مسجدا رفيع البنيان جميل التشييد كثير الزخرفة والتنميق بدأ في عمارته سنة ست وأربعين ومائتين وألف هجرية وقد جعل فيه مدفناً له من أحسن المدافن واجملها وأغرب ما في هذا الجامع مأذنتاه اللتان يبلغ طول الواحدة منهما أربعة وثمانين مترا وهما في صنعتهما عجيبتان . الجنف الجائر والمائل . المتأطر المنثني .

فيها حديث يذكر [١]
فرعون والأنهار تج
ري واللوى والمنبر
ذهبوا فأمسوا مثل رؤ
يا في المنام تعبر
هرمان فيه كشاهدي
ن شهادة لا تنكر
وهيا كل دثرت وذك
ر حديثها لا يدثر [٢]

(المعنى) — : يقول ان هذه المآذن في استقامتها كالحق ليس به عوج ·

(١) تمصر أي صار مصرياً · الصرح القصر وكل بناء عال · السفح عرض الجبل المضطجع · اللبنة مفرد اللبن وهو المضروب من الطين مربعاً للبناء

(٢) فرعون هو فرعون موسى الذي طغى وتجبر وأعمل الجهد في تعذيب بني اسرائيل وجعلهم خدماً وخولاً فارسل الله لهم موسى لانقاذهم منـه فذهب الى فرعون ومعه اخوه هارون بآيات من ربه وهي المذكورة في القرآن فرهب فرعون لما رأى الآيات وأطلق سبيل بني اسرائيـل ولكن فرعون ندم على اطلاقهم فجمع جنوده وتبعهم ليعيدهم فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه فانفلق وعبروه على اليابسة حتى انتهوا الى الشاطئ الثاني فأتبعهم وجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى ولكن الله نجى فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية وهو الذي اخذته العزة بالملك وابهة الرئاسة فتاه على قومه وفخر عليهم (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) وحقاً ان من ملك مصر التي هي ام الدنيا ومهد العمران ومعلمة الامم والتي هي بلد قال في وصفه الله تعالى (فأخرجناهم من

وَالْمَجْدُ مِثْلُ الْخَمْرِ يَكْرُ

مُ مَا تَوَالَى الْأَعْصُرُ

كَانَتْ سَلَاطِينُ الْوَرَى

فِيهِ تُشِيدُ وَتَعْمُرُ

وَالْغَرْبُ مِنْ أَعْمَالِهِ

وَالْقِبْلَتَانِ وَتَدْمُرُ

وَالْخَيْلُ خَيْلُ اللهِ تَرْ

كَبُ وَالصَّوَائِفُ تُنْصَرُ

وَفِرِنْجَةٌ وَمُلُوكُهَا

تُغْزَى بِمِصْرَ وَتُؤْسَرُ

هَذِي مَنَاقِبُ مِصْرَ تُرْ

وَى فِي الْأَنَامِ وَتُسْطَرُ

جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) الجدير ان يفخر وحق له ان يتيه — المنبر . قال المقريزي عند (ذكر الخلجان التي شقت من النيل) ان المراد من المقام الكريم في قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) (المنابر) كان بمصر الف منبر . الهيا كل جمع هيكل وهو بيت الاصنام . دثرت بليت .

(المعنى) يقول ان المجد كالخمر كلما قدم . زاد قيمة وعظم

(١) الغرب من اعماله لانه كان كذلك في زمن الفاطميين وغيرهم . القبلتان هما المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس فان ارض الشام وارض الحجاز كانتا في يد المصريين ايام الدولة الأيوبية وما بعدها . تدمر قلعة مشهورة

وَالسَّوفُ يَرْجِعُ مَا مَضَى
وَيَعُودُ ذَاكَ الْمَفْخَرُ
وَكَذَا الزَّمَانُ يَدُورُ وَالْـ
ـقَدَرُ الْمُغَيَّبُ مُحْوَرُ
وَالْبَدْرُ إِنْ وَافَى السِّرَا
رَ فَبَعْدَ ذَلِكَ يَبْدُرُ
وَالْعُودُ يَيْبَسُ بُرْهَةً
فَإِذَاهُ عُودٌ أَخْضَرُ (١)

---

(١) الصوائف جمع صائفة وهي الغزوة في الصيف • وفرنجة يشير بذلك الى الواقعة المشهورة التي حصلت بدمياط بين الملك المعظم الايوبي وبين رواد فرنس ملك الفرنجة في سنة ثمان واربعين وستمائة حينما حاصر الفرنجة مدينة دمياط وشددوا عليها الحصار فتغلب عليهم المسلمون وقهروهم قهرًا عظيماً بعد قتال شديد يطول شرحه فانحاز رواد فرنس واكابر الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فامنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي ونزلوا على امانه واحيط بهم وسيقوا الى المنصورة فقيد رواد فرنس واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء واعتقل معه اخوه ووكل بهم صبيح العظمى ورتب لهم راتب يحمل اليه في كل يوم وفي هذه الواقعة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال نصح عن قؤول نصيح
آجرك الله على ما جرى ... من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصر تبتغي ملكها ... تحسب ان الزمر ياطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح

العزلة

كِتَابِي إِلَى السَّيِّدِ أَيَّدَهُ اللّٰهُ · وَكَلَأَهُ وَرَعَاهُ · وَأَنَا حِلٌّ بِقُرَى السَّوَادِ · وَرِيفِ الْبِلَادِ ¹ · بَعِيدٌ عَنِ الْمَدِينَةِ · وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّيْنَةِ وَالزِّينَةِ · فِي عُزْلَةٍ

وكل اصحابك اودعتهم   بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفاً لا يرى منهم   الاّ قتيل او اسير جريح
وفقك الله لأمثالها   لعلّ عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضياً   فرب غش قد اتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة   لأخذ ثار أو لنقد صحيح
دار بن لقمان على حالها   والقيد باق والطواشي صبيح

المحور هو الخط الموصل بين قطبي الكرة · السرار آخر ليلة في الشهر · يبدر اي يكون بدراً ·
(المعنى) يقول انه سيرجع ان شاء الله لهذه البلاد مجدها وعزها بعد هذه الضعة والضعف كما ان البدر يصغر ويستسر حتى يصير هلالا في اول الشهر الذي يليه ثم يعود بدراً كما كان وكالعود ييبس اخضراره فيسقط ورقه ثم يعود اخضر كما كان

(١) كلأ حفظ وحرس · الحل النازل بالمكان · السواد القرى والريف · الريف ارض فيها زرع وخصب ومنه ريف مصر · واعظم شيء يسر النفس ويستهوي الفؤاد وينفس من كربة الحزين النظر الى الزرع والخضرة وقد اعتنى آباؤنا من قديم الزمان بزرع الارض وجنيها واتخاذ الضياع والاعتناء بها قيل ان شيخاً كان يغرس شجر النارجيل وهي لا تثمر الاّ بعد اربعين سنة فمرّ به كسرى وقال له اتعيش الى ان تأكل منها فقال الشيخ غرسوا واكلنا ونغرس فيأكلوا فقال كسرى زهْ زهْ وامر له باربعة آلاف درهم وكان من عادته ذلك لمن يقول له زه زه فقال الشيخ ايها الملك ان غرس السابقين اثمر بعد اربعين سنة وغرسنا اثمر في يومه فقال كسرى زه زه وامر له باربعة آلاف مثلها وقال الشاعر

اذا ما نقل الدهقا   ن غلات الرساتيق
فكم من نعمة بيضا   ء في سود الجواليق

عَنِ النَّاسِ · بيْنَ سقْيٍ وغراس · سليمُ الجسْمِ من السقَمِ · والنفْسِ من الألَمِ · والحِمْيةِ منَ الأنامِ · كالحِمْيةِ من الطعامِ · شفاءٌ من كلّ داءٍ · وخليقٌ بمن ارْتطمَ · في المزْدحمِ · أنْ يصابَ · ببعضِ الأوْصابِ ¹

بُعدي عن النَّاسِ بُرْءٌ منْ سقامِهمُ
وقُرْبُهُمْ للحِجى والدّينِ أدْواءُ
كالبيْتِ أُفْرِدَ لا إيطاءَ يدْرِكُهُ
ولا سِنادَ ولا في اللفظِ إقْواءُ ²

---

(١) السقي ما يسقى ومنه سقي الفرات والزرع المسقي · الغراس ما يغرس من الشجر · الحمية الاسم من حمى المريض اذا منعه ما يضره · ارتطم ازدحم وتراكم · المزدحم موضع الزحام · الأوصاب جمع وصب وهو نحول الجسم من مرض او تعب ·

(المعنى) ان السعادة في الدنيا مدارها على سلامة الجسم من الاسقام والنفس من الآلام كما اجمع الحكماء على ذلك فهو يقول انه حاصل عليهما جميعاً في هذه العزلة ويقول ان التقليل من الاجتماع على الناس كالتقليل من الطعام فيه خير ومصلحة وان الذي يخوض غمار الجماعات لا يخلو من صدمة كالذي يحشر نفسه في الازدحام · ولقد قال بعض الحكماء ان كان الفضل في الجماعة فان السلامة في الوحدة والعزلة وقال الشاعر

كن لقعر البيت جلسا — وارض بالوحدة أنسا
لست بالواجد خلا — أو تردّ اليوم امسا

وقال الشاعر

اذا خلوت صفا ذهني وعارضني — خواطر كطراز البرق في الظلم
فان توالى صياح الناعقين على — أذني عرتني منه حكلة العجم

والحكلة العجمة في الكلام

(٢) ادواء جمع داء · الايطاء تكرير القافية لفظاً ومعنى وهو عيب · السناد كل عيب يوجد في القافية قبل الروي · الاقواء مخالفة القوافي برفع بيت وجر آخر ·

إِذَا انْفَرَدَ الْفَتَى أُمِنَتْ عَلَيْهِ
دَنَايَا لَيْسَ يُؤْمِنُهَا الْخِلَاطُ
فَلَا كَذِبٌ يُقَالُ وَلَا نَمِيمٌ
وَلَا غَلَطٌ يُخَافُ وَلَا غِلَاطُ
وَكَمْ نَهَضَ امْرُؤٌ مِنْ بَيْنِ قَوْمٍ
وَفِي هَادِيهِ مِنْ خِزْيٍ عِلَاطُ [١]
عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ عَوَى
وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ [٢]
وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا
يُوحِشُهُ الْأَقْرَبُ وَالْأَبْعَدُ

* * *

يَا مَا أُحَيْلَى الْوَحْدَةَ وَالرِّيفَ · وَذَلِكَ الْمَشْتَى وَالْمَصِيفَ · وَالْجَوَّ السَّجْسَجَ

(المعنى) يقول كما ان البيت الفرد لا يكون فيه سناد ولا اقواء ولا ائطاء وهي عيوب في الشعر لا تتحقق في البيت الا اذا كان معه غيره فكذلك الفرد من الناس يسلم من الآفات ما كان وحده

(١) الخلاط الامتزاج والاختلاط · الغلاط الايقاع في الغلط · العلاط حبل يجعل في العنق

(٢) عوى لوى خطمه ثم صوت

(المعنى) يقول انه يأنس لصوت الوحش وينفر من صوت الانس لخوفه من الانس وشره وغدره ومكره

(٣) (المعنى) يقول انه الف الوحدة حتى صار يألم من الاجتماع بالقريب والبعيد

وَالظّلّ الْوَرِيف .[١]

إِذا أشْرَفَ الْمَحْزُونُ مِنْ رأْسِ تَلْعَة
على شِعْبِ بوّان أَستراح من الْهَمِّ[٢]

فَجْرٌ يَلُوحُ فِي الأُفُقِ . كالنُّورِ فِي الأَعْيُنِ الزُّرْقِ . وضِيَاءٌ يَنْبَثِقُ فِي الْفَضَاءِ . كَمَا يَنْبَثِقُ الْمَاءُ[٣] . وَشَمْسٌ تَبْدُو للإِشْرَاقِ . في الآفَاقِ . كَبُودَقَةٍ فِيهَا ذَهَبٌ . أَوْ قُنْبُلَةٍ تَرْمِي بِاللّهَبِ[٤] . فَيَرْتَفِعُ جَرْسُ كُلِّ حَيَوانٍ . كَمَمْنُونٍ فِي الأَوْثَانِ . فَلِلإِنْسَانِ تَسْبِيحٌ وتَكْبِيرٌ . وَلِلإِبِلِ حَنِينٌ وهَدِيرٌ . ولِلْحَمَامِ هَدِيلٌ . وَلِلْخَيْلِ صَهِيلٌ . ولِلْبَقَرِ خُوَارٌ . وَلِلْمَعْزِ يُعَارٌ . ولِلْغُرَابِ نَعِيبٌ . ولِلأَرْنَبِ ضَغِيبٌ . وَلِلذِّئْبِ ضُغَاءٌ . وَلِلْغَنَمِ ثُغَاءٌ[٥] .

---

(١) المشتى موضع الشتاء وزمانه . المصيف المكان يقام فيه صيفاً . السجسج وقت لا حر فيه ولا قر وهو ما بين طلوع الشمس وطلوع الفجر . الوريف المتسع الممتد

(٢) التلعة القطعة المرتفعة من الارض . شعب بوان مرج خصيب بفارس
(المعنى) يقول ان رؤية هذا المكان النزه تجلو الاحزان من قلب الانسان بحسن منظرها

(٣) (المعنى) شبه ضياء الفجر في زرقاء السماء بالنور في العيون الزرق ووضوح الضياء على الدنيا بسيل الماء على الخضراء

(٤) البودقة هي آلة كروية الشكل يصنع الصائغ فيها الحلي ويفكك الذهب . القنبلة لفظة مستحدثة يعبر بها عن الكرة المقذوفة من المدفع

(٥) الجرس الصوت . ممنون هو تمثال ذكره قدماء المؤرخين من المصريين وقالوا انه كان بجوار مدينة طيبة بالصعيد ومن خاصيته انه في كل يوم اذا اشرقت الشمس يصيح صيحة واحدة وربما كان ذلك حيلة من الكهنة حيث يدخل احدهم في جوفه ويصيح فيوهمون العامة بذلك . الحنين حنين الناقة صوتها في نزوعها الى ولدها . الهدير هدر البعير صوت في غير شقشقة . الهديل صوت الحمام . الصهيل صوت الفرس . الخوار صوت البقر . اليعار صوت المعز . النعيب صوت

بَاكَرْتُهُمْ بِسِبَاءِ جَوْنٍ مُتْرَعِ
قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لَغْوِ الطَّائِرِ

وَوَرَاءَ ذَلِكَ بِطَاحٌ وَتِلاعٌ · أَتَاقَتْهَا مِنَ الْأَشْرَاطِ أَسْمِيَةٌ تِبَاعٌ · فَأَخْرَجَ حَبُّهَا شَطْأَهُ فَأَعْجَبَ الزُّرَّاعَ · بَارِضٌ وَجَمِيمٌ · وَشَمِيطٌ وَغَمِيمٌ · وَسَنَابِلُ خُضْرٌ · وَبَرَاعِيمُ صُفْرٌ · وَعِهْنٌ مَنْفُوشٌ · وَيَقْطِينٌ وَمَرْدَقُوشٌ · وَعِذْقُ الْخُزَامَى · وَعِرْقُ الرُّخَامَى · وَكُرُومٌ وَأَعْنَابٌ · وَأَبَارِقُ قَدْ هَمَّتْ بِإِعْشَابٍ · وَنَخِيلٌ مَوَاقِيرُ بِالْقِنْيِ ·

الغراب · الضغيب صوت الارنب · الضغاء صوت الذئب اذا جاع · الثغاء صوت الغنم

(المعنى) يقول اذا ظهرت الشمس وانتشر ضوؤها تحرك الحيوان والانسان فكان كل منها التمثال المسمى بممنون الذي كان يصيح اذا طلعت عليه الشمس كل يوم

(١) السباء الخمر · الجون النبات يضرب الى السواد من خضرته · المترع الممتلىء · اللغو اغط الطائر ·

(المعنى) يقول الشاعر انه اصطبح بالخمر قبل طلوع الصباح وخروج الطير من اوكارها

(٢) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصي · التلاع جمع تلعة وهى القطعة المرتفعة من الارض · اتأق امتلأ · الاشراط ثلاثة كواكب في السماء ينسب اليها المطر فيقال نوء اشراطي · تباع متتابعة · الشطأ فراخ النخل وورقه ومن الشجر ما خرج حول اصوله

(٣) البارض نبت الارض · الجميم ما غطى الارض من النبات · الشميط النبات بعضه هائج وبعضه اخضر · الغميم النبات الذي يعم الارض · السنابل السنبل من الزرع معروف · البراعيم اكمام ثمر الشجر · العهن شجرة لها وردة حمراء · اليقطين مالا ساق له من النبات كالحنظل والقثاء لكن غلب استعماله في العرف على الدباء وهو القرع المستدير كالبطيخ الواحدة يقطينة · المردقوش او المرزنجوش الزعفران · العذق القنو وهو من النخل كالعنقود من العنب جمع اعذاق وعذوق · الخزامى اطيب الازهار نفحة يتمثل به فيقال (اطيب من نفس النعامي بين ورق الخزامى) · عرق الرخامى نبت · الابارق جمع ابرق وهو ارض

مِنَ البَرْنِيِّ · لا تَزالُ الغِرْبانُ واقِعَةً على زَحْلِهِ · واكِرَةً في شَذَبِهِ [١] وشُوعٌ والأَلاءُ · وغَرْيَفٌ وأَشاءٌ · لا يَبْرَحُ بِها ظِلٌّ وارِفٌ · وطائِرٌ عاكِفٌ · يَتَقَطَّعُ عِنْدَها الماءُ الجارِي · ويَتَفَقَّأُ فَوْقَها القَلَعُ السَّوارِي · [٢]

خالوا لنا رازاذانَ والمزارعا

وحِنْطَةً طَيْسًا وكَرْمًا يانِعا [٣]

بِها قُضُبُ الرَّيْحانِ تَنْدَى وحَنْوَةٌ

ومِنْ كُلِّ أَفْواهِ البُقُولِ بِها بَقْلُ [٤]

---

(١) المواقير جمع موقرة وهي التي كثر حملها · القنى الكباسة وهي العذق من النخل · البرني تمر معرب اصله برنيك اي الحمل الجيد · واكرة ساكنة في داخل اوكارها · الشذب جمع شذبة وهي القطعة مما تفرق من اغصان الشجر

(٢) الشوع شجر البان ينبت في السهل والجبل · الالاء شجر دائم الخضرة جمع الاءة وهو من اشجار العرب قال الشاعر

فانكم ومدحكم بجيراً ابا لجأ كما امتدح الالاء

يراه الناس اخضر من بعيد وتمنعه المرارة والاباء

الغريف شجر البردي · الاشاء كسحاب صغار النخل · الوارف المتسع الممتد · ينفقأ يكسر اويقلع · القلع السواري القطعة العظيمة من السحاب

(٣) راذان موضع · الطيس الكثير · الكرم اشجار العنب · اليانع الزاهر

(٤) القضب جمع قضيب والمراد به هنا الغصن · الحنوة نبات سهلي طيب الريح قال الشاعر

وكأن انماط المدينة حولها من نور حنوتها ومن جرجارها

وكل ما تقدم وصف للزرع وانواعه ولقد اكثر الشعراء من قديم وصف الرياض والازهار والاثمار والاشجار قال ابن الرومي

اصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء للبصر

وَفِي خِلَالِ هٰذِهِ الْخُضَرِ . مِيَاهٌ وَنَهَرٌ . فَمِنْ جَدْوَلٍ فِي ظِلَالِ نَخْلٍ . وَحَوْضٍ تَحْتَ أَثْلٍ (١) . وَشَرِيعَةٍ كَأَسِنَّةِ الْمِبْرَدِ . فِي جَانِبَيْهَا الْيَنْبُوتُ وَالْخَضَدُ (٢) . وَهِيَ فِي الْأَصِيلِ جَوْشَنٌ مُذَهَّبٌ . وَسَيْفٌ بِالدَّمِ مُشَطَّبٌ . فَإِنْ وَرَدَتِ الْحَمَائِمُ مِنْهَا نُقَاخًا . حَسِبْتَهَا تَزُقُّ فِرَاخًا . أَوْ نَهَلَتْ مِنْهَا الْمَهَارَى فِي الْغَدَاةِ . ظَنَنْتَهَا حِسَانًا

واهالها مصطنعاً لقد شكر اثنت على الارض بالآء المطر
والارض في روض كأفواف الحبر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدت للذكر

وقال آخر

اما تري الارض قد اعطتك عذرتها مخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها وللربيع ابتسام في نواحيها

وقال النمر بن تولب وذكر النخل

ضربن العرق في ينبوع عين طلبن معينه حتى روينا
بنات الدهر لا يخشين محلا اذا لم تبق سائمة بقينا

وقال البحتري

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز في غلس الدجى اوائل ورد كن بالامس نوّما
يفتقها برد الندى فكأنه يبث حديثاً بينهن مكتما
ومن شجر ردّ الربيع لباسه عليه كما نشرت وشياً منمنما
احل فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين اذ كان محرما

(١) الاثل شجر الطرفاء واحدته اثلة

(المعنى) يقول انه يتخلل هذه الاشجار جداول وحياض فهذه في ظلال النخلات وتلك تحت الاثلات

(٢) الشريعة مورد الماء . الينبوت شجر الخشخاش وقيل الخرّوب جمع ينابيت . الخضد نبت

يَنظُرْنَ في مِرْآةٍ [١] . وبِرْكَةٍ مُطْحلِبَةِ المَاءِ . كأنّها سَجَنْجَلٌ في غِشَاءٍ [٢] .

تعرَّضتْ ذا حدبٍ جرْجارا
أملسَ إلّا الضِّفدعَ النقّارا
يرْكُضنَ في عِرْمِضهِ الطُّرّارا
تخالُ فيه الكوكبَ الزّهّارا
لؤلؤةً في الماءِ أو مسمارا [٣]

ونواعيرَ كأنّها عُشّاقٌ . بعدَ فراقٍ . لم يبقَ فيها غيرُ ضلوعٍ . وأنينٍ ودُموعٍ [٤] .

---

(١) الجوشن الدرع . المشطب اي الذي جعل الدم في صفحته شطبًا اي خطوطًا . النقاخ الماء البارد العذب لانه ينقخ العطش اي يكسره . تزق تطعم فراخها بمناقيرها . نهلت شربت اول الشرب . المهارى نسبة الى مهرة بن حيدان حي من قضاعة من عرب اليمن وهي نجائب ابل تسبق الخيل

(المعنى) يقول اذا صبغ الاصيل لون الماء صار الماء كانه سيف عليه دم . ويقول ان الحمائم اذا وردت هذا الماء وضعت فيه مناقيرها فرأت خيالها فيه يفعل ذلك فتقابلت الحقيقة بالمجاز فصارت كلها حقيقة فكانها تطعم فراخها

(٢) المطحلبة التي علا ماءها الطحلب . السجنجل المرآة . الغشاء الغطاء

(٣) تعرضت اي اعترضت شربت . الحدب اعراف الماء ترتفع . الجرجار ذو الجرجرة . املس يعني انه خلو من القذي . يركضن اي يضربن الماء حتى يذهب العرمض فيشربنه . العرمض الطحلب . الطرار جمع طرة وهي شفيره . هذه القطعة من ارجوزة للعجاج مطلعها

(ياصاح ما ذكرك الأذكارا مالمت من قاض قضى الاوطارا)

ويصف بهذه القطعة الحُمر الوحشية وورودها الماء فيقول ان هذه الحمر حين وردن الماء ضربنه بارجلهن ليذهبن الطحلب المغشى عليه ورأين صورة البدر الزاهر في الماء فتخيلنه لؤلؤة او مسمارًا

(٤) النواعير جمع ناعورة وهي الدولاب ودلو يستقي بها او ما يديره الماء من المجنونات

قَدْ أَوْشَمَ النَّبْتُ حَوْلَهَا وَطَرَّ ۰ وَٱسْتَدَارَ الْحَدَجُ وَاخْضَرَّ[١]

تَرَبَّعُ لَيْلَى بِالْمُضَيَّحِ فَالْحِمَى
وَتَقْتَاظُ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ السَّوَاقِيَا[٢]

وَثَمَّ سَائِمَةُ الأَنْعَامِ ۰ بَيْنَ الْحُقُولِ وَالآجَامِ ۰ تَرْتَعُ فِي مَرَابِضِهَا ۰ وَتَمْرَحُ فِي مَرَاكِضِهَا[٣] فَمِنْ بَقَرٍ مُوَشَّيٍ أَكَرُعُهُ ۰ مُرَقَّمٍ أَذْرُعُهُ ۰ كَأَنَّهُ طُلِيَ بِوَرْسٍ ۰

(المعنى) شبه اعواد الساقية بضلوع محب قد نحل وهزل من الغرام

(١) اوشم ابتداء يلون وقيل لان ونضج ۰ طر طلع

(٢) المضيح موضع ۰ الحمي موضع ۰ تقتاظ تقيم به زمن القيظ ۰ العقيق الوادي وكل مسيل شقه ماء السيل فوسعه

(المعنى) يقول انها تكون في الربيع في محل وفي الصيف في محل آخر رطب الهواء كثير الماء كما هي عادة المترفين من تبديل الهواء بحسب الفصول وفي ذلك يقول الشاعر العربي ايضاً

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وكل ما تقدم وصف للمياه والانهار والغدران والجداول والحياض ولقد اكثر الشعراء من وصفها قديمًا فمن ذلك قول جابر بن دالان

فيا لهف نفسي كلما التحت لوحة على شربة من بعض احواض مارب
بقايا نطاف اودع الغيم صفوها مصقلة الارجاء زرق المشارب
ترقرق ماء المزن فيهن والتقت عليهن انفاس الرياح الغرائب

وقال ابو نواس

كأنما الماء عليه الجسر درج بياض خط فيه سطر
كأننا لما استتب العبر أسرة موسى يوم شق البحر

(٣) سائمة الانعام الابل الراعية التي لا تعلف في العطن ۰ الحقول جمع حقل وهو الزرع ما دام اخضر ۰ الآجام جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف ۰ ترتع تأكل ما شاءت في خصب وفي سعة ۰ المرابض المواطن ۰ تمرح تشتد فرحًا ونشاطا حتى تجاوز القدر ۰ المراكض مواضع الركض

أَوْ غَرُبَتْ فِي أَدِيمِهِ الشَّمْسُ · قَدْ ضُجِّعَ فِي خُطُرٍ · مِنْ لَبِنٍ وَدُسُرٍ · عَلَيْهِ جُنَنٌ · مِنْ هُدَّابِ الْفُنَنِ · يَشْأَزُهُ السَّهَرُ · وَيُسْهِدُهُ الْوَسْوَاسُ وَالْمَطَرُ · يَرْجِعُ الْأَجْرَارَ · وَيَأْكُلُ الْقَتَّ وَخُمَّانَ الْأَشْجَارِ[١] · وَمِنْ نُوقٍ كُلُّ دَوْسَرَةٍ · كَأَنَّهَا قَنْطَرَةٌ · مُقَذَّفَةٌ بِالنَّحْضِ مِرْقَالٌ زَهْوَةُ الْمَمْشَى لَاقِحٌ عَنْ حِيَالٍ · إِذَا ارْتَفَعَتْ فَكَأَنَّهَا يَفَاعٌ · وَإِنْ بَرَّكَتْ خَوَّتْ عَلَى مِثْلِ الْيَرَاعِ · تَرْمِي اللُّغَامَ[٢]

---

(١) الموشي المخطط الملون · الاكرع جمع كراع وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس ومن الانسان ما دون الركبة · المرقم المخطط · الورس نبات كالسمسم اصفر يزرع باليمن و يصبغ به ويقصد به سماحة السيد المؤلف هنا أنه هذا البقر أصفر. الاديم الجلد· ضجع وضع جنبه في الارض · الخطر جمع خطيرة وهي بناء يجعل مواضع للماشية · اللبن المضروب من الطين مربعاً للبناء · الدسر جمع دسار وهو المسمار · الجنن جمع جنة وهي كل ما وقى · الهداب جمع هدابة وهي الغصن وهداب الغصن طرفه · الفنن الغصن · يشأز يذعر ويقلق · الوسواس اسم من وسوس اليه الشيطان وصوت الحلي · الاجرار أي أتى بالجرة وهي ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه · القتّ حب بريّ يأكله أهل البادية · خمان الشجر

(المعنى) يصف حالة البقر في مرابضها وكيف تقيها أهداب الاغصان من حر الصيف وبرد الشتاء ويسهدها وقوع المطر ويقول انه لاصفرار لونها كانما غربت في جلدها الشمس

(٢) الدوسرة الناقة الضخمة · المقذفة الكثيرة اللحم · النحض اللحم وقيل المكتنز منه كلحم الفخذ · مرقال مسرعة · زهوة الممشى أي تمشي مشية المعجب المتكبر · لاقح عن حيال أي قبلت اللقاح ولم تحمل · اليفاع التل المشرف وما ارتفع من الارض · خوّت جافت بطنها عن الارض في بروكها لانها بقت بينها وبين الارض خواء · اليراع القصب · اللغام زبد أفواه الابل · البرس القطن · النوّار الزهر جمع نواوير العضرس عشب أشهب الى الخضرة يحتمل الندى شديداً

(المعنى) يقول كل ناقة من هذه النوق ضخمة مكتنزة واذا بركت بركت على ارجلها التي كاليراع وهو مدح للنوق وترى اللغام على اشداقها كالقطن وتنظر بعين تشبه نوار هذا الزهر المسمي بالعضرس

كَالْبِرْسِ . وَتَنْظُرُ بِمِثْلِ نُوَّارِ الْعُضْرُسِ

إِذَا ذَابَتِ الشَّمْسُ اتَّقَتْ صَقَرَاتِهَا
بِأَفْنَانِ مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُعْبِلِ [١]

وَخُيُولٌ . تَمْرَحُ فِي الْحُجُولِ وَالشُّكُولِ . كَأَنَّ فِي صَهِيلِهَا جَرَسًا . وَتَحْتَ حَوَافِرِهَا قَبَسًا [٢]

يَتَحَلَّبُ الْيَعْضِيدُ مِنْ أَشْدَاقِهَا
صُفْرٌ مَنَاخِرُهَا مِنَ الْجُرْجَارِ [٣]

---

(١) الصقرات حرور الشمس • الصريمة الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر • المعبل الضخم (المعنى) يقول اذا وقدت الشمس استظلت بظل الايكة ولقد اكثر الشعراء من وصف الابل وسيرها وغدوها ورواحها قال بشامة بن الغدير

كان يديها اذا ارقلت ... وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا سابح خرّ في غمرة ... وقد شارف الموت الا قليلا

وقال ابو تمام

اتينا القادسية وهي ترنو ... الي بعين شيطان رجيم
فما بلغت بنا عسفان حتى ... رنت بلحاظ لقمان الحكيم
وبدلها السرى بالجهل حلما ... وقد اديمها قد الاديم
بدت كالبدر وافى ليل سعد ... وآبت مثل عرجون قديم

(٢) الحجول جمع حجل وهو البياض في ارجل الفرس • الشكول وثاق يوضع في رجل الدابة ويدها • الصهيل صوت الفرس • الحوافر جمع حافر وهو من الدابة بمنزلة القدم من الانسان

(٣) اليعضيد بقلة تشبه الهندباء البرى • الاشداق جمع شدق وهو طفطفة الفم من باطن الخدين • المناخر جمع منخر بتثليث الميم والخاء الانف • الجرجار نبت طيب الريح

الضَّأْنُ تَسْعَى بَيْنَ الحَافِرِ وَالْخُفِّ ۰ مِنْ قَفٍّ لِقَفٍّ [١]
وَتَمْـلأُ بَيْتَنَا أَقِطًا وَسَمْنـًا
وَحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِيُّ [٢]

(المعنى) يقول ان مناخرها اصفرت من أكل الجرجار وانصباب عصارته عليها وما تقدم كله في وصف الخيل ومن وصف الخيل قول الاشعر بن ابي حمران الجعفي

ولقد علمت على تجنبي الردى ان الحصون الخيل لامدر القرى
يخرجن من خلل الغبار عوابساً كاصابع المقرور اقعى فاصطلى

وقال زيد الخيل

جلبنا الخيل من اجأ وسلمى تخب نزائعاً خبب الذئاب
جلبنا كل اجرد اعوجيّ وساهبة ككـافية الغراب
ضربن بغمرة فخرجن منهـا خروج الودق من خلل السحاب

وقال البحتري

اما الجواد فقد بلونا يومه وكفى بيوم مخبراً عن عامه
جارى الجياد فطار عن اوهامها سبقا وكاد يطير عن اوهامه
مالت نواحي عرفه فكأنهـا عذبات اثل مال تحت حمامه
مالت معاطفه فخيـل انه للخيزران تناسب بعظامه
وكأن صهلته اذا استعلى به رعد تقعقع في ازدحام غمامه

وقال الببغاء

ان لاح قلت أدمية أم هيكل أو عنّ قلت أسابح أم أجدل
تتخاذل الالحاظ في ادراكه ويحار فيه الناظر المتأمل
فكأنه في اللطف فهم ثاقب وكانه في الحسن حظ مقبل

(١) الحافر من الدابة بمنزلة القدم من الانسان ۰ الخف للبعير والنعام بمنزلة الحافر لغيرهما القف بالفتح يبيس احرار القبول و يريد بالحافر والخف الخيل والابل

(٢) الاقط بالتثليث الجبن المتخذ من اللبن الحامض

وَبينَ ذلِكَ بيوتٌ مِنْ قِرْمِيدٍ · وَسُقُوفٌ مِنْ جَرِيدٍ · وَأُقُنٌ مِنْ حَجَرٍ ·
وَبُجُدٌ مِنْ وَبَرٍ ١ · وَقِطَارٌ مِنْ آبَالٍ · تَسيرُ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ · فِي أَعْنَاقِهَا الأَجْرَاسُ ·
وَفِي رِحَالِهَا الأَمْرَاسُ · يَحْدُوهَا سَوَّاقٌ حُطَمٌ · كَأَنَّهُ الزَّلَمُ ٢

فَقَامَ وَسْنَانَ وَلَمْ يُوسَدِ
يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ كَفِعْلِ الأَرْمَدِ

(المعنى) يقول ان هذه الضان تملأ بيتنا من الجبن والسمن وحسب الفتى هذا الغنى الكثير الذي يشبع و يروى منه

(١) القرميد الآجر · الاقن جمع اقنة بيت يبنى من حجر · البجد جمع بجاد وهو كساء مخطط من اكسية الاعراب يشتملون به

(المعنى) يقول ان بيوت الريف وان سذجت حالتها فهي خالية مما في القصور العظيمة من البلاء والشقاق والنفاق وخير عيشة يعيشها الانسان هي العيشة الساذجة البسيطة التي تكون في الريف فانه يخرج بها عن الازدحام الذي يوجد في الحضر و يبعد بها عن الألآم التي يراها بين المتمدنين والمتحضرين وينجو بصحته وعافيته من التلف الذي توجبه الحضارة ضرورة · اذ لا يجد في الريف الا هواءً نقياً ولذة العزلة والوحدة ولا يرى الا سماء صافية الاديم ولا يسمع الا الهدوء المخيم على الاكوان · حاشا تغريد الطيور على الاغصان · والذي تقدم وصف للدور والبنيان في القرى والريف ولقد اكثر الحكماء والبلغاء في وصف الدور ومدحها قال احدهم دار الرجل عشه وفيها يطيب عيشه وقال بعضهم الدور للناس كالعش للطير والاوجرة للوحش ودار الرجل ماوى نفسه وموضع امنه ومسكن قلبه ومجمع اهله ومحرز ملكه ومانس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه وقال المتوكل لابي العيناء كيف ترى دارنا هذه فقال يا امير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور في الدنيا وانت بنيت الدنيا في دارك

(٢) الآبال جمع ابل · الامراس جمع مَرَس ومفرد مرس مرسة وهي الحبل يمرس به

إِلَى صَنَاعِ الرِّجْلِ خَرْقَاءِ الْيَدِ
خَطَّارَةٍ بِالسَّبْسَبِ الْعَمَرَّدِ [١]

وَرَاعِي غَنَمٍ . بَيْنَ الْغَرْقَدِ وَالسَّلَمِ . يَدْفَعُهُ مَدْخَلُ اللَّيْلِ . إِلَى مَجْرَى السَّيْلِ .
يَشْرَبُ بِالْعُلَبِ . وَيَنْفُخُ فِي الْقَصَبِ [٢] . وَفِي كُلِّ مَحَلَّةٍ بُرٌّ يُقْنَى . وَحَرِيمَلَةٌ تُجْنَى .
وَقَصَبٌ يُكْسَرُ . وَسَلِيطٌ يُعْصَرُ . وَزُبْدٌ يُمْخَضُ . وَصَرِيحٌ يُمْحَضُ [٣]

لَهَا رِطْلٌ تَكِيلُ الزَّيْتَ فِيهِ
وَفَلاَّحٌ يَسُوقُ لَهَا حِمَارَا

وَأُنَاسِيٌّ . مِنْ أَرِيثِيٍّ وَقَرَوِيٍّ . هَرِيتٌ ثَوْبُهُ . نَقِيٌّ جَيْبُهُ . كَرِيمٌ فِي

الرحل . الحطم الراعي الظلوم للماشية . الزلم قدح لاريش عليه صلب

(١) الوسنان النائم الذي ليس بمستغرق في النوم . لم يوسد أي لم يجعل الوسادة تحت رأسه كناية عن عدم النوم . صناع أي ماهرة حاذقة . الخرقاء الناقة التي يقع منسمها على الارض قبل خفها ولا تتعهد مواضع قوائمها . الخطارة الناقة التي تضرب بذنبها يميناً وشمالاً . السبسب المفازة أو الارض المستوية البعيدة . العمرّد الطويل

(المعنى) يصف سائق الابل اذا حدا بها في آخر الليل وقد ملا النوم عينيه

(٢) الغرقد شجر عظام او هي العوسج . السلم شجر من العضاه يدبغ به . العلب جمع علبة قدح ضخم من جلود الابل يشرب و يحلب فيها . و ينفخ في القصب كناية عن المزمار

(المعنى) يصف راعي الغنم اذا رعاها وهو ينفخ في مزماره كما هي عادة الرعاة

(٣) المحلة المكان . يقني يحاز . الحريملة بالكسر القطن الجيد . السليط كل دهن عصر يمحض اي يخلص ولا يخالطه شيء

(المعنى) يصف حالة الريف وحالة اهليه وكيف يعيشون واشتغالهم في جلب زادهم وقوتهم

(٤) الرطل بالفتح و بكسر اثنتا عشرة اوقية والجمع ارطال

أَطْمارٍ . كَالْخَمْرِ فِي خزفٍ وقَارٍ [١] .

* * *

فَإِذَا أَقْبَلَ الْحَرُورُ أَلْفَيْتَ كُلَّ أَرْضٍ كَشِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ . وَكُلَّ نِهْيٍ كَقِطْعَةٍ مِنْ مَاسٍ [٢] . وَعَلَى كُلِّ عَلَمٍ . بُرْدٌ مُنَمْنَمٌ . وَفِي كُلِّ غَيْطٍ . وَشْيٌ

---

(٣) اريسيّ الاكار ويجمع على ارسين و بتشديد الراء . القروي نسبة الى القرية وهي احدى القرى . هريت ثوبه الاصل في هريت الواسع الشدقين واستعمل هنا في الثوب كناية عن اتساعه . الاطمار جمع طمر وهو الثوب الخلق البالي . الخزف الفخار . القار شيء اسود يطلى به الابل والسفن وقيل هو الزفت

(المعنى) يصف اهل الريف وسذاجتهم وطيب اخلاقهم ويقول انهم كرام وان رثت ألبستهم فهم كالخمر التي تكون في دنان من خزف أو قار أو نحوه مما لا قيمة له ولباس اهل الريف بسيط جداً مما لا يكلفهم ثمناً عظيماً وهي حالة محمودة فيهم قيل دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والي خراسان وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة اكلمك فلا تجيبني قال اكره ان اقول زهداً فأزكي نفسي أو اقول فقراً فاشكو ربي

(٢) الحرور الريح الحارّة بالليل وقد تكون بالنهار — ابو نواس هو ابو علي الحسن بن هانيء ابن عبد الاول المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها وتخرج على ابي اسامة والبة بن الحباب وكان قد رآه ابو أسامة في الكوفة على حانوت بعض العطارين ورأى فيه مخايل الذكاء فقال له أرى فيك مخايل أرى ان لا تضيعها وستقول الشعر فأصحبني اخرجك فصار ابو نواس معه فقدم به بغداد فكان اول ما قاله من الشعر

حامل الهوى تعب يستخفّه الطرب
ان بكى يحق له ليس ما به لعب
تضحكين لاهية والمحب ينتحب
تعجبين من سقمي صحتي هي العجب

وكان واسع العلم كثير الحفظ وهو من الطبقة الاولى من المولدين وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء ومن شعره الفائق المشهور قصيدته التي يمدح بها الامين محمد بن هارون الرشيد

وَرَيطٌ ١ ٠ إِلَى أَزَاهِرٍ كَأَنَّهَا دَنَانِيرُ جُدُدٌ ٠ أَوْ دَرَاهِمُ بِدَد ٠ اوْ فُصُوصٌ مِنْ يَوَاقِيتَ ٠ أَوْ أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتٍ ٢

لَهَا جِلِّسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ
وَسِيسَنْبَرٌ وَالْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا
وَآسٌ وَخِيرِيٌّ وَمَرْدٌ وَسَوْسَنٌ

ومطلعها

يا دار ما صنعت بك الايام — لم تبق فيك بشاشة تستام

يقول من جملتها في صفة ناقته

وتجشمت بي هول كل تنوفه — هو جاء فيها جرأة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها — صف تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغن محمدًا — فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطيء الثرى — فلها علينا حرمة وذمام

وكانت ولادته في سنة خمس واربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة ووفاته في سنة ثمان وتسعين ومائة بيغداد ٠ النهي الغدير ٠ الماس حجر معروف ثمين

(المعني) يقول انه اذا جاء الربيع وبعده الصيف تزينت الارض بالنبات والازهار حتى اشبهت شعر ابي نواس في رقته وزخرفته ٠ ويقول كثرت المياه وامتلأت الحياض وصفت حتى ليرى كل حوض كأنه قطعة من ماس لبريق مائه

(٢) العلم المكان المرتفع ٠البرد المنمنم الكساء المنقوش المزخرف ٠ الغيط المدرعة ٠ الوشي نقش الثوب ويكون من كل لون ٠ الريط جمع ريطة وهي كل ثوب لين رقيق يشبه الملحفة

(٣) الازاهر جمع زهر واحدته زهرة وزهَرة ٠ الجدد جمع جديد وهونقيض القديم ٠ البدد المتفرق ٠ الكبريت مادة بسيطة معدنية صفراء اللون لا تحل يوقد بها

(المعني) يقول ان هذه الازاهر قد تنوعت ألوانها فمنها ما هو اصفر كالدنانير أو ابيض كالدراهم أو احمر كاليواقيت أو ازرق كأول النار في الكبريت

يُصَبِّحُنَا فِي كُلِّ دَجْنٍ تَغِيمَا [١]

وَعَنْدَلِيبٌ وَكُرْكِيٌّ · وَحَمَامٌ وَقُمْرِيٌّ · وَبَطٌّ · عَلَى الشَّطِّ · وَإِوَزٌّ · فِي النَّزِّ [٢]

ظَلَّتْ بِنَهْرِ الْبَرَدَانِ تَغْتَسِلْ

---

(١) الجلسان الريحانة التي يقال لها النمام ليس بعربي · البنفسج نبات طيب الرائحة · السيسنبر كالجلسان الريحانة التي يقال لها النمام وليس بعربي وانما جرى في كلامهم · المرزجوش الزعفران · الآس نبات طيب الرائحة · الخيريّ المنثور الاصفر · المرد الغض من ثمر الأراك · السوسن نبات طيب الرائحة · الدجن الباس الغيم الارض واقطار السماء · وهذا الشعر للاعشي الجاهلي المشهور

(٢) العندليب طائر يقال له الهزار يصوت ألوانًا · الكركي طائر يقرب من الوزابتر الذنب رمادي اللون · القمري ضرب من الحمام · البط من طير الماء · الشط الشاطيء · الأوز نوع من البط · النز ما يتحلب من الارض من الماء

(المعنى) كل ما تقدم وصف للازهار واشكالها والاطيار ونغماتها ومن قول الشعراء في وصفها قول البحتري

شقائق يحملن الندى فكانه دموع التصابي في خدود الولائد
ومن لؤلؤ كالاقحوان منضد على نكت مصفرة كالفرائد

وقال بلال بن ابى عيينة في بستانه

بغرس كابكار العذارى وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الارض ينظرن حوله الى ملك أوفى على منبر الملك
يدلّ عليها مستطيلاً بحسنه ويضحك منها وهي مطرقة تبكي

ومن قولهم في الطيور وتغريدها قول ابن عبد ربه

ونائح في غصون الأيك أرقني وما عنيت بشيء ظل يعنيه
قد بات يشكو بشجو مادريت به وبت أشكو بشجو ليس يدريه

تَشْرَبُ مِنْهُ نَهَلاتٍ وتَعِلْ ¹

حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمَتْ مِنَ الصَّيْفِ الْوَقَدَاتُ · وَاسْتَحَرَّتِ الْوَغَرَاتُ · إِذَا الْحُجْرَانُ قَدِ اصْفَرَّتْ · وَالْعُيُونُ قَدْ نَشَّتْ · وَاسْتَنَّ السَّفَا وَالذُّرَقُ · عَلَى الْقِيَقِ · وَغَدَتِ الْحُقُولُ · وَهِيَ عَصْفٌ مَأْكُولٌ · وَالْبِطَاحُ · حَصِيدًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ² · وَلَاحَ السَّرَابُ · عَلَى الشِّعَابِ · كَالرِّيَاطِ الْبِيضِ · وَالْمُلَاءِ الرَّحِيضِ · وَجُنَّ الذُّبَابُ · وَحُمَّ الْغُرَابُ · وَسَكَنَ الْعُصْفُورُ مَعَ الضَّبِّ فِي جُحْرٍ · وَسَالَ لُعَابُ الشَّمْسِ كَمُذَابِ الصُّفْرِ ³ · وَدَوَى النَّحْلُ · فِي الْمَحْلِ · وَوَثَبَ الْجَرَادُ

وقال حميد بن ثور

مطوقة خطباء تسجع كلما ... دنا الصيف وانزاح الربيع فأنجما
تغنت على غصن عشاءً فلم تدع ... لنائحة في نوحها متلوما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربياً شاقه صوت أعجما

(١) نهر البردان نهر بطرسوس وآخر بمرعش · النهلات جمع نهلة وهي الشرب الاول · تعل تشرب الشرب الثاني

(٢) الوقدات جمع وقدة وهي اشد الحر · الوغرات جمع وغرة وهي شدة توقد الحر · الحجران منبت الرمث ومجتمعه ومستداره · نشت اخذ ماؤها في النضوب · استن اي طال و يبس · السفا شوك البهمي · الذرق من احرار البقول · القيق اماكن منقادة والواحدة قيقاة · الحقول جمع حقل وهو الزرع مادام اخضر · العصف الورق اخذ ما فيه من الحب وبقي هو لاحب فيه · الحصيد حب البر المحصود · تذروه تفرقه

(٣) السراب ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض · الشعاب جمع شعب وهو الطريق في الوادي ومسيل الماء في بطن الارض · الرياط جمع ريطة وهي كل ثوب لين رقيق يشبه الملحفة · الملاء ثوب يلبس على الفخذين · الرحيض المغسول النظيف · جنّ اصابه الجنون · حمّ اصابته الحمى · الضب حيوان بري يشبه الورل · الجحر كل مكان تحتفره الهوا

في الوهاد . وانساب النضناض . على الرضراض . وخرج الذر . من الجفر [١] . وطاب المقيل . في الظل الظليل . ففي كل دوحة أستار وحجب . وتحت كل سدرة قبة وطنب [٢] . وسرى النسيم في الظهيرة بين الأشجار . كأنه نسيم الأسحار [٣]

خليلي بالبوباة عوجا فلا أرى
بها منزلاً إلا جديب المقيد
نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا
تهامة في حمامها المتوقد [٤]

والسباع لأنفسها . اللعاب ما سال من الفم ومنه لعاب الشمس وهو خيوطها . الأكم جمع أكمة وهي الهضبة المرتفعة . الصفر الذهب

(١) دوى دويًا وهو الصوت الذي لا يفهم منه شيء من الذباب والنحل . المحل الجدب . الوهاد جمع وهدة وهي الارض المنخفضة . النضناض الحية التي لا تستقر على الارض . الرضراض ما دق من الحصى . الذر صغار النمل . الجفر البئر الواسعة

(٢) المقيل موضع القيلولة . الدوحة الشجرة العظيمة . السدرة شجرة النبق . الطنب حبل طويل يشد به سرادق البيت

(٣) الظهيرة انتصاف النهار وقيل خاص بالصيف

(المعنى) يقول ان هواء هذه البقعة في وقت الظهيرة عند احتدام القيظ يكون بليلاً رطباً كأنه النسيم في السحر

(٤) البوباة الفلاة وعقبة كؤود بطريق اليمن . الجديب الماحل . المقيد لقول العرب الدهناء مقيد الجمل اي الموضع الذي يقيد فيه ويخلى وذلك لخصبها وجديب المقيد اي ماحله . نجد من بلاد العرب وهو خلاف الغور . تهامة بلاد شمال الحجاز . الحمام موضع الاستحمام . وقد اكثر

فَإِنْ أَظَلَّ الشِّتَاءُ كُنْتَ فِي جَوٍّ كَأَدْكَنِ الْخَزِّ · وَأَرْضٍ كَأَخْضَرِ الْقَزِّ
وَلِقْحَةٍ تَدِرُّ · وَكَلْبٍ يَهِرُّ · وَنَكْبَاءَ صَرْصَرٍ [١]

عَشْوَاءَ رَعْبَلَةِ الرَّوَاحِ خَجُوجَاةِ الْغُدُوِّ رَوَاحُهَا شَهْرُ [٢]

وَخُبْزٍ سَمِيذٍ · وَحَمَلٍ حَنِيذٍ · وَلِبَاءٍ وَمَاذِيٍّ · وَكَامِخٍ طَرِيٍّ · وَحَالُومٍ

الشعراء من وصف الحمام فمن ذلك قول السّري الرفّاء

بيت بنته حكماء الورى فهو الى الحكمة منسوب
حرّ هو الروح لاجسامنا والحرّ للاجسام تعـذيب

وقال أبو طالب المأموني

وبيت كاحشاء المحب دخلته ومالي ثياب فيه غير اهابي
ارى محرماً فيه وليس بكعبة فما ساغ الا فيه خلع ثيابي
بماء كدمع الصب في حرّ قلبه اذا آذنت احبـابه بذهاب
توهمت فيه قطعة من جهنم ولكنها من غير مس عقاب

وكل ما تقدم وصف للصيف وحرّه ولقد قال بشار بن برد يصف يوماً شديد الحر

ويوم كتنور الاماء سجرنه وأوقدن فيه الجزل حتى تضرما
رميت بنفسي في أجيج سمومه وبالعيس حتى بض منخرها دما

(١) الأدكن المائل الى السواد · الخز الحرير · الابريسم الاخضر من الخز · اللقحة الناقة الحلوب الغزيرة اللبن · تدر تسيل · يهر يصوت دون نباح من شدة البرد · النكباء الريح التي انحرفت ووقعت بين ريحين · صرصر شديدة الهبوب أو البرد

(٢) عشواء الأصل ان هذه اللفظة استعملت للناقة التي لا تبصر ما امامها فتخبط بيديها كل شيء اذا مشت ثم استعيرت للريح الشديدة الهبوب التي تثير الغبار · رعبلة الرواح من الرياح التي لا تستقيم في سيرها · خجوجاة الريح الشديدة المرور

وَصِيرٍ . وَخَيْرٍ كَثِيرٍ [١] . وَلَيْلٍ مَطْلُولٍ . كَأَنَّهُ لَيْلُ صُولٍ . وَمَوْقِدٍ وَدُخَانٍ وَسُمَّارٍ وَضِيفَانٍ [٢]

---

(١) سميذ الحوّاري . حمل الخروف . حنيذ المشوي . اللبأ اللبن . الماذي العسل أو الابيض منه . الكامخ هو المخللات التي تستعمل لتشهي الطعام . الحالوم لبن يغلظ فيصير شبيهاً بالجبن الرطب وليس هو . الصير السميكات المملوحة وكل ما تقدم وصف لطعام اهل الريف وكانت اطعمة العرب بسيطة فمنها الوشيقه وهي من اللحم الذي يغلي اغلاءة ثم يرفع قال الحسن ابن هانيء

حتى رفعنا قدرنا بضرامها   واللحم بين موزم وموشق

والصفيف مثله وهو القديد والربيكة شيء يطبخ من برّ وتمر والبسيسة وهي كل شيء خلطته بغيره مثل السويق بالأقط ثم تلته بالسمن أو بالزيت والعثيمة طعام يطبخ وهو الغثيمة ايضاً والبغيث والغليث الطعام المخلوط بالشعير والبكيلة والبكالة جميعاً وهي الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو سمن أو زيت والعريقة شيء يعمل من اللبن وكان اهل البادية يعدون هذه الاطعمة وامثالها على بساطتها من الخر الاطعمة قال ابو صوارة الارز الابيض بالسمن المسلي والسكر والطابرزد ليس من طعام اهل الدنيا وسمع الحسن رجلاً يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم . وقال بلال بن ابي بردة وهو امير على البصرة للجارود ابن ابي بسرة الهذلي أتحضر طعام هذا الشيخ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر قال نعم قال فصفه لي قال نأتيه فنجده مضطجعاً يعني نائماً فنجلس حتى يستيقظ فيأذنوا لنا فنساقطه الحديث فان حدثناه احسن الاستماع وان حدثنا احسن الحديث ثم يدعو بمائدته وقد تقدم الى جواريه وامهات اولاده ان لا تحدثه واحدة منهن الاّ اذا وضعت مائدته ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه فيقول ما عندك اليوم فيقول عندي كذا وعندي كذا فيعدد كل ما عنده ويصفه يريد بذلك ان يحبس كل رجل نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام وتقبل الألطاف من هاهنا وههنا وتوضع على المائدة ثم يؤتي بثريدة شهباء من الفلفل رقطاء ذات حفافين من العراق فنأكل معه حتى اذا ظن ان القوم قد كادوا يمتلئون جثا على ركبتيه ثم استأنف الاكل معهم . فقال أبو بردة لله درّ عبد الأعلى ما اربط جأشه على وقع الاضراس

(٢) المطلول الذي اصابه الطل . ليل صول صول هذه التي ينسب اليه الصولي الأديب

تَظَرْتُ وَالْعَيْنُ مُبِينَةُ التُّهَمْ
إِلَى سَنَا نَارٍ وَقُودُهَا الرَّتَمْ
شُبَّتْ بِأَعْلَى عَانِدِينَ مِنْ إِضَمْ ١

وَفِي الْجَوِّ غَيْمٌ قَدْ تَعَلَّقَ بَيْنَ الْأُفُقَيْنِ . وَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ . كَأَنَّهُ فَرْوٌ مَزْرُورٌ . أَوْ كَافُورٌ مَنْثُورٌ ٢ . تَمُجُّ لَوَاقِحُهُ الْمَاءَ . مَجَّ الدِّلَاءِ . وَتَرْتَعِجُ فِيهِ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ . كَسَلَاسِلِ الذَّهَبِ ٣ . وَالطَّيْرُ سَوَاكِنُ بِلَا حِرَاكٍ . كَأَنَّهَا مِنَ الْغَيْثِ فِي شِبَاكٍ ٤

فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ
يَكُبُّ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنَهْبَلِ ٥
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
بِأَبْطَحِ جِلْوَاخٍ بِأَسْفَلِهِ نَخْلُ ٦

المشهور وليلها يوصف بالبرودة والطول و يشير السيد المؤلف الى قول القائل

في ليل صول تناهى العرض والطول كأنما ليلها بالليل موصول

(١) السنا الضوء . الرتم ضرب من الشجر . عاندين موضع . اضم موضع

(٢) قاب قوسين اي ما بين المقبض والسية اي قدر قوس . فرو مَزْرُورٌ اي المشدود بالازرار يعني ان الغيم مجعد . كافور نبت طيب الرائحة ابيض اللون

(٣) تمج ترمي . اللواقح السحب التي تحمل الندى ثم تمجه في البحار فيصير مطرًا . الدلاء جمع دلو وهو الذي يستقى به . ترتعج تضطرب وتموج

(٤) السواكن الساكنة . الحراك التحرك . الشباك جمع شبكة وهي شركة الصياد

(٥) يسح يسيل . الكتيفة موضع . يكب يميل . الدوح الشجر العظام . الكنهبل الشجر العظام ايضًا والبيت لامرء القيس ومعناه ان السيل ينصب من الجبال والآكام فيقتلع الشجر

سَرَّاءُ . فِي جَمِيعِ الأَنْحَاءِ . وَرَاحَةٌ . فِي كُلِّ سَاحَةٍ [١] . فَكَأَنَّمَا نَفْسُ الإِنْسَانِ . فِي كُلِّ مَكَانٍ . عَيْنُ مَاءٍ . تَصِفُ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ الأَشْيَاءِ . فَإِنْ كَانَتْ حِذَاءَ رِيَاضٍ . وَفَضَاءٍ وَغِيَاضٍ . أَلْفَيْتَ فِيهَا رَوْضًا وَزَهْرًا . وَسَمَاءً وَفَجْرًا [٢] . وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَ الْحِيطَانِ الْقَتْمَاءِ . وَبُيُوتِ الْمُدُنِ الدَّكْنَاءِ . أَلْفَيْتَهَا مُعْتِمَةً . كَدْرَاءَ مُظْلِمَةً [٣]

أَرْضٌ تَخَيَّرَهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا
كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ [٤]

***

العظام . جلواخ الوادي الواسع الضخم الممتلىء العميق

(١) المعنى يقول ان هذا المحل رطيب هوائه يجد الانسان فيه في كل انحائه سروراً وفي كل ساحاته راحة وحبوراً

(٢) الغياض جمع غيضة وهو مجتمع الشجر

(المعنى) يقول ان نفس الانسان كالمرآة تصف ما يقابلها من الاشياء فان كانت في روضة انعكس لطف هذا الروض فيها وان كانت في فضاء انعكست صورته فيها فرأيت فيها سماء وفجرا

(٣) القتماء السوداء . الدكناء المائلة الى السواد

(المعنى) يقول كذلك نفس الانسان تراها مظلمة ان كانت في محل مظلم

(٤) كعب بن مامه هو احد اجواد العرب المشهورين يضرب به المثل في الكرم قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

وما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا

ابن ام دواد هو ايضاً احد اجواد الجاهلية المشهورين والبيت من قصيدة للاسود بن يعفر النهشلي احد فحول شعراء الجاهلية اولها

نام الخلي فما احس رقادي والهم محتضر لديّ وباد

وَصَحْبِي فِي هَـٰذِهِ الْعِزْلَةِ نَفَرٌ مِنْ صُيَّابِ الْأَقْوَامِ . وَأَلْبَابِ الْأَنَامِ . فَمِنْهُمْ أَبُو تَمَّامٍ . وَالْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ . وَعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ . وَطَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ [١] .

من غير ما سقم ولكن شفني　　　همٌّ أراه قد اصاب فؤادي

ومنها

ماذا أؤمل بعـد آل محرق　　　تركوا منازلهـم وبعد اياد

اهل الخورنق والسدير وبارق　　　والقصر ذي الشرفات من سنداد

(١) الصياب خيار القوم . الالباب المختار من كل شيءٍ — ابو تمام هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر شامي الاصل وقد كان بمصر في حداثته يسقي الماء في المسجد الجامع ثم جالس الادباء فأخذ عنهم وتعلم وكان فطنًا فهمًا وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى رز فيه واجاده وسار شعره وشاع ذكره وبلغ المعتصم بالله العباسي خبره فحمله اليه وقدمه على شعراء وقته وقدم الى بغداد فجالس بها الادباء وعاشر العلماء وكان موصوفًا بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس وقد عني به الحسن بن وهب وولاه بريد الموصل فأقام بها اقل من سنتين ومن مصنفاته كتاب الحماسة الذي دلَّ على غزارة فضله واتقان معرفته بحسن اختياره وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء وكان له في المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره وكانت ولادة ابي تمام سنة اثنتين وتسعين ومائة وتوفي بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين وقد رثاه كثير من الشعراء فمن ذلك قول الحسن بن وهب فيه

سقى بالموصل القبر الغريبا　　　سحـائب ينتحبن له نحيبا

اذا اظللنه اطلقن فيـه　　　شعيب المزن يتبعها شعيبا

ولطَّمن البروق به خدودًا　　　وشققن الرعود به جيوبا

فان تراب ذاك القبر يحوي　　　حبيبًا كان يدعى لي حبيبا

ويروى انه سئل ابن عنين عن معنى قوله

سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوت　　　من الموصل الحدباء الاَّ قبورها

لم حرمها وخص قبورها فقال لأجل ابي تمام — الحارث بن همام يقصد بذلك الحارث بن همام الذي أتى راويًا في مقامات الحريري . وصاحب المقامات هذا هو ابو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري كان احد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات واشتملت على شيءٍ كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل

هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته وله مصنفات غيرها كثيرة منها كتاب درة الغواص وكتاب الرسائل وملحة الاعراب وشرحها الى غير ذلك وكانت ولادته سنة ست واربعين واربعمائة ووفاته سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة · — · عروة بن الورد هو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المشهورين المعدودين الأجواد وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه اياهم وقيامه بأمرهم اذا اخفقوا في غزواتهم وكان شاعرًا مجيدًا مؤثرًا حتى ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب قال لمعلم ولده لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها

دعيني للغنى اسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

فان هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم وكان كريمًا جوادًا حتى ان عبد الملك بن مروان قال من زعم ان حاتمًا اسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد وقيل ان سنة جدباء اصابت ناسًا من بني عبس فاهلكت اموالهم واصابهم جوع شديد و يأس فأتوا عروة بن الورد فجلسوا امام بيته فلما بصروا به صرخوا وقالوا يا ابا الصعاليك اغثنا فرق لهم وخرج ليغزو بهم و يصيب معاشًا فنهته زوجته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك فعصاها وخرج غازيًا حتى انتهى الى بلاد فأغار على اهلها فاصاب هجمة عاد بها على نفسه واصحابه وقال في ذلك

اری ام حسان الغداة تلومني تخوفني الاعداء والنفس اخوف
تقول سليمى لو اقمت لسرنا ولم تدر اني للمقام أطوف
لعلّ الذي خوفتنا من امامنا يصادفه في اهله المتخوف

واخبار عروة كثيرة — طرفة بن العبد هو ابن سفيان بن سعد بن مالك كان في حسب كريم وعدد كثير وكان شاعرًا جريًا على الشعر وكانت اخته عند عبد عمرو بن بشر وكان عبد عمرو هذا سيد اهل زمانه وكان من اكرم الناس على عمرو بن هند الملك فشكت اخت طرفة شيئًا من امر زوجها الى طرفة فعاب عبد عمرو وهجاه وكان من هجائه اياه ان قال

ولا خير فيه غير ان له غنى وان له كشحًا اذا قام اهضما
تظل نساء الحي يعكفن حوله يقلن عسيب من سراة ملهما

فغاظ ذلك عبد عمرو وعمرو بن هند وكان قد هجا عمرو بن هند قبل ذلك فكتب الى رجل بالبحرين ليقتله فقال له بعض جلسائه انك ان قتلته هجاك المتلمس حليف طرفة فارسل لهما جميعًا

النُّعْمَانِ ١

ذَرِيني وَكُتْبِي وَالرِّيَاضَ وَوَحْدَتِي
أَظَلُّ كَوَحْشِيٍّ بِإِحْدَى الأَمَالِسِ
يُسَوِّفُ أَزْهَارَ الرَّبِيعِ تَعِلَّةً

فأتياه فكتب لعامله بالبحرين ليقتلهما واعطاهما هدية من عنده وحملهما فاقبلا حتى نزلا الحيرة فقال المتلمس لطرفة اني ارى في الامر ريبة وفي احتفاء عمرو بنا سرًّا فجاء المتلمس الى غلام من اهل الحيرة وقال له اقرأ يا غلام واعطاه الصحيفة فقرأها فقال الغلام انت المتلمس قال نعم قال النجاء فقد امر بقتلك فأخذ الصحيفة فقذفها في البحيرة ثم انشأ يقول

والقيتها بالثني من جنب كافر   كذلك يلقي كل قط مضال
رضيت لها بالماء لما رأيتها   يجول بها التيار في كل جدول

وابى طرفة ان يفض صحيفته وما زال حتى اتي صاحب البحرين بكتابه فقال له صاحب البحرين انك في حسب كريم وبيني وبين اهلك اخاء قديم وقد امرت بقتلك فاهرب اذا خرجت من عندي فان كتابك ان قرئ لم اجد بدًّا من ان اقتلك فأبى طرفة ان يطيعه فجعل شبان عبد القيس يدعونه و يسقونه الخمر حتى قتل وهو صاحب المعلقة المشهورة التي مطلعها

لخولة اطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(١) احمد بن سليمان التنوخي المعروف بالمعرى كان غزير الفضل وافر الأدب عالمًا باللغة حسن الشعر جزل الكلام وكان ضريرًا اعمى وصنف تصانيف كثيرة واشعارًا جمة كسقط الزند ولزوم مالا يلزم وضوء السقط والايك والغصون ورسالة الغفران الى غير ذلك وكان غزير المادة في اللغة قيل انه دخل يومًا الى مجلس المرتضي فعثر بانسان فقال له من هذا الكلب فقال الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وكان مقصد اهل العلم من جميع الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء واهل الاقدار ولزم بيته وسمّي نفسه رهين المحبسين للزومه منزله ولذهاب عينيه ومكث مدة خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة وشعره مشهور عند الخاص والعام وتوفي يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين

وِيَأْمَنُ فِي الْبَيْدَاءِ شَرَّ الْمَجَالِسِ ١

وَلَهُ غَنِيتُ عَنْ زَائِرٍ مُلِمٍّ

فَلْيَشْغَلِ الْخَيْرُ زَائِرِيَا ٢

وَرُبَّمَا أَسْمَعَنَا . ثَعْلَبُ ٣ عَنْ قُطْرُبٍ

واربعمائة بالمعرة واوصى ان يكتب على قبره هذا البيت

هذا جناه ابي عليَّ وما جنيت على احد

الباقعة الذكي العارف الذي لا يفوته شيء ولا يدهى • المعرّة بلد ومنها المعري

(١) الأُمالس جمع املس وهي الفلاة ليس بها نبات . يسوف يشتمُّ . التعلة ما يتعلل به . البيداء الفلاة الواسعة

(المعنى) يقول دعيني ووحدتي اكون كوحشي في فلاة انيسي فيها كتاب اقرأه واعلل النفس بشم الازهار فاكون قد امنت في هذه البيداء شر الاختلاط

(٢) (المعنى) يقول ان كانت زيارة هذا الزائر فيها خير فليعد به على نفسه فاني غني عنه وعن خيره . والمرء لا يجد الراحة الاّ في وحدته والسعادة الا في عزلته فان الاختلاط بالعالم والاندماج فيهم تعب للنفس وكدّ للفكر ولو كان مع الزوجة التي هي شفاء لهموم الرجل وتأساء له اذا اثقلته متاعب الحياة وقد قيل لمالك بن دينار أنت اعزب فلو تزوجت فقال لو استطعت طلقت نفسي

(٣) قطرب هو ابو على بن المستنير بن احمد النحوي اللغوي البصري اخذ الادب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وكان حريصاً على الاشتغال والتعلم وكان يبكر قبل حضور احد من التلامذة فقال له ما انت الاّ قطرب ليل فبقي عليه هذا اللقب (وقطرب اسم دويبة لاتزال تدب ولا تفتر) وكان من أئمة عصره وله من التصانيف كتاب معاني القرآن وكتاب الاشتقاق وكتاب القوافي وكتاب النوادر وكتاب الازمنة الى غير ذلك وهو اول من وضع المثلث في اللغة وكان معلماً لأولاد ابي دلف العجلي وتوفي سنة ست ومائتين — ثعلب هو ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيّار النحوي المعروف بثعلب كان امام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه وكان ثقة ديناً مشهوراً بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديم بذّ الشيوخ وهو حدث ويروي ان ابن

تَمُرُّ عَلَيْنَا الأَرْضُ مِنْ أَنْ نَرَى بِهَا
أَنِيساً وَيَحْلَوْلِي لَنَا الْبَلَدُ الْقَفْرُ (١)

أَوِ ارْتَجَلَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ (٢) وَارْتَجَزْ

قَلِيلُ هُمُومِ النَّفْسِ إِلاَّ لِلَذَّةٍ
يُنَعِّمُ نَفْساً آذَنَتْ بِالتَّنَقُّلِ
وَلَسْتَ تَرَاهُ سَائِلاً عَنْ خَلِيفَةٍ
وَلاَ قَائِلاً مَنْ يَعْزِلُونَ وَمَنْ يَلِي
وَلاَ صَائِحاً كَالْعِيرِ فِي يَوْمِ لَذَّةٍ

الاعرابي كان يقول له ما تقول في هذا يا ابا العباس ثقة بعلمه وحفظه ولد سنة مائتين وتوفي ليلة السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادي سنة احدى وتسعين ومائتين

(١) يحلو لي يصير حلواً .

(المعنى) يقول انه يستثقل وجود الناس معه ويستحلي القفر لخلوه عن الأنيس نفرة من شرور العالم

(٢) ابن المعتز هو ابو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الأبداع للمعاني مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً في جملتهم وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب البديع وكتاب مكاتبات الأخوان بالشعر وكتاب الجوارح والصيد وكتاب اشعار الملوك الى غير ذلك ومن شعره

والبدر في افق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

وقد جرت له الكائنة في خلافة المقتدر واتفق معه جماعة من رؤساء الاجناد ووجوه الكتاب فخلعوا المقتدر يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين وبايعوه فتحزب أصحاب المقتدر واعوانه وحاربوا اعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته واختفى

يُنَاظِرُ فِي تَفْضِيلِ عُثْمَانَ أَوْ عَلِي
وَلٰكِنَّهُ فِيمَا عَنَاهُ وَسَرَّهُ
وَعَنْ غَيْرِمَا يَعْنِيهِ فَهُوَ بِمَعْزِلِ[١]

وَإِنْ شِئْنَا حَدَّثَنَا أَفْلَاطُونُ · وَنَادَمَنَا ابْنُ زَيْدُونٍ[٢] · وَعَالَجَنَا بِقْرَاطُ ·

ابن المعتز في دار بن الجصاص التاجر الجوهري فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله وسلمه الى أهله ملفوفاً في كساء ودفن في خرابة بازاء داره · ولد سنة سبع واربعين ومائتين وتوفى سنة ست وتسعين ومائتين

(١) عثمان هو عثمان بن عفان أحد الخلفاء الاربعة الراشدين · علي هو علي بن ابي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج البتول وأحد الخلفاء الاربعة الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين ·

(المعنى) يقول اني أروح نفسي بالتنقل من محل لآخر غير سائل عن ملك وغير متطلع الى من يعزل او يتولى او اكثر من اللجاج في المفاضلة بين عثمان وعلي ولكنني انغمس في ما يهمني و يسرني

(٢) افلاطون هو فيلسوف من اشهر فلاسفة اليونان ولد في اثينا وكان ينمو و يتقدم بالاوصاف والاخلاق الجليلة فكان ثاقب الفكر غزير المادة واسع العقل ثابته بصيراً حادّ الذهن مولعاً بعلم الهندسة قد اتقن الفنون واشتغل بالتصوير والموسيقى ثم انصب على الشعر ونظم في بعض انواعه ولما رأى ان شعره لا يماثل شعر هوميروس طرح في النار كل ما كان قد نظمه ثم جاء مصر وتعلم من الكهنة التعاليم القديمة التي كان المصريون يفتخرون بها وكانت فلسفته غامضة جداً والظاهر انه كان يحاول ستر افكاره الحقيقية تحت برقع سميك ولذلك اخذ الفلاسفة والعلماء في حل رموزها دهراً افلاطون قد صرف قسماً كبيراً من حياته في انشائها ولما توفي افلاطون طويلاً على ان اقام الأثينيون وتلاميذه لجنازته احتفالاً عظيماً ونصبوا له تماثيل واقاموا له مذابح وصنعوا له ايقونات لحفظ هيئته — ابن زيدون هو ابو الوليد احمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي كان من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة وقد برع في الادب ونظم الشعر الرقيق

وَوَعَظَنَا سُقْرَاطُ [١]

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ
هُمُ الأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ [٢]
أَيَّامُنَا فِي ظِلاَلِهِمْ أَبَدًا
فَصْلُ رَبِيعٍ وَدَهْرُنَا عُرْسُ [٣]

*
* *

الجيد ثم انتقل الى المعتضد صاحب اشبيلية فجعله من خواصه وكان معه في صورة وزير ومن شعره قوله

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع — سرّ اذا ذاعت الأسرار لم يذع
يابائعاً حظه مني ولو بذلت — لي الحياة بحظي منه لم ابع

ومن شعره قصيدته النونية التي مطلعها

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا — يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم ايامنا فغدت — سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

وكانت وفاته في سنة ثلاث وستين واربعمائة بمدينة اشبيلية

(١) بقراط طبيب من اطباء اليونان • سقراط حكيم من اشهر حكمائهم

(٢) السيد الذئب • عملّس الذئب الخبيث • الارقط النمر • الزهلول الاملس لكثرة شعر رقبته • العرفاء الضبع • الجيأل الانثى من الضبع

(المعنى) يقول ان لى في العزلة اهلاً سواكم من الوحوش الضارية فان سري لا يذاع لديهم ولا يخذلوني في الشدة

(٣) (المعنى) يقول ان ايامي التي اقضيها في العُزلة كأنها فصل ربيع ودهري كله عرس

يَدْعُونِي السَّيِّدُ دَامَ عُلاَهُ . وَكُبِتَ عِدَاهُ . أَنْ أَهْجُرَ الدَّسَاكِرَ . وَأَسْكُنَ الْحَوَاضِرَ ¹ . وَأَتْرُكَ تِلْكَ التِّلاَعَ وَالأَيْفَاعَ . وَأُقْبِلَ عَلَى الإِجْتِمَاعِ ² . قَدْ كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ . (أَلاَ مَنْ يَشْتَرِي سَهَرًا بِنَوْمٍ ³) . كَيْفَ بَعْدَ التَّجَارِبِ الرُّجُوعُ .

---

(١) كبت صرع . الدساكر جمع دسكرة وهي القرية العظيمة . الحواضر جمع حاضرة وهو خلاف البادية

(٢) التلاع جمع تلعة وهي ما علا من الأرض . الايفاع جمع ايفع وهو التل المشرف

(٣) (المعنى) يقول ان في العزلة الراحة وفي الاجتماع التعب فلا يستبدل احد الراحة بالتعب (فمن يشتري سهرًا بنوم) وهذا مثل عربي وأول من قاله ذورعين الحميري وذلك ان حمير تفرقت على ملكها حسان وخالفت أمره لسوء سيرته فيهم ومالوا الى أخيه عمرو وحملوه على قتل اخيه حسان واشاروا عليه بذلك ورغبوه في الملك ووعدوه حسن الطاعة والموازرة فنهاه ذورعين من بين حمير عن قتل اخيه وعلم انه ان قتل اخاه ندم ونفر عنه النوم وانتقض عليه أموره وانه سيعاقب الذي أشار عليه بذلك ويعرف غشهم له فلما رأى ذورعين انه لا يقبل ذلك منه وخشي العواقب قال بيتين وكتبهما في صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لي عندك الى أن اطلبها منك فاخذها عمرو فدفعها الى خازنه وامره برفعها الى الخزانة والاحتفاظ بها الى ان يسأل عنها فلما قتل اخاه وجلس مكانه في الملك منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما اشتد ذلك عليه لم يدع باليمن طبيبًا ولا كاهنًا ولا منجماً ولا عرافًا ولا عائفًا الا جمعهم ثم اخبرهم بقصته وشكا اليهم ما به فقالوا له ماقتل رجل اخاه او ذا رحم منه على نحو ما قتلت اخاك الا اصابه السهر ومنع عنه النوم فلما قالوا له ذلك اقبل على من كان اشار عليه بقتل اخيه وساعده عليه من اقيال حمير فقتلهم حتى افناهم فلما وصل الى ذو رعين قال له ايها الملك ان لي عندك براءة مما تريد ان تصنع بي قال وما براءتك او أمانتك قال مُر خازنك ان يخرج الصحيفة التي استودعتكها يوم كذا وكذا فامر خازنه فاخرجها فنظر الى خاتمه عليها ثم فضها فاذا فيها

أَلا من يشترى سهرًا بنوم سعيد من يبيت قرير عين

فأَما حمير غدرت وخانت فمعذرة الاله لذي رعين

(انَّ الْمُعَافَى غَيـرُ مَخْدُوعٍ [١]) • دَعِ النَّفْسَ وَشَانَهَا • (أَعْمَرْتَ أَرْضًا لَمْ تُلْسْ حَوْذَانَهَا [٢]) • إِذَا تَرَكْتُ الْعُزْلَةَ • فَمَنْ أَقْصِدُ بِالثِّقَةِ [٣]

كُلُّ رَئِيسٍ بِهِ مَلَالٌ

ثم قال ايها الملك قد نهيتك عن قتل اخيك وعلمت انك ان فعلت ذلك اصابك الذي قد اصابك فكتبت هذين البيتين براءة لي عندك مما علمت انك تصنع بمن اشار عليك بقتل اخيك فقبل ذلك منه وعفا عنه واحسن جائزته • يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية

(١) (ان المعافي غير مخدوع) هذا مثل عربي يضرب لمن يخدع فلا ينخدع والمعنى ان من عوفي مما خدع به لم يضره ما كان خودع به • واصله ان رجلاً من سليم يسمى قادحاً كان في زمن امير يكنى ابا مظعون وكان في ذلك الزمن رجل آخر من بني سليم ايضاً يقال له سليط وكان علق امرأة قادح فلم يزل بها حتى اجابته وواعدته فأتى سليط قادحاً وقال اني علقت جارية لأبي مظعون وقد واعدتني فاذا دخلت عليه فاقعد معه في المجلس فاذا اراد القيام فاسبقه فاذا انتهيت الى موضع كذا فاصفر حتى اعلم بمجيئكما فآخذ حذري ولك كل يوم دينار فخدعه بهذا وكان ابو مظعون آخر الناس قياماً من النادي ففعل قادح ذلك وكان سليط يخالف الى امرأته فجرى ذكر النساء يوماً فذكر ابو مظعون جواريه وعفافهن فقال قادح وهو يعرض بابي مظعون ربما غرَّ الواثق وخدع الوامق وكذب الناطق وملت العاتق ثم قال

لا تنطقن بأمر لا تيقنه ياعمرو ان المعافي غير مخدوع

وعمرو اسم ابي مظعون فعلم عمرو انه يعرض به فلما تفرق القوم وثب على قادح فخنقه وقال اصدقني فحدثه قادح بالحديث فعرف ابو مظعون ان سليطاً قد خدعه فاخذ عمرو بيد قادح ثم مر به على جواريه فاذا هن مقبلات على ما وكان به لم يفقد منهن واحدة ثم انطلق آخذاً بيد قادح الى منزله فوجد سليطاً قد افترش امرأته فقال له ابو مظعون ان المعافي غير مخدوع تهكماً بقادح فاخذ قادح السيف وشد على سليط فهرب فلم يدركه ومال الى امرأته فقتلها

(٢) (اعمرت ارضاً لم تلس حوذانها) هذا مثل عربي يضرب لمن يحمد شيئاً قبل التجربة واللوس الاكل والحوذان بقلة طيبة الرائحة والطعم • واعمرتها وصفتها بالعمارة

(٣) (المعنى) يقول بعد كل ذلك فمن اقصد اذا تركت العزلة والناس على ما ذكرت

وَكُلُّ رَأْسٍ بِهِ صُدَاعُ ¹

وَالْقَوْمُ شَرٌّ فَلَا يَسُرُّكَ إِنْ بَسَطُوا

لَكَ الْوُجُوهَ وَلَا يَحْزُنْكَ إِنْ عَبَسُوا ²

أَفْعَلُ ذَلِكَ . وَأَقْطَعُ تِلْكَ الْمَسَالِكَ . رَغْبَةً فِي حِوَارِ . حَاكِمِ دِيوَانٍ . أَوْ جِوَارِ . صُحْبَانٍ وَخِلَّانٍ . أَمْ لِمُنَافَسَةِ أَبْنَاءِ السَّامَّةِ . أَمْ مُلَابَسَةِ هَذِهِ الْعَامَّةِ ³ . أَمَّا الْحَاكِمُ فَأَكْثَرُ مَا لَقِيتُ امْرُؤٌ إِنْ أُونِسَ تَكَبَّرَ . وَإِنْ أُوحِشَ تَكَدَّرَ . وَإِنْ قُصِدَ تَخَلَّفَ . وَإِنْ تُرِكَ تَكَلَّفَ ⁴ . إِمَّعٌ . لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ . قُبَّةٌ جَوْفَاءُ تُرَدِّدُ مَا يُلْقَى فِيهَا مِنَ النَّغَمِ . إِنْ لَا فَلَا أَوْ نَعَمْ فَنَعَمْ . أَلْقَابٌ وَأَكَالِيلُ . عَلَى شَخْصٍ فِي مَرْسَحِ التَّمْثِيلِ . فَإِنْ طَرَحْتَ تِلْكَ الْأَلْقَابَ . وَنَزَعْتَ هَاتِيكَ الثِّيَابَ . أَلْفَيْتَ تَحْتَهَا الْعَجَبَ الْعُجَابَ ⁵ .

والاختلاط معهم مجلبة للهم والكدر

(١) (المعنى) يقول اما الرئيس فانه ملول واما الناس فان صداع الهموم الذي ملك رؤسهم ينفرني من الاختلاط بهم

(٢) (المعنى) يقول لا يغتر المرء بالناس ما داموا اشراراً سواء بسطوا له الوجوه اوقطبوها

(٣) حوار مراجعة الكلام . صحبان جمع صاحب . المنافسة المباراة . السامة الخاصة من الناس . الملابسة المخالطة

(٤) (المعنى) يقول اما الحاكم فانه في القرب منه متكبر وفي البعد عنه متكدر واذا قصده المرء في شيء تخلف عن قضائه واذا تركه تكلف

(٥) الامع والامعة الرجل يتبع كل احد على رأيه ولا يثبت على شيء والجمع امعون . الجوفاء الواسعة . الاكاليل جمع اكليل وهو التاج . مرسح التمثيل هو محل تمثل فيه وقائع ملوك مضت واشباهها فيلبس فيه الممثل لشخص الوزراء والرؤساء البستهم

أَبا الأَسْمَاءِ وَالأَلْقَابِ فِيكُمْ
يُنَالُ الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ اليَفَاعُ ١

لاَعُدَّةَ وَلاَ عَدَدَ · وَمُلْكٌ أَقَامَهُ اللّهُ بِلاَ رِجَالٍ كَمَا رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ ٢ ·

وَيَقْضِي الأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ عَبْسٌ
وَلاَ يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ ٣

مَنٌّ وَلاَ مُنَّةٌ · (كَالْمُهَدَّرِ فِي الْعُنَّةِ) · وَأَعْوَانٌ وَخُدَّامٌ · وَحِجَابٌ كَحِجَابِ أَبِي تَمَّامٍ

عَلَى سَرِيرٍ كَالنَّعْشِ لاَ رَهَبٌ
يَعْلُوهُ مِنْ هَيْبَةٍ وَلاَ رَغَبُ ٤

(المعنى) يقول ان الكثير من الحكام ليس لهم رأي فهم يرددون ما يلقى في آذانهم من امر ونهي فمثلهم كمثل الصدى الذي يرجع صوت الصائح اذا صاح في قبة او غرفة واسعة او نحو ذلك بل مثلهم مثل الحكام الذين يظهرون في مرسح التمثيل فهم سذّج في ثياب رؤساء فان نزعت عنهم ثيابهم لاتجد تحتها امرا عظيماً

(١) (المعنى) يقول ان الالقاب والاسماء لا تنول الانسان مجداً وشرفاً عظيماً

(٢) العدة الاستعداد · العمد جمع عماد كأهب جمع اهاب ويشير بذلك الى قول الله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) وتفسير الآية ان الله جلت قدرته رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة الا ان تلك العمد هي قدرة الله تعالى وتدبيره وابقاؤه اياها في الجو العالي وانهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الامساك

(٣) (المعنى) يقول ان هؤلاء الرؤساء لانهي لهم ولا امر فان الامر يقضي في غيابهم ولا يستأذنون في حضورهم

(٤) المن الانعام من غير تعب ولا نصب · المنة القوة · (المهدر في العنة) المهدر الجمل

له هدير . والعنة مثل الحظيرة تجعل من الشجر للأبل وربما يحبس فيها الفحل عن الضراب ويقال لذلك الفحل المعنى واصله المعنن من العنة فابدلت احدى النونين ياءً كما قال تظني قال الوليد ابن عتبة لمعاوية

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق فما تريم

والسدم الفحل غير الكريم يكره اهله ان يضرب في ابلهم فيقيد ولا يسرح في الابل رغبة عنه فهو يصول ويهدر . وهذا مثل عربي يضرب للرجل لا ينفذ قوله ولا فعله . حجاب أبي تمام يريد قوله

هب من له شيء يريد حجابه ما بال لا شيء عليه حجاب
ما زال وسواس لقلبي خادعاً حتى رجا مطرا وليس سحاب
ما ان سمعت ولا اراني سامعاً يوماً بصحراء عليها باب
ما كنت ادري لادريت بانه يجري بافنية البيوت سراب

وقال اعرابي في الحجاب

لعمري لئن حجبتني العبيد لبابك ما تحجب القافيه
سارمي بها من وراء الحجاب فيعدو عليك بها داهيه
تصم السميع وتعمي البصير ويسئل من مثلها العافيه

والحجاب عادة قديمة متبعة عند ملوك الاعصر الاول وذلك للفارق بين العظيم والحقير والملوك والسوقة . لان اختلاط الملوك بالرعية مما يضيع المهابة لهم من نفوس رعاياهم ويذهب بالعظمة والجلال اللذين يراها العامة في ملوكهم وروسائهم ولا نقصد بهذا الحجاب ذلك الحجاب الكثيف المتلبد الذي اتخذه بعض ملوك الاسلام قديماً والذي وقفت دونه اصوات المتظلمين واصطك به صراخ الشاكين وانما نقصد به ان يكون متوسطاً قصد الا امتناع ولا ابتذال فالنداء يبلغ مسامع الملك والرعية تهابه على بعد . فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع انه فاتح الدولتين وثالّ العرشين عرش الاكاسرة وعرش القياصرة كان يتفقد بنفسه أحوال الرعية ويختلط بهم الاختلاط التام ولكن كان ذلك والاسلام غض والدين متمكن من نفوس العامة

الرّهب الخوف الرّغب الارادة بالحرص

إِلَى تِيهٍ وَخُيَلَاءَ • وَعَنْجَهِيَّةٍ وَكِبْرِيَاءَ • كَأَنَّهُ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ • أَوْ أَدَالَ دَوْلَةَ بَنِي مَرْوَانَ [١] • أَوْ أَنَّ الإِيوَانَ دَارُهُ • وَالْهَرَمَيْنِ آثَارُهُ [٢] • وَعِصَامَ بْنَ شَهْبَرٍ حَاجِبُهُ • وَعَمْرَو بْنِ بَحْرٍ كَاتِبُهُ [٣] • وَالْحَجَّاجَ غُلَامُهُ •

---

(١) الخيلاء العجب والكبر • العنجهية الجهل والحمق • خاقان هذا مثل عربي ونصه أبأي ممن جاء برأس خاقان — وخاقان هذا كان رجلا ملكا من ملوك الترك خرج من ناحية باب الابواب وظهر على ارمينيــة وقتل الجراح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها وغلظت نكايته في تلك البلاد فبعث هشام اليه سعيد بن عمرو الجرشي وكان مسلمة صاحب الجيش فاوقع سعيد بخاقان ففض جمعه واحتز رأسه و بعث به الى هشام فعظم اثره في قلوب المسلمين وفخم امره ففخر بذلك حتى ضرب به المثل • ادال نزع والذي ادال دولة بني مروان هو ابو مسلم الخراساني ومكن في محلها الخلافة العباسية

(٢) الائوان هو ائوان كسرى المشهور • الهرمين هما هرما مصر وقد تقدمت ترجمتهما في موضع آخر من هذا الكتاب

(٣) عصام بن شهبر هو عصام بن شهبر حاجب النعمان الذي ضرب به المثــل بقوله ما وراءك يا عصام واول من قال ذلك النابغة الذبياني وكان النعمان مريضاً وقد أرجف بموته فسأل النابغة عن حال النعمان فقال ما وراءك يا عصام ومعناه ما خلفت من امر العليل او ما امامك من حاله — وعمرو بن بحر هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليــثي المعروف بالجاحظ البصري صاحب التصانيف في كل فن كان فصيحاً بليغاً كاتباً مجيــداً وكان من أئمة المعتزلة وهو تلميذ ابي اسحاق النظام قال ابو سعيد الجنــديسابوري سمعت الجاحظ يصف اللسان فقال • هو أداة يظهر به البيان وشاهد يعــبر عن الضمير وحاكم يفصل الخطاب وناطق يرد الجواب وشافع يدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشياء وواعظ ينهي عن القبيح ومعزّى يرد الاحزان ومعتذر يدفع الضغينة وملهى يونق الاسماع وزارع ينبت المودة وحاصد يستاصل العداوة وشاكر يستوجب المزيد ومادح يستحق الزلفــة ومونس يذهب الوحشة • وكانت وفاة الجاحظ في شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على التسعين

وَالْحَمَاسَةَ كَلَامَهُ [١] · رُوَيْدَكَ رُبَّمَا عَلَتِ الْجِيَفُ · وَانْحَطَّ الدُّرُّ فِي الصَّدَفِ · وَارْتَفَعَ فِي الْمِيزَانِ · جَانِبُ النُّقْصَانِ [٢] · عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ · إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ غَيْرُ جُثْمَانٍ · فَكُلَّمَا عَلَا يَصْغُرُ · لِمَنْ يَنْظُرُ [٣] · وَرُبَّمَا حَسَّنَ الْأَفْنُ · تَعْظِيمَ الْوَثَنِ [٤]

عَبُوسٌ إِذَا حَيَّيْتَهُ بِتَحِيَّةٍ

---

(١) الحجاج هو الحجاج بن يوسف وقد تقدمت ترجمته في موضع آخر من هذا الكتاب الحماسة هو الكتاب الذي جمع فيه ابو تمام الجيد من اشعار العرب وقسمه على عشرة ابواب وهو كتاب مفيد جدًّا لان جميع ما فيه من الشعر الجيد المنتقى

(٢) رويدك اصل رويد مصدر ارود مصغرًا تصغير الترخيم بطرح جميع الزوائد تقول رويدًا اي مهلاً وانما تلحقه الكاف لتبيين المخاطب فيكون حينئذ بمعنى افعل اي امهل ولهم في رويد اربعة اوجه اسم للفعل وصفة وحال ومصدر فالاسم نحو قولك رُوَيدَ عمرا اسي ارود عمرًا بمعنى امهله والصفة نحو قولك ساروا سيرًا رويدا والحال نحو قولك سار بالقوم رويدا اتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر نحو قولك رويدَ عمرو بالاضافة ويقال رُوَيدَ كَني ورُويدَ كني وريدَ كماني ورُوَيدَ كموني ورويدَ كُنَّني والمفعول في جميعها الياء · والجيف جمع جيفة وهي الجثة المنتنة

(المعنى) يقول لا تتكبر لانك ان علوت في هذا الزمان فقد تعلو الجيف ويغوص الدر في الماء وكذلك الميزان ترتفع منه الكفة الغير راجحة

(٣) الجثمان الجسم

(المعنى) يقول ان المرء ان لم يكن فيه فضل ولا امور معنوية بل لو لم يكن فيه غير شخصه وجثمانه فهو كلما علا صغر في النظر وكذلك جميع الاجسام

(٤) الافن ضعف الراي · الوثن الصنم

(المعنى) يقول انك ان وجدت من الناس احتراما لك فلا بدع في ذلك فان العقل الضعيف يعظم الوثن بل يعبده عبادة من دون الله

فَيَا لَكَ مِنْ كِبْرٍ وَمِنْ مَنْطِقٍ نَزْرِ ١

مَا أَحْوَجَ الْمُلْكَ إِلَى مَطْرَةٍ

تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ ٢

كَمَا حَرِبَتْ بِرَاعِيهَا نُمَيْرٌ

وَجَرَّ عَلَى بَنِي أَسَدٍ يَسَارُ ٣

---

(١) النزر القليل

(المعنى) يقول انك اذا حييته بتحية تلقاه عبوسا وترى منه كبرًا جما وكلاما قليلا نزرا · والكبر آفة من الآفات الخطيرة التي تودي بالانسان في حياتيه الحياة الدنيا والحياة الاخرى فانه في الاولى يعيش منكدا مهتما ساخطا على الكون وما فيه وفي الثانية يلاقي من ربه جزاء ما كسبت يداه قيل لعبد الله بن ظبيان كثر الله في العشيرة من امثالك فقال لقد سألتم الله شططًا وقيل لرجل متكبر الا تلبس فان البرد شديد فقال حسبي يدفيني فانظر الى هذين الرجلين كيف قد ملأهما الكبر فان الاول خرج به كبره عن دائرة الايمان واثبت لله العجز في ايجاد مثله والثاني اقام من الخيال حقيقة واوجد من العرض جوهرا وصور له كبره ان الحسب رداء يميك بقيه صبارة الشتاء

(٢) البيت للقاضي احمد بن ابي دؤاد يهجو به الوزير بن الزيات وكان قد هجاه بقصيدة فبلغ ذلك احمد بن ابي دؤاد فقال

احسن من سبعين بيت هجا　　جمعك معناهن في بيت

ما احوج الملك الى مطرة　　تغسل عنه وضر الزيت

(١) الراعي هو عبيد بن حصين المكنى ابا جندل والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه للابل وجودة نعته اياها وهو شاعر فحل من شعراء الاسلام وكان مقدمًا مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزدق فاستكفه جرير فابى ان يكف فهجاه ففضحه وهجا قبيلته وكان يقضي للفرزدق على جرير ويفضله عليه وكان للفرزدق ولراعي الابل وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها فخرج جرير ذات يوم فاذا بالراعي وقد ركب بغلة وجندل ابنه يسير وراءه راكبًا مهرًا احوى

محذوف الذنب وانسان يمشي معه فقال جرير للراعي مرحباً بك يا ابا جندل وضرب بشماله على معرفة بغلته ثم قال يا ابا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل عليّ الفرزدق تفضيلاً قبيحاً وانا امدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي وليس منك و يكفيك ان تقول اذا ذكرنا كلاهما شاعر كريم فلم يجبه بكلمة واذا بجندل ابنه قد جاء ورفع كرمانية معه فضرب عجز بغلة جرير ثم قال لابيه اراك واقفاً على كلب بني كليب كأنك تخشى منه شرًّا او ترجو منه خيرًا وضرب البغلة ضربًا شديداً فزحمت جريرًا زحمة وقعت منها قلنسوته فقال الراعي لابنه لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة فانصرف جرير مغضباً حتى اذا حل العشاء ومنزله في علية قال ارفعوا اليّ باطية من نبيذ وسراجاً فأتوه بما طلب فما زال بهم حتى كان السحر فاذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتاً فلما بلغ الى قوله

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فذاك حين كبر فلما اصبح رأى الناس قد اجتمعوا بالمربد ثم قال للراعي أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق والذي نفس جرير بيده لتؤوبن اليهن بمير يسوءهن ولا يسرهن ثم اندفع في القصيدة فأنشدها فنكس الفرزدق رأسه واطرق الراعي حتى اذا فرغ منها سار فوثب الراعي الى اصحابه وقال ركابكم ركابكم فليس لكم ها هنا مقام فضحكم والله جرير فقال له بعضهم شؤمك وشؤم ابنك جندل وساروا من يومهم سيرًا حثيثاً حتى اذا كانوا بالشريف وهو اعلى دار بني نمير خلف الراعي انهم وجدوا في اهلهم قول جرير

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فكان شؤماً لنفسه وعارًا لقومه . وجرّ على بني اسد يسار يشير الى ما جرّ يسار على بني أسد من هجو زهير اياهم وذلك ان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد اغار على عبد الله بن غطفان فغنم فاستاق ابل زهير وراعيها يسار فقال زهير

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا   وزوّدوك اشتياقاً أية سلكوا

وهي طويلة يقول فيها

تعلمنها لعمر الله ذا قسماً   فاقدر بزرعك وانظر اين تنسلك

لئن حللت بجو في بني اسد   في دين عمرو وحالت بيننا فدك

يُدَبِّرُ سَيْفٌ أَمْرَهَا وَلَقِيطُ ١

* * *

وَأَمَّا الأَخِلاَّءُ · وَالصَّحْبُ وَالسُّجَرَاءُ · فَحَسْبُكَ مِنْ رَجُلٍ عَوْنٍ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَمْ تُرِدْهُ · وَنَصِيرٍ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ لَمْ تَقْصُدْهُ ٢ · فَإِنْ عَرَضَ لَكَ بَعْضُ الحَاجِ · فَالْعَلَوِيُّ يَسْتَرْفِدُ الحَجَّاجَ · مَاءٌ يَتَلَوَّنُ بِلَوْنِ الإِنَاءِ · وَنِيلُوفَرٌ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ فِي

ليأتينك مني منطق قذع   باق كما دنس القبطية الودك

فلما انشد هذا الشعر بعث الغلام الى زهير فلم يلتفت اليه فلما انشد قوله

تعلم ان شر الناس حيّ   ينادي في شعارهم يسار

ولولا عسبة لرددتموه   وشر منيحة عسب معار

فرده عليه فلامه قومه وقالوا له اقتله ولا ترسل به اليه فابي عليهم فارسله اليه فمدحه بمديح مشهور فقال الحارث لقومه ايما اصلح ما فعلت او ما اردتم قالوا بل ما فعلت

(١) (المعنى) يقول هانت على الله امة يديرها و يدير شؤونها حاكم لا معرفة له بسياسة الامم ونظام الحكومات

(٢) السجراء الاصحاب

(المعنى) يقول اما الاصحاب والاخوان فانهم عون على رزايا الدهر ونصراء اذا لم تكن لك حاجة ولقد اكثر الشعراء في وصف الاخوان فمن ذلك قول ابي الاسود

بليت بصاحب ان ادن شبرا   يزدني في تباعده ذراعا

ابت نفسي له الا اتباعا   وتأبى نفسه الا امتناعا

كلانا جاهد أدنو ويناى   فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال اوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي   يذمك ان ولّي ويرضيك مقبلا

ولكنه النائي اذا كنت آمنا   وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

وقال ربيع بن أبي الحقيق اليهودي

يرمى اليّ بأطراف الهوان وما كانت ركابي له مرحولة ذللا
انا ابن عمك ان نابتك نائبة ولست منك اذا ما كعبك اعتدلا

وقال الاسدي

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطا أذى ولا مانعا خيرا ولا قائلاً هجرا
اذا شئت ان تدعى كريما مكرما أديباً ظريفاً عاقلا ماجدا حرا
اذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن انت محتالاً لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

وقال رجل من بني قريع

متى ما يرى الناس الغنيّ وجاره فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاظ قسمت وجدود
اذ المرء أعيته المروأة ناشئا فمطلبها كهلاً عليه شديد
وكائن رأينا من غنيّ مذمم وصعلوك قوم مات وهو حميد
وان امرءا يمسي ويصبح سالما من الناس الا ما جنى لسعيد

وقال المقنع الكندي

يعاتبني في الدين قومي وانما ديوني في اشياء تكسبهم حمدا
اسد به ما قد اخلوا وضيعوا ثغور حقوق ما اطاقوا لها سدّا
وفي فرس نهد عتيق جعلته حجاباً لبيتي ثم اخدمته عبدا
وان الذى بيني وبين بني ابي وبين بني عمي لمختلف جدا
فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمرّ بهم سعدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى وان قلّ مالي لم اكلفهم رفدا
واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

(٤) الحاج الحاجات • العلويّ نسبة الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه

الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ[١] . إِنْ جَدَدْتَ فَإِلَيْكَ . أَوْ شَقِيتَ فَعَلَيْكَ . مَدْحٌ مَعَ الْمَادِحِ . وَقَدْحٌ مَعَ الْقَادِحِ[٢]

وَالْقَوْمُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ
مَا يَشْتَهِي وَلِأُمِّ الْمُخْطِئِ الْهَبَلُ[٣]

أَجْسَامٌ مُتَدَانِيَةٌ . وَقُلُوبٌ مُتَنَائِيَةٌ . وَإِنْ كَانَ خَبَرُ سُوءٍ فَحَمَّادُ الرَّاوِيَةُ[٤]

(المعنى) يقول ان الصحب اذا كنت في شدة وكانت لك حاجة لديهم فمثالك معهم مثل العلوي الذي هو من نسل آل البيت حينما يقصد الحجاج الذي هو صنيعة بني امية وعدو العلويين

(١) النيلوفر نبات لا يورق الا في الماء وقيل انه تتجه زهرته مع الشمس اينما سارت

(المعنى) يقول ان الاخوان كالماء الذي يتلون بلون الاناء الذي يكون فيه وذلك لنفاقهم وكالنيلوفر الذي يتجه مع الشمس من الصباح الى الغروب

(٢) جددت اي عظمت في عيون الناس

(المعنى) يقول ان ساعدك الحظ فانت لديهم عظيم وان نالك بعض الشقاء جاؤا بالملائمة عليك وان مدحك انسان فهم كذلك وان قدح فيك قادح كانوا عضداً له

(٣) هذا البيت من قصيدة للقطامي الشاعر يمدح بها سليمان بن عبد الملك ومطلعها

انا محيوك فاسلم ايها الطلل   وان بليت وان طالت بك الطيل
وما هداني لتسليم على دمن   بالغمر غيرهن الاعصر الاول

ومنها هذا البيت وبعده

قد يدرك المتاني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات قوماً جل امرهم   من التواني وكان الحزم لو عجلوا
والعيش لا عيش الا ما تقرّ به   عين ولا حال الا سوف تنتقل

(٤) (المعنى) يقول ان هؤلاء الاخوان ترى اجسامهم متدانية في مجتمعاتهم ومحال سمرهم ولكن قلوبهم متباعدة وان اصابك سوء اذاعوه ورووه كحماد الراوية لانه كان من اكبر رواة الشعر — وحماد الرواية هذا هو ابو القاسم حماد بن ابي ليلى المعروف بالراوية كان من اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها وهو الذي جمع السبع الطوال وكانت ملوك بني امية تقدمه

وتؤثره وتستزيره فيفد عليهم و ينال منهم و يسألونه عن ايام العرب وعلومها قال له الوليد بن يزيد الاموي يوماً وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال باني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم أروي لا كثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث فقال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام قال سأمتحنك في هذا ثم امر بالانشاد فانشد حتي ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم · وارسل اليه هشام بن عبد الملك يستدعيه الى دمشق فلما وصل اليه قال اتدري فيم بعثت اليك قال لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالي لا اعرف قائله قال وما هو قال

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقال يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة فقال انشدنيها فانشده

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست ادري اذا كثروا العذل فيها اعدوّ يلومني ام صديق

قال حماد فانتهيت فيها الى قوله

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفّى سلافها الراووق
مزة قبل مزجها فاذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب لا صرًى آجنٌ ولا مطروق

فطرب هشام وقال احسنت ووصله بمائة الف درهم واعطاه جاريتين كانتا في حضرة هشام وقت الانشاد واكرمه كثيرا وكانت ولادة حماد في سنة خمس وتسعين للهجرة ووفاته في سنة خمس وخمسين ومائة

(١) (المعنى) يقول ان الاخوان قد يكون ظاهرهم يوري الصلاح وباطنهم يكنّ الفساد

لَهُ لُطْفُ قَوْلٍ دُونَهُ كُلُّ رُقْيَةٍ
وَلَـكِنَّهُ فِي فِعْلِهِ حَيَّةٌ تَسْعَى [1]

* * *

وَأَمَّا أَبْنَاءُ السَّامَةِ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ غَادَةٌ يَنْقُصُهَا الْحِجَابُ . يَنْظُرُ فِي الْمِرْآةِ وَلا يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ [2] . إِنَّمَا هُوَ لِبَاسٌ . عَلَى غَيْرِ نَاسٍ . كَمَا تَضَعُ الْبَاعَةُ مُبْرَمَ الثِّيَابِ . عَلَى الْأَخْشَابِ [3]

وَهَلْ يَنْفَعُ الْوَشْيُ السَّحِيبُ مُضَلَّلاً
وَإِنْ ذُكِرَتْ فِي الْقَوْمِ قِيمَتُهُ خِزْيُ [4]

رَمَادٌ تَخَلَّفَ عَنْ نَارٍ . وَحَوْضٌ شُرِبَ أَوَّلُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ أَكْدَارٍ [5]

فمثلهم كمثل المأذنة وهي منارة المسجد ترى استقامة في ظاهرها ولكن باطنها معوج لدورة سلّمها

(١) (المعنى) يقول انك ترى منه لطفاً في القول ولكنك ان كشفته عن ضميره لوجدته حية تسعى

(٢) السامة الخاصة من الناس . الحجاب الستر

(المعنى) يقول ان ابناء الخاصة من الناس قد ألفوا الترف والنعيم حتى انهم تشبهوا بالنساء فهمّ الواحد منهم ان ينظر في المرآة ولا ينظر في كتاب ليغذي عقله وينمي ذهنه

(٣) (المعنى) يقول ان الثياب التي تراها عليهم ويعجبك لونها انما هي على غير ناس كما تفعل التجر عند عرضها البضاعة لينظر اليها المارة فانها تضع الثياب الفاخرة على تماثيل من خشب بشكل الانسان

(٤) الوشي نقش الثوب ويكون من كل لون . السحيب المسحوب

(المعنى) يقول هل ينفع هذا الوشي وتلك الثياب الفاخرة على اولئك الناس واذا جرى ذكر الواحد بين قوم كانت قيمته بينهم خزياً وعارا

(٥) (المعنى) يقول ان ابناء الخاصة ماهم بعد آبائهم الا كالرماد الذي تخلفه النار لا يجدي

آباءٌ وَأَحْسَابٌ . وَحَالُهُ كَشَجَرِ الشَّلْجَمِ أَحْسَنُ مَا فِيهِ مَا كَانَ تَحْتَ التُّرَابِ ١
(تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ . وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ) ٢ . إِلى رَطَانَةٍ بِالْعُجْمَةِ بَيْنَ

نفعاً وكالحوض الذي شرب منه الريّق الصافي ولم يتبق منه غير الاكدار

(١) الشلجم اللفت

(المعنى) يقول ان لهم آباء واحساباً كريمة ولكنهم لم يتجملوا بما تجمل به اباؤهم فكان مثلهم كمثل نبت الشلجم وهو اللفت فان ثمره يكون دفيناً تحت التراب وورقه الخالي من الفائدة يكون بادياً لاعين النظارة ويريد بالدفين آباءهم

(٢) (تري الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل) هذا مثل عربي يضرب لذي المنظر لاخير عنده والدخل العيب الباطن وأول من قال ذلك عثمة بنت مطرود البجيلية وكانت ذات عقل ورأي مستمع في قومها وكانت لها أخت يقال لها خود وكانت ذات جمال وميسم وعقل وان سبعة اخوة غلمة من بطن الازد خطبوا خودا الى ابيها فأتوه وعليهم الحلل اليمانية وتحتهم النجائب الفره فقالوا نحن بنو مالك بن عقيلة ذي النحيين فقال لهم انزلوا على الماء فنزلوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين في الحلل والهيأة ومعهم ربيبة لهم يقال لها الشعثاء كاهنة فمروا بوصيدها يتعرضون لها وكلهم وسيم جميل وخرج ابوها فجلسوا اليه فرحب بهم فقالوا بلغنا ان لك بنتاً ونحن كما ترى شباب وكلنا يمنع الجانب ويمنح الراغب فقال ابوها كلكم خيار فاقيموا نرى رأينا ثم دخل على ابنته فقال ما ترين فقد اتاك هؤلاء القوم فقالت انكحني على قدري . ولا تشطط في مهري . فان تخطئني احلامهم . لا تخطئني اجسامهم . لعلي اصيب ولدا . واكثر عددا . فخرج ابوها فقال اخبروني عن افضلكم . قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة اسمع اخبرك عنهم . هم اخوة . وكلهم أسوة . اما الكبير فمالك . جريء فاتك . يتعب السنابك . ويستصغر المهالك . واما الذي يليه فالغمر . بحر غمر . يقصر دونه الفخر . نهد صقر . واما الذي يليه فعلقمة . صليب المعجمة . منيع المشتمة . قليل الجمجمة . واما الذي يليه فعاصم . سيد ناعم . جلد صارم . ابيّ حازم . جيشه غانم . وجاره سالم . واما الذي يليه فثواب . سريع الجواب . عتيد الصواب . كريم النصاب . كليث الغاب . واما الذي يليه فمدرك . بذول لما يملك . عزوب عما يترك . يفني ويهلك . واما الذي يليه فجندل . لقرنه مجدل . مقل لما يحمل . يعطي ويبذل . وعن عدوّه لا ينكل . فشاورت اختها فيهم فقالت اختها عثمة (ترى الفتيان كالنخل . وما يدريك ما الدخل) . اسمعي مني كلمة ان شر الغريبة يعلن . وخيرها يدفن .

الأَعْرَابِ . (أَبْرَدُ مِنَ اسْتِعْمَالِ النَّحْوِ فِي الْحِسَابِ)[١] . (لَوْ كَانَ ذَا حِيلَةٍ لَتَحَوَّلَ) . (وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ)[٢]

وَقُحٌ تَوَاصَوْا بِتَرْكِ الْبِرِّ بَيْنَهُمُ

انكحي في قومك ولا تغررك الاجسام فلم تقبل منها وبعثت الى ابيها انكحني مدركا فانكحها ابوها على مائة ناقة ورعاتها وحملها مدرك فلم تلبث عنده الا قليلاً حتى صبحهم فوارس من بني مالك بن كنانه فاقتتلوا ساعة ثم ان زوجها واخوته وبني عامر انكشفوا فسبوها فيمن سبوا فبينما هي تسير بكت فقالوا ما يبكيك أعلى فراق زوجك قالت قبحه الله قالوا لقد كان جميلاً قالت قبح الله جمالاً لا نفع منه انما ابكي على عصياني اختي وقولها ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل واخبرتهم كيف خطبوها فقال لها رجل منهم يكنى ابا نواس شاب اسود افوه مضطرب الخلق اترضين بي على ان امنعك من ذئاب العرب فقالت لاصحابه أكذلك هو قالوا نعم انه مع ماترين ليمنع الحليلة وتتقيه القبيلة قالت هذا اجمل جمال . واكمل كمال . قد رضيت به فزوجوها منه

(١) الرطانة الكلام بالاعجمية وأبرد من استعمال النحو في الحساب مثل يضرب لمن يضع الشيء في غير موضعه

(٢) لو كان ذا حيلة لتحول — هذا مثل عربي واصله أن رجلاً جلس في بيت واوقد فيه نارًا فكثر فيه الدخان حتى قتله فقالت امرأته اي فتى قتله الدخان فقال لها رجل لو كان ذا حيلة لتحول أي لو كان عاقلاً لتحول من ذلك البيت فسلم اي تحول في الامر الذي هو فيه يريد لتصرف فيه واستعمل الحيلة — وهل عند رسم دارس من معول هذا عجز بيت من معلقة امرئ القيس التي مطلعها

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وان شفائي عبرة مهراقة   فهل عند رسم دارس من معول

ومعناه يقول هل عند رسم هذه الدار الدارس من اعتمد عليه او افزع اليه وهو استفهام انكاري كلا لا معتمد عند رسم دارس

تقولُ ذا شرُّهم بلْ ذاكَ بلْ هذا [١]

مَيْسِرٌ يُلْعَبُ . وَمالٌ يُسْلَبُ . وَخِدْنٌ يَخْدَعُ . وَكَلْبٌ يَتْبَعُ . وَعِطْرٌ يَنْفَحُ . وَفَرَسٌ يَضْبَحُ [٢]

أَبا جعفرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْفَتى
إِذا رَاحَ فِي فَضْلِ إِعْجابه
ولا فِي فَراهةِ بِرْذَوْنِهِ
وَلاَ فِي نَظَافَةِ أَثْوَابِهِ [٣]

دُنْيا مَوْجُودَةٌ . وَنَفْسٌ مَفْقُودَةٌ . وَعَقْلٌ أَسِيرٌ . وَهَوًى أَمِيرٌ . (أَلْيَوْمَ خَمْرٌ . وَغَدًا أَمْرٌ) [٤] . فَبَيْنَاهُ غَنِيٌّ يَتَمَلَّكُ . إِذَا هُوَ فَقِيرٌ يَتَصَعْلَكُ . قُوتٌ .

---

(١) وقح ذوو وقاحة .

(المعنى) يقول انهم قد اتحدوا على ترك البر فلو اردت ان تقول هذا شرهم رأيت الثاني اكثر شرًّا من الاول وكذلك الثالث فالكل اشرار

(٢) الميسر القمار . يضبح الضبح صوت انفاس الخيل عند عدوها

(المعني) يقول لا همّ لهم الا ميسر يجتمعون عليه فتضيع بذلك اموالهم او يترددون على محل الفحش فتخدعهم الاخدان او يسيرون في الطرق وكلابهم تتبعهم والعطر منتشر من اردانهم او اذا أرادوا التنزه خارج المدينة ضبحت خيولهم من العدو

(٣) الفراهة الصبر على السير . البرذون ضرب من الدواب دون الخيل واقدر من الحمر

(المعنى) يقول ليس فضل الفتى ان يتيه عجباً وكبراً ولا فضله ان يمتطي الخيول المسوّمة ويلبس الاثواب الجدد القشيبة وانما فضله بالعلم والادب

(٤) اليوم خمر وغدا امر — هذا المثل لامرىء القيس بن حجر الكندي الشاعر ومعناه اليوم خفض ودعة وغدا جدّ وشدة وكان ابو امرىء القيس حجر طرد امرء القيس للغزل والشعر وكانت الملوك تانف من الشعر فلحق امرؤ القيس بدمون من ارض اليمن فلم يزل بها

كَيْلَا يَمُوتَ ، وَمِنْ إِيوَانِ كِسْرَى إِلَى بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ ١

وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ

وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدَبُّرًا ٢

أَخُزَّانٌ وَمَا أَبْقَيْتَ مَالاً

وَحُجَّابٌ وَقَدْ هُتِكَ الْحِجَابُ ٣

* * *

حتى قتل ابوه قتلته بنو اسد بن خزيمة فجاءه الاعور العجلي فاخبره بقتل ابيه فقال امرؤ القيس

تطاول الليل علينا دمون　　　دمون انا معشر يمانون

وانا لقوم محبون

ثم قال ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً اليوم خمر وغدا امر فذهب قوله مثلاً .

(المعنى) انهم ينهمكون في اللذات اليوم ويصبحون في المصائب غدا

(١) (المعنى) يقول ان احدهم يصبح بعد النعمة فقيراً لا يملك الا القوت وينتقل من القصور الرحيبة الى البيوت الحقيرة التي كانها بيوت العنكبوت

(٢) (المعنى) يقول انهم غفل لا يحترسون من الشر قبل نزوله بهم ولا يعلمون بالامر الا بعد ادباره اي مضيه

(٣) المعنى يقول اتقيم خزاناً على غير مال وتجعل حجاباً على دارك وهي خالية من الاهل وقد رفع الحجاب — وكل ما تقدم هو تنديد بابناء الخاصة ووصف لحالتهم ولعمري لقد اجاد السيد المؤلف غاية الاجادة فان الناظر اليهم والمنتقد احوالهم وافعالهم ليحزن كثيراً حينما يرى منهم كل ما وصفه سماحة المؤلف ولقد صدق الشاعر في قوله

اذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى　　　فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد اشمت الاعداء جهلاً بنفسه　　　وقد وجدت فيه مقالا عواذله

ولن ينزع النفس اللجوج عن الهوى　　　من الناس الا الفاضل القوم كامله

أَيُّهَا الرَّجُلُ: وَكُلُّكُمْ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِنَّ الْمَالَ وَسِيلَةٌ لاَ غَايَةٌ · فَإِنْ أَصَبْتَ مِنْهُ الْكِفَايَةَ · فَقَدْ بَلَغْتَ النِّهَايَةَ [١] ·

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ
مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ إِشْغَالُ [٢]

لَيْسَ لَكَ مِنْ عَيْشِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ · وَلَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ · وَلَوْ أُفْرِغَ

وقال عمرو بن زعبل التميمي

وان عناء ان تفهم جاهلاً — فيحسب جهلاً انه منك افهم
متى يبلغ البنيان يوماً تمامه — اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال المتنبي

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله — واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
ومن البلية عذل ما لا يرعوى — عن جهله وخطاب من لا يفهم

ولقد ابتلي شباننا في هذا العصر بحب التقليد فانهم جلبوا ذلك من الفرنج حين رواحهم الى بلادهم حتي قال بعض المصريين (ان من نرسله من ابنائنا للتعليم في فرنسا يذهب مصرياً و يؤوب فرنساوياً وكأن النقود التي دفعناها هي فرق البدل بين الفرنساوي والمصري)

(١) (المعنى) يقول يا ايها الانسان ان المال وسيلة والغاية منه قضاء المصالح به

(٢) هذا البيت من قصيدة لابي الطيب المتنبي يمدح بها ابا شجاع فاتك ومطلعها

لا خيل عندك تهديها ولا مال — فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

يقول فيها

لولا المشقة ساد الناس كلهم — الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته — ماكل ماشية بالرحل شملال
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته — ما قاته وفضول العيش اشغال

ومعني البيت ان الفتى يحيى حياته الثانية في ذكره فاكتف بالقليل من المال فان مازاد على ذلك اشغال للفكر وفضول عن الحاجة

ذَنُوبٌ . فِي كُوبٍ . لَمَا أَخَذَ إِلَّا مِلْأَهُ . وَلَا وَسِعَ إِلَّا كُفْأَهُ ١

عَجِبْتُ لِمَالِكِ الْقِنْطَارِ مِنْ ذَهَبٍ
يَبْغِي الزِّيَادَةَ وَالْقِيرَاطُ كَافِيهِ
وَكَثْرَةُ الْمَالِ سَاقَتْ لِلْفَتَى أَشَرًا
كَالذَّيْلِ عَثَّرَ عِنْدَ الْمَشْيِ ضَافِيهِ ٢

فَلِمَ هَذَا الطِّمَاحُ وَالطَّمَعُ . وَالاسْتِكْلَابُ وَالْجَشَعُ

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا جَمَّعْتَهُ
وَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ ٣

أَتَظُنُّ أَنَّ الدِّرْهَمَ حَبِيسٌ فِي مُسْتَقَرٍّ . إِنْ خَرَجَ فَرَّ . أَمْ صَدِيقٌ مِنْكَ وَإِلَيْكَ . إِنْ لَمْ تَحْرِصْ عَلَيْهِ لَا يَحْرِصْ عَلَيْكَ ٤ . أَوْ أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ بَيْتٌ قَرِيضٍ . إِن

---

(١) الذنوب الدلو . الكوب كوز مستدير الرأس لا عروة له ولا خرطوم

(المعني) يقول ليس لك ايها الانسان في هذه الحياة الا ما يشبع مسغبتك ويواري جلدتك والافراط مضرة كما لو افرغنا دلوا في كوب لما اخذ ذلك الكوب الا ملاءه ولا وسع الا ما يملاء تجويفه

(٢) القنطار وزن اربعين اوقية من ذهب . القيراط نصف دانق . الاشر البطر . الضافي الزائد

(المعني) يقول اني لا أعجب الا للذى يملك القناطير المقنطرة من الذهب والقيراط الذى هو جزؤ قليل من المال يكفيه ويطلب الزيادة بعد ذلك هلاَّ دري ان كثرة المال ووفرته تورثه البطر كالذي يلبس الثوب ضافياً فانه يتعثر في هذه الزيادة

(٣) الطماح النظر والاستشراف على الشيء . الاستكلاب اصله للكلب الذي تعود اكل الناس واستعير هنا للرجل الحريص على الدنيا

(٤) (المعنى) يقول انت لا تزال حبيس مالك مادمت عاملا على خزنه وجمعه واما اذا انفقته في وجوهه فيكون حبيسك

نَقَصَ مِنْهُ حَرْفٌ أَدْرَكَهُ التَّقْوِيضُ · أَوْأَنَّ شَيْئًا عَلَيْهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ · أَوْصُورَةٌ لِسُلْطَانٍ · حَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ تَعْوِيذَةً مِنْ لُجَيْنٍ · تُدَّخَرُ لِدَفْعِ الْعَيْنِ [٢] · أَلَيْسَ

---

(١) (المعنى) يقول هل ظننت ان الدرهم سجينك وتخشى عليه الفرار اذا خرج ام هو صديق لك وتخاف ان لم تحرص عليه دائمًا يصد وينفر

(٢) حري جدير · التعويذة الرقية

(المعنى) يقول ام ظننت ان بيت المال بيت من الشعر اذا نقص منه حرف كان تختل الوزن ام حسبت ان هذا الدرهم وقد كتب عليه آية من القرآن او رسم عليه صورة ملك من الملوك يكون جديرًا بان يحفظ ذخيرة لينفع من العين الصائبة او يكون تعويذة تنفع للاسقام والاوجاع · هذا وقد اكثر الشعراء من مدح القناعة وذم البخل

قال يزيد بن الحكم الثقفي

رأيت السخي النفس يأتيه رزقه　　هنيئًا ولا يعطى على الحرص جاشع
وكم من حريص ان يجاوز رزقه　　وكم من موفى رزقه وهو وادع

وقال حاتم الطائي

وما انا بالساعي بفضل زمامها　　لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها　　لابعثها خفا وأترك صاحبي
اذا كنت ربا للقلوص فلا تدع　　رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها فاردفه فان حملتكما　　فذاك وان كان العقاب فعاقب

وقال الحكم بن عبدل

قد يرزق الخافض المقيم وما　　شد بعنس رحلا ولا قتبا
ويحرم المال ذو المطية والر　　حل ومن لا يزال مغتربا

والقناعة فضيلة من الفضائل العظيمة التي تحفظ الانسان من الابتذال ومن اراقة ماء الوجه والقنوع مرضيٌّ عنه من الله ورسوله والناس وكل امريء قادر على ان يتخلق بهذا الخلق الجميل متى غلّب عقله على هواه ولقد صدق ابو ذؤيب في قوله

والنفس راغبة اذا رغبتها　　واذا ترد الى قليل تقنع

أَمْ أَرَدْتَ أَنْ تَعِيشَ كَدُودَةِ الْقَزِّ . أَوْ تَكُونَ كَطِلَّسْمٍ عَلَى كَنْزٍ[١] . حَتَّى إِذَا قَضَيْتَ . وَمَضَيْتَ . أَلْقَى بَنُوكَ مَا ثَمَّرْتَ فِي تِلْكَ الْهَاوِيَةِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ[٢] . وَأُطْعِمَ بَنَاتُكَ شَحْمَةَ مَالِكَ . لِغَيْرِ آلِكَ

وَأَكْثَرُ النَّسْلِ يَشْقَى الْوَالِدَانِ بِهِ
فَلَيْتَهُ كَانَ عَنْ آبَائِهِ دُفِعَا

---

(١) دودة القزدودة الحرير . الطلسم عبارة عن تمزيج القوي السماوية بالقوى الارضية بواسطة خطوط محفوظة

(المعنى) يقول هل اردت ان تكون كدودة الحرير تعطي الحرير لغيرها وهي لا تنتفع منه بل تموت عند ما تظهر ما في بطنها منه أو قنعت ان تكون كطلسم يحفظ الكنز وليس له

(٢) قضيت هلكت . الهاوية من اسماء جهنم

(المعنى) يقول فاذا مت اهلك ابناؤك ما جمعت و ياليتهم وضعوه في محاله بل يلقون به في هاوية الترف والبذخ وما يدريك بهذه الهاوية هي نار حامية تلتقم ما يرمي فيها فتحيله الى العدم . وليس المقصود التزيد في استثمار المال ولكن تبيان خطأ من يجعل غايته من الحياة جمع المال . وكذلك أغلب من يولد في النعمة وكثرة المال يكون اميل الى الترف واللهو ولذلك كان اكثر النابغين من ابناء الفقراء . ولو فكر العاقل في اكثار الابناء وما يحدثون من آلام واسقام لما فرح بمولود ابداً فان الولد متعبة مجبنة كما قيل والمفكر في قول الله تعالى (ان من ازواجكم واولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم) يرى في هذه الآية راحة لنفسه وتنفيساً لكربه وتخفيفاً لحزنه على تشوقه للولد وقال ابو الطيب المتنبي

وما الدهر اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقيل لفيلسوف يعق والديه لم تعق والديك فقال لانهما اخرجاني الى عالم الكون والفساد وقال ابو العلاء المعري

هذا جناه أبي عليَّ وما جنيت على احد

وقيل لاعرابي لم أخَّرت التزوج الى الكبر قال لأُبادر ولدي باليتم قبل ان يسبقني بالعقوق

وَكَمْ سَلِيلٍ رَجَاهُ لِلْجَمَالِ أَبٌ
فَكَانَ خِزْيًا بِأَعْلَى هَضْبَةٍ رُفِعَا [١]

(أَصُوصٌ عَلَى صُوصٍ [٢]) . (أَلْجَرْعُ أَرْوَى وَالرَّشِيفُ أَنْقَعُ [٣]) . (رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ [٤]) . (خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ [٥]) . (جُمَّارَةٌ تُؤْكَلُ

---

(١) شحمة المال لبابه

(المعنى) يقول واما البنات فانهن يطعمن لباب مالك لازواجهن فيكون مالك قد خرج منك الى غير اقربائك و يقول ان اكثر النسل يشقى الوالدان به فليت ذلك النسل لم يكن فكم من ولد عال نفسه به أبوه وتمني ان يكون جمالا له في الحياة فكان خزيًا له وعارا

(٢) (اصوص على صوص) الصوص الناقة الحائل السمينة . والصوص اللئيم قال الشاعر

فألفيتكم صوصاً لصوصاً اذا دجا الظلام وهيابين عند البوارق

وهو مثل عربي يضرب للأصل الكريم يظهر منه فرع لئيم

(٣) (الجرع اروى والرشيف انقع) الرشف والرشيف المص للماء . والجرع بلعه . والنقع تسكين العطش أي ان الشراب الذي يترشف قليلا قليلا اقطع للعطش وانجع وان كان فيه بطء وقوله أروى أي اسرع ريًّا وقوله انقع اي اثبت وأدوم رياً من قولهم سم ناقع اي ثابت وهو مثل عربي يضرب لمن يقع في غنيمة فيؤمر للمبادرة والاقتطاع لما قدر عليه قبل ان يأتيه من ينازعه . يريد به انتهاب اصهار الرجل لماله بعد وفاته

(٤) (رب ساع لقاعد) هذا مثل عربي وأول من قاله النابغة الذبياني وكان وفد الى النعمان ابن المنذر وفود من العرب فيهم رجل من بني عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث الى اهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك رب ساع لقاعد وقال للنعمان

ابقيت للعبسي فضلاً ونعمة ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره وما كان يحبي قبله قبر وافد
أتى اهله منه حباء ونعمة ورب امرىء يسعى لآخر قاعد

(٥) (خذ من جذع ما اعطاك) جذع اسم رجل يقال له جذع بن عمرو الغساني وكانت

بِالْهِلَّاسِ [١]) . (جَدَحَ جُوَيْنٌ مِنْ سَوِيقِ غَيْرِهِ [٢])

***

وَأَمَّا الْعَامَّةُ أَيَّدَكَ اللهُ فَهُمْ عَظْمٌ عَلَى وَضَمٍ . وَصَيْدٌ فِي غَيْرِ حَرَمٍ . سَيِّدٌ مَأْسُورٌ . وَالْإِخْشِيدُ فِي يَدِ كَافُورٍ . وَيَتِيمٌ غَنِيٌّ . فِي يَدِ وَصِيٍّ [٣]

غسان تؤدي كل سنة الى ملك سليح دينارين من كل رجل وكان الذي يلي ذلك سبطة بن المنذر السليحي فجاء سبطة الى جذع يسأله الدينارين فدخل جذع منزله ثم خرج مشتملاً على سيفه فضرب به سبطة حتى برد ثم قال خذ من جذع ما اعطاك وامتنعت غسان من هذه الاتاوة بعد ذلك وهو مثل عربي يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل

(١) (حمارة توكل بالهلاس) الجمارة شحمة النخلة وهي قلبها الذي يؤكل . والهلاس ذهاب العقل يقال رجل مهلوس أي مجنون وهو مثل عربي يضرب في المال يجمع بكد ثم يورث جاهلاً

(٢) (جدح جوين من سويق غيره) الجدح الخلط والدوف . وجوين اسم رجل وهو مثل عربي يضرب لمن يتوسع في مال غيره و يجود به

(٣) (المعنى) يقول اما العامة من الناس فانهم كالعظم على الوضم في يد الرؤساء يتصرفون فيهم كيف شاؤا و يستخدمونهم لأغراضهم على ان عامة الامة هي صاحبة البلد في الحقيقة فهم اذا مثل الاخشيد الذي هو سيد كافور على انه كان معه كانه اسيره لتضييق كافور عليه أو اليتيم الغني في يد الوصي الظالم — والاخشيد هو ابو بكر بن محمد بن ابي محمد بن طغج بن جف صاحب مصر والشام والحجاز أصله من أولاد ملوك فرغانة استجلب المعتصم بالله العباسي جده جف و بالغ في اكرامه واقطعه قطائع ومات فى الليلة التي مات فيها المتوكل . وقد اتصل ابو بكر الاخشيد في خلافة المقتدر بابي منصور بن تكين الجزري فكان اكبر اركانه ولم يزل في صحبته الى أن فارقه بسبب اقتضى ذلك وسار الى الرملة فوردت اليه كتب المقتدر بولاية الرملة ثم بعدها بولاية دمشق ثم في خلافة القاهر بالله ولاه مصر ثم ضمت اليه البلاد الشامية والجزيرة والحرمين ثم ان الراضي لقبه بالاخشيد لانه لقب ملوك فرغانة ومعناه ملك الملوك ولم يزل مقلدا هذه الولايات حتى توفي في سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وهو سيد كافور وكان احد اولاد الاخشيد كالاسير في يد كافور وكافور — كان عبدا لبعض

وَغَيْظٌ عَلَى الأَيَّامِ كالنَّارِ فِي الحَشَى
وَلٰكِنَّهُ غَيْظُ الأَسِيرِ عَلَى القِدِّ ١
وَأَرَى رِجَالاً لاَ تَحُوطُ رَعِيَّةً
فَعَلاَمَ تُؤْخَذُ جِزْيَةٌ وَمُكُوسُ ٢

اهل مصر ثم اشتراه ابو بكر الاخشيد ليقوم بتربية ولديه ابي القاسم انوجور وابي الحسن عليّ فما زال كافور يمد سيده مع ولديه الى ان ماتا فاستقل كافور بالمملكة واستوزر ابا الفضل جعفر بن الفرات وكان كافور أسود اللون شديد السواد وقد مدحه ابو الطيب المتنبي بقصائد كثيرة فمن ذلك قوله يصف الخيل

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت به انسان عين زمانه ... وخلت بياضاً خلفها ومآقيا

وقوله

واخلاق كافور اذا شئت مدحه ... وان لم اشأ تملي عليّ واكتب
اذا ترك الانسان اهلا وراءه ... ويمم كافورا فما يتغرب

ثم هجاه بعد ذلك بقصائد منها قوله في قصيدة

من علم الأسود المخصيّ مكرمة ... أقومه البيض أم اباؤه الصيد
ام أذنه في يد النخاس دامية ... أم قدره وهو بالفلسين مردود
وذاك ان الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود

ولم يزل مستقلاً بالامر الى ان توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادي الاولى سنة ست وخمسين وثلثمائة بمصر

(١) القد السير من جلد مدبوغ

(المعني) يقول ان العامة في غيظ من الزمان كغيظ الاسير على الجلد الذي وثقت به كواهله واذرعه

(٢) الجزية خراج الارض • المكوس جمع مكس وهو ما يأخذه اعوان السلطان عند البيع والشراء

ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا
وَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أُجَرَاؤُهَا ١

فَبَيْنَمَا تَرَى قُصُوراً وَثَرَاءً · وَحُبُوراً وَمَرَاءً · وَعَرَبَاتٍ تَتْرَى · يَعْدُو أَمَامَهَا السُّلَيْكُ وَالشَّنْفَرَى ٢ · وَيَقُودُهَا دَاحِسُ وَالْغَبْرَاءُ · عَلَى بِسَاطِ

---

(١) استجازوا رأوه جائزا · عدوا ظلموا · الاجراء جمع اجير وهو من سلم نفسه بعوض

(٢) السليك كان عدّاء من عدّائين العرب قيل انه رأته طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤا متجردين ليغيروا على تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك بنا انذر قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبي فطارداه سحابة نهاره ثم قالا اذا كان الليل أعيا فسقط فنأخذه فلما اصبحا وجدا اثره قد عثر باصل شجرة فنزا وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد ارتزت بالارض فقالا لعلّ هذا كان من اول الليل ثم فتر فتبعاه فاذا اثره قد خد في الارض فقالا ماله قاتله الله ما اشد متنه والله لاتبعناه وانصرفا فتم السليك الى قومه فانذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال

يكذبني العمران عمرو بن جندب وعمرو بن سعد والمكذب اكذب
سعيت لعمري سعي غير معجز ولا نأنأ لو أنني لا اكذب
ثكلتكما ان لم اكن قد رأيتها كراديس يهديها الى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وحوله فوارس همام متى يدع يركبوا

وجاء الجيش فاغاروا — والشنفري كان ايضاً عدّاء من العدائين قيل انه خرج وتأبط شرا وعمرو بن براق فاغاروا على بجيلة فوجدوا لهم رصدا على الماء فلما مالوا له في جوف الليل قال لهم تابط شرا ان بالماء رصدا واني لأسمع وجيب قلوب القوم فقالا ما نسمع شيئاً وما هو الاّ قلبك يجب فوضع ايديهما على قلبه وقال والله ما يجب وما كان وجاباً قالوا فلا بد لنا من ورود الماء فخرج الشنفري فلما رآه الرصد عرفوه فتركوه حتى شرب من الماء ورجع فقال والله ما بالماء احد ولقد شربت من الحوض فقال تابط شرا للشنفري بلى ولكن القوم لا يريدونك وانما يريدونني ثم ذهب ابن براق فشرب ولم يعرضوا له فقال تابط شرا للشنفري اذا انا كرعت في الحوض فان القوم سيشدون عليّ فيأسرونني فاذهب كأنك تهرب ثم كن في اصل ذلك القرن فاذا سمعتني اقول خذوا

الغَبْرَاء ١ · وَخَرَاجُ قَرْيَةٍ أَوْ قَرْيَتَيْنِ · يَذْهَبُ فِي لَهْوِ لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ · تَجِدُ أَرْمَلَةً صِنَاعًا · وَأَيْتَامًا جِيَاعًا · وَشَيْخًا يَعْمَلُ وَهُوَ فِي أَرْذَلِ العُمْرِ · يُقْعِدُهُ العَجْزُ وَيُنْهِضُهُ

خذوا فتعال فاطلقني وقال لابن براق اني سآمرك ان تستاسر للقوم فلا تنأ عنهم ولا تمكنهم من نفسك ثم مرَّ تأبط شرًّا حتى ورد الماء فحين كرع في الحوض شدوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتر وطار الشنفرى فأتى حيث أمره وانحاز ابن براق حيث يرونه فقال تأبط شرًّا يا معشر بجيلة هل لكم في خير ان تياسرونا في الفداء ويستأسر لكم ابن براق قالوا نعم فقال ويلك يا ابن براق اما الشنفرى فقد طار وهو يصطلي نار بني فلان وقد علمت ما بيننا وبين اهلك فهل لك ان تستأسر ويياسرونا في الفداء قال لا والله حتى اروز نفسي شوطًا او شوطين فجعل يستنّ نحو الجبل ويرجع حتى اذا رأوا انه قد أعيا طمعوا فيه فاتبعوه ونادى تابط شرًّا خذوا خذوا فخالف الشنفرى الى تابط شرًّا فقطع وثاقه فلما رآه ابن براق وقد خرج من وثاقه مال الى عندهم فناداهم تابط شرًّا يا معشر بجيلة اعجبكم عدو ابن براق اما والله لأعدون لكم عدوًا ينسيكم عدوه ثم احضروا ثلاثتهم فنجوا وفي ذلك يقول الشنفرى

ليلة صاحوا واغروا بي سراعهم ... بالعيكتين لدى معدى ابن براق
كأنما حثحثوا حصا قوادمه ... او ام خشف بذي شث وطباق
لا شيء اسرع مني غير ذي عذر ... او ذي جناح بجنب الربد خفاق

فسار المثل بعدوه فقيل اعدى من الشنفري

(١) (المعنى) يقول ان هذه المركبات يجرها على الارض مثل داحس والغبراء وهما جوادان من جياد العرب تسابقا مرة فنتج عن تسابقهما حرب كبيرة فضرب بهما المثل وقالوا قد وقع بينهم حرب داحس والغبراء واصل هذا المثل ان داحسًا كان فرس قيس بن زهير بن جذيمة العبسي · والغبراء فرس حذيفة بن بدير الفزاري وكان يقال لحذيفة هذا رب معدّ في الجاهلية وكان من حديثهما ان رجلاً من بني عبس يقال له قرواش بن هني كان يباري حمل بن بدر اخا حذيفة في داحس والغبراء فقال حمل الغبراء اجود وقال قرواش داحس اجود فتراهنا عليهما عشرا في عشر فأتى قرواش قيس بن زهير فاخبره فقال له قيس راهن من احببت وجنبني بني بدر فانهم قوم يظلمون لقدرتهم على الناس في انفسهم فقال قرواش اني قد أوجبت الرهان فقال قيس ويلك ما اردت الا اشأم اهل بيت والله لتشعلن علينا شرًّا ثم ان قيسًا اتى حمل بن بدر فقال اني قد اتيتك

الْفَقْرُ . أَوْ عَذْرَاءَ كَادَتْ تَبِيعُ عِرْضَهَا لِلاحْتِيَاجِ . أَوْ مَرِيضًا عَاجِزًا

لأُواضعك الرهان عن صاحبي فقال لا أُواضعك أو تجيء بالعشر فان اخذتها اخذت سبقي وان تركتها رددت حقًّا قد عرفته وعرفته لنفسي فاحفظ قيسًا فقال هي عشرون قال حمل هي ثلاثون فتلاجا وتزايدا حتى بلغ به قيس مائة ووضع السبق على يدي غلاق أو ابن غلاق احد بني ثعلبة ابن سعد ثم قال قيس واخيرك بين ثلاث فان بدأت فاخترت فلي منه خصلتان قال حمل فابدأ قال قيس فان الغاية مائة غلوة واليك المضمار ومنتهى الميطان اي حيث يوطن الخيل للسبق قال فخرج لهم رجل من محارب فقال وقع البأس بين ابني بغيض فضمروهما اربعين ليلة ثم استقبل الذي ذرع الغاية بينهما من ذات الاصاد وهي ردهة وسط هضب الشعليب فانتهى الذرع الى مكان ليس له اسم فقادوا الفرسين الى الغاية وقد عطشوهما وجعلوا السابق الذي يرد ذات الأصاد وهي ملاءى من الماء ولم يكن ثم قصبة ولا غيرها ووضع حمل حيسًا في دلاء وجعله في شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين فسمي ذلك الشعب شعب الحيس لهذا وكمّن معه فتيانًا فيهم رجل يقال له زهير بن عبد عمرو وامرهم ان جاء داحس سابقًا ان يردوا وجهه عن الغاية وارسلوهما من منتهى الذرع فلما طلعا قال حمل سبقتك يا قيس فقال قيس بعد اطلاع ائناس فذهبت مثلا ثم اجدًّا فقال حمل سبقتك يا قيس فقال رويدًا يعدون الجدد أي يتعدينه الى الوعث والخبار فذهبت مثلا فلما دنوا وقد برز داحس قال قيس جري المذكيات غلاب فذهبت مثلا فلما دنا من الفتية وثب زهير فلطم وجه داحس فرده عن الغاية ففي ذلك يقول قيس بن زهير

كما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الاصاد

هم فخروا عليَّ بغير فخر وردوا دون غايته جوادي

فقال قيس يا حذيفة اعطوني سبقي قال حذيفة خدعناك فقال قيس ترك الخداع من اجرى من مائة فذهبت مثلا فقال الذي وضعا السبق على يديه لحذيفة ان قيسًا قد سبق وانما اردت ان يقال سبق حذيفة وقد قيل افأَدفع اليه سبعة قال نعم فدفع اليه الثعلبي السبق . ثم ان حذيفة اغراه بعض الناس باسترجاع السبق من قيس فارسل اليه ابنه ابا قرفة فتناول قيس الرمح وطعنه فدق صلبه ورجعت فرسه عائرة فاجتمعوا الناس فاحتملوا دية ابي قرفة مائة عشراء فقبضها حذيفة وسكن الناس فانزلها على النفرة حتى تنتجها ما في بطونها ثم ان مالك بن زهير نزل اللقاطة وهي قريب من الحاجر وكان نكح من بني فزارة امرأة فأتاها فبني بها واخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه وقتله

عَنِ الْعِلاَجِ ١ · وَبَيْنَمَا تَرَى وَذَاحاً فِي جِيدِهَا عِقْدٌ كَأَنَّهُ فُرُودُ حَضَارٍ · وَفِي أَخْمَصِهَا نَعْلٌ مِنْ نُضَارٍ · تَرَى بَائِسَةً فِي عُنُقِهَا عِقْدٌ مِنْ دُمُوعٍ · وَفِي بَيْتِهَا فَقْرٌ وَجُوعٌ · حَالٌ تَطْرِفُ الْعُيُونَ · وَتُثِيرُ الشُّجُونَ ٢

وفي ذلك يقول عنترة

لله عينا من رأى مثل مالك　　عقيرة قوم ان جرى فرسان

فليتهما لم يجريا نصف غلوة　　وليتهما لم يرسلا لرهان

فأتت بنو جذيمة حذيفة فقالت بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة ردّوا علينا مالنا فأشار سنان بن ابي حارثة المزني على حذيفة ان لا يرد أولادها معها وان يرد المائة باعيانها فقال حذيفة أرد الابل باعيانها ولا ارد النسل فأبوا ان يقبلوا فقال قيس بن زهير

يودّ سنان ان يحارب قومنا　　وفي الحرب تفريق الجماعة والأزل

يدب ولا يخفى ليفسد بيننا　　دبيباً كما دبت الى جحرها النمل

فيا ابني بغيض راجعا السلم تسلما　　ولا تشمتا الاعداء يفترق الشمل

وان سبيل الحرب وعر مضلة　　وان سبيل السلم آمنة سهل

ثم تحالف بنو عبس مع بني عبد الله بن غطفان يوم ذي المريقب وكان مع بني عبس عنترة الفارس المشهور وقد استمرت الحرب بينهم سنين هلك فيها كثير من فرسان العرب ومشاهيرهم انتهى باختصار : وهذا المثل يضرب للقوم وقعوا في الشر يبقى بينهم مدة

(١) الخراج المال المضروب على الارض · الارملة المحتاجة أو المسكينة والعزبة غير الموسرة الصناع أي الصانعة بيديها

(المعنى) يقول ان هؤلاء الخاصة لجهلهم تراهم يبددون اموالهم فيما ذكر من ركوب عربات وتشييد قصور وانهماك في لذة وذهاب اموال في مدة قليلة من الزمن بينما ترى امرأة مسكينة تكتسب من صنعة يدها لقوت نفسها ويتيما جائعاً وشيخاً هرماً يجاهد نفسه في سبيل العيش وعذراء تكاد ان تهمل في عفتها من الفقر ومريضاً ينقلب على فرش السقم والألم وكلهم لا يجدون اسعافاً او انصافاً من الاغنياء

(٢) الوذاح الفاجرة · فرود حضار كواكب وحضار اسم كوكب يشبه بسهيل قال الشاعر

بِأَيِّ جُرْمٍ وَأَيِّ حُكْمٍ
سَلَّطَ لَيْثٌ عَلَى مَهَاهَا
وَعُذِّرَتْ حَاجَةٌ بِعُسْرٍ
عَلَى عَلِيلٍ قَدِ اشْتَهَاهَا
وَظَالِمٌ عِنْدَهُ كُنُوزٌ
مِنْ أُمِّ دَفْرٍ وَمِنْ لُهَاهَا ١

* * *

رُحْمَاكَ إِنَّ عُزْلَةً بَيْنَ كَرْمٍ وَأَعْنَابٍ . وَدَوَاةٍ وَكِتَابٍ . لَهِيَ الْجَمَاعَةُ وَالْأُنْسُ . لِلنَّفْسِ . وَإِنَّ اجْتِمَاعًا بِكَبِيرٍ بِغُضٍ وَيُزَارُ . أَوْ رَئِيسٍ لَا يَجِدُ نَفْسَهُ فِي اللَّيْلِ وَلَا تَجِدُهُ فِي النَّهَارِ . أَوْ عَدُوٍّ لَيْسَ مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌّ . أَوْ حَقُودٍ ذُلُّهُ

اري نار ليلى بالعقيق كأنها حضار اذا ما اعرضت وفرودها
الأخمص القدم . النضار الذهب . الجيد العنق . الشجون الحزن
(المعنى) يقول و بينما ترى فاجرة تلبس العقد الذي كالكواكب وتطأ على نعل من ذهب ترى البائسة المسكينة قد انتظمت ادمعها المتساقطة في عنقها حتى صارت لها عقداً وما في بيتها غير الفقر والجوع ثم قال ان هذه الحال ترمد العين وتستذرف الدمع وتثير الحزن
(١) الليث الاسد . المهي البقر الوحشي . ام دفر كناية للدنيا . اللهى العطايا
(المعنى) يقول اللهم لا اعترض على قضاءك وقدرك فانت الذي تعطي من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير اي ذنب اقترفته المهى حتى سلط عليها الليث يفتك بها ولأي شيء تعذر الدواء على المريض حتى قضى عليه مرضه ولم نرى الظالم قد لحظته عين الزمان ومنحته الدنيا ما يطلبه فاصبح ربّ كنوز ومال

أَظْهَرَ مِنْهُ الْوُدَّ · أَوْ حَسُودٍ مَلِقٍ · كَالذُّبَالَةِ يَضْحَكُ وَيَحْتَرِقُ · أَوْ جَاهِلٍ مُتَعَاقِلٍ · أَوْ مُتَفَصِّحٍ وَهُوَ بَاقِلٌ · أَوْ صَغِيرٍ بِهِ كِبْرٌ · أَوْ خَدِينٍ فِيهِ غَدْرٌ (١) · لَهُوَ وَأَيْمُ اللهِ

(١) (المعنى) يقول ان عزلتي بين كرم واعناب ودواة وكتاب هي الانس لي وان اجتماعي بكبير ابغضه وازوره وعدو لا ارتضي صداقته وحقود ذليل ولكنه يتودد ذلا وخضوعًا وحسود متملق يضمر خلاف ما يبدي وجاهل مجنون يدعي العقل ومتفصح وهو في الحقيقة ابكم وصغير حقير متكبر وصاحب غدار هي الوحشة لي — قال الجاحظ الكتاب وعاء مليء علمًا · وظرف حشي ظرفًا · واناء شحن مزاحًا وجدا · ان شئت كان اعيا من باقل · وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل · وان شئت ضحكت من نوادره · وان شئت عجبت من غرائبه · وان شئت الهتك مضاحكه · وان شئت اشجتك مواعظه · فالكتاب نعم الظهر والعمدة · ونعم الكنز والعدة · ونعم الذخر والعقدة · ونعم النزهة والعشرة · ونعم الشغل والحرفة · ونعم الانيس ساعة الوحدة · ونعم المعرفة ببلاد الغربة · ونعم القرين والدخيل · ونعم الوزير والنزيل · وهو الجليس الذي لا يطريك · والصديق الذي لا يغريك · والرفيق الذي لا يملك · والمستميح الذي لا يستطيلك · والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك · وهو الذي يطيعك بالليل طاعته بالنهار ويفيدك في السفر افادته في الحضر · لا يعتل بنوم ولا ضجر · ولا يعتريه كلال سهر · وهو المعلم الذي اذا افتقرت اليه لم يحتقرك · واذا قطعت عنه المادة والمائدة · لم يقطع عنك العادة والمائدة · وان هبت ريح اعدائك لم ينقلب عليك · وان قل مالك لم يترك زيارتك · ثم قال متى رأيت بستانًا يحمل في ردن · وروضة تقلب في حجر · ينطق عن الاموات · ويترجم كلام الاحياء · ومن لك بواعظ مله · وبزاجر معز · وبناسك فاسق · وبساكت ناطق · وبحار بارد · وبطبيب اعرابي · وبرومي هندي وبفارسي يوناني · وبميت ممتع : ثم قال ولولا ما رسمت لنا الاوائل في كتبها · وخلدت من عجائب حكمتها · ودونت من محاسن سيرها · وفننت من بدائع اثرها · حتى شاهدنا ما غاب عنا · وفتحنا كل مستغلق علينا · فجمعنا الى قليلنا كثيرهم · وادركنا ما لم ندركه الا بهم · ثم قال ولولا الكتب المدونة · والاخبار المفننة · لبطل اكثر العلم · ولغلب سلطان النسيان سلطان الفهم — وباقل هذا الذي جاء في المتن هو رجل من ربيعة بلغ من عيه انه اشترى ظبيًا باحد عشر درهماً فمر بقوم فقالوا له بكم اشتريت الظبي فمد يديه ودلع لسانه يريد احد عشر فشرد الظبي وكان تحت ابطه قال حميد بن الارقط في ضيف له اكثر من الطعام حتى منعه ذلك عن الكلام

الْوَحْشَةُ وَالْوَحْدَةُ . وَالسَّلُولِيَّةُ وَالْغُدَّةُ [١]

جَزَى اللهُ عَنِّي مُؤْنِسِي بِصُدُودِهِ
جَمِيلاً فَفِي الْإِيحَاشِ مَا هُوَ إِينَاسُ [٢]

اتانا ومادأناه سحبان وائل　　بيانا وعلما بالذي هو قائل
فما زال منه اللقم حتى كأنه　　من العيّ لما ان تكلم باقل
يقول وقد القى المراسي للقرى　　ابن لي ما الحجاج بالناس فاعل
يدال كفاه ويحدر حلقه　　الى البطن ما ضمت عليه الانامل
فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا　　فكل ودع الارجاف ما انت آكل

(١) السلولية يشير بذلك الى قول عامر بن الطفيل العامري (أغدة كغدة البعير وموتا ببيت امرأة سلولية) والقصة أن عامرا المذكور قدم على رسول الله صلي الله عليه وسلم في وفد بني عامر هو واربد اخ لبيد بن ربيعة فاختليا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا قد تواصيا بغدره صلي الله عليه وسلم فمنعهما الله من ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عامرا الى الاسلام فقال عامر على ان لي الوبر ولك المدر وفي رواية على ان تجعل لي الامر من بعدك فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب عامر وقال لاملأنها عليك خيلاً جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرسا وفي رواية لأغزونك على الف شقراء وعلى الف اشقر فدعي عليهما رسول الله صلي الله عليه وسلم اما عامر فاصابته غدة في رجوعه وكان نازلا عند امرأة من بني سلول فجعل يقول أغدة كغدة البعير وموتا ببيت امرأة سلولية حتى مات واما اربد فاصابته صاعقة

(المعنى) يقول ان كل ما ذكرته لك من شرور الناس يجعلني انفر منهم والزم العزلة فاني أجد راحتي وغنائي في ذلك فالاجتماع لكثرة شروره كانه بيت هذه السلولية وتلك الشرور كانها الغدة

(٢) الإيحاش الوحشة . الإيناس الانسة

(المعنى) يقول جزى الله الجميل من يصدني فاني ارى انسي في البعد عن الناس

: والخلاصة انه يفضل العزلة عن الاجتماع للاسباب العقلية التي اوضحها وقد ذكر في عرض كلامه بخل بعض الناس على انفسهم وتبذير اولادهم ما جمعوه من مال في اللهو واللعب ولا جرم في ذلك فان اكثر من يولد في الغنى يقرب من اللهو واللعب و يبعد عن العلم والأدب ولهذا نرى ان اكثر

خديوي مصر

أَلا جَمِّعي شَمْلَ الدُّموعِ المُبَدَّدَا
وَرُدِّي لِجَفْنَيْكِ المَنامَ المُشَرَّدَا [١]
وَإِنْ تَجْزَعي لِلْبَيْنِ لَسْتُ بِجازِعٍ
وَلا تارِكٍ رَأْيَ الصَّوابِ المُسَدَّدَا [٢]

النابغين من الرجال في كل امة وجيل خرجوا من بيوت الفقر ومن الاكواخ الوضيعة لا من القصور الرفيعة ولقد صدق ابو العتاهية في قوله

ان الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء اي مفسده

(١) جمعي جمّع الشيء ضمه . الشمل ما تفرق من الامر . المبدد المفرق . المشرد المنفر. (المعنى) يقول خفضي عليك الحزن والبكاء واجمعي شمل دموعك المتبدد على فراقي ونوّلي عينيك لذاذة النوم فقد آن لنا ان نلتقي بعد التنائي وقد وصف الشعراء الجزع للفراق والحنين الى السكن فمن ذلك قول المتنبي

ولم ار كالالحاظ يوم رحيلهم   بعثن الينا القتل من كل مشفق
عشية يعدونا عن النظر البكى   وعن لذة التوديع خوف التفرق

وقال بعض بني نهشل

أُلام على فيض الدموع وإنني   بفيض الدموع الجاريات جدير
أَيبكي حمام الأيك من فقد الفه   واصبر عنها انني لكفور

وقال دعبل

لا ابتغي سقيا السحاب لها   في مقلتي خلف من السقيا

(٢) ان الشرطية اختلف في جوابها هل يقرن بالفاء أو يصح حذفها منه قال الكثير من النحاة بصحة حذفها منه وعلى ذلك مشى السيد المؤلف على قولهم إذ ان المبرد والنحاس وابو الحسن قالوا بذلك . المسدد المقوم

أَيَفْرَخُ رَوْعِي أَوْ تَقَرُّ وَسَائِدِي
وَقَدْ جَعْجَعَتْ بِالْمُسْلِمِينَ يَدُ الْعِدَا ١

وَإِنِّي مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تَعْلَمِينَهُ
أَقَامَ عَمُودَ الدِّينِ لَمَّا تَأَوَّدَا

وَأَوَّلُ هَٰذَا الْأَمْرِ نَحْنُ أُسَاتُهُ
وَآخِرُهُ حَتَّى يَكُونَ كَمَا بَدَا ٢

(المعنى) يقول انك ان جزعت للبين والفراق فاني لست بالجزوع لاني رضت نفسي على تحمل مصاعب البين ومما قيل في السفر والبين قول بعضهم

وفارقت حتى ما ابالي من النوى   وان بان جيران عليّ كرام
فقد جعلت نفسي على النأى تنطوي   وعيني على فقد الحبيب تنام

وقال عبيد بن ايوب العنبري يصف مقاساته الاهوال في اغترابه

أَلا يا ظباء الرمل احسنّ صحبتي   واخفينني ان كان يخفى مكانيا
اكلت عروق الشريّ معكن والتوى   بحلقي نوْر القفد حتى ورانيا
وبت ضجيع الاسود الفرد بالفضا   فليت سليمان بن قبر يرانيا
فقد لاقت الغزلان مني بلية   وقد لاقت الغيلان مني الدواهيا

وقال ابو تمام

وطول مقام المرء في الحي مخلق   لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة   الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

(١) يفرخ يهدأ ويطمئن . الروح الرعب . الوسائد جمع وسادة وهو ما يوضع تحت الرأس عند النوم ونقر وسائدي اي انام نوماً مطمئناً هادئاً . جعجع بالرجل ضيق عليه او حبسه (المعنى) يقول كيف اهدأ واطمئن وتقر نفسي والمسلمون قد امتدت اليهم يد العدا وضيقت عليهم طرقهم ووقفت في سبيلهم وللقارىء ان يقرأ بدل جعجعت (بطشت)

(٢) تأود انحنى واعوج . الاساة جمع آس وهو الطبيب

* * *

أجدك هل تدري وقد سرت والدجى

(المعنى) يقول واني من ذلك البيت الكريم الذي تعرفينه والذي ابلى البلاء الحسن في خدمة الدين الاسلامي فان رجاله كانت لهم اليد الطولى في بداءة الاسلام وان شاء الله سيقومون بخدمته في المستقبل — ولننقل هنا تعريف هذا البيت الكريم عن كتاب (بيت الصديق) تأليف صاحب السماحة مؤلف هذا الكتاب قال (كانت مناصب السادات في الجاهلية في عشرة بيوت من قريش تنتقل فيها بالتوارث من كابر الى كابر . وفي مقدمة هذه البيوت بيت تيم بن مرة وكانت اليهم الديات والحمالات وجاء الاسلام وهي لابي بكر كبير ذلك البيت فبيت الصديق رضي الله عنه كان في الجاهلية من اشرف بيوتات العرب واعلاها كعبا وارفعها مقاما ثم لما جاء الاسلام زاد شرفا على شرف بما حازه ابو بكر من شرف الصديقية والافضلية والخلافة الاسلامية وصهر الرسول وثاني اثنين في العريش والغار وبما أتيه بنوه وآله من كريم المناقب وشريف المآثر كعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم «خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء» وكأسماء ذات النطاقين وعبد الرحمن ومحمد والقاسم عالم المدينة واحد الفقهاء السبعة وغيرهم ممن جاء بعدهم من الائمة والولاة والامراء والفقهاء والمجتهدين والعلماء والقضاة والمفتين ومشايخ الاسلام ونقباء الاشراف ومشايخ الطريق بحيث اطرد الشرف واتصلت المعالي بهذا البيت الكريم ودام اشراقه بالغر الجحاجيح من آله والزهر المصابيح من رجاله . نحو الفي عام . في الجاهلية والاسلام) انتهى . اقول ان من الشعر لما يدل على اخلاق ناظمه ومنشئه ومقدار عظامة نفسه خصوصا اذا كان الشعر خرج من وجدان حساس ونفس طاهرة شفافة فكأنما هو مرآة تنعكس فيها صورة النفس . ومن قرأ هذين البيتين وكان لا يعرف ناظمهما يحس من اول وهلة انه صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكري لما ورد فيهما من الاشارة الى مجده التليد والطارف وانى لغيره ان يقول ما قال وهو ابن اول خليفة في الاسلام وسليل الذي قام بأمر الردة اذ لولا جده ابو بكر لعادت العرب الى جاهليتها الاولى واصبح الاسلام اثرا بعد عين . روى الاسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد من ارتد من العرب وقالوا نصلي ولا نزكي فاتيت ابا بكر فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش (فقال رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام بماذا عسيت ان اتألفهم بشعر مفتعل او بسحر

يُنَالُ عَلَى الآفَاقِ دِرْعًا مُسَرَّدَا [1]
أَخُوضُ عُبَابًا فَوْقَ فُلْكٍ تَظُنُّهَا
عَلَى سَرَوَاتِ الْيَمِّ قَصْرًا مُشَيَّدَا [2]
تَهَاوَى بِهِ مِثْلَ الْعُقَابِ وَتَارَةً

مفتري هيهات هيهات مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي والله لاجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وان منعوني عقالا) فقال عمر فوجدته في ذلك امضى مني واحزم وآدب الناس على امور هونت عليّ كثيرًا من مؤنتهم حين وليتهم . وكانت ولادته رضي الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين واشهر ومات وله ثلاثة وستون سنة

(١) اجدك بكسر الجيم وفتحها لا يتكلم به الا مضافاً فان كسرت استحلفته بحقيقته وان فتحت استحلفته ببخته . الدرع المسرد المستحكم الحلقات

(المعنى) يستحلفه بجده او بحظه وبخته و يقول هل تدري حينما سرت والدجى قد تلبد وصار كالدرع المستحكم الحلقات او انه شبه الدجى بحديد الدرع والنجوم بمساميرها ومما قيل في الليل

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب
تقاعس حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب

وقال ابو تمام

اليك هتكنا جنح ليل كانه قد اكتحلت منه الليالي باثمد

وقال ابو الحماني

وليل تراه واقطاره قد ادرع الشملة الاسفع
كان الفجاج على سالكيه سدت فليس لها مطلع

وقال ذو الرمة

وليل كجلباب العروس ادرعته باربعة والشخص في العين واحد

(٢) العباب البحر . سروات جمع سراة وهي من الطريق اعلاه ومتنه . اليم البحر . المشيد المطلي بالشيد وهو القصر العالي الرفيع البناء

(المعنى) يقول قد خضت بحرًا خضما زاخرا على سفينة كأنها قصر رفيع البنيان وذلك

تَرَقَّى مِنَ الأَمْوَاجِ صَرْحاً مُمَرَّدَا [١]
وَتَرْزُمُ حِيناً فِيهِ حَتَّى كَأَنَّهَا
تَجُوزُ عَلَى العِلاَّتِ حَزْناً وَقَرْدَدَا [٢]
خُضَارَةُ مِرْآةُ السَّمَاءِ فَلَمْ تَزَلْ
تَرَى وَجْهَهَا فِيهَا وَإِنْ بَعُدَ الْمَدَى [٣]
فَإِنْ أَشْرَقَتْ فِيهِ الْغَزَالَةُ خِلْتَهَا
كَعَيْنٍ بِجَوْفِ الْبَحْرِ تَقْذِفُ عَسْجَدَا [٤]
وَإِنْ لاَحَ تَحْتَ الْمَاءِ بَدْرٌ رَأَيْتَهُ

لضخامتها وارتفاعها

(١) تهاوى تساقط . العقاب طائر معروف . ترقي تتعالى . الممرد المملس

(المعنى) يقول ان السفينة في سيرها تارة تنحدر من فوق الموج فكأنما تسقط في هُوِيّ عميق وتارة تعلو الموج فكأنما علت صرحاً باسقاً

(٢) ترزم يقال رزمت الناقة اي كلت عن القيام من التعب أو الهزال ومراد المؤلف هنا بترزم اي تتعثر في الموج . العلات الحالات المختلفة والشؤون المتنوعة وجرى على علاته أي على كل حال • الحزن ماغلظ من الارض . القردد ما غلظ وارتفع من الارض

(المعنى) يقول واحياناً ترزم هذه السفينة كما يرزم البعير فكأنها تسير على صخور غليظة وروابي مرتفعة من المشقة

(٣) خضارة علم للبحر غير مصروف للعلمية والتأنيث تقول هذا خضارة طاميا

(المعنى) يقول ان البحر مرآة للسماء فلا تزال ترى فيها وجهها وان كان المدى بعيداً بينه وبينها

(٤) الغزالة الشمس . العسجد الذهب .

(المعني) يقول فاذا رأيت الشمس وقد انعكست صورتها في هذا البحر حسبتها عيناً فوّارة

كَمَاوِيَّةٍ يَعْلُو عَلَى مَتْنِهَا صَدًى [١]

وَرُبَّتَمَا خَلْتَ النُّجُومَ عَشِيَّةً

لآلِئَ فِي قَاعِيهِ مَثْنَى وَمَوْحَدَا [٢]

***

كَأَنَّا وَقَدْ جُزْنَا لِمِصْرَ فِرِنْجَةً

حَنِيفٌ تَخَطَّى مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدَى [٣]

ترمي بالعسجد الاصفر وهو الذهب

(١) الماوية المرآة

(المعنى) يقول واذا انعكست عليه صورة البدر حسبت البدر كمرآة لامعة وقد غشيها الصدى وهذا المعنى من اسمي ما يتصوره خيال الشاعر لدقته ولطفه

(٢) ربما وربّ وربما وربة بالتشديد وقد يخففن والجميع حرف خفض لا يجر الاّ النكرة وهي في حكم الزائد . القاع قاع البحر اسفله . مثني اي اثنين اثنين . وموحد اي واحد واحد

(المعنى) يقول واذا انعكست صور النجوم في العشي رأيتها كاللآلىء فيه المتفرقة اثنين اثنين وواحدا واحدا

وقال بعضهم

ولما تعالى البدر وامتد ضوؤه   بدجلة في تشرين في الطول والعرض

وقد قابل الماء المفضض نوره   وبعض نجوم الليل يقفوسنا بعض

توهم ذو العين البصيرة انه   يرى باطن الافلاك في ظاهر الارض

وقال ابو الفضل الميكالي يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فالقته على مهو مطل عليها

اما ترى البركة الغراء قد لبست   نورًا من الشمس في حافاتها سطعا

والمهو من فوقها يلهيك منظره   كأنه ملك في دستها ارتفعا

والماء من تحته الق الشعاع على   اعلى سماواته فارتجّ ملتمعا

كانه السيف مصقولا تقلبه   كف الكمي الى ضرب الكمي سعي

(٣) الحنيف قال الحماسيّ الحنيف المائل عن دين الى دين وأصله من الحنف في الرجل

نَؤُمُّ بِهَا (الْعَبَّاسَ) فِي دَسْتِ مُلْكِهِ
كَمَا أَمَّ سُفَّارٌ عَلَى الْجَهْدِ مَوْرِدَا ١
حَلِيمٌ يَزِيدُ الْحِلْمُ مِنْهُ حَفَاظَهُ

وهو انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا

(المعنى) يقول كاننا حينما تخطينا بلاد الفرنجة وقصدنا مصر حنيف وهو المائل عن دين الى دين خرج من ظلمة الضلال الى نور الهدى

(١) نؤم نقصد · (العباس) — هو مولانا الخديوي المعظم عباس باشا الثاني بن توفيق ابن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي باشا امير مصر الحالي تولى ملك مصر في يناير سنة ١٨٩٢ ميلادية ولا يزال بها الى الآن حرس الله ملكه وادامه للاسلام والمسلمين · دست الملك صدر بيت الملك وهو مجلس الملك · سفار جمع سافر وهو المسافر · الجهد الطاقة والمشقة · المورد موضع الورود والطريق اليه

(المعنى) يقول اننا بعد ما جاوزنا فرنجة الى مصر كان مقصدنا ان نؤم مولانا العباس ادام الله ملكه فان الوافد عليه يكون كالمسافر الذي انضى راحلته واحفاها لينزل على مورد يجد حاجته عنده — هذا وقد جرت عادة الشعراء في كل وقت وعصر ان يمدحوا ملوك الوقت وامرائه بالمدح الجليلة والقصائد البليغة مهما علا قدر الشاعر ونبه ذكره وكانت له المنزلة العظيمة بين قومه وامته فهذا ابراهيم بن المهدي وهو اخ الرشيد وابن المهدي العباسي يقول في المأمون

احياك من اولاك اطول مدة ورمى عدوك في الوتين بقاطع
ان الذي قسم الفضائل حازها في صلب آدم للامام السابع

وهذا الشريف الرضي وهو نقيب الطالبيين يقول في الواثق بالله العباسي

ألبستني نعماً على نعم ورفعت لي علماً على علم
وعلوت بي حتى مشيت على بسط من الاعناق والقمم
فلاشكرن نداك ماشكرت خضر الرياض صنائع الديم
والشكر مهر للصنيعة ان ظلبت مهور عقائل النعم

والسيد المؤلف في مولانا العباس حرسه الله مدح كثيرة وقصائد بليغة عزان يجاريه فيها

كَمَا خَشُنَ اللّينُ الْجُرَازُ الْمُهَنَّدَا [١]

أَجَلُّ أَمِيرٍ قَامَ بَأْسًا وَنَائِلاً

وَأَنْجَزُهُمْ طُرًّا وَعِيدًا وَمَوْعِدَا [٢]

تَرَاهُ بِمِصْرٍ بَعْدَ وَالِدِهِ الرِّضَى

كَمِثْلِ الرَّبِيعِ الْجَوْنِ خَلَّفَهُ الْجَدَا [٣]

يَذُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ

مجار فمن تلك القصائد قصيدته التي قالها منذ سنوات قليلة يهنئه بها في عيد جلوسه على الاريكة الخديوية وكانت قد اجتمعت جمعية من كبار مصر وعظمائها لاحياء هـذه الليلة وقد جعلوا جوائز لمن يجيد في التهنئة وهي مداليات ذهبية وفضية فكان سماحة المؤلف هو المبرز على اقرانه في هـذا الميدان ونال المدالية الذهبية الأولى · هذا وقد تربي سماحته مع سمو الخديوي في مدرسة واحدة

(١) الحفاظ الشدة والبأس

(المعنى) يقول انه حليم من غير ضعف ولا خور فمثل حلمه فيه كاللين في الحسام فانه يزيده قوة ومضاء ومما قيل في الحلم

نقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرمًا ولينا

نميل على جوانبه كأنا اذا ملنا نميل على ابينا

(٢) البأس الشدة · النائل العطاء · طرًّا جمعًا · الوعيد التهديد · الموعد الوعد

(المعنى) يقول انه اجل امير قام بالامر وانجزهم في وعده ووعيده

له يوم بؤس فيه للناس ابؤس ويوم نعيم فيـه للناس انعم

فيقطر يوم الجود من كفه الندى ويقطر يوم البؤس من كفه الدم

(٣) الرّضى المرضي عنه وهو وصف بالمصدر على معني المفعول يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع مذكرًا ومؤنثًا · الجون الشديد الخضرة · الجدا المطر العام والذي لا يعرف اقصاه

(المعني) يقول انه بعد والده كالربيع أنبته المطر وهذا معني حسن جميل اذ كلاهما نافع

حُسَامٌ بِهِ الإِسْلَامُ أَضْحَى مُقَلَّدَا ¹

لَهُ شِيمَةٌ فِيهَا ثَوَى الْفَضْلُ كُلُّهُ
كَمَا قَدْ ثَوَى كُلُّ الْكَلَامِ بِأَبْجَدَا ²

وَرَأْيٌ إِذَا مَا أَظْلَمَ الْخَطْبُ خَالَتَهُ
كَنَجْمٍ بِهِ فِي ظُلْمَةِ الْخَطْبِ يُهْتَدَى ³

---

(١) يذود يمنع

(المعني) يقول وانه ليمنع عن الاسلام ويصد عنه كل رزيئة فكأنمـا هو سيف تقلده الاسلام ليدافع عن حوزته به

(٢) الشيمة الطبيعة والخلق . ثوى بالمكان اقام فيه • أبجد قال في القاموس أبجد الى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم هلكوا يوم الظلمة فقالت ابنة كلمن

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الحتف ناراوسط ظله
جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحله

ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الروادف وهذه الكلمات تجمع فيها حروف الكلام العربي

(المعنى) يقول ان الفضل تجمع كله في شيمة الممدوح كما تجمع الكلام جميعه في كلمات ابجد وهذا معني بديع جدا

(٣) (المعني) يقول اذا ما اسودت الخطوب واظلمت طلع فيها رأيه كأنه نجم يهتدى به .

قال ابو مسلم الخراساني

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
ما زلت اسعى عليهم في ديارهم والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا من رقدة لم ينمها قبلهم احد

وفكرٌ كمرآة المنجّم في الورى
يرى اليومَ فيها ما يبين لهم غدا

* * *

وقال الشاعر

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة   فان فساد الرأي أن تترددا
ولا تمهل الاعداء يوماً بقدرة   وبادرهم ان يملكوا مثلها غدا

وقال ابن الرفقي

وما تجدى عليك ليوث غاب   بنصرتها اذا دناك ذيب
توقي الداء خير من تصد   لأ يسره وان قرب الطبيب

(١) مرآة المنجم — كانت العرب تعتقد بالمدارك الغيبية من مثل الكهانة · والعرافة · والعيافة والتنجيم · والقيافة · والتفاؤل والتشاؤم · والطرق · والنقد والعقد · ودور القمقم فنشأ من العرب الكاهن والزاجر والعراف والمنجم والقايف · فلنأت على وظيفة كل من ذكرنا اتماماً للفائدة فنقول (الكاهن) هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان و يدعي معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب والمعروف بهذه الوظيفة من الجاهلية كثيرون منهم · الأفعى الكاهن · وجذيمة بن الابرش تكهن وادعى النبوة · والزباء · وابن صياد · وسواد بن قارب · والاسود العنسي من قبيلة مذحج واسمه عيهلة بن كعب وكان يكنى ذا الحمار لانه كان له حمار اسود معلَّم يقول له اسجد لربك فيسجد له و يقول له ابرك فيبرك قتله رجل اسمه فيروز قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة · ومنهم عامر بن عبيد الله بن سعد بن ابي سرح الذي كان اخاً لعثمان بن عفان من الرضاعة ومنهم مسيلمة الكذاب · وسجاح · وطلحة الاسدي · والمختار بن ابي عبيد · وشق · وسطيح واما (العراف) فهو الذي يخبر بالغيب ويداوي من الامراض وفيه يقول الشاعر

فقلت لعراف اليمامة داوني   فانك ان داويتني لطبيب

واما (العائف) فهو زاجر الطير وهو أن يرمي الطاير بحصاة فان طار الى الميمنة فقد تيمن به وان طار الى الميسرة فقد تشاءم منه · واما (المنجم) فهو صاحب الجفر تماماً لأنه يعتمد في ذلك

أَيَا ابْنَ الَّذِي سَاقَ الْمَسَاعِرَ كَالدَّبَى
فَأَصْدَرَهُمْ حَوْضَ الْجِلَادِ وَأَوْرَدَا (١)
يَخَالُونَ فِي نَسْجِ الْحَدِيدِ وَفِي الظُّبَا
خِضَمًّا بِهِ الْآذِيُّ أَرْغَى وَأَزْبَدَا (٢)

على حساب الجُمَّل وغيره وقيل ان الامام جعفر الصادق هو الذي الف كتاب الجفر ولذلك قال ابو العلاء المعري

لقد عجبوا لاهل البيت لما　　أتاهم علمهم من مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى　　أرته كل عامرة وقفر

واما (القائف) فعلى ضربين قائف البشر وقائف الاثر الاول يتكهن بالنظر في الوجوه . والثاني يتكهن بالنظر في الاثر على الرمال . واما (التفاؤل والتشاؤم) فالتفاؤل هو ان يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول يا سالم فيتفاءل خيرًا من ذلك . والتشاؤم هو ان يرى غراباً مقبلاً فيتشاءم منه لانه يدل في زعمه على الغربة . واما (الطرق) فهو الطرق بالحصا ومنه قول لبيد

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى　　ولا زاجرات الطير ما الله فاعل

وكان الطرق من صنعة النساء وهن المسمون بالطوارق . وأما (النَّقَد والعقد) فهي ضرب من السحر . واما (دور القمقم) فهو اذا اراد الكاهن استخراج المسرقة اخذ قمقمة وجعلها بين سبابتيه ينفث فيها و يرقى ويديرها فاذا انتهى في زعمه الى السارق دار القمقم ولذلك يقولون في المثل . على هذا دار القمقم . يضرب لمن ينتهي اليه الخبر و يدور عليه . ولا تزال اكثر هذه العوائد جارية الى الآن . ومرآة المنجم الآن هي ما يسمونه بالمندل

(المعنى) يقول ان فكره كمرآة المنجم يرى بها في يومه ما سيكون في غده

(١) المساعر الشجعان . الدبى الجراد . اصدره صرفه عن الامر وارجعه . اورد احضره المورد ثم استعمل لمطلق الاحضار

(المعنى) يقول انت سليل الذين عبوا الجيوش واوردوها حوض الحروب واصدروها غانمة ظافرة

(٢) الظبا جمع ظبة وهو سنان السيف . الخضم البحر . الآذي الموج . ارغى وازبد ضج

كَأَنَّ دُخَانَ الْمَنْجَنِيقِ أَمَامَهُمْ
طَخَاءٌ كَثِيفٌ بِالصَّوَاعِقِ أَرْعَدَا ١
وَخُرْصَانُهُمْ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ إِنْ بَدَتْ
تَدُورُ عَلَى الدُّنْيَا نُحُوساً وَأَسْعُدَا ٢
فَفَلَّ جُمُوعَ الْخَارِجِينَ بِبَأْسِهِمْ

غضباً وتهدد

(المعنى) يقول كأن فرسان هذا الجيش وعليهم الدروع وفي ايديهم السيوف اللامعة بحر خضم" ارغي موجه فظهر على متنه الزبد الابيض وهـذه الابيات التي مضت والتي بعدها كلها في وصف الجيش والسيوف والدروع فلنأت على ما قاله الشعراء في ذلك قال زيد الخيل

بجيش تضل البلق في حجراته ترى الاكم منه سجداً للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر

وقال الخوارزمي

بجيش عنده للاكم ثار وجسم الشمس في يده ضئيل
فكاهل هذه منه ثقيل وناظر هـذه منه كحيل

(١) المنجنيق آلة للحرب تستعمل في الاحراق ورمي الحجارة ويقصد بها المدفع . الطخاء السحاب المرتفع المظلم . الصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء في رعد شديد لا تمر على شيء الا احرقته

(المعنى) يقول كأن دخان المنجنيق الذي هو كناية عن المدفع سحاب مظلم مرعد تتساقط منه الصواعق على الاعداء وهي كناية عن المقذوفات النارية التي تخرج من فم المدفع

(٢) الخرصان جمع خرص وهو الرمح

(المعنى) يقول وكأن رماحهم كواكب تدور على الدنيا بالنحس والسعد وقد مشى السيد المؤلف على مذهب العرب القدماء من نسبة السعادة والشقاء الى الكواكب والنجوم وقال ابو تمام يصف الرمح

من كل ازرق نظار بلا نظر الى المقاتل ما في متنه اود

وَأَتْهَمَ فِيهِمْ بِالْفُتُوحِ وَأَنْجَدَا [1]

وَحَامَى عَنِ الْقَبْرِ الَّذِي عِنْدَ طَيْبَةٍ

وَذَادَ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي عِنْدَهُ كُدَا [2]

كانه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد

(١) الخارجين جمع خارج وهو من خرج على السلطان · وأتهم فيهم وأنجد اي ابلى فيهم بلاءً حسناً

(المعنى) يشير بقوله الخارجين الى فئة الوهابيين وهم فئة زعيمها الأول يدعى محمد عبد الوهاب خرج على السلطان وحزب احزاباً كثيرة وافتتح بها نجداً والحجاز والحرمين وما زال يفتح بلاد العرب حتى توفي سنة ١٢٠٥ فاستمر احزابه من بعده في اعمالهم حتى استفحل امرهم ونهبوا الكعبة فلم ير السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد بداً من ان يستعين بمحمد على باشا والي مصر وجد الممدوح على مطاردة الوهابيين نخابره في ذلك فاجاب بالطاعة وجمع القوات وارسل عليها ابنه المغفور له طوسون باشا واخذ يمده حتى جمع قواته امام المدينة وأطلق عليها النار فهدم بعض السور ثم دخلها و اثخن في حاميتها حتى سلمت فكف السيف عنها · ثم عاد الوهابيون الى الكرة مرة اخرى فرأى محمد علي باشا ان يسير بنفسه لمقاتلتهم فوقعت بينه و بينهم موقعة كبرى كان النصر فيها لجنود محمد علي باشا تفرق بعدها الوهابيون · فعاد الى مصر وقد فتح طريق الحرمين ولكنه كان في شك من امر اعدائه اذ لم يبدهم جميعاً وخاف ان يتجمعوا مرة ثانية فرأى من الصواب ان يرسل ابنه ابراهيم باشا البطل الشهير في حملة عظيمة فكان ذلك فوصل المدينة وحارب الوهابيين حرباً شديداً حتى قبض على زعيمهم وارسله الى مصر و بعدها ارسله محمد علي الى الاستانة فقتلوه · وكانت لمحمد علي جملة حروب مع كل من خرج على السلطان كان النصر حليفه دائماً فيها فمنها ارساله ابنه ابراهيم باشا الى اهل المورا حين خرجوا على السلطان فحاربهم وعاد ظافراً منصوراً · ومنها خروج حكام سوريا على السلطان ايضاً فارسل اليهم محمد علي باشا حملتين واحدة في البر والثانية في البحر و كلتاهما تحت قيادة ابراهيم باشا فاستولى على جميع بلاد سوريا بعد حروب شديدة و بالجملة فمجد محمد على باشا اطلق لسان شاعرنا فنظم هذه الابيات تعداداً لمآثر اجداد الممدوح

(٢) طيبة هي مدينة يثرب وبها قبر النبي صلى الله عليه وسلم · والبيت هو بيت الله الحرام

لَقَدْ عَمَّ آفَاقَ الْبَسِيطَةِ ذِكْرُكُمْ
وَطَارَ لِأَعْنَاءِ السَّمَاءِ وَأَبْعَدَا

فَفِي الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ خِلْتُ مَدِيحَكُمْ
كَصَوْتٍ بِهَا فِي كُلِّ رُكْنٍ لَهُ صَدَى

كنز مدفون

أَأَفَاضِلَنَا أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى
دِيَارَكُمُ أَمْسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلُ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فُرْقَةٌ مِنْ جَمِيعِكُمْ
تَبِيدُ وَدَارٌ مِنْ مَجَامِعِكُمْ تَخْلُو

وبه الكعبة التي هي قبلة المسلمين وموضع حجهم وهما بمكة . كدا جبل اسفل مكة على طريق اليمن

(المعنى) يقول ان جدك حامى عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم واستخلصه من ايدى الوهابيين ودافع عن بيت الله الحرام

(١) البسيطة الارض • أعناء السماء جمع عنو وعنا وهو الجوانب والنواحي

(المعني) هذا البيت هو جواب الندا في قوله

ايا ابن الذي ساق المساعر كالدبى وأصدرهم حوض الجلاد وأوردا

ومعناه ان ذكرك سار في البرية جميعها وصعد الى السماء علوًّا وقدرًا حتى ملأ جميع نواحيها

(٢) القبة الزرقاء السماء • الصدى ترجيع الصوت

(المعنى) يقول اني أخال مديحك وقد عمّ الدنيا صوتا في قبة هي قبة السماء اذا مارنّ فيها رددته جميع نواحيها وهذا المعنى غاية في الحسن والابداع

(٣) هذه الرسالة انشأها سماحة السيد المؤلف في سنة ١٣١٧ هجرية

أَطْلِقِ الدَّمْعَ وَأَطْرِقْ · فَقَدْ غَرُبَتِ الشَّمْسُ فِي الْمَشْرِقِ [١] · فَيَا هَزِيمَةَ الْعَقْلِ · وَصَوْلَةَ الْجَهْلِ · وَيَا وَحْشَةَ الدُّورِ · وَأُنْسَةَ الْقُبُورِ [٢] · أَسَرِيرٌ · يُنْقَلُ وَيَسِيرُ · أَمْ جَبَلٌ يَتَقَلَّعُ · وَوَسْمِيٌّ يَتَقَشَّعُ · وَهَذِهِ أَوْصَالٌ · أَمْ مَعَالٍ · تُنْشَرُ · وَتُقْبَرُ [٣]

أَلَا مَنْ رَأَى قَوْماً كَأَنَّ رِجَالَهُمْ

اعزز مبني للمجهول بمعني صعب عليّ ما اصابك · تبيد تهلك · المجامع جمع مجمع وهو مجلس الاجتماع

(المعنى) يقول افاضلنا يعز عليّ ان ارى دياركم امست خالية من ساكنيها قد عبثت بها نوب الليالي والايام وفرقت اهلها بعد اجتماع فالدار بائدة والسكان راحلون · ويعجبني قول ابي الطيب في هذا المعنى

أبني ابينا نحن اهل منازل ابداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
اين الاكاسرة الجبابرة الأُلى كنزوا الكنوز فمابقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق

(١) اطلق الدمع اي فكه من اسره واذرفه · اطرق اي طأطأ من رأسك

(المعني) يقول فك الدمع من عقاله واجعله ينسكب انسكابًا وطأطأ الرأس حزنًا وكمدًا فقد غربت الشمس ولكن كان غروبها في المشرق لان المتوفي مات في الشرق وكأن وفاته غروب الشمس

(٢) الصولة السطوة والقدرة · الوحشة الخلوة · الأَنسة ضد الوحشة

(المعنى) يقول لعمري لقد انهزم العقل بعد المتوفي وصال الجهل وخلت الدور فصارت موحشة وعمر القبور فعادت مونسة لوجوده فيها

(٣) يتقلع في مشيه مشي كانه يتحدر · الوسمى مطر الربيع سمي به لأَنه يسم الارض بالنبات · يتقشع يتفرق · الأوصال جمع وصل بالكسر وهو المفصل

(المعنى) يقول اسرير الميت اي نعشه ما يسير امامنا ام جبل يزول عن مكانه ام غمام ينقشع فيخلف الارض بعده جدباء وهذه اوصاله واعضاؤه المحمولة في نعشة ام هذه معال تنقل من حال الى حال

نَخِيلٌ أَتَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَالَهَا ١

بُورِكَ الْمَيْتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُو

رِكَ نَضْحُ الرُّمَّانِ وَالزَّيْتُونِ ٢

وَسَلَامُ الْإِلٰهِ يَغْدُو عَلَيْهِمْ

وَفُيُوءُ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ الظِّلَالِ ٣

أَقَبْرٌ هَذَا أَمْ جَفْنٌ فِيهِ سَيْفٌ جُرَازٌ . وَتُرْبٌ فِيهِ تِبْرٌ رِكَازٌ . وَقَلِيبٌ

هُرِيقَ فِيهِ ذَنُوبٌ مِنْ كَرَمٍ . وَجَفْرٌ تَهَدَّمَ فِيهِ بُنْيَانٌ مِنْ هِمَمٍ ٤

وَهُمُ الْأُسُودُ الْغُلْبُ حَوْلَ ضَرِيحِهِ

يَبْكُونَهُ بِنَوَاظِرِ الْآرَامِ ٥

---

(١) عاضد يقال عضد الشجرة وغيرها بالمعضد شذ بها والعاضد اسم فاعل من عضد

(المعني) يقول هل من الناس من رأى قوماً طوال القامات كعيدان النخل وهو ممدوح عند العرب اتاها ذلك العاضد وهو كناية عن الموت فأمالها والاستفهام هنا استفهام انكاري

(٢) (المعنى) يقول ان نضحي الرمان والزيتون مباركان و يدعو لهذا الميت الغريب بالبركة كما بارك الله في هذين النضحين

(٣) فيوء الفردوس اي ظلالها

(المعنى) يدعوا ايضاً للميت و يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يظلل جدثه بظلال الفردوس وهوالجنة

(٤) الجفن الغمد . الجراز السيف القطاع . التبر ما كان من الذهب غير مضروب ولا يقال تبر الا للذهب . والركاز ما ركزه الله تعالى من المعادن في الارض . القليب البئر . هريق اي صب مبني للمجهول . الذنوب الدلو التي لها ذنب وقيل التي دون الملء . الجفر البئر الواسعة

(المعنى) يقول ليت شعري هل قبر الفقيد غمد وهو فيه حسام أم تراب وهو فيه تبر مودع ام بئر صب فيها ذنوب ملئه الكرم ام جفر تهدم فيه بنيان من همة وعزيمة

(٥) الغلب جمع اغلب وهو الاسد . الآرام الظباء

فإلى الله نشكو زمناً أطفأ هذا السراج · وكسر هذا التاج · وأخبأ هذا الشهاب · وقفل هذا الباب · وغادرنا بعده في غيٍّ كرشدٍ ورشدٍ كغيٍّ · وحيٍّ كميتٍ وميتٍ كحيٍّ [1] ·

وأنت أولى وإن أصبحت في جدثٍ
بأن تعزّى بأهل الوعث والجدد [2]

عينان · كأنهما عينان نضاختان · طرفٌ خاشعٌ · وشممٌ باخعٌ · ونفسٌ راجعٌ · وإصبعٌ دامٍ · وعثيرٌ فوق هامٍ [3] · وحزنٌ ينقض الأضلاع · وهمٌّ

(المعني) يقول ان الرجال العظام تبكيه على قبره بجزع كأنه جزع النساء

(١) اخباء اطفأ

(المعني) يقول اشكو الي الله من دهر اخمد هذا القبس المضيء وكسر هذا التاج الذي كان موضعه الرؤوس واطفأ جذوة هذا الشهاب المتوقدة وقفل هذا الباب وهو باب العلم والفضيلة وغادرنا من بعده مدهوشين حتى نظن الغي رشدا والرشد غياً ونرى الحي منا ميتا والميت حياً

(٢) الجدث القبر · الوعث المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الاقدام · الجدد ما استدق من الرمل

(المعني) يقول وان اصبحت في جدث بعيداً عن الاهل والصحب والاخدان فانك جدير بان تعزى باهل هذين المكانين لانك حي بما تركت وعلومك وانت ميت كما ان غيرك كانه ميت وهو حي لقلة فضله

(٣) عينان هما العينان الباصرتان · وعينان الثانية هما العينان الناضختان · نضاختان يقال عين نضاخة اي فوارة غزيرة · الطرف العين · الشمم ارتفاع قصبة الانف وهو كناية عن العظمة والارتفاع · الباخع المنقاد المنذل · نفس راجع اي في اخذ ورد · دام مكلوم مجروح وهو كناية عن العض على الاصابع حتى دميت وتكلمت · العثير الغبار · الهام جمع هامة وهي العنق والرأس

(المعنى) يقول ان عين كل انسان منا اصبحت بعدك كالعين الناضحة الفوارة الغزيرة

يَسُلُّ النُّخَاعَ · وَفِي كُلِّ قَلْبٍ صَدْعٌ وَفِي كُلِّ رَأْسٍ صُدَاعُ ١

قُومَا تَنُوحَانِ مَعَ الأَنْوَاحِ
وَابْنَا مُلاعِبَ الرِّمَاحِ
أَبَا بَرَاءٍ مِدْرَهَ الشِّيَاحِ
فِي السُّلُبِ السُّودِ وَفِي الأَمْسَاحِ ٢

* * *

واصبح كل طرف وقد خشع وهذا الشمم بعد العزة والقدرة اصبح منخفضا وانفاسنا مترددة في صدورنا لهفة وجزعا واصابعنا دامية حسرة عليك وقد علا رؤوسنا وهاماتنا الغبار مما نثيره عليها من الحزن والجزع

(١) ينقض يهدم · يسل ينزع · النخاع مثلثة عرق ابيض من داخل العنق ينقاد في فقار الظهر حتى يبلغ عجب الذنب

(المعنى) يقول ان حزننا عليك كسر الاضلاع ونزع النخاع فاصبحنا وقلوبنا مصدعة ورؤوسنا مصدوعة

(٢) الانواح جمع نائحة وهي الباكية بصوت · أبن اثنى عليه بعد موته · ملاعب الرماح اي الذي يلعب بالرماح وهي كناية للعرب تطلق على رجل الحرب ومنها ملاعب الاسنة · المدره لسان القوم المدافع عنهم وهو من درأ · الشياح الحذار والجد في كل شيء والتحفظ والسلب ما يسلب تقول سلب القتيل وهو ما عليه من سلاح وثياب ومنه تسلبت المرأة على زوجها اي لبست الحداد · الامساح جمع مسح وهو كساء من شعر

(المعني) يقول قوما للنواح مع النائحات وارثيا رجل الحرب المسمى ابا براء فانه كان راعي الحي وحامي ذمارهم والبسا لذلك السلب السود والامساح — هذا وقد كانت المرأة في الجاهلية اذا اصيب لها كريم حلقت شعر رأسها واخذت تضرب هامتها بنعلين فتعقرها قال عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يفيد ابنتي ربع عويلهما لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْهُ وَاحِدٌ بِأَلْفِ ٠ كَالدِّينَارِ فِي الصَّرْفِ[١] ٠ كَرِيمُ الْمَنْبَتِ وَالْبَيْتِ ٠ مَا فِيهِ
لَوٌّ وَلَا لَيْتٌ[٢] ٠ مَاضٍ وَالسَّيْفُ نَابٍ ٠ كَأَنَّهُ فِي الْفُضَلَاءِ سَطْرُ بِسْمِ اللهِ فِي الْكِتَابِ[٣] ٠

كلتاهما ابطنت احشاءها قصبا   من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا
اذا تأوب نوح قامتا معه   ضرباً اليما بسبت يلعج الجلدا

السبت النعل وقالت الخنساءُ

ولكنني وجدت الصبر خيرا   من النعلين والرأس الحليق

(١) (المعنى) يقول في سبيل الله واحد كان يعد بالف كما يصرف الدينار بكثير من الدراهم او نحوها يعني انه جمع فيه كل الناس

(٢) كريم المنبت ٠ اي الاصل ٠ لوها معان كثيرة وهي هنا للتمني ٠ ليت حرف تمني
(المعنى) يقول ان المتوفي كان كريم المحتد نبت من تربة صالحة فللمادح ان يمدح كيف شاءَ ولا يقول لو كان فيه الخلق الفلاني لكان تاماً او ليت فيه الخصلة الفلانية لكان عظيما فهو ليس ممن تدخل عليه لو اوليت

٠ ومن اشجى ما قيل في الرثاء قول متمم بن نويرة

لقد لامني عند القبور على البكا   رفيقي لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كلّ قبر رأيته   لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا   فدعني فهذا كله قبر مالك

وقال النابغة الجعدي

فتى كان فيه ما يسر صديقه   على ان فيه ما يسوء الاعاديا
فتى كملت خيراته غير انه   جواد فما يبقي من المال باقيا

(٣) ماض قاطع ٠ الناب يقال نبا السيف عن الضربة اي كلّ وارتد عنها ولم يمض ٠ الفضلاء ٠ جمع فاضل
(المعنى) يقول انه يكون ماضياً اذا نبا السيف اي انه امضى منه ويقول انه في مقدمة الفضلاء اذا عدوا كما تكون البسملة في اوائل الكتب وصدورها وقد صدر الله سبحانه وتعالى

منها كتابه المجيد وقال الشاعر يصف صبره على الشدائد

ونكبة لو رمى الرامي بها حجراً   اصم من جندل الصمان لا نصدعا
مرت عليّ فلم اطرح لها سلبي   ولا اشتكيت لها وهناً ولا جزعا
ما شد من مطلع يخشى الهلاك به   الا وجدت بظهر الغيب مطلعا
لا يملأ الامر صدري قبل موقعه   ولا يضيق به صدري اذا وقعا
كلاّ لبثت فلا النعماء تبطرني   ولا تخشعت من لأوائها جزعا

وقال سعد بن مالك

يا بؤس للحرب التي   وضعت اراهط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لجا   حمها التخيل والمراح
الا الفتى الصبار في   النجدات والفرس الوقاح
والنثرة الحصداء والبيض المكال   والرماح
والكر بعد الفراذ   كره التقدم والنطاح
كشفت لهم عن ساقها   وبدا من الشر الصراح
فالهم بيضات الخدور هنا فلا النعم المراح

وقال لبيد

فلا انا يأتيني طريف بفرحة   ولا أنا مما احدث الدهر جازع
انجزع مما احدث الدهر بالفتى   واي كريم لم تصبه القوارع

وقال النابغة

اذا مسه الشر لم يكتئب   وان مسه الخير لم يعجب

وقال ابو فراس الحمداني

صبور ولو لم تبق مني بقية   قؤول ولو ان السيوف جواب
وما كل فعال يجازي بفعله   وما كل قوال لدي يجاب
ورب كلام مر فوق مسامعي   كما طن في لوح الهجير ذباب

والشعر في هذا المعنى كبير وفي هذا القدر كفاية

(١) الجم الكثير • الاصفاد جمع صفد وهو العطاء • المنح العطاء ايضاً •

(المعنى) يقول ان الفقيد كان كثير الكرم اذا استنجده الانسان وكان في ضيقة عسراء جاءه نصر الله والفتح وناهيك بهما • والكرم عادة من احسن العادات وأفضلها اذ كل متخلق بها يكون محبوباً من الناس مغبوطاً منهم لان النفس من طبيعتها ميالة الى من احسن اليها رغابة في كل جواد وكانت هذه النحيزة منتشرة في الامة العربية انتشاراً زائدا الى ان يوجد فيهم البخيل ومن اتصف بهذه الخصلة الذميمة منهم كان يضرب به المثل في اللؤم اذ لولا ذلك لما بقى اسم مادر البخيل المشهور يضرب به المثل عند المذمة والانتقاص كما يضرب المثل بحاتم عند المدح والثناء وقد ملأت بذلك اشعارهم وفخروا به كثيراً حتى ان الواحد منهم ربما ادى به كرمه الى الفاقة ويرى ذلك محمدة يشكر عليها ويخلد اسمه بها فمن ذلك قول عمرو بن الاهتم

ذريني فان الشحّ يا ام هيثم ... لصالح أخلاق الرجال سروق
ذريني وحطي في هواي فانني ... على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
ذريني فاني ذو فعال تهمني ... نوائب يغشى رزؤها وحقوق
وكل كريم يتقي الذمّ بالقرى ... وللحق بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقال آخر

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلا فاني لست آكله وحدي
أخاً طارقاً او جار بيت فانني ... أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما فيّ الاّ تلك من شيمة العبد

وقال آخر

فالاّ أكن عين الجواد فانني ... على الزاد في الظلماء غير شتيم
فالاّ أكن عين الشجاع فانني ... ارد سنان الرمح غير سليم

وقال حاتم الطائي

اما والذي لا يعلم السر غيره ... ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت اختار القرى طاوي الحشا ... محافظة من أن يقال لئيم
واني لاستحيي يميني وبينها ... وبين فمي داجي الظلام بهيم

إِلى حِكْمَةِ رَسْطَالِيسَ . أَوِ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ ¹ . وَخُطَبِ إِيَادٍ . أَوْ زِيَادٍ ²

---

(١) رسطاليس هو ارسطو وتقدمت ترجمته في موضع آخر من هذا الكتاب — الشيخ الرئيس هو ابو علي الحسن بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور ٠ ولد بقرية خرميثنا من اعمال بخارى ثم انتقل مع ابيه الى بخارى واشتغل بالعلوم وحصل الفنون ولما بلغ سنه عشر سنين كان قد اتقن علم القرآن والادب وحفظ اشياء كثيرة من اصول الدين والحساب والجبر والمقابلة ثم توجه نحوهم الحكيم ابو عبد الله الناتلي فأنزله والد الشيخ الرئيس عنده فابتدا ابو علي يقرا عليه كتاب ايساغوجي واحكم عليه علم المنطق وقرأ عليه ايضاً اقليدس والمجسطي ثم كان يختلف في الفقه الى اسماعيل الزاهد ثم اشتغل بتحصيل العلوم كالطبيعي والالهي وغير ذلك ثم رغب بعد ذلك في علم الطب فبرز فيه حتى فاق الاوائل واصبح عديم القرين فاخذ عنه هذا الفن كبراؤه ٠ ثم ذكر ابو علي عند الامير نوح ابن نصر الساماني صاحب خراسان في مرض مرضه فاحضره وعالجه حتى برىء واتصل به ودخل الى دار كتبه وكانت عديمة المثل فظفر ابو علي فيها بكتب من علم الاوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واتفق بعد ذلك احتراق هذه الكتب فتفرد ابو علي بما حصله من علومها ٠ وبالجملة فابن سينا كان نادرة عصره وواحد دهره وقل في حكماء المسلمين وفلاسفتهم من حصل كل علم ونظر في كل شيء مثل ابن سينا وقد الف كثيراً من المصنفات في كل علم ومطلب ٠ وكانت ولادته في سنة سبعين وثلثمائة ووفاته سنة ثمان وعشرين واربعمائة بهمذان ودفن بها رحمه الله تعالى

(المعنى) يقول ان الفقيد كان حكيما بارعاً وفيلسوفاً حاذقاً اشبه رسطاليس معرفة وفهما في اليونان والشيخ الرئيس علما واختباراً في الاسلام

(٢) اياد — اياد ابو قبيلة من العرب وهو ابن معد بن عدنان واخو نذار بن معد وقيل اياد هو ابن نذار واعطاه ابوه الخدم وما اشبه من ماله لما قسم ارثه بين اولاده ٠ كانت منازلهم بعين اباغ بعد ما تفرقت العرب وكان جذيمة الابرش كثيراً ما يغزوهم حتى طلبوا مسالمته وكان بينهم غلام من لخم من بني اختهم وكانوا اخوالاً له وهو عدي بن نصر بن ربيعة وكان موصوفاً بالجمال والظرف فطلبه منهم جذيمة فامتنعوا ان يسلموه اليه فالحّ عليهم بالغزو وكان له صنمان يعبدهما فبعث اياد من سرق الصنمين وعرفوه انهما عندهم ويردونهما بشرط ان يكفّ عنهم فاجابهم الى ذلك بشرط تسليم عدي بن نصر فقبلت اياد وكان من امر عدي مع جذيمة واخته رقاش ما كان من عشقها له وتتيمها فيه ٠ وتشعبت من اياد بطون كثيرة وتفرقوا في البلاد وكان

بعد ذلك معظمهم مستوطناً في العراق غلبوا عليه الفرس لما كان سابور ذو الاكتاف صغيراً وأكثروا هناك الفساد فمكثوا حيناً لا يغزوهم احد من الفرس لصغر ملكهم فلما كبر سابور غزا من جاور بلاده من العرب فانتقلت اياد من الجزيرة وصارت تغير على السواد فجهز سابور اليهم الجيوش وكان لقيط الايادي معهم فكتب الى اياد

سلام في الصحيفة من لقيط   الى من بالجزيرة من اياد
بان الليث كسرى قد اتاكم   فلا يشغلكم سوق النقاد
اتاكم منهم سبعون الفاً   يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم ايضاً

ابلغ اياد وطوّل في سراتهم   اني ارى الرأي ان لم اعص قد نصعا

وهي قصيدة طويلة فلم يحذروا فاوقع بهم سابور وابادهم قتلا الا من لحق منهم بارض الروم فتنصروا هناك على الهادى ثم اسلموا في فتح تكريت سنة ١٦ هجرية وكانوا قد اتوا على الروم ومعهم غيرهم من قبائل العرب وقد وهم بعضهم ان الخط تعلمته الناس من اياد لقول الشاعر

قوم لهم ساحة العراق اذا   ساروا جميعاً والخط والقلم

نعم ان اياد اسكنت العراق ولكن بقيت على ما كانت عليه من البداوة كما علمت ومراد الشاعر انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار • واياد وان اغفلت الخط فقد قام منها الخطباء الفصحاء والمفوهون البلغاء وضرب بخطب اياد المثل لطولها قال الشاعر فيهم

يرمون بالخطب الطوال وتارة   وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وعلى ذكر الخطابة نأتي هنا بحكاية مفيدة لمن يريد ان يتعلم فن الخطابة الذى كان وظيفة كبار العرب وعظمائهم وهي: مر بشر بن المعتمر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب وهو يعلم فتيانه الخطابة فوقف بشر يستمع فظن ابراهيم انه انما وقف يستفيد او يكون رجلاً من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صفحاً واطووا عنه كشحاً ثم دفع اليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره فيها: خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان نفسك تلك الساعة اكرم جوهراً واشرف حسباً واحسن في الاسماع واحلى في الصدور واسلم من فاحش الخطأ واجلب لكل عين من لفظ شريف ومعنى بديع • واعلم ان ذلك اجدى عليك مما لا تبلغه الا بالكد والمطاولة والمجاهدة بالتكليف والمعاودة ومهما اخطأك لم يخطئك ان يكون مقبولاً قصداً وخفيفاً

على اللسان سهلاً وكما خرج من ينبوعه وتجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك و يشين الفاظك ومن اذاع معنى كريمًا فليلتمس له لفظًا كريمًا فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقها ان تصونها عما يفسدها و يهجنها وعما تعود من اجله الى ان تكون اسوأ حالاً منك قبل ان تلتمس اظهارها وترهن نفسك بملابستها وقضاء حقها فكن في ثلاثة منازل فأول ذلك ان يكون لفظك رشيقًا عذبًا او فخمًا سهلاً و يكون معناك ظاهرًا مكشوفًا وقريبًا معروفًا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت والمعنى ليس بتضع ان يكون من معاني العامة وانما مدار الامر على الشرف مع الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي فان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك و بلاغة لفظك ولطف مداخلك وقدرك في نفسك على ان تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الالفاظ المتوسطة التي لا تلطف عن الدهاء ولا تجفو عن الاكتفاء فانت البليغ التام : فقال له ابراهيم بن جبلة جعلت فداك انا احوج الى تعليم هذا الكلام من الغلمة — زياد : كانت البغايا في الجاهلية من الاماء وكانت لهن رايات يعرفن بها و ينتحيها الفتيان وكان اكثر الناس يكرهون اماءهم على البغاء والخروج الى تلك الرايات يبتغون بذلك عرض الحياة الدنيا فنهى الله تعالى في كتابه عن ذلك قوله عز وجل (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء أن اردن تحصنًا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن) يريد في الجاهلية (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يريد في الاسلام · فيقال ان ابا سفيان خرج يومًا وهو ثمل الى تلك الرايات فقال لصاحبة الراية هل عندك من بغي فقالت ما عندي الا سمية قال هاتها على نتن ابطيها فوقع بها فولدت له زيادًا · وسمية هذه كانت امة لابي الخير بن عمرو الكندي وقد وهبها للحارث ابن كلدة وكان طبيبًا يعالجه فولدت له على فراشه نافعًا ثم ولدت ابا بكرة فانكر لونه وقيل له ان جاريتك بغي فانتفى من ابي بكرة ومن نافع و زوجها عبيدًا عبدًا لابنته فولدت على فراشه زيادًا فلما كان يوم الطائف نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل فهو حرٌّ وولاؤه لله ورسوله فنزل ابو بكرة واسلم ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الحارث بن كلدة لنافع انت ابني فلا تفعل كما فعل هذا يريد ابا بكرة فلحق به فهو ينتسب الى الحارث بن كلدة · ثم ان زيادا نشأ خطيبًا مفوهًا وداهية محتالا وقد وجه به عامل من عمال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بفتح فتحه الله على المسلمين به فامره عمر ان يخطب الناس على المنبر فاحسن في خطبته وجوّد وعند اصل المنبر ابو سفيان بن حرب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال ابو سفيان لعلي

ايعجبك ما سمعت من هذا الفتى قال نعم قال اما انه ابن عمك قال وكيف ذلك قال انا قذفته في رحم امه سمية قال فما يمنعك ان تدعيه قال اخشى هذا القاعد على المنبر يعني عمر بن الخطاب ان يفسد علي امابي فبهذا الخبر استلحق معاوية زيادًا وشهد له الشهود بذلك وهذا خلاف حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر . ثم لما شهد الشهود لزياد قام في اعقابهم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال (هذا امر لم اشهد اوله ولا علم لي بآخره وقد قال امير المؤمنين ما بلغكم وشهد الشهود ما سمعتم فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناس وحفظ منا ما ضيعوا واما عبيد فانما هو والد مبرور وربيب مشكور) ثم جلس . وكان زياد شديدا في احكامه حتى قيل ان زيادا تشبه بعمر بن الخطاب في شدته فافرط وتغالى فخرج عن الحق وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس ومما يظهر شدته خطبته المشهورة بالبتراء حينما قدم البصرة واليًا لمعاوية وسميت بالبتراء لانه لم يحمد الله في اولها فلما وردها قال : اما بعد فان الجهالة الجهلاء . والضلالة العمياء . والعمى الموفي باهله على النار ما فيه سفهاؤكم وتشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كانكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا بما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب العظيم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول اتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختاروا الفانية على الباقية ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه من ترككم هذه المواخير المنصوبة والصفقة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل الم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الذين يعتذرون بغير العذر ويقضون على المجلس كل امرىء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادًا ما انتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوسًا في مكانس الريب . حرام عليّ الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدمًا واحراقًا اني رايت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وشدة في غير عنف واني اقسم بالله لآخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول انج سعيد فقد هلك سعد او تستقيم لي قناتكم . كذبة الامير تلفى مشهورة فاذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه فان ناي ودلج بالليل فاني لا اوتي بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم في ذلك بقدر ما ياتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياكم ودعوي الجاهلية فاني لا اجد احد دعا بها الا قطعت

وَرِوَايَةِ حَمَّادٍ . أَوِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ[1] .

قَدْ كَانَ فِي عِلْمِهِ بَيْنَ الْوَرَى عَلَماً
يُهْدَى بِهِ إِن زَوَتْ أَعْلَامَهَا الْبِيدُ
وَمَنْ رَوَتْ فَضْلَهُ حُسَّادُ رُتْبَتِهِ

لسانه وقد احدثتم احداثاً لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوماً اغرقناه ومن احرق قوماً احرقناه ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً فكفوا عني السنتكم وايديكم أكف عنكم يدي ولساني ولا يظهرن من احد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين قومي احن فجعلت ذلك دبر اذني وتحت قدمي فمن كان محسناً فليزد في احسانه ومن كان مسيئاً فلينزع عن اساءته . اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ولم اهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته فان فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس . ايها الناس انا اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا ان مهما اقصر فيه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجباً عن طالب حاجة ولو اتاني طارقاً بليل ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن ابانه ولا مجمراً لكم بعثة فادعو الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك اسفهم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شراً لكم اسأل الله ان يعين كلاً على كل واذا رأيتموني انفذ فيكم امراً على اذلاله وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعاي) ثم نزل

(المعنى) يقول كما انه حكيم حاذق وفيلسوف بارع فكذلك هو خطيب مصقع ومفوه منطيق فكأن خطابه خطب اياد وكأن فصاحته فصاحة زياد

(١) رواية حماد هو حماد الراوية الشهير وقد تقدمت ترجمته في موضع آخر من هذا الكتاب ابن ابي الزناد هو راوية للحديث في القرون الاولى من الاسلام

(المعنى) يقول وكما انه في الخطب مثل اياد و زياد فكذلك هو في الرواية مثل حماد الراوية

وعنعنتْ عنْ أياديهِ الأسانيدُ

وَعلمتُ حتّى ما أُسائلُ واحدًا

عَنْ حرفِ واحدةٍ لِكَيْ أَزْدادَها ٢

وَفضلٍ كالمسكِ إنْ كتمتَهُ سطعَ ٠ وكالقبسِ إنْ خفضتَهُ ارتفعَ ٣ سجايا ومدحٌ ٠

إنْ عدّدتْ نابتْ لأعدائهِ عنِ السّبحِ ٤

الشهير وابن ابي الزناد

(١) العلم الجبل او علم الطريق ٠ ذوت اي طوت ٠ البيد جمع بيداء وهي الفلاة المتسعة عنعن الراوي قال في روايته روي عن فلان عن فلان ٠ الاسانيد جمع اسناد وهو عند اهل المناظرة والمحدثين ماعتمدوا عليه في رواياتهم

(المعنى يقول انه كان علمًا في علمه وفضله في وقت قل فيه العلماء والفضلاء وهو الذي روت عنه حساده لاحتياجهم اليه وعنعنت الاسانيد عن ايادبه اي اخذت طلابه عنه بالرواية

(٢) (المعنى) يقول أنه كان غنيا بعلمه وفضله لا يسال عن عويصة آكي يزدادها

(٣) سطع انتشرت رائحته القبس لسان النار

(المعنى) يقول مثله كمثل المسك مهما كتمته وخبأُته انتشرت رائحته وكالقبس كلما اردت ان تخفض منه ارتفع الى اعلا

(٤) (المعني يقول ان سجاياه الجميلة كثيرة فلو اراد اعداؤه ان يعددوها لكانت لهم بمثابة السبح وقال العرندس في المدح

هينوف ليغون أيسار ذوو كرم سواس مكرمة أبناء أيسار

ان يسالوا الحق يعطوه وان خبروا في الجهد ادرك منهم طيب اخبار

وان تودتهم لانوا وان شهموا كشفت اذمان شر غير اشرار

فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ولا يعد نثاخزي ولا عار

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وترى الفضيلة لا ترد فضيلة
الشمس تشرق والسحاب كنهورا [١]

إن النوائح لا يعدون في عمرٍ
ما كان فيه ولا المولى إذا افتخرا [٢]

* * *

دُنيا تغرُّ الجاهلَ . ولا تسرُّ العاقلَ . دارٌ لا يدخلها الطفلُ . إلاّ وهو باكٍ . ولا يخرُجُ منها الكهلُ . إلاّ وهو شاكٍ [٣] . قد عصفت بالشرور سوافيها ومن

---

(١) الكنهور من السحاب قطع امثال الجبال او المتراكم منه الواحدة كنهورة
(المعنى) يقول كما ان الشمس تشرق احيانًا والسحاب متراكم فكذلك الفضيلة لا تمحو الفضيلة
وهذا البيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها ابن العميد

باد هواك صبرت ام لم تصبرا … وبكاك ان لم يجر دمعك او جرى
كم غرَّ صبرك وابتسامك صاحبًا … لما رآه وفي الحشا ما لا يرى

وفيها يقول يمدحه

بابي وامي ناطق في لفظه … ثمن تباع به القلوب وتشترى
من لا تريه الحرب خلقًا مقبلا … فيها ولا خلق يراه مدبرا
يامن اذا ورد البلاد كتابه … قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيرا
انت الوحيد اذا ركبت طريقة … ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

(٢) (المعنى) يقول انه مهما عدد النوائح ذكر المتوفي او عدد المفتخر مناقب نفسه فذلك لا يعدو ما في هذا الفقيد من المناقب

(٣) المعنى يقول ان هذه الدنيا كما انها لا تغر الا الجاهل كذلك هي لا تسر العاقل اذ اي سرور في دار اذا دخلها الطفل لا يدخلها الا وهو باك كما يحصل عند الولادة وكذلك لا يخرج منها الشيخ الهرم الا وهو يشكو منها ومن عذابها والامها وامراضها

أَذْنَبَ فِي جَهَنَّمَ وَجَبَ أَنْ يُعَذَّبَ فِيهَا ١ . (أَشْأَمُ مِنْ مَنْشَمَ) . (صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ ٢) .

---

(١) السوافي الرياح

(المعنى) يقول ان من اذنب في الدنيا يعذب في الآخرة في جهنم ولكن لكثرة شرور الدنيا وعذابها فان من اذنب في جهنم كان يجب ان يعذب في الدنيا

(٢) (اشأم من منشم) هذا مثل عربي و يقال اشام من عطر منشم وقد اختلف الرواة في لفظ هذا الاسم ومعناه وفي اشتقاقه وفي سبب المثل . فاما اختلاف لفظه فانه يقال منشم ومنشم ومشأم . واما اختلاف معناه فان ابا عمرو بن العلاء زعم ان المنشم الشرّ بعينه وزعم آخرون انه شيء يكون في سنبل المطر يسميه العطارون قرون السنبل وهو سم ساعة قالوا وهو البيش وقال بعضهم ان المنشم ثمرة سوداء منتنة وزعم قوم ان منشم اسم امرأة . واما اختلاف اشتقاقه فقالوا ان منشم اسم موضوع كسائر الاسماء والاعلام وقال آخرون منشم اسم وفعل جعلا اسما واحداً وكان الاصل من شم فحذفوا الميم الثانية من شم وجعلوا الاولى حرف اعراب وقال آخرون هو من نشم اذا بدأ يقال نشم في كذا اذا أخذ فيه يقال ذلك في الشر دون الخير وفي الحديث لما نشم الناس في عثمان اي طعنوا فيه . فاما من رواه مشأم فانه يجعله اسماً مشتقاً من الشؤم . واما اختلاف سبب المثل فانما هو في قول من زعم ان منشم اسم امرأة وهو ان بعضهم يقول كانت منشم امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بان يستميتوا في تلك الحرب ولا يولوا او يقتلوا فكانوا اذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس قد دقوا بينهم عطر منشم فلما كثر منهم هذا القول سار مثلاً فممن تمثل به زهير بن ابي سلمى حيث يقول

تداركتما عباد ذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وزعم بعضهم ان منشم كانت امرأة تبيع الحنوط وانما سموا حنوطها عطرا في قولهم وقد دقوا بينهم عطر منشم لانهم ارادوا طيب الموتى . وزعم الذين قالوا ان اشتقاق هذا الاسم انما هو عطر من شم انها كانت امرأة يقال لها خفرة تبيع الطيب فورد بعض احياء العرب عليها فأخذوا طيبها وفضحوها فلحقها قومها ووضعوا السيف في اولئك وقالوا اقتلوا من شم اي من شم طيبها . وزعم آخرون انه سار هذا المثل في يوم حليمة أعني قولهم قد دقوا بينهم عطر منشم قالوا ويوم حليمة هذا اليوم الذي سار به المثل فقيل ما يوم حليمة بسر لأن الحرب كانت فيه بين الحارث بن ابي شمر ملك الشام وبين المنذر بن المنذر بن امرىء القيس ملك العراق وانما اضيف هذا اليوم الى حليمة

لانها اخرجت الى المعركة مراكن من الطيب فكانت تطيب به الداخلين في الحرب فقاتلوا من اجل ذلك حتى تفانوا . وزعم آخرون ان منشم امرأة كان دخل بها زوجها فنافرته فدق انفها بفهر فخرجت الى اهلها مدماة فقيل لها بئس ما عطرك به زوجك فذهبت مثلاً . وقال ابن السكيت العرب تكنى عن الحرب بثلاثة اشياء احدها عطر منشم والثاني ثوب محارب والثالث برد فاخر ثم حكى في تفسير عطر منشم قول الاصمعي وقال في ثوب محارب انه كان رجلا من قيس عيلان يتخذ الدروع والدرع ثوب الحرب وكان من اراد ان يشهد حربا اشترى درعا . واما برد فاخر فانه كان رجلا من تميم وكان اول من لبس البرد والموشى فيهم وهو ايضاً كناية عن لدرع فصار جميع ذلك كناية عن الحرب

(صمت حصاة بدم) وهو ايضاً مثل عربي واصله ان يكثر القتل و يسفك الدماء حتى اذا وقعت حصاة من يد راميها لم يسمع لها صوت لانها لا تقع الا في دم فهي صماء وليست تقع على الارض فتصوت وانما جعل الصمم فعلا للحصاة وهو اعني الصمم انسداد طريق الصوت على السامع حتى لا يدخل اذنه لانهم جعلوا الدم سادّ المسا يخرج من صوت الحصاة الى السامع فعدوا عدم الخروج كعدم الدخول ويجوز ان يقال جعل الحصاة صماء لانها لا تسمع صوت نفسها لكثرة الدم ولولا ذلك لصوتت فسمعت . يضرب في الاسراف في الشر

(١) (خطب يسير في خطب كبير) وهذا ايضاً مثل عربي قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة بن مالك بن نصر الذي يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح وكان جذيمة ملك ما على شاطىء الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكان جذيمة قد وترها بقتل ابيها فلما استجمع امرها احبت ان تغزو جذيمة فكتبت اليه تطلب زواجه بها لتضم ملكها الى ملكه وتقصد بذلك ان تطمعه لتغدر به فعرض جذيمة الامر على ثقاته من اهل المشورة والرأي فاجتمع رأيهم على ان يسير اليها و يستولي على ملكها وكان فيهم قصير وكان اريباً حازماً اثيرا عند جذيمة فخالفهم فيما اشاروا وقال لجذيمة الرأي ان تكتب اليها فان كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت اباها فلم يوافق جذيمة ما اشار به وعزم على التوجه اليها . ثم ان جذيمة استخلف عمرو بن عدي ابن اخته على ملكه وسلطانه وسار حتى وصل الى مدينتها فلما نزل دعا قصيراً اليه وقال ما الرأي يا قصير قال ببقة خلفت الرأي فذهبت مثلاً واستقبله رسل الزباء بالهدايا فقال يا قصير كيف ترى قال (خطب يسير . في خطب كبير) فذهبت مثلاً وستلقاك الجيوش فان سارت امامك

فالمرأة صادقة وان احاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك فاركب العصا فانه لا يشق غباره فذهبت مثلاً وكانت العصا فرساً لجذيمة لايجاري واني راكبها ومسايرك عليها . فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير وسار بها فما زال جذيمة محاطاً بالكتائب حتى دخل على الزباء فلما رأته ولم تزي زيّ العرائس قالت ياجذيمة أدأب عروس ترى فذهبت مثلاً فقال جذيمة بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر ارى فذهبت مثلاً ودعت بالسيف النطع ثم انها قطعت ما ستر الله منه واستقطرت دمه في طست من ذهب وقالت لاتضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعواد ماضيعه اهله فذهبت مثلاً . ثم ان جذيمة هلك ووصل قصير الى عمرو بن عدي واستشاره لاخذ الثار فقال له وكيف لي بها وهي امنع من عقاب الجو فقال له قصير انا ابلغك اربتك ثم قال له اجدع انفي واضرب ظهري ودعني واياها فامتنع عمرو عن ذلك فصنع ذلك بنفسه ثم انه خرج كانه هارب واظهر ان عمرا فعل ذلك به فما زال حتى قدم على الزباء فقالت ما الذي ارى بك يا قصير قال زعم عمرو اني قد غررت خاله وزينت له المصير اليك ففعل ما ترين فاقبلت اليك لان وجودي عندك يزيده غيظاً مني . فاكرمته واصابت عنده من الحزم والراي ما ارادت فلما عرف انها استرسلت اليه قال لها ان لي بالعراق اموالاً كثيرة فابعثيني الى العراق لاحمل مالي واحمل اليك من طرائفها وثيابها وتصيبين في ذلك ارباحاً عظاماً فاذنت له حتى قدم العراق واتى الحيرة متنكراً فدخل على عمرو واخبره الخبر وقال جهزني بصنوف الثياب والامتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثارك فاعطاه حاجته ورجع الى الزباء فاعجبها مارات وسرها وازدادت به ثقة ثم انها جهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد اليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لي ثقات اصحابك وهيء الغرائر والمسوح واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين فاذا دخلوا المدينة اقمتك على باب نفق لها جعلته للهروب اذا هي فوجئت بشر وخرجت الرجال فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان اقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف . ففعل عمرو ذلك وساروا على ذلك وتقدم قصير حتى دخل على الزباء واعلمها بما جاء به من الامتعة وسالها ان تخرج فتنظر الى ماجاء به فخرجت فرات الابل تكاد قوائمها تسوخ في الارض من ثقل احمالها فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا   اجندلا يحملن ام حديدا   ام صرفانا تارزا شديدا

فقال قصير في نفسه : بل الرجال جثما قعودا : فدخلت الابل المدينة فلما توسطتها خرجت الرجال من الغرائر وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق واقبلت

مَنْ يَذُقْهَا يَصْقِ) ١

لَوْ كَانَ يَعْرِفُ دُنْيَاهُ مُصَاحِبُهَا
أَرَادَهَا لِعَدُوٍّ دُونَ إِخْوَانِ ٢

لَيْسَ بِهَا لَذَّةٌ إِلاَّ مَمْزُوجَةً بِأَلَمٍ . وَلاَ دَسَمٌ إِلاَّ مَخْلُوطًا بِسَمٍّ ٣ . وَلاَ ضَاحِكٍ إِلاَّ وَهُوَ بَاكٍ كَالْغَمَامَةِ . وَلاَ شَادٍ إِلاَّ وَهُوَ نَائِحٌ كَالْحَمَامَةِ ٤

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ عِلْمِي بِالزَّمَانِ لَمَا

الزباء تريد النفق فابصرت عمرا على بابه فعرفته فمضت الى خاتم لهـا مسموم فامتصته وقالت بيدي لا بيد عمرو فذهبت مثلاً وتلقاها عمرو فجللها بالسيف واصاب ما اصاب من المدينة ورجع به الى العراق

(١) (اروية ترعى بقاع سملق) وهـذا مثل عربي ايضاً . والاروية الانثى من الاوعال وهي ترعى في الجبال والقاع الارض المستوية والسملق والسلق المطمئن من الارض . يضرب لمن يرى منه ما لم ير قبل من فساد (صراة حوض من يذقها يصق) . وهذا ايضاً مثل عربي والصراة الماء المجتمع في الحوض او البئر او غير ذلك فيبقى الماء فيه اياماً ثم يتغير . يضرب للشيء يجتنب لسوء فيه

(٢) (المعنى) يقول لو كان الانسان يعرف هذه الدنيا وما فيها من سقام وآلام لتمنى ان تكون للاعداء لا للاخوان

(٣) (المعنى) يقول كيف يرغب الانسان في منزل (اي الدنيا) لا يجد فيه لذة الا وقد امتزجت بتنغيص ونكد قال المتنبي

ابدا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا

(٤) (المعنى) يقول ولا يوجد بهذه الدنيا ضاحك الاّ وهو باك كالغمام يضحك بالبرق ويبكي بالمطر في آن واحد

سُرُّوا بِشَيْءٍ وَلاَ رَبُّوا وَلاَ وَلَدُوا [1]

فُلْكٌ . فِي هُلْكٍ . سِيَّانِ بِهَا مَنْ بِالقَاعِ . وَمَنْ عَلَى الشِّرَاعِ [2] . وَخَطٌّ فِي مَاءٍ . لاَ يَنْقَسِمُ . حَتَّى يَلْتَئِمَ . وَأَثَرٌ فِي بَيْدَاءَ . لاَ يَرْتَسِمُ . حَتَّى يَرْتَطِمَ

وَكَيْفَ أُجِيدُ فِي دَارِ بِنَاءٍ

وَرَبُّ الدَّارِ يُؤْذِنُنِي بِنُقْلَهْ [3]

تعب كلها الحياة فما اعجب الاّ من راغب في ازدياد

(١) (المعنى) يقول لو علم الناس ما اعلمه من زماني وخبروه خبرتي به لما طرق السرور قلوبهم ولا ربوا ابناءهم ولا ولدوا لان السرور فيه شقاء

(٢) الفلك السفينة . الهلك الهلاك . القاع بطن السفينة .

(المعنى) ان الدنيا لكونها زائلة كأنها سفينة في حالة غرق فالذي في قاعها أو فوق شراعها سواء لانهما آيلان للغرق والزوال والمراد ان العظيم والحقير يساوي بينهما قياس الفناء وللمتنبي

لابدّ للانسان من ضجعة　　لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبه　　وما اذاق الموت من كربه
نحن بنو الموت فما بالنا　　نعاف ما لا بد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا　　على زمان هي من كسبه
فهذه الارواح من جوه　　وهذه الاجسام من تربه
لو فكر العاشق في منتهى　　حسن الذي يسبيه لم يسبه
يموت راعي الضأن في جهله　　ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره　　وزاد في الامن على سربه

(٣) يلتئم يلتصق . البيداء الفلاة المتسعة . يرتطم يختلط . النقلة اسم بمعنى الانتقال

(المعنى) يقول ان أعمال الانسان في هذه الدنيا كخط في ماء فانه لا يظهر للعين منقسما حتى يلتئم ولا يبقى له اثر وكذلك هو كاثر في زمل فانه لا يبين حتى يختلط من ارجل المارّة او

الرياح وهنا ملاحظة دقيقة فان التئام الخط في الماء اسرع من اختلاط الاثر في البيداء فاطلق السيد المؤلف المعنى الاول على من له اثر ضعيف في الدنيا وأطلق المعنى الثاني على من له كبار الآثار فيها و يقول انما نسكن في دار ليست لنا فكيف نجيد البناء فيها وصاحبها يزعجنا بالانتقال منها وليس المراد من هذا حمل الناس على اهمال امور الدنيا ولكن تنبيه اذهانهم الى عدم الاغترار بها — قيل ان النعمان بن المنذر الاكبر خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها فقال له عدي بن زيد ابيت اللعن اتدري ما تقول هذه المقابر قال لا قال فانها تقول

من رآنا فليحدث نفسه　　انه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها　　ولما تاتي به صمُّ الجبال
رب ركب قد اناخوا عندنا　　يشربون الخمر بالماء الزلال
واباريق عليها فدم　　وجياد الخيل تردي في الجلال
عمروا دهراً بعيش حسن　　آمني دهرهم غير عجال
ثم اضحوا عصف الدهر بهم　　وكذاك الدهر يودي بالرجال
وكذاك الدهر يرمي بالفتى　　في طلاب العيش حالاً بعد حال

وقال أيضاً عدي بن زيد

ايها الشامت المعير بالدهـ　　ـر انت المبرأ الموفور
من رأيت المنون خلدن ام من　　ذا عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انوشر　　وان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ　　ـروم لم يبق منهم مذكور
شاده مرمراً وجلله كلساً　　فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ　　ـملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ اشـ　　ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك　　والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبـ　　ـطة حيّ الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأ　　مة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كانهم ورق جف　　فالوت به الصبا والدبور

انظُرَا هذِهِ المَقَابِرَ · بِالحَاجِرِ · فَفِيهَا بَلاَغٌ وَمُعتَبَرٌ · لِمَنِ ادَّكَرَ[١] · تَرَيَا كُلَّ جَدَثٍ كَأَنَّهُ عَلَمٌ مَنصُوبٌ بَيْنَ السَّاهِرَةِ · وَالآخِرَةِ[٢] · خَطٌّ مُتَضَايِقٌ · فِيهِ جَمِيعُ الخَلاَئِقِ · كَالقَلْبِ صَغِيرٌ · وَفِيهِ العَالَمُ الكَبِيرُ[٣] · وَكَأَنَّ تِلْكَ القِبَابَ فِي القِفَارِ · قِبَابٌ ضُرِبَتْ عَلَى سُفَّارٍ[٤] · مَشِيدٌ وَمُضْمَحِلٌّ · وَسَوَاءٌ قَبرُ مُثْرٍ وَمُقِلٍّ[٥] · وَكَأَنَّ

---

(١) الحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض · البلاغ في الامل الوصول واستعملت في وصول الموعظة الى نفس المبلغ فتأثر عليه · المعتبر العبرة · ادّكر تذكر

(المعنى) يقول انظرا يا خليليّ هذه القبور بالحاجر فان فيها عظة بالغة وذكرى لقوم ساهين غافلين

(٢) الجدث القبر · العلم علم الطريق علامته · الساهرة الارض · الآخرة الحياة الثانية

(المعنى) يقول انكما ان ابصرتما هذه القبور تريا كل قبر منها كانه علم فاصل بين الحياة الدنيا والحياة الاخرى وهذا التشبيه بديع جدًّا في جعله القبر كالعلم الفاصل بين الحياتين

(٣) الخط ما خط في الارض من قبر ونحوه ومنه قول مالك بن الريب (وخطا باطراف الاسنة مضجعي) متضايق غير متسع

(المعنى) يقول ان هذا الخط المضيق قد جمع كل الخلائق في جوفه كما يجمع القلب وهو صغير هذا العالم الكبير بما فيه من كائنات

(٤) القفار جمع قفر وهو الارض المتسعة · ضربت اي نصبت ورفعت بضرب اوتادها بالمطرقة · سفار جمع سافر وهو المسافر ·

(المعنى) يقول وكان قباب تلك القبور في الفلوات قباب المسافرين قد حطوا رحالهم ليستانفوا المسير ولكن سيرهم من الدنيا الى الآخرة

(٥) المشيد المطلي بالشيد والقائم المرتفع · المضمحل المتلاشي · المثرى صاحب الثروة والمال المقل الفقير المحتاج

(المعنى) يقول ومن هذه القبور المرتفع البناء والمهدم الاركان وهما سواء امام الموت فان سكانهما من غني وفقير يكونان بمثابة واحدة داخل قبريهما

سُكَّانُهَا صَرْعَى مُدَامَةٍ . أَوْ نِيَامٌ فِي لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ [١]

ضَجِيعٌ مُسْنَدُونَ بِكَفْرِ تُوثَى
وَمَا قُلِبَتْ لِمَضْجَعِهِمْ جُنُوبُ [٢]

وَكَمْ فِي تِلْكَ الْقُبُورِ مِنْ مَلِكٍ كَانَ يُصَرِّفُ الأَمْرَ مِنْ مِصْرَ إِلَى عَدَنٍ . أَوْ يَحْتَلُّ غُمْدَانَ ذِي يَزَنٍ . وَكَمْ بِهَا مِنْ أَمِيرٍ كَانَ يَمْلَأُ الدَّسْتَ مِنْ جَلَالٍ وَنُورٍ . وَتُجْبَى لَهُ دِجْلَةُ وَالْخَابُورُ

يُطْلِقُ الْحِكْمَةَ الْبَلِيغَةَ فِي عَرْ
ضِ حَدِيثٍ كَاللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُورِ
وَإِذَا مَا أَشَارَ هَبَّتْ صَبَا الْمِسْكِ
وَخِلْتَ الْإِيوَانَ مِنْ كَافُورِ [٣]

---

(١) صرعي مطروحون على الارض . المدامة الخمر

(المعنى) يقول وكان سكان تلك القبور وهم مطروحون على الارض قد صرعتهم المدامة او انهم ناموا في ليلة طويلة لا ينجلي ظلامها الا في صباح يوم القيامة

(٢) ضجيع مضطجعون . كفرتوثى موضع

(المعنى) يقول ان هؤلاء الموتى من يوم ان دفنوا في هذه القبور وهم على حالهم لم تقلب جنوبهم

(٣) مصر معروفة . عدن مدينة ببلاد اليمن . غمدان قصر سيف بن ذي يزن الملك التبعي الحميري . الدست بيت الملك . دجلة نهر بالعراق . الخابور واد بين رأس عين والفرات

(المعنى) يقول وكم حوت هذه القبور من ملك كان متصرفاً في ملكه الواسع الذي كان ممتداً من مصر الى عدن والذي كان محتلاً لقصر غمدان وكم فيها ايضاً من امير كان ملء دسته بهاء ونورا وكانت مزارع دجلة والخابور تجبى اليه ويقول ومن الامراء كل امير منهم كان حكيما تنبعث الحكمة في حديثه الذي هو كالدر والذي ان اشار شممت عرف المسك تحمله ريح الصبا فظننت

وَكَمْ فِيهَا مِنْ حَسْنَاءَ بَضَّةٍ (١) · كَأَنَّهَا صَلِيجَةُ فِضَّةٍ · أَصَابَهَا الْهُزَالُ · كَمَا يُصِيبُ الْهِلَالَ · وَاعْتَلَّ الْجِسْمُ السَّقِيمُ · كَمَا يَعْتَلُّ النَّسِيمُ

لَمَّا سَمِعْتُ أَنِينَــهُ
وَبُكَاءَهُ عِنْدَ الْمَغِيبِ
أَقْبَلْتُ أَطْلُبُ طِبَّهُ
وَالدَّاءُ يَعْضُلُ بِالطَّبِيبِ (٢)

ان الانوان صنع من كافور

(١) البضة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة · الصليجة سبيكة الفضة المصفاة · الهزال النحافة (المعنى) يقول وكم في هذه القبور حسناء كانها لصفاء بشرتها من قطعة من سبيكة فضة قال الناجم

اضحى الثرى بجـوارها عطر المسالك والمسارب
حلت حفـيرتها حـلو ل المسك من سرر الكواعب
يادرة كانت تضيء لنـاظري من كل جانب

وقال التيمي

اما القبور فانهن أوانس بفناء قـبرك والديار قبور
عمت فواضـله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
يثني عليك لسان من لم توله خيرًا لانك بالثناء جـدير
ردت صنائعـه اليـه حياته فكأنه من نشرهـا منشور
فالناس مأتمهم عليه واحـد في كل دار رنة وزفـير

وقال ابو تمام

راحت وفود الارض عن قبره فارغة الايدي ملأى القلوب
قـد علمت ما رزئت انمـا يعرف فقد الشمس بعد الغروب

(٢) يعضل بالطبيب اي يغلب الطبيب على امره

وَإِذَا بِهَا فِي القَبْرِ كَأَنَّهَا مِصْبَاحُ رَاهِبٍ · فِي قُبَّةٍ مُظْلِمَةٍ · أَوْ كَنْزُ رَاغِبٍ · فِي مَهْجُورَةٍ مُعْتِمَةٍ · وَإِذَا بِجِسْمٍ كَانَ يُخْشَى عَلَيْهِ الْهُزَالُ · أَصْبَحَ وَهُوَ بَالٍ ·

(المعنى) يقول انني حينما سمعت انينه من الآلام وكان ذلك عند ما اراد ان يودع هــذا العالم الفاني طلبت الطبيب ابقاءً على حياته ولكن هيهات لا مرد لقضاء الله فان الداء غلب الطبيب على امره واصبح المريض مضطجعاً في قبره

(١) الراهب من ترهب اي من تبتل لله واعتزل عن الناس الى الدير طلباً للعبادة · الكنز كلمــا كنزت من فضة وذهب وخلافهما · المهجورة المتروكة الخالية · معتمة مظلمة

(المعنى) يقول واذا بهــا قد سكنت حفيرتها فاضاءته كانها مصباح الراهب في قبته المظلمة او كانها في قبرها كنز من الكنوز الثمينة في خربة معتمة — قال الاصمعي حجت اعرابية ومعها ابن لها فاصيبت به فلمــا دفنته قامت على قبره وهي وجعة فقالت : والله يابنيّ لقد غذوتك رضيعاً وفقــدتك سريعاً وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها فاصبحت بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة والتنسم في طيب روائحها تحت اطباق الثرى جسداً هامداً ورفاتاً سحيقاً وصعيداً جرزاً · ثم قالت : أيْ ربّ ومنك العدل ومن خلقك الجور وهبته لي قرة عين فلم تمتعني به كثيراً بل سلبتنيه وشيكا ثم امرتني بالصبر ووعدتني عليه الاجر فصدقت وعدك ورضيت قضاءك فرحم الله على من ترحم على من استودعته الردم ووسدته الثرى · اللهم ارحم غربته وآنس وحشته فلما ارادت الرجوع الى اهلها وقفت على قبره فقالت : ايْ بنيّ اني قد تزودت لسفري فليت شعري ما زادك لبعد طريقك · اللهم اني اسألك له الرضا برضائي عنه · ثم قالت : استودعتك من استودعك في احشائي جنينا · وَاثكلَ الوالدات ما امضي حرارة قلوبهن واقلق مضاجعهن واطول ليلهن واقصر نهارهن واقلّ انسهن واشد وحشتهن وابعدهنّ من السرور واقربهن من الاحزان · فلم تزل تقول هذا ونحوه حتى ابكت كل من سمعها وحمدت الله عزّ وجلّ وصلت ركعات عند قبره وانطلقت

(٣) (المعنى) يقول واذا بجسمها الذي كنا نخشى عليه الهزال والنحول اصبح في القبر باليا قد انحلت اجزاؤه وتلاشت

وَخَدٍّ كَانَ يُصَانُ عَنْ قُبْلَةٍ · تَعِيثُ فِيهِ الأَرَضَةُ وَالنَّمْلَةُ ¹ · وَثُغُورٍ كَأَنَّهَا أَقَاحٌ · أَوْ حَبَبٌ عَلَى رَاحٍ · تُنْثَرُ فِي الْبَوْغَاءِ · وَتُخْلَطُ بِالْحَصْبَاءِ ² · وَعَيْنَيْنِ كَأَنَّهُمَا سِنَانَانِ أَزْرَقَانِ فِي عَامِلٍ · أَوْ سِحْرَا الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ · أَضْحَيَتَا فِي الْحِجَاجِ · كَمَا قَالَ الْعَجَّاجُ

كَأَنَّ عَيْنَيْهَا مِنَ الْغُؤُورِ
لَحْدَانِ فِي قَلْتَيْ صَفًا مَنْقُورِ ³

---

(١) تعيث تعبث · الأَرَضة دويبة صغيرة

(المعنى) يقول واذا بخدها المصون عن القبلات قد اضحي والنمال تقتتـل عليه والآرض تنخر فيه

(٢) الثغور جمع ثغر وهي الثنايا · البوغاء ما يثور من الغبار ودقاق التراب ومنه قوله

لعمرك لولا هاشم ما تعفرت   ببغدان في بوغائها القدمان

(المعنى) يقول واذا بثناياهـا التي ارخصت لآلى البحار قد نثرت في التراب واختلطت بالحصى

(٣) السنان حد الرمح · العامل الرمح — الملكان ببابل هما هاروت وماروت الوارد ذكرهما فى القرآن وتزعم العرب انهما كانا من الملائكة لكنهما عصيا ربهما فاهبط بهما الى الارض واستوليا على مدينـة بابل وقد البسهما الله الجثة الانسانية ليكونا حكما للناس و يمنعاهم عن الاغواء بالاهواء فجرى من امرهما ان اغواهما حب النساء حتى ابعدهما عن رضى الحق وبما ان عنصرهما الاصلي روحي ولهما حقيقة الاطـلاع على الاجرام العلوية والسفلية فاحكما صناعة السحر باتقان وعلماء حكماء بابل ولذلك يقولون في امثالهـم اسحر من هاروت وماروت و يضيفون بابل الى السحر فيقولون بابل السحراء كما انهم يضيفون السحر الى بابل ايضاً فيقولون سحر بابلي و يزعمون ان هاروت وماروت لم يزالا مسجونين في بئر الى هـذا اليوم في مدينـة بابل · الحجاج العظم الذي ينبت عليه الحاجب · العجاج تقدمت ترجمته في غير هذا الموضع من الكتاب · الغؤور الذهاب في الارض · القلت النقرة في الصخر وفي الارض الصلبة جمع قلات وهو يصف بهذا ناقة هزلت

وَإِذَا ثَدْيَانِ كَأَنَّهُمَا حُقَّانِ مِنْ مَرْمَرٍ · أُثْبِتَا بِمِسْمَارَيْنِ مِنْ عَنْبَرٍ · بَاتَا مِنَ الدُّودِ · كَأَنَّهُمَا أُخْدُودٌ[1] ·

إِنَّ الَّتِي فَتَكَتْ بِرُوحِكَ قَسْوَةً
قِدْمًا شَكَاهَا بُلْبُلٌ وَحَمَامُ[2]
حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنَّ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا
هٰذَا عَلَيْهَا وَهٰذَا تَحْتَهَا بَالِي[3]

من السفر · الصفا الصخر · المنقور المنقوب

(المعني) يقول واذا بعينيها الزرقاوتين اللتين كانتا كالسنانين لونا ومضاء واللتين كانتا مملوءتين بسحر هاروت وماروت اصبحتا في أعظمي الحاجبين وقد غارتا وخايتا من المقلتين كالحدين نقرا في صخر أصم

(١) الثدي معروف · الحق الوعاء · المرمر ضرب من الرخام · الاخدود الحفرة في الارض

(المعنى) يقول واذا بالثديين اللذين كانهما لنصاعتهما وصفائهما حقان من مرمر واللذين قد اثبتا بمسمارين من عنبر وهما كناية عن الحلمتين في وسط كل ثدي منهما حلمة قد باتا ينخر فيهما الدود حتى اصبحا كالاخدود

(٢) فتكت بطشت على غفلة · البلبل طائر صغير فصيح التغريد · الحمام معروف

(المعنى) يقول ان التي بطشت بك ايها المتوفي قسوة وهي كناية عن الموت شكاها من قبلك البلبل في تغريده والحمام في هديره قال ابو العلاء المعري في نواح الحمام

ابنات الهديل اسعدن اوعدن قليل العزاء بالاسعاد
ايه لله دركن فانتن اللواتي تحسن حفظ الوداد
ابكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها المياد

(٣) (المعني) يقول حسب الخليلين موعظة ان الارض قد حجبت بينهما هذا يمشي عليها وذاك في جوفها بالي وهي اكبر موعظة لو فكر فيها الانسان وقالت اعرابية ترثي ابناها

وإِذَا بِمَنْزِلِهَا فِي الدُّورِ أَشْعَثُ مَهْجُورٌ ٠ كَأَنَّهُ مُحْجِرٌ بِلَا حَدَقٍ ٠ أَوْ شَجَرٌ بِلَا وَرَقٍ ٠ وَكَأَنَّهُ مَاتَ بَعْدَ سَاكِنِيهِ ٠ وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا رُوحًا فِيهِ [1]

وَلَبِئْسَ مَا تَلْقَى بِعُقْرِ دِيَارِهِمْ
أُذُنُ الْمُصِيخِ بِهَا وَعَيْنُ الرَّائِي [2]

وَكَمْ ذَابَتْ فِي ذَاكَ الثَّرَى خُدُودٌ وَجِبَاهٌ ٠ وَثُغُورٌ وَشِفَاهٌ ٠ وَسُلِبَ مِنْ

	يا عمرو مالي عنك من صبر	يا عمرو يا اسفي على عمرو
	احثوا التراب على مفارقه	وعلى غضارة وجهه النضر
	حين استوى وعلا الشباب به	وبدا منير الوجه كالبدر
	ورجا اقاربه منافعه	ورأوا شمائل سيد غمر
ومنها	واذا منيته تساوره	قد كدحت في الوجه والنحر
	واذا له علق وحشرجة	مما يجيش به من الصدر
	والموت يقبضه ويبسطه	كالثوب عند الطي والنشر
	فدعا لانصره وكنت له	من قبل ذلك حاضر النصر
	فعجزت عنه وهي زاهقة	بين الوريد ومدفع السحر
	فمضى واي فتى فجعت به	جلَّت مصيبته عن القدر
	لو قيل تفديه بذلت له	مالي وما جمعت من وفر
	او كنت قادرة على عمري	آثرته بالشطر من عمري

(١) مهجور متروك ٠ المحجر من العين ما دار بها

(المعنى) يقول واذا بمنزلها بين المنازل قد تشعث وهجر فاصبح كانه محجر فقد حدقته او كالشجرة العارية من الاوراق اوكانه خلوه من المسامر والانيس مات لان سكانه الذين كانوا كالروح فيه رحلوا عنه وتركوه

(٢) عقر الدار وسطها ٠ المصيخ المصغي للسماع ٠ الرائي الناظر

(المعنى) يقول يا بئسما يلقى الانسان باواسط دورهم فانه ان اصغي لا يسمع الاّ هدوءا

أَنْفٍ شُمٍّ · وَمِنْ بَنَانٍ عَنَمٍ [١] · وَكَمْ خَرِبَتْ فِيهِ قُصُورٌ · وَهُتِّكَتْ سُتُورٌ ·
وَجُمِعَتْ أَضْدَادٌ · وَفُرِّقَتْ أُمَّهَاتٌ وَأَوْلَادٌ [٢]

لَمْ يَكُونُوا إِلَّا كَرَكْبٍ تَأَنَّى
بُرْهَةً فِي مَنَاخَةٍ ثُمَّ سَارَا [٣]

* * *

وسكونًا وان نظر لا يرى الا دارا يبابًا خلوا من الاهلين

(١) الجباه جمع جبهة وهي معروفة · الشمم ارتفاع ارنبة الانف وهو كناية عن العظمة · العنم هنا كناية عن الحناء التي في اصابع النساء

(المعنى) يقول وكم ذابت في الثرى شفاه وخدود وجباه وثغور وكم سلب من انوف العظماء الشمم وكم محي من اكف الحسان عنم قال الشاعر

الا في سبيل الله ماذا تضمنت بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور اذا الدنيا دجت اشرقت بهم وان اجدبت يومًا فايديهم القطر
فياشامتا بالموت لا تشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر
اقاموا بظهر الارض فاخضر عودها وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

وقال العتبي في ابن له صغير

كان ريحاني فامسى وهو ريحان القبور
غرسته في بساتين البلا ايدي الدهور

(٢) (المعنى) يقول وكم خربت فيه قصور كانت مشيدة البنيان ومزقت ستور كانت لا تمتد اليها يد ممزق وكم جمع هذا الثرى متضادين كانا في الحياة وفرق متحابين بعد الممات فان الرجل يكون عدوا لآخر في الحياة ولكن القبر يجمع بينهما فيضجعان في قبر واحد وان المرأة تكون مجتمعة في الحياة بابنها وفلذة كبدها وتراها بعد الممات مفترقين كل في جدث ناء عن الآخر موعظة وذكرى لقوم يتفكرون وقال البحتري

بشاهقة البذين قبر محمد وفوق ربى القاطول مضجع اصرم

(٣) الركب ركبان الابل · تأنى صبر · البرهة المدة القصيرة · المناخة مبرك الابل

سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وَسَعْدَانَكَ مِنْ حَبْسٍ . إِلَى رَمْسٍ . وَمِنْ عَبْثٍ . إِلَى جَدَثٍ . عَمَلٌ . ثُمَّ أَمَلٌ [١]

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِمُ
مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَهُوَ قَائِمُ
إِنِّي لَكَ اللّٰهُمَّ عَانٍ رَاغِمُ [٢]

(المعنى) يقول انما مثل الانسان في هذه الحياة كركبان الابل بعد الكلال والاعياء اناخوا للراحة برهة ثم ساروا واستانفوا السير

(١) سبحانك اصلها سبحان الله اي ابريء الله من السوء براءة والكاف للخطاب . سعدان اسم للاسعاد ومعنى سبحانك وسعدانك اي اسبحك واطيعك . الحبس هنا كناية عن الدنيا . الرمس القبر . العبث كناية عن الحياة . الجدث القبر . الامل التمني

(٢) عاذ من كذا اي لجأ اليه واعتصم . ابراهمُ مثلة الهاء وابراهيم وابراهام وابراهوم وابرهم اسم اعجمي والمقصود هنا من هذا الاسم هو ابراهيم الخليل رسول الله ونبيه صلى الله عليه وسلم . عان خاضع . راغم مرغم

(المعنى) يقول اللهم اني اعوذ بك من الدنيا وشرورها وآلامها كما عاذ بك ابراهيم عليه السلام من قومه حين تحزبوا عليه وابوا الا اذيته فاوقدوا له النار ورموه بها فاستعاذ بالله فنجاه الله منهم فكانت برداً وسلاماً انني خاضع لك يا الله مستذل لعظمتك وجلالك وقد ختم السيد المؤلف رسالته هذه بهذا الرجز المؤثر بعد ما وصف الدنيا ومتاعبها وماضمنته من الشرور ثم عطف على الاستسلام لله سبحانه وتعالى والخضوع لعزته وجلاله ولجد السيد المؤلف وهو شيخ الاسلام السيد محمد شمس الدين ابيض الوجه البكري الصديقي قوله

الذ من طيب كل حب   تراب ذل بباب ربي
اعفر الوجه فيه حتى   املأ بالانس منه قلبي

***

شذور

وَفي وُسعَةِ المرْءِ نَيْلُ العُــلاَ
وَقَــدْ يمنَعُ المَرْءَ مَا يمنعُ
صَغِيرٌ مِنَ الأَمْرِ يُلْهِيهِ عَــنْ
بُــلُوغِ العَظَائِمِ أَوْ يَقْطَــعُ
كَعَيْنٍ تُحِيطُ بِهَــذَا الوُجُو
دِ جَمِيعًا وَيَحْجُبُهَا إِصْبَعُ ١

* * *

(١) (المعني) يقول ان الامر الصغير قد يشغل الانسان عن بلوغ الامور العظيمة فيمضي العمر وهو مشتغل عن تلك فيكون كالعين التي اذا نظرت احاطت بهذه الدنيا جميعها رؤية ثم اذا وضعت امامها الأصبع وهو اصغر شيء حجبها عن ذلك الامر الكبير كله فعلى الانسان ان يجهد نفسه في طلب المعالي ولا يبالي بالصغائر وليكن كأبي الطيب المتنبي حيث يقول

فاطلب العز في لظى ودع الذ ل ولو كان في جنان الخلود
لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي
فبهم فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد
ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود
انا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وقال الشريف الرضي

وخاطر على الجلّي خطار بن حرّة وان زاحم الامر العظيم فزاحم

وَمَا أَذَّنَ الْقَوْمُ لَمَّا أَقَا
مُوا صَلَاةَ الْجَنَازَةِ يَوْمَ الْوَفَاةِ
وَأُذِّنَ لِلطِّفْلِ يَوْمَ الْوِلَا
دِ فَهٰذَا الْأَذَانُ لِتِلْكَ الصَّلَاتِ (١)

***

النَّاسُ يَخْشَوْنَ مِنْ جَاهِ الْمَلِيكِ وَمَا
لَدَيْهِ لَوْلَاهُمُ فِي مُلْكِهِ جَاهُ

---

(١) صلاة الجنازة من غير اذان وكيفيتها مشهورة وهي فرض كفاية اذا قام بها جماعة سقطت عن الباقين والمستحب فيها طلب كثرة الجمع ومن فاته بعضها وادرك التكبيرة الثانية فينبغي ان يراعي ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم تبق للقدوة في هـذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا رأي الغزالي · ومن آدابها التفكر والتنبه للعظة والاعتبار وقد كان جرير يملي على كاتبه شعراً فمرت بهما جنازة فامسك وقال شيبتني هذه الجنائز ثم انشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

والاذان للطفل عند الولادة سنة وحكمها ان الطفل اول ما يسمع من الكلام هو كلمة التوحيد (المعنى) يقول ان القوم لم يؤذنوا عند صلاة الجنازة لانهم اذنوا لهـذا الميت عند ولادته فهذا الاذان لتلك الصلاة ومما قيل في الجنازة

الا هبلت امّ الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر
وماذا يواري الموت تحت ترابه من الجود يا بؤس الحوادث والدهر
فشأن المنايا اذ اصابك ريبها لتعدو على الفتيان بعدك او تسري

كَصَانِعٍ صَنَماً يَوْماً عَلَى يَدِهِ
وَبَعْدَ ذَلِكَ يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ ١

***

لاَ تَعجبُوا لِلظُّلْمِ يَغشَى أُمَّةً
فَتنُوءُ مِنْهُ بِفَادِحِ الأَثْقَالِ
ظُلْمُ الرَّعِيَّةِ كَالْعِقَابِ لِجَهلِهَا
أَلَمُ الْمَرِيضِ عُقوبَةُ الإِهْمَالِ ٢

---

(١) (المعني) يقول اني رأيت الناس يخشون ملوكهم ولا قدرة لهؤلاء الملوك على التسلط على الناس الاّ بالناس انفسهم من جند ونحوهم فهؤلاء الناس اذن كعابد الصنم يصنعه بيده ولولاه لم يكن ثمت يخافه ويرجوه

(٢) ناء بالشيء نهض به مثقلاً . الفادح الثقيل

(المعني) يقول لا تعجبوا اذا شمل الظلم امة من الامم فاثقلها فانها جنت على نفسها ذلك الظلم بجهلها فالظلم عقوبة الجهل كما يجر الانسان على نفسه الاسقام والامراض باهماله في صحته . قال عبيد بن ايوب

اذا ما اراد الله ذلّ قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
واول عجز القوم عما ينوبهم تدافعهم عنه وطول التواكل

وقال آخر

اذا ضيعت اول كل امر ابت اعجازه الاّ التواء
وان سومت امرك كل وغد ضعيف كان امركما سواء
وان داويت امرًا بالتنامي وباللبان اخطأك الدواء

ومما قيل في الظلم قول النعمان بن بشير

بل ليت شعري متى يغتر ذو لجب جم الصواهل مثل العارض الغادي
حتى نبيد قبيلا قد طغوا وبغوا والله للظالم العادي بمرصاد

* * *

شَقِيَّانِ فِي خُلُقٍ وَاحِدٍ
تُؤَلِّفُ بَيْنَكُمَا الزَّنْدَقَهْ
كَشِقَّيْ مِقَصٍّ تَجَمَّعْتُمَا
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ سِوَى التَّفْرِقَهْ [1]

* * *

بُثَيْنَةُ قَدْ تَرَاءَتْ
بِحُمْرَةٍ وَبَيَاضِ

بين الثوية والجسرين يقدمها   جمال ألوية طلاع انجاد

وقال الحماني

تنام وما ليل المضيم بنائم   وقد ترقد العينان والقلب ساهر

وقال المنصور العباسي قبل الخلافة

حتى متى لا نرى عدلاً نسر به   ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به   اذا تلوّن اهل الجور ألوانا
يا للرجال لداء لا دواء لهُ   وقائد ذي عمى يقتاد عميانا

وقال آخر

ارى مثار غبار لا يسكنه   الاّ رشاش دم من آل مروانا

(١) الزندقة الاسم من تزندق اي صار زنديقاً والزنديق من يبطن الكفر و يظهر الأيمان معرب زنده اي معتقد بالزند وهو كتاب يحتوي علي ديانة المجوس الفارسيين

(المعني) يقول انهما شقيان التأمت اخلاقهما وتشابهت طباعهما واجتمعا على اعتقاد واحد وهو الزندقة فمثلهما كمثل شقي المقص لا يجتمعان الا لقطع الثياب فان هذين الشقيين لا يقطعان الا الوصلة بين الاخوان

خَبِيثَةٌ فِي جَمَالٍ
كَحَيَّةٍ فِي رِيَاضٍ[١]

***

إِنْ أَحْرَجُوا صَدْرَكَ لاَ تَنْبَعِثْ
لِلْقَـذْعِ بِالْفَحْشَاءِ أَوْ مِثْلِهِ
فَغَضْبَةُ الْأَحْمَقِ فِي قَوْلِهِ
وَغَضْبَةُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ[٢]

***

---

(١) (المعنى) يقول ان بثينة قد تراءت لي في حمرة خدها وبياض وجهها ولكنها اخفت سوء خلقها وفساد سريرتها فكان مثلها كمثل الحيـة في الروض فانها تسعى بين النور والزهر ولكنها قاتلة بانيابها — قيل لاعرابي عالم بالنساء صف لنا شر النساء قال : شرهن النحيفة الجسم · الطويلة السقم · العسراء السليطة · الزفراء النفرة · السريعة الوثبة · كأن لسانها حربة · تضحك من غير عجب · وتدعو على زوجها بالحرب · انف في السماء واست في الماء : وقال غيره : اياك وكل امرأة حديدة العرقوب بادية الظنبوب · منتفخة الوريد · كلامها وعيد · وصوتها شديد · تدفن الحسنات · وتفشي السيآت · تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان · ليس في قلبها له رأفة ولا عليها منه مخافة · ان دخل خرجت · وان خرج دخلت · وان ضحك بكت · وان بكى ضحكت · وان طلقها كانت حرقته · وان امسكها كانت مصيبته · سفعاء ورهاء · كثيرة الدعاء · قليلة الارعاء · تأكل لمًّا · وتوسع ذمًّا · صخوب غضوب · بذية دنية · صبيها مهزول · وبيتها مزبول · اذا حدثت تشير بالاصابع · وتبكي في المجامع · بادية من حجابها · نبَّاحة على بابها · تبكي وهي ظالمة · وتشهد وهي غائبة · وقد دلي لسانها بالزور · وسال دمعها بالفجور :

(٢) احرج صـدره اي ضيقه · القذع الرمي بالفحش وسوء القول والشتيمة · الغضبة المرة من غضب

ما حوى التاريخ إلا
أهل جد لا عبث

(المعنى) يقول ان جرك الى الغضب انسان فلا تبادر الى سبه وشتمه ورميه بالفحشاء بل قابله بالافعال فان غضب الجاهل كلام وان غضب العاقل فعل وقال الشاعر

انا النار في احجارها مستكنة ... فان كنت ممن يقدح النار فاقدح
انا الليث وابن الليث في حومة الوغى ... فان كنت ممن ينبح الليث فانبح

وقال لقيط بن زرارة

اغركم اني باكرم شيمة ... رفيق واني بالفواحش اخرق
وانك قد باذذتني فغلبتني ... هنيئاً مريئاً انت بالفحش احذق

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرا

يا بدر والامثال يضر ... بها لذي اللب الحكيم
دم للخليل بوده ... ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه ... والحق يعرفه الكريم
واعلم بان الضيف يو ... ماً سوف يحمد او يلوم
والناس مبتنيان محمـ ... ـود البناية او ذميم
واعلم بني فانه ... بالعلم ينتفع العليم
والتبل مثل الدين تقـ ... ـضاه وقد يلوي الغريم
والبغي يصرع اهله ... والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد ... اخاً ويقطعك الحميم
والمرء يكرم للغنى ... ويهان للعدم العديم
قد يقتر الحول التقي ... ويكثر الحمق الاثيم
يملي لذاك ويبتلي ... هذا فايهما المضيم
والمرء يبخل في الحقوق ... وللكلالة ما يسيم
ما بخل من هو للمنون ... وريبها غرض رجيم

إنّما التّأريخ كِيرٌ
لا بني ينفي الخبث [١]

* * *

وقال قيس بن الخطيم

وما بعض الاقامة في ديار يهان بها الفتى الاّ بلاء
وبعض خلائق الاقوام داء كداء البطن ليس له دواء
وبعض القول ليس له عناج كمحض الماء ليس له اناء
يريد المرء ان يعطى مناه ويأبى الله الا ما يشاء
وكل شديدة نزلت بقوم سيأتي بعد شدتها رخاء
ولا يعطي الحريص غنى لحرص وقد ينمي على الجود الثراء
غني النفس ما عمرت غني وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مزر بصاحبه السخاء
وبعض الداء ملتمس شفاه وداء النوك ليس له شفاء

(١) الكير زق ينفخ فيه الصائغ . لا بني لا يكل ولا يضعف

(المعنى) يقول ان التاريخ لا يخلد ذكر انسان الا اهل الجد واما اهل العبث فليس لهم نصيب من الذكر الخالد فمثل التاريخ كمثل كير الصائغ يثبت الذهب الخالص و يرمي الخبث وهذا معنى حسن جداً . أقول ان مراتب العلاء في هذا الوجود تتنوع من أدنى المنازل الى المراتب الرفيعة والوظائف العالية ولكن فوق ذلك كله مرتبة اسمها (مرتبة التاريخ) وهي التي متى وصلها الانسان خلد و بقي على مر الأزمان . وهذه المرتبة لا يصلها الانسان الا بعلم كبير أو عمل كبير . ولهذا بينما ترى اسماء المؤلفين الكبار والشعراء المجيدين والقوّاد اصحاب الفتوحات ونحوهم باقية خالدة . تجد ألوفاً من اسماء ذوي الرئاسات والوظائف الكبيرة محيت من الاذهان ولم يبق لها أثر في عالم الامكان . وذلك أنهم لم يحصلوا في حياتهم على علم كبير أو عمل كبير . والفرق بين مرتبة التاريخ و بين السمعة أن التاريخ لا يقبل ان يثبت فيه الاّ من أتى بكفاءته احد هذين لامرين . وأما السمعة فقد يصنعها الانسان بنفسه و يروجها بسعيه بينما تكون كاذبة في الحقيقة

الفرج

أي

انبالو

لَيْلَةٌ أُضْحِيَانَةٌ قَمْرَاءُ · مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ · وَأُفُقٌ سَجْسَجٌ · كَأَنَّهُ رَوْضُ الْبَنَفْسَجِ · وَهُوَ الْأَزْرَقُ وَطَابَ · فَكَأَنَّهُ عِتَابٌ بَيْنَ أَحْبَابٍ · وَكَأَنَّمَا اسْتَدَارَ الزَّمَانُ · وَكَانَ آزَارُ نِيسَانُ (١) · وَقَدْ أَخَذَتْ (فِينَا) زُخْرُفَهَا · وَلَبِسَتْ رَفْرَفَهَا · فَحَيْثُمَا كُنْتَ

---

(١) اضحيانة مضيئة · قمراء منيرة · السجسج الهواء المعتدل بين الحر والبرد · البنفسج معرب نبت من نجوم الارض زهره سمحوفي اللون طيب الرائحة · طاب حسن · استدار الشيء استدارة أي دار · آزار شهر من الشهور التي تكون في الشتاء عادة · نيسان شهر من الشهور المسيحية التي تكون في فصل الربيع وكلاهما دخيل في اللغة العربية

وعلى ذكر ليلة الشتاء التي سيصفها سماحة المؤلف في هذه الرسالة نذكر قول كشاجم يصف الثلج وتساقطه في ليلة قر

الثلج يسقط ام لجين يسبك	ام ذا حصا الكافور ظل يفرك
راحت به الارض الفضاء كانها	من كل ناحية بثغر تضحك
شابت ذوائبها فبين ضحكها	طربًا وعهدي بالمشيب ينسك
اوفى على خضر الغصون واصبحت	كالدر في قصب الزمرد يسلك
وتزين الاشجار منه ملاءة	عما قليل بالرياح تهتك
كانت كعود الهندعريًا فانكفت	في لون ابيض وهو اسود احلك
والجو من ارج الهواء كانه	ثوب يعنبر تارة ويمسك
نغذى من الاوتار حظك انما	تحرك الاوتار حين تحرك

فَأَجْنِحَةُ الطَّوَاوِيسِ ‧ وَأَرْوَاحُ الْفَرَادِيسِ ‧ وَأَصْوَاتُ النَّوَاقِيسِ ١ ‧ وَثَمَّ قَصْرٌ ‧ عَلَى النَّهْرِ ‧ كَأَنَّهُ قَصْرُ غُمْدَانَ ‧ أَوْ خَوَرْنَقُ النُّعْمَانِ ٢ ‧ أَوِ السَّدِيرُ ‧ أَوِ الْقَصْرُ الْكَبِيرُ ٣ ‧ أَوِ الزَّاهِرُ ‧ أَوْ دَارُ ابْنِ طَاهِرٍ ‧ أَوِ الْجَعْفَرِيُّ ‧ أَوِ الْإِيوَانُ

(المعنى) يقول في ليلة مقمرة من ليالي الشتاء قد صفا جوها واعتـدل هواؤُها ورق حتى خيل لنا ان الزمان قد استدار واصبحنا في فصل الربيع ونحن في فصل الشتاء

(١) فينا عاصمة النمسا واحدى مدن الدنيا الشهيرة ‧ زخرفها أي ألوان نباتها ‧ الرفرف الثياب الثمينة ‧ الطواويس جمع طاوس طائر هندي معروف ‧ الارواح جمع روح وهو نسيم الريح‧ الفراديس جمع فردوس وهو الجنة التي تنبت ضروباً من النبت والبستان يجمع كل مايكون في البساتين ‧ النواقيس جمع ناقوس وهو مضراب النصارى الذي يضربونه في اوقات صلاتهم

(المعنى) يقول ان عاصمة البلاد النمساوية قد برزت في لباس حسن من بساتينها فكأن كل بقعة منها تشبه لون اجنحة الطواويس من خضراء وحمراء وغير ذلك من الالوان وقد جرى فيها النسيم عليلاً يحمل طيب الازهار واريجها و يحمل أيضاً اصوات نواقيس المعابد والكنائس

(٢) ثمَّ هناك ‧ قصر غمدان هو قصر من قصور ملوك العرب الشهيرة ‧ خورق النعمان هو قصر النعمان بن المنذر بن ماء السماء

(٣) السدير قال في القاموس هو قصر ولم يبين موضعه ‧ القصر الكبير كان للخلفاء الفاطميين في القاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقي الذي وضعه القائد جوهر عندما اناخ في موضع القاهرة وسمي بالقصر الكبير لانه حوى جملة قصور تسمى كل قصر منها باسم مخصوص يعرف به فمن ذلك القصر اليـافعي وقصر الذهب وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرد وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهـذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير و يقال لها القصور الزاهرة وسمي مجموعها القصر الكبير كما قدمنا وهذا القصر كان في الجهة الشرقيـة من القاهرة و يسمى أيضاً القصر المعزي لان المعز لدين الله ابا تميم معدّاً هو الذي امر كاتبه جوهراً ببنائه وكان ابتـداء وضعه مع وضع اساس القاهرة في ليلة الاربعاء الثامن عشر من شهر شعبان سنه ثمان وخمسين وثلثمائة وكان هذا القصر دار الخلافة و به سكن الخلفاء الفاطميون الى آخر ايامهم فلما انقرضت دولتهم على يد السلطان صلاح الدين الايوبي اخرج اهل القصر منه واسكن فيه الامراء ثم خرب اولاً فأولاً حتى اصبح اثراً بعد عين .

الـكِسْرَوِيُّ ١

(١) الزاهر قصر في بغداد ، دار عبد الله بن طاهر بن الحسين هي التي ببغداد وعبد الله هذا كان سيداً نبيلاً عالي الهمة وكان المأمون العباسي كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات اليه لذاته ورعاية لحق والده طاهر بن الحسين وقد ولاه الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان واوقع الخوارج باهل قرية الحمراء من اعمال نيسابور واتصل الخبر بالمأمون بعث الى عبد الله وهو بالدينور يأمره بالخروج الى خراسان فخرج اليها وحارب الخوارج حتى قدم نيسابور وقد ولاه بعدها ولاية خراسان وقد تولى قبلها الشام ومصر وهو ممدوح ابي تمام والقائل فيه وقد قصده من العراق فلما انتهى الى قومس وطالت به الشقة قال

يقول في قومس صحبي وقد اخذت   منا السرى وخطا المهرية القود
امطلع الشمس تبغي ان تؤمَّ بنا   فقلت كلاً ولكن مطلع الجود

وكان عبد الله اديباً ظريفاً جيد الغناء نسب اليه صاحب الاغاني اصواتاً كثيرة اجاد فيها واحسن ونقلها اهل الصنعة عنه وله شعر رقيق فمنه قوله

نحن قوم تذيبنا الاعين النجل على انا نذيب الحديدا
طوع ايدي الظباء تقتادنا العين ونقتاد بالطعان الاسودا
نملك الصيدَ ثم تملكنا البيض المصونات اعيناً وخدودا
تتقي سخطنا الاسود ونخشى   سخط الخشف حين يبدي الصدودا
فترانا يوم الكريهة احراراً وفي السلم للغواني عبيدا

وقد توفي سنة ثلاثين ومائتين بنيسابور وكان عمره اذ ذاك ثمانية واربعين عاماً — الجعفري هو قصر ابي الفضل جعفر المتوكل الخليفة العباسي الذي بناه في سرّ من رأى وكان من اجمل القصور فخامة بنيان وارتفاع اركان ولم ينفق احد من خلفاء بني العباس في البناء ما انفقه المتوكل ولقد وصفه الشعراء كثيراً واخصهم البحتري حيث وصف القصر والبركة التي كانت في وسطه قال

يا من رأى البركة الحسنا ورونقها   والآنسات اذا لاحت مغانيها
ما بال دجلة كالغيرا تنافسها   في الحسن طوراً واطواراً تباهيها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكاً   من الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يغازلها   وريق الغيث احياناً يباكيها

اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء رُكبت فيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأن جنَّ سليمان الذين ولوا ابداعها فأدقوا في معانيها
فلو تمرّ بها بلقيس معرضة قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
لا يبلغ السمك المقصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيها بأوساط مجنحة كالطير تنشر في جوّ خوافيها

وقال علي بن الجهم يصف بنية المتوكل هذه

وما زلت اسمع ان الملو ك تبني على قدر اخطارها
واعلم ان عقول الرجال يقضي عليها بآثارها
فلما رأيت بناء الامام رأيت الخلافة في دارها
صحون تسافر فيها العيو ن فتحسر من بعد اقطارها
وقبة ملك كأن النجو م تفضي اليها باسرارها
اذا اوقدت نارها بالعراق اضاء الحجاز سنا نارها
لها شرفات كأن الربيع كساها الرياض بانوارها
فهن كمصطحبات خرجن لفصح النصارى وافطارها
نظمن القسيّ كنظم الحلي بعون النساء وابكارها
فمن بين عاقصة شعرها ومصلحة عقد زنارها

الى غير ذلك من الشعر الجيد الذي قيل في هذا القصر — الايوان الكسروي هو بناء عظيم بالمدائن الشرقية وهي مدائن كسرى شرقي دجلة وهو من اعظم ابنية العالم قيل ان المنصور العباسي لما اراد بناء بغداد قصد هدم قصور المدائن وجلب انقاضها للبناء فقال له خالد بن برمك لا تفعل لانها تدلّ على عظمة اصحابها وانهم لم يقهروا الاّ بقوة دين عظيم وملة قوية فأبى قبول رأيه وهد القصر الابيض وهو قصر سابور بن اردشير المعروف بابيض المدائن فرأى ان هدمه يكلف اكثر من ثمن منتفعاته فتركه فاشار عليه خالد باتمام الهدم لئلا يقال انه عجز عن هدم ما بناه غيره فابى وكان في هذا القصر الشيء الكثير من التماثيل والصور ومن جملتها صورة كسرى انو شروان وقيصر ملك انطاكية وهو يحاصرها ويحارب اهلها فلما فتحت المدائن على يد سعد بن عبادة ترك

تَتِيهُ بِهِ الْبِلَادُ وَسَاكِنُوهَا
كَمَا تَاهَتْ بِزِينَتِهَا الْغَوَانِي [١]

قَدِ ارْتَفَعَتْ قِبَابُهُ فِي الْأَجْوَاءِ · فَكَأَنَّ أَبْرَاجَهُ أَبْرَاجُ السَّمَاءِ · وَكَأَنَّ كُلَّ رَدْهَةٍ بِطْحَاءُ · وَكُلَّ رَوْضٍ صَنْعَاءُ [٢] · بِلَاطٌ وَخَنْدَقٌ · وَدَارَاتٌ وَدَيْسَقٌ · وَأَبْهَاءٌ وَجَوْسَقٌ [٣] ·

ما فيه من التماثيل واتخذه مصلى وصلى فيه صلاة الفتح وهي ثمان ركعات لا يفصل بينها وقد اكثر الشعراء من ذكر الايوان فمن ذلك قول ابن الحاجب

يا من بناه بشاهق البنيان ... انسيت صنع الدهر بالايوان
هذي المصانع والدساكر والبنا ... وقصور كسرانا أنوشروان
كتب الزمان على ذراها اسطراً ... بيد البلى وانامل الحدثان
ان الحوادث والخطوب اذا سطت ... أودت بكل موثق الاركان

(المعنى) يقول ان عاصمة الديار النمساوية حوت من القصور الفاخرة والابنية الشاهقة ما اشبه قصور الملوك والوزراء المتقدمين التي ضرب بها المثل بحسنها ورونقها

(١) (المعنى) يقول ان كل قصر من هذه القصور تتيه به البلاد واهلها لحسنه وزخرفته كما تتيه الغواني بلباسها وحليها

(٢) الاجواء جمع الجوّ وهو ما بين السماء والارض · الابراج جمع برج وهو الركن والحصن والقصر · الردهة البيت الذي لا اعظم منه · البطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى · صنعاء هي قصبة بلاد اليمن وشهيرة بكثرة رياضها وازهارها

(المعنى) يقول ان قباب هذه القصور قد ارتفعت في الجو وان ابراجها لارتفاعها قد شابهت ابراج النجوم في السماء وان كل رحبة من رحباته المعدة للجلوس لاتساعها كانها بطحاء وان رياضها الزاهرة اليانعة كانها صنعاء لكثرة رياضها وازهارها أو لأنها يصنع فيها الحبر تشبه به الرياض

(٣) الخندق حفير حول اسوار المدن وقد اطلق هنا على البرك والجداول التي في داخل كل قصر · الدارات جمع دارة وهي المحل يجمع البناء والعَرْصة · الديسق الطريق المستطيلة · الأبهاء جمع بهو وهو البيت المقدم امام البيوت ويجمع ايضاً على بُهُوّ وبهيّ وهو ما يسميه الفرنج

وَكَهْرَبَاءُ . تُضِيءُ الأَرْجَاءَ . كَأَنَّهَا بَدْرٌ . أَوْ فَجْرٌ [١]

يَا أَبَا مُسْلِمٍ تَلَفَّتْ إِلَى القَصْرِ وَأَشْرِفْ لِلْبَارِقِ اللَّمَّاحِ

وَمُنِيفًا يُرِيكَ مَنْبِجَ نَصًّا وَهْيَ خَضْرَاءُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي [٢]

* * *

(بالصالون) . الجوسق القصر

(١) الكهرباء في الاصل صمغ شجرة يجذب التبن اذا حك معرب كاه ربا بالفارسية ومعنى كاهْ تبن وربَا جاذب اي جاذب التبن القطعة منه كهرباة او كهرباءة والنسبة اليه كهربي ومنه السيال الكهربي والكهربية الجاذبية المنسوبة الى الكهرباء وقد انتفع العالم اجمع من هذه الكهرباء فصنع منها النور واستخدموها في حمل الاثقال وتسيير سفن البر والبحر

(المعنى) يقول ان النور الذي تستضيء به هذه القصور هو من الكهرباء الساطعة التي تشبه لون القمر الفاختي او ضياء الفجر في وقت الصباح وذلك لابيضاض لون نورها

(٢) اشرف بمعني اطّلع وانظر . البارق البرق . اللماح فعّال من لمح اي لمع . المنيف المرتفع منبج هي بلد بالشام بين حلب والفرات بناها كسرى لما غاب على الشام وهي كثيرة الخضرة والرياض ولما كانت وطن البحتري ذكرها كثيرًا في شعره فمن ذلك قوله في آخر قصيدة طويلة يخاطب بها الممدوح وهو محمد بن حميد الطوسي

لا أنسين زمنًا لديك مهذبًا وظلال عيش كان عندك سجسج

في نعمة اوطنتها واقمت في افيائها فكأنني في منبج

نصًّا اي عينًا والنص الذي لا يحتمل الا معنى واحدًا

(المعنى) يقول انظر الى هذا القصر والى الكهرباء التي تنيره والتي شابهت البرق في لمعانه بل انظر الى الرياض الخضراء فيه التي تريك منبج في ايام الربيع وقد اكتست حلة زاهية من الخضر والرياحين

وَصَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ فَفُتِحَ الْبَابُ · وَكُشِفَ الْحِجَابُ · فَإِذَا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ · وَمُلْكٌ كَبِيرٌ · وَدُنْيَا فِي دَارٍ · وَلَيْلٌ وَنَهَارٌ · وَوُجُوهٌ تُشْرِقُ · وَحَلْيٌ يَبْرُقُ · وَقِبَابٌ وَشُرَاعَاتٌ · وَمَقَاصِيرُ وَسُرَادِقَاتٌ [1] · وَحُنِيٌّ كَعُطُوفِ الْقِسِيِّ · وَصُحُونٌ · فِي فُسْحَةِ الظُّنُونِ · تُقَدَّرُ بِالأَفْكَارِ · لاَ بِالأَبْصَارِ [2] · وَسُقُوفٌ مِنْ مَرْمَرٍ · وَأَرْضٌ مِنْ عَرْعَرٍ · وَكَأَنَّ كُلَّ سَقْفٍ لَوْحٌ مُصَوَّرٌ · وَكُلَّ أَرْضٍ رَوْضٌ مُنَوَّرٌ [3]

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ
أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرَا
وَضَعَتْ بِهِ صُنَّاعُهَا أَقْلاَمَهَا

---

(١) الشراعات الزنارف · المقاصير جمع مقصورة وهي الدار الواسعة وقال بعضهم هي محولة عن اسم الفاعل والاصل قاصرة أي حابسة كما قيل حجابًا مستورًا أي ساترًا · السرادقات جمع سرادق وهو الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت

(المعنى) يقول اني حينما وصلت الى هذا القصر وفتح لي الباب رأيت الجنة بزخرفها فكانما الدنيا اصبحت في دار واحدة اذ رأيت الوجوه وقد أشرقت والحلي وقد ابرقت الى غير ذلك مما اتى عليه وسيأتي من الوصف الجيد البليغ والمعاني الدقيقة العالية

(٢) الحني جمع حنيـة ما اعوج من البناء · عطوف القسي المعطف من القوس سيتها والسية ما عطف من طرفي القوس · الصحون جمع صحن وهو ساحة وسط الدار

(المعنى) يقول وفي ذلك القصر منعطفات في طرقه اشبهت عطوف القسي في التوائها وفيه ايضًا صحون رحيبة متسعة كأنها اسعتها فسحة الظنون وهي اوسع ما يتصوره فكر الانسان ولذلك قال تقدر بالافكار لا بالابصار يعني ان البصر مع كونه يرمي الى اسحق مكان وابعده ليس بقادر على تقدير هذه الرحبات وانما تقدر بالفكر الذي يجمع الدنيا بخطرة بل ربما تجاوزها الى غيرها من العوالم الأخرى

(٣) المرمر الرخام · العرعر شجر السرو فارسية

فأرتك كلَّ طريدةٍ تصويرا [١]

وأبوابٌ . كأنها في حسنها أبوابٌ من كتابٍ . في مصراعين . كعاشقين . فتلاقٌ . وافتراقٌ [٢]

فأبوابها أثوابها من نقوشها
فلا ظلمَ إلاَّ حين ترخى ستورُها [٣]

* * *

(المعنى) يقول وترى سقوف هذا القصر من مرمر براق وارضه من عرعر يانع فكان سقوفه لوح المصوّر لاشكاله ولمعانها وكان ارضه روضة زاهرة لخضرتها وألوانها

(١) الطريدة كل ما طردت من طير وغيره

(المعنى) يقول ان الناظر الى سقوف هذا القصر والى الالوان التي صبغت بها يرى ان الرياض الناضرة في السماء و يرى اقلام المصورين قد اجادت الرسم والتصاوير بها حتى ليخيل له ان الطرائد اي الوحوش المطرودة للصيد التي نقشت بها حقيقة لا خيال وذلك لاتقان الصنعة وجودة الرسم

(٢) مصراع الباب أحد غلقيه وهما مصراعان الى اليمين واليسار

(المعنى) يقول ان ابواب هذا القصر لحسنها كانها ابواب كتاب وهو احسن ما توصف به ابواب الدور والمنازل و يقول ان كل باب من ابوابه ذو مصراعين وهما كعاشقين فتلاقيهما وقت ما يوصدان وافتراقهما ساعة يفتحان

(٣) (المعنى) يقول ان النقش على هذه الابواب كانه ثياب مدبجة فمن الظلم ان ترخي عليها الحجب والستور — وكل ما تقدم وصف للدور والمنازل والقصور التي رآها سماحة السيد في بلاد النمسا وهو وصف حسن اجاد فيه مؤلفه غاية الاجادة لانه ما ترك شيئاً من اثاثات القصر وامتعته وفرشه الا اتى به مفصلاً ووصفه وصفاً حسناً ولنذكر هنا نبذة من اقوال الشعراء في مثلها فمن ذلك قول علي بن محمد الايادي يمدح المعز و يصف دار البحر بالمنصورية

ولما استطال المجد وارتفع البنـا | على النجم وامتد الرواق المروق
بنى قبة للملك في وسط جنة | لهـا منظر يزهي به الطرف مونق
بمشوقة الساحات اما عراصها | فخضر واما طيرها فهي نطق
تحف بقصر ذي قصور كانما | ترى البحر في ارجائه وهو متأق
له بركة للماء ملء فضائه | تخب بقصريهـا العيون وتعنق
لهـا جدول ينصب فيها كانه | حسام جلاه القين بالارض ملصق
لها مجلس قد قام في وسط مائها | كما قام في فيض الفرات الخورنق
كان صفـاء الماء فيها وحسنه | زجاج صفت ارجاؤه فهو ازرق
اذا بث فيها الليل اشخاص نجمه | رأيت وجوه الزنج بالنار تحرق
وان صافحتها الشمس لاحت كانها | فرند على تاج المعز ورونق
كان شرافات المقاصر حولها | عذارى عليهن الملاء المنطق
يذوب الجفاء الجهد عن وجه مائها | كما ذاب آل الصحصحان المرقرق

وقال البحتري يصف قصر المتوكل المتقدم ذكره آنفاً

ارى المتوكلية قد تعالت | مصانعها واكملت التماما
قصور كالكواكب لامعات | يكدن يضئن للساري الظلاما
وروض مثل برد الوشي فيه | جنى الحوذان ينشر والخزامي
غرائب من فنون النور فيها | جنى الزهر الفرادي والتواما
يضاحك نورها طوراً وطوراً | عليه الغيم ينسجم انسجاما
ولو لم يستهل لها غمام | بريقه لكنت لها غماما

وقال الشريف الرضي وقد اجتاز بالحيرة يرثي آل المنذر بن ماء السماء ويصف دورهم ومنازلهم

اين بانوك ايها الحيرة البيضاء والموطئون منك الديارا
والاولى شققوا ثراك من العشب واجروا خلالك الانهارا
المهيبون بالضيوف اذا هبت شمالا والموقدون النارا
كلما باخ ضوؤها اقضموها بالقبيبات منديلا وغارا
ربطوا حولك الجياد وخطوا لك من مركز العوالي عذارا

وحموا ارضك الحوافر حتى   لقبوا ارضها خدود العذارى
لم يدع منك حادث الدهر الا   عبرا للعيون واستعبارا
وبقايا من دارسات طلول   خبرتنا عن اهلها الاخبارا
عبقات الثرى كأن عليها   لطميين ينفضون العطارا
وقباب كأنما رفعوا منها   لمسترشد الظلام منارا
عقدوا بينها وبين نجوم الافق من سالف الليالي جوارا
اين عقبانك الخواطف حلقن   وابقين عندك الاوكارا
ورجال مثل الاسود مشوافيك تداعوا قوائماً وشفارا
حبذا اهلك المحلون اهلا   يوم بانوا وحبذا الدار دارا
لم يكونوا الا كركب تأنى   برهة في مناخة ثم سارا

وقال البحتري يصف المتوكلية ايضاً

قد تم حسن الجعفري ولم يكن   ليتم الا للخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار انشئت   في خير بدو للانام ومحضر
في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ   وترابها مسك يشاب بعنبر
مخضرة والغيث ليس بساكب   ومضيئة والليل ليس بمقمر
رفعت بمنخرق الرياح وجاورت   ظل الغمام الصيب المستعبر

وبعده

ورفعت بنياناً كأن زهاءه   اعلام رضوى او شواهق منبر
عال على لحظ العيون كأنما   ينظرن منه الى بياض المشترى
ملأت حوالبه الفضاء وعانقت   شرفاته قطع السحاب الممطر
وتسيل دجلة تحته ففناؤه   من لجة فرشت وروض اخضر
شجر تلاعبه الرياح فتنثني   اعطافه في سائح متفجر

والشعر في الابنية كثير فمن الشعراء من يصف الديار وهي موحشة ومنهم من يصفها للتهنئة ببنائها ولكن الكثير من الشعر في وصفها وهي قفر يباب لانهم يتذكرون بها محبيهم فيصفون الليالي التي أمضوها فيها والمجالس التي جلسوها في حجراتها وقاعاتها فتجيش صدورهم بالشعر ولولا خوف الاطالة لاتينا بالكثير منه

وَإِذَا الْحُجُرَاتُ قَدْ فُرِشَتْ بِإِرَاضٍ · كَأَنَّهُ قِطَعُ الرِّيَاضِ

بُسُطٌ أَجَادَ الرَّسْمَ صَانِعُهَا
وَزَهَا عَلَيْهَا النَّقْشُ وَالشَّكْلُ
فَيَكَادُ يَقْطِفُ مِنْ أَزَاهِرِهَا
وَيَكَادُ يَسْقُطُ فَوْقَهَا النَّحْلُ ١

للمؤلف

وَرُصِّفَتْ فِي جَوَانِبِهَا أَرَائِكُ وَحِجَلٌ · وَطَوَارِقُ وَكِلَلٌ · وَشَوَارٌ وَأَنْمَاطٌ · وَزَرَابِيُّ وَرِيَاطٌ ٢ · وَمَطَارِحُ مِنْ دِيبَاجٍ · وَنَضَائِدُ مِنْ عَاجٍ · عَلَيْهَا قُطُوعٌ مِنْ سَمُّورٍ وَسِنْجَابٍ · وَعُرُوشٌ مِنِ اسْتَبْرَقٍ وَزِرْيَابٍ ٣ · فِي أَلْوَانِ الْحَيْقُطَانِ ·

---

(١) الحجرات جمع حجرة وهي الغرفة · الاراض بساط ضخم من صوف او حرير
(المعنى) يقول ان بسط هذا المكان اشبهت الروض في نضارته ولون ازهاره لدقة صنعتها وحسن روائها · ويقول ان صانع هذه البسط قد اتقنها واجاد رسمها حتى صار نقشها وشكلها زاهياً وحتى اصبحت لدقة رسمها يكاد الانسان يقطف ازهار هاو يكاد يسقط عليها النحل ليجنى يانع ازهارها وهذا المعنى في غاية الابداع والبيتان لسماحة المؤلف

(٢) الارائك جمع اريكة وهي سرير منجد مزين في قبة او بيت · الحجل جمع حجلة وهي فرش في جوف البيت · الطوارق جمع طارقة وهي السرير الصغير · الكلل جمع كلة وهي غشاء رقيق يخاط كالبيت · الشوار مثلثة متاع البيت الانماط جمع نمط وهو ضرب من البسط · الزرابيّ النمارق والبسط وكل ما بسط واتكيء عليه · الرياط جمع ريطة وهي كل ثوب رقيق يشبه الملحفة

(٣) المطارح جمع مطرح وهو المفرش · الديباج الثوب الذي سداه ولحمته من حرير · النضائد جمع نضيدة وهي الوسادة · العاج انياب الفيل · القطوع جمع قطع بالكسر وهو ضرب من الثياب الموشاة والبساط والنمرقة · السمور حيوان بريّ يشبه السنور يتخذ من جلده فراء ثمينة

وأَجْنِحَةِ الْفَوَاخِتِ والْوِرشانِ[١]

حَتَّى اتَّكَأْنَ على فُرُشٍ يُزَيِّنُهَا
مِنْ جَيِّدِ الرَّقْمِ أَزْوَاجٌ تَهاوِيلُ
فِيهَا الطُّيُورُ وفِيهَا الأُسْدُ مُخْدَرَةً
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَرَى فِيهَا تَمَاثِيلُ[٢]

وَقَدْ رُكِزَتْ فِي الْحِيطَانِ صُفُوفٌ ، مِنْ مَشَاجِبَ ورُفُوفٍ ، عَلَيْهَا آنِيَةٌ عَادِيَّةٌ وعِسَاسٌ صِينِيَّةٌ ، وَصِحَافٌ وَسُكُرُّجَاتٌ ، وَجِفَانٌ وَطَرْجَهَارَاتٌ . وَبَيْنَ ذَلِكَ مَرَايَا تَتَقَابَلُ فَتَجْمَعُ الآحَادَ ، وتُعَدِّدُ الأَفْرَادَ ، إِنْ وَقَفَتْ أَمَامَهَا الْحَسْنَاءُ ، رَأَيْتَ

لينها وخفتها ويطلق السمور على جلده جمع سمامير • السنجاب بالكسر والضم حيوان على حد اليربوع وشعره في غاية النعومة تتخذ من جلده الفراء والفراش . العروش جمع عرش وهو البيت الذي يستظل به • الاستبرق الحرير •• الدرياب الذهب

(١) الحيقطان طائر جميل المنظر ملوّن الريش • الفواخت جمع فاختة • الوَرَشان يجمع على ورشان بالكسر ووراشين وهو طائر

(المعنى) يقول ان الوان هذه الفرش تشبه لون ريش هذا الطائر الجميل المسمى بالحيقطان وتشبه لون الحمائم البيض ولون الوَرَشان

(٢) ازواج جمع زوج وهو الشكل واللون من الديباج • التهاويل الالوان المختلفة من الاحمر والاصفر والاخضر والنقوش والحلى • المخدرة اي الساكنة في خدورها اي اجمها

(٥) صفوف جمع صف . المشاجب جمع مشجب وهو خشبة توضع في الحائط لتنشر عليها الثياب . الرفوف جمع رف وهو شبه الطاق توضع عليه بعض امتعة البيت . الآنية جمع اناء وهو الوعاء . عادية نسبة الى عاد وهي كناية عن عراقتها في القدم . العساس القدح الكبير صينية نسبة الى الصين الصحاف جمع صحفة وهي الاناء . سكرجات جمع سكرجة وهي الصحفة . الجفان جمع جفنة وهي القصعة . طرجهارات جمع طرجهارة وهي الفنجانة

بدْرَ السَّماءِ . في عَيْنِ ماءٍ [1] . حُسْنٌ لا نَظِيرَ لَهُ في الْبَرِيَّةِ . إلاَّ صُورَتُهُ على الْمَاوِيَةِ [2] . فإِنِ انصرَفَتْ عَنْهَا تَرَكَتْهَا كَرَبْعٍ خَلاءٍ . أَوْ صَحِيفَةٍ بَيْضَاءَ . أَوْ قَلْبِ ذي مَلالَةٍ . لا يَثْبُتُ فِيهِ إلاَّ مَا كَانَ حِيالَهُ [3] . وَقَامَ في الأَرْكَانِ تَمَاثِيلُ وَتَصَاوِيرُ . وَأَنْصَابٌ وَقَوَارِيرُ . مِمَّا صَنَعَ أُوفِرْبَاخ . وَمِيسونِيَا وَلَمْبَاخ . فَكَأَنَّمَا الدَّارُ زُونٌ . أَوْ مَعْرِضُ فُنُونٍ [4]

وَتَمَاثِيلُ حِسَانٌ

مِنْ صِغَارٍ وَكِبَارٍ

---

(١) (المعنى) يقول وفي هـذا القصر مرايا قد علقت على جدرانه وتقابلت فلو وقف شخص أمام احـداها تعدد شبحه الى أشباح كثيرة وذلك لتعدد المرايا ولو اجتمع اشخاص كثيرون امام واحـدة منها لاجتمعت أشباحهم في مرآة واحدة كذلك لو نظرت الحسناء في مرآة منها كأنها بدر السماء قد انعكست صورتهُ في عين ماء وذلك لصفاء مائها الذي اشبه سطح المرآة

(٢) البرية الكون . الماوية المرآة

(٣) الربع الدار أو المنزل . الخلاء الخالي . الملالة السآمة والضجر . الحيال حيال الشيء قبالته

(المعنى) يقول فاذا انصرفت هذه الحسناء عن المرآة أصبحت كالربع الخالي من السكان او كأنها صحيفة بيضاء لاغبار عليها او كانها قلب ملول لا يعرف صديقه او صاحبه الاَّ عند مقابلته فاذا انصرف عنه اصبح منه نسيًا منسيا

(٤) التماثيل جمع تمثال وهو الصورة من رخام ونحوه . الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها و يذبح لغير الله وهذه مثلها والمراد بها التماثيل . القوارير جمع قارورة وهي الاناء من زجاج او غيره — اوفرباخ مصور مشهور — ميسونيا مصور فرنسي شهير ومن رجال القرن التاسع عشر — لمباخ مصور مشهور . الزون الموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزين . المعرض كمجلس موضع عرض الشيء

نُشِرَتْ أُسْرَةُ كِسْرَى

يَوْمَ عِيدِ النَّوْبَهَارِ

أَوْ رُمَاةٌ فِي طِرَادٍ

خَلْفَ سِرْبٍ أَوْ صُوَارِ

أَوْ رَعِيلٌ مِنْ شَرِيدِ الْوَ

حْشِ مَشْبُوبُ الْحِضَارِ

خَلْفَهُ كُلُّ حَثِيثِ الرَّكْ

ضِ فِي نَقْعٍ مُثَارِ ١

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَاكِيَةَ

ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ

وَالْمَنَايَا مَوَاثِلٌ وَأَنُوشِرْوَانَ

يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ

(المعنى) يقول وفي اركان هذا القصر الكثير من التماثيل والتصاوير من صنع اشهر المصورين الذين ذكرهم حتى كان هذا القصر الموضع الذي تنصب فيه الاصنام وتزين او كانه معرض تعرض فيه الاشياء لتكون على مرأى من الناظرين . على ان التصوير على الحيطان كان معروفاً قديماً عند الفرس والعرب . وللسيد المؤلف مقالة في كثير من (الوفاقات في العادات) بين الافرنج والعرب نذكر منها نبذة في آخر شرح هذه الرسالة

(١) الاسرة رهط الرجل واهل بيته . عيد النوبهار هو عيد من اعياد الفرس ومواسمهم . الرماة جمع رام وهو الضارب بالقوس . الطراد حمل الفرسان بعضهم على بعض . السرب جماعة الظباء . الصوار بالضم القطيع من البقر . الرعيل القطعة من الخيل . المشبوب اي الموقد . الحضار

وَعِراكُ الرِّجالِ بَيْنَ يَدَيْهِ
في خُفُوتٍ مِنْهُمْ وإِغْماضِ جَرْسِ
تَصِفُ العَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْياءٍ
لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشارَةُ خُرْسِ [1]

وَقَدْ وُضِعَ فِي الأَبْهاءِ . مَوَاقِدُ لِلاصْطِلاءِ . كَأَنَّ الجَمْرَ فِيهَا نَظَرُ مُحْنَقٍ . أَوْ نَارُ المُحَلِّقِ [2] .

جودة في السير

(١) انطاكية قصبة قضاء باسمها في ولاية حلب على الضفة الجنوبية من نهر العاصي

(٢) الابهاء جمع بهو وهو البيت المقدم امام البيوت وهو المسمى الآن (بالصالة) . المواقد جمع موقد وهو ما توقد فيه النار . الاصطلاء الاستدفاء . المحنق المغتاظ — نار المحلق وخبرها ان الاعشى ميمون بن قيس كان يوافي سوق عكاظ في كل سنة وكان المحلق الكلابي مئناثا مملقا فقالت له امرأته يا ابا كلاب ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر اذا مرّ بك فما رأيت احداً اقتطعه الى نفسه الا واكسبه خيراً قال ويحك ما عندي الا ناقتي وعليها الحمل قالت الله يخلفها عليك قال فهل له بدٌّ من الشراب والمسوح قالت ان عندي ذخيرة لي ولعلي ان اجمعها قال فلما مرّ به تلقاه قبل ان يسبق اليه احد وابنه يقوده فأخذ الخطام فقال الاعشى من هذا الذي غلبنا على خطامنا قال المحلق قال شريف كريم ثم سلمه اليه فاناخه فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم سقاه واحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه فقال ما هذه الجواري حولي قال بنات اخيك وهن ثمان شريدتهن قليلة قال وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً فلما وافى سوق عكاظ اذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها واذا الاعشى ينشدهم

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

فاشتهرت نار المحلق والمحلق بشعر الاعشي حتى ضرب بها المثل . قال فسلم عليه المحلق فقال له مرحباً بسيد قومه ونادى يا معشر العرب هل فيكم مذكار يزوج ابنه الى الشريف الكريم قال فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا وقد زوجها

وَكَأَنَّ الرَّمَادَ عَلَيْهِ عِثْيَرٌ ، فَوْقَ أَشْقَرَ [1] . وَأَحَاطَ بِالدَّارِ نَوَافِذُ وَطَاقٌ ، تَطِلُّ عَلَى الْآفَاقِ . وَتَنْظُرُ الرَّوْضَ . وَالْحَوْضَ . وَالْمَدِينَةَ . وَالزِّينَةَ [2]

فَمِنْ شُهُبٍ تَمْتَدُّ فِي الْجَوِّ مُصْعِدًا
وَتَلْوِى عَلَى جَنْبَيْهِ مِثْلَ الْأَرَاقِمِ
وَتُمْطِرُ فِيهِ لُؤْلُؤًا وَزَبَرْجَدًا
شَآبِيبُ مِنْهَا سَاجِمٌ بَعْدَ سَاجِمِ
فَطَوْرًا تَرَى أَنَّ السَّمَاءَ حَدِيقَةٌ
تَفَتَّحَ فِيهَا النَّوْرُ بَيْنَ الْكَمَائِمِ
وَحِينًا تَرَى أَنَّ الْحَدِيقَةَ فِي الدُّجَى
سَمَاءٌ تَهَاوَى بِالنُّجُومِ الرَّوَاجِمِ [3]

للمؤلف

---

(١) العثير الغبار . الاشقر ماله لون الشقرة

(٢) الطاق النافذة

(٣) شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . النور الزهر . الكمائم جمع كم وهو الغلاف الذي ينشق من الثمر ويحيط به . تهاوي اى تتساقط . الرواجم السواقط

(المعنى) جرت العادة في السنين الاخيرة انهم في الاعياد والمواسم والاحتفالات يصفون مقذوفات صغيرة محشوه بمادة ملتهبة تسمى البارود وقد صبغوها بالوان متعددة وشكلوها باشكال الثعابين والطيور فاذا كان ليلة الاحتفال الهبوا هذه المقذوفات بواسطة فتيل في يد الملهب فتطير في الجو مصعدة حتى اذا اندفعت الى بعد اربعين او خمسين ذراعاً انفجرت هذه المقذوفة عن شرارات تشبه الثعابين والطيور والزهور والرياحين باشكالها وألوانها فاذا كادت ان تسقط على الارض انطفأت من نفسها . فسماحة السيد يقول ان الناظر من هذه النوافذ يرى هذه المقذوفات

أَمَّا الأَضْوَاءُ وَالأَنْوَارُ . فَالشَّمْسُ فِي ضَحْوَةِ النَّهَارِ . قَدْ عَلِقَتْ بِالسُّقُوفِ . وَتَأَلَّقَتْ فِي الرُّفُوفِ . وَتَلَوَّنَتْ كَالأَزْهَارِ . وَتَشَكَّلَتْ كَالأَثْمَارِ . وَتَدَلَّتْ (١) بَيْنَهَا الثُّرَيَّاتُ كَأَنَّهَا أَشْجَارٌ . مُفَتَّحَةُ النُّوَّارِ . وَكَأَنَّ أَقْبَاسَهَا آذَانُ جِيَادٍ . أَوْ

---

(١) تدلت استرسلت وتعلقت . الرفوف جمع رف وهو شبه الطاق تجعل عليه طرائف البيت .

كل هذا وصف للنور والضوء فلنذكر هنا قول الصابي في شمعة

وليلة من محاق الشهر مدجنة لا النجم يهدي السري فيها ولا القمر
كلفت نفسي بها الادلاج ممتطيا عزما هو الصارم الصمصامة الذكر
الى حبيب له في النفس منزلة ما حلها قبلها سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة تهدي الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الابريز اثمر في اعلاه ياقوته صفراء تستعر
تأتيك ليلاً كما تأتي المريب فان لاح الصباح طوتها دونك الجدر

وقال آخر في مثله

لنا شمعة نيطت ذراها بشعلة كحقة تبر علقت بلسانها
اذا عثر الساري بليل من الدجى نحرنا له قلب الدجى بسنانها
تفك قيود الليل عن كل زائر فتجرى بها الرجلان مل عنانها
اذا ما احست بالصباح تمارضت كنرجسة قد اذبلت بمكانها
تموت اذا ما قبلت خد حائط فتثبت خالاً فوقه من دخانها

وقال النمري

ولما دجا الليل مزقته بروح ينحف جثمانها
بشمع اعير قدود الرماح يحاكي ذراها والوانها
غصون من التبر قد ركبت لهيبا يزين افنانها
فيا حسن ارواحها في الدجى وقدا كانت فيه ابدانها

(المعنى) يقول اما انوار هذا القصر فهي كالشمس في نورها وهي في كبد السماء قد تعلقت

عُيُونُ جَرَادٍ . أَوْ قِطَعُ أَفْلاذٍ . أَوْ صَفَائِحُ فُولاَذٍ . أَوْ ذُبَالٌ عَلَى أَسَلٍ . أَوْ مِرْآةٌ فِي كَفِّ الأَشَلِّ ١

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ ٢

٭٭٭

وَثَمَّ الْخُرَّدُ الْحِسَانُ . كَاللُّؤْلُؤِ وَالْعِقْيَانِ . مِنْ كُلِّ عُطْبُولٍ رَفَافَةٍ . أَوْ

بسقوفه وتشكل لونها فكانت كالازهار وتنوع شكلها فصارت كالاثمار

(١) الثريات المنارات التي تعلق وينبعث منها النور وهي المسماة الآن بالنجف . الاقباس جمع قبس وهو لسان الفتيلة • الافلاذ جمع فلذة وهي القطعة من الذهب والفضة . الفولاذ اكرم الحديد فارسي معرب • الذبال جمع ذبالة وهي لسان الشمعة . الاسل الرماح . الاشل المصاب بالشلل وهو مرض يصيب اليد والذراع فيحدث فيهما رعشة

(المعنى) يقول وقد سطعت هذه الانوار فكان السنة النور اذ آن خيـل او انها للمعانها وبصيصها عيون جراد أو قطع الذهب والفضة اوصفائح الحديد البراق وكانما الشموع وقد ارتعدت فتائل ركبت على رماح او مرآة في يد اشل مرتفعة

(٢) مغار الفتل اي محكم الفتل . يذبل جبل . البيت من معلقة امرىء القيس وقبله

وليل كموج البحر ارخي سدوله عـلي بانواع الهموم ليبتـلي
فقلت له لمـا تمطى بصلبه واردف اعجـازًا وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجل بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

(المعنى) ضمن هذا البيت لمناسبة النور الذي وصفه ومعناه فيا عجباً لك من ليل كان نجومه شدت الى يذبل الذي هو الجبل بكل حبل محكم الفتل فامرؤ القيس كنى بالبيت عن طول الليل والمؤلف ضمنه لمناسبة نجومه التي تشبه الانوار التي وصفها وربط الثريات بالحبال عادة

أُسحلانَةٍ رَبِلَةٍ • أَوْ خَلِيفٍ بِهْنَانَةٍ • أَوْ رَهْرَهَةٍ فَيْنَانَةٍ • أَوْ لاَعَةٍ سَيْفَانَةٍ [١]

زَجَّاءَ إِبْرِيقِ الْعَشِيِّ خَوْزَلِ
رَكَّاضَةٍ لِلْبُرْدِ وَالْمُرَحَّلِ
بِقَصَبٍ فَعْمِ الْعِظَامِ خُدَّلِ
رَيَّانَ لاَ عَشٍّ وَلاَ مُهَبَّلِ
فِي صَلَبٍ لَدْنٍ وَمَشْيٍ هَوْجَلِ
تَدَافُعَ الْجَدْوَلِ إِثْرَ الْجَدْوَلِ [٢]

---

(١) ثَمَّ بالفتح اسم يشار به الى المكان البعيد وقد تلحقه التاء فيقال ثمة وموضعه نصب على الظرفية • الخُرَّد جمع خريدة وهي المرأة الحيية • العقيان الذهب الخالص • العطبول المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق • الرفلة التي تجر ذيلها جرًّا حسناً • الاسحلانة الطويلة الشعر • الربلة المرأة الضخمة الربلات والربلة أصل الفخذ • الخليف المرأة التي اسبلت شعرها خلفها • البهنانة المرأة الطيبة النفس والريح واللينة في عملها ومنطقها والضحاكة الخفيفة الروح • الرهرهة المرأة الناعمة البيضاء الحسنة بصيص لون البشرة • الفينانة التي شعرها حسن طويل • اللاعة الحديدة الفؤاد الشهمة • السيفانة الطويلة الممشوقة الضامر

(المعنى) يقول وهناك في ذلك القصر الحسان اللواتي كحبات اللؤلؤ نقاوة بشرة وكخالص الذهب صفاء لون من كل فتية مكتنزة اللحم ذيالة الشعر ضحوك لعوب ممشوقة الخصر الى آخر ما جاء في الوصف

(٢) الزجاء ذات الحاجب الدقيق • ابريق العشي الابريق المرأة البراقة واراد بالعشي ان تبرق فيه وقت موت الالوان فكيف بالغداة • الخوزل من الانخزال والمراد انها اذا مشت تتثنى في مشيتها وتتخازل فيه • ركاضة للبرد أي تركض البرد برجلها وتسحبه • المرحل ثوب عليه صور الرحال • القصب كل عظم فيه مخ • فعم العظام اي عظامه ممتلئة • الخدل الممتلئة • ريان اي مفعم • العش الضعيف الدقيق • المهبل الثقيل المنتفخ • الصلب عظم في الظهر ذو فقار من لدن

إِذَا خَطَرَتْ تَأَرَّجَ جَانِبَاهَا
كَمَا خَطَرَتْ عَلَى الرَّوْضِ الْقَبُولُ
يُقَوِّمُ مِنْ تَثَنِّيهَا اعْتِدَالٌ
يَكَادُ يُقَالُ مِنْ هَيَفٍ نُحُولُ ١

صُدُورٌ كَالْإِغْرِيضِ . أَوْ صُدُورِ الْبُزَاةِ الْبِيضِ وَسَوَاعِدُ كَأَنَّهَا شَمَارِيخُ مِنْ مَاسٍ . أَوْ مَرْمَرٍ نَحَتَهُ فِدْيَاسُ ٢ . وَعُيُونٌ كَأَنَّ بَيْنَ أَهْدَابِهَا رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ . أَوْ أَسَدٌ بَيْنَ طَرْفَاءَ وَأَسَلٍ . أَوْ أَنَّهَا نَرْجِسٌ عَطْشَانٌ . أَوْ سُيُوفٌ تَقْتُلُ وَهِيَ فِي الْأَجْفَانِ ٣ .

سَلَلْنَ مِنَ الْحِدَاقِ السُّودِ بِيضاً

الكاهل الى العجب • اللدن الناعم • الهوجل مشي فيه استرخاء • الجدول النهر الصغير

(المعنى) يقول ومن هؤلاء النسوة الحسان كل دقيقة الحاجب براقة في الظلام لصفاء لونها فاذا خطرت اخترلت الخطى وجررت ذيول البرد خلفها فالجسم في تموج • والافخاذ في ترجرج • فكأنما اعضاؤها في مشيها وهي تتلاقى وتتفارق جداول من ماء تنصب في نهر عظيم الاول اثر الآخر والموجة تلو الموجة

(١) تأرج فاح • القبول ريح الصبا لانها تقابل الدبور • الهيف ضمور البطن ودقة الخصر

(المعنى) يقول اذا خطرت فاحت رائحتها الذكية ومال قدها النحيف المعتدل فلولا ما به من الهيف لقيل انه نحيل ضئيل

(٢) الاغريض الطلع • البزاة جمع بازي وهو طائر معروف ابيض اللون • الشماريخ جمع شمروخ وهو العذق عليه بسر او عنب وشبه هنا به سواعد النساء • فدياس نحات ومصور يوناني قديم يضرب بحذقه المثل في صنعته

(المعنى) يقول ان صدور هذه النسوة كالطلع في ابيضاضه ونصاعته او كصدور البزاة في ابيضاضها وشكلها وسواعدهن كأنها شماريخ من ماس وهو حجر لماع أو مرمر نحته ذلك النحات اليوناني المشهور

(٣) المعنى بنو ثعل قوم من العرب اشتهروا باسداد الرمي حتى ضرب بهم المثل فيقال ارمى من بني ثعل

فَمَا نَدْرِي قِيَانٌ أَمْ قُيُونُ (١)

فَمَنْ فِي مَأْتَمٍ عَلَى الْعُشَّاقِ

وَلَبِسْنَ السَّوَادَ فِي الْأَحْدَاقِ (٢)

وَقَدِ امْتَزَجَ فِيهَا الْفَتَرُ · بِالْحَوَرِ · فَهِيَ سَكْرَى وَلاَ مُدَامُ · وَوَسْنَى وَلاَ مَنَامُ (٣)

إِذَا نَظَرَتْ قُلْتَ بِهَا ذِلَّةٌ

أَوْ خَطَرَتْ قُلْتَ بِهَا كِبْرُ (٤)

---

(١) القيان جمع قينة وهي الامة · القيون جمع قين وهو الصانع

(المعني) يقول ان هؤلاء النسوة قد اشهرن من احداقهن السود سيوفًا بيضًا فما ندري أهن قيان ام صنّاع سيوف

(٢) (المعنى) يقول لما قتلن العشاق بألحاظهن أقمن عليهم مأتمًا ولكن لبسن الحداد في احداقهن السود

(٣) الفتر الضعف · الحور شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها · الوسني الفاترة الطرف

(المعني) يقول قد امتزج الفتر في الحاظهن وهو تكسر في الجفون بالحور فكانما هي سكرى بغير خمر ومغمضة الطرف من غير نوم

(٤) (المعني) يقول اذا نظرت اليك بهذا الفتور حسبتها ذليلة ولكن اذا نظرت اليها وهي تمشي مشية التيه والخيلاء رأيت الكبر باديًا عليها والعظمة ممزوجة بنفسها · وكل ما تقدم وصف للجفون واللواحظ من نواعس ويواقظ أو نعت للخرد الحسان ولنذكر هنا اقوال الشعراء فيهن اتمامًا للفائدة فنقول · قال ابو حية النميري

رمته فتاة من ربيعة عامر نؤوم الضحى في مأتم أي مأتم

فقلن لها في السر نفديك لا يرح صحيحًا والاَّ تقتليه فألمم

فالقت قناعًا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

وَفَمٍ كَأَنَّهُ أُقْحُوَانَةٌ لَمْ تَتَصَوَّحْ · وَوَرْدَةٌ لَمْ تَتَفَتَّحْ · يَضْحَكُ عَنْ جُمَانٍ وَيَتَنَفَّسُ عَنْ رَيْحَانٍ · وَيَنْطِقُ عَنْ أَلْحَانٍ[١] · وَخُدُودٌ · كَنَارِ أُخْدُودٍ · أَوْ تُفَّاحٍ · أَوْ مَاءٍ

وقال النابغة الذبياني

قامت تراءى بين سجفي كلة　　كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه　　فتناولته واتقتنا باليد

وقال قيس بن الملوح

رمتني وستر الله بيني وبينها　　عشية احجار الكناس رميم

رميم التي قالت لجارات بيتها　　ضمنت لكم ان لا يزال يهيم

الا رب يوم لو رمتني رميتها　　ولكن عهدي بالنصال قديم

فيا عجبًا من قاتل لي أودّه　　اشاط دمي شخصٌ عليّ كريم

يرى الناس اني قد سلوت وانني　　لمدمن احناء الضلوع سقيم

وقال عروة بن حزام

واني لتعروني لذكراك هزة　　لها بين جسمي والعظام دبيب

وما هو الاّ ان اراها فجاءة　　فأبهت حتى ما اكاد أجيب

عشية لا عفراء منك بعيدة　　فأسلو ولا عفراء منك قريب

لئن كان برد الماء حران صاديًا　　اليَّ حبيب انها لحبيب

وقال الشريف الرضي

عطون باعناق الظباء واشرقت　　وجوه عليها نضرة ونعيم

امطن سجوفًا عن خدود اسيلة　　صفا بشر منها ورق اديم

تأطر اغصان الاراك امالها　　وقد رق جلباب الظلام نسيم

والشعر في وصف محاسن النساء كثير وقد جئنا منه هنا بالكفاية

(١) الاقحوانة مفرد اقاحي وأُقاح · لم تتصوح اي لم تيبس · الجمان اللؤلؤ واحدته جمانة (المعنى) يقول ان افواه نساء هذا القصر كالاقحوان الغض او كالورد في اكمامه بثغور كاللؤلؤ ونكهة كشذا الريحان وصوت كنغمات الالحان · وهذه الفقرات في وصف الافواه ونضرتها والثغور ونصاعتها ولنذكر هنا قول الشعراء في وصف الافواه و الثغور قال جميل

ورَاحٍ . أَوِ الشَّفَقِ فِي الصَّبَاحِ [١] . وَرْدٌ يُفَتِّحهُ النَّظَرُ . وَيُشَعْشِعُهُ الْخَفَرُ . كَأَنَّ حَيَاءَهُ الْجُلَّنَارُ . وَبَيَاضَهُ مَاءٌ وَاقِفٌ جَارٍ [٢]

إِذَا مَشَيْتِ عَلَى الْحَصْبَاءِ صَيَّرَهَا
شُعَاعُ خَدَّيْكِ يَاقُوتاً وَمُرْجَاناً [٣]

تمنيت منها نظرة وهي واقف   تريك نقيًّا واضح الثغر اشنبا
كأن عريضًا من فضيض غمامة   هزيم الذرى تمري له الريح هيدبا
يصفق بالمسك الذكي رضابه   اذا النجم من بعد الهدو تصوبا

وقال عمر بن ابي ربيعة

يمج ذكي المسك منها مفلج   نقي الثنايا ذو غروب موشر
يرف اذا تفتر عنه كانه   حصى برد او اقحوان منور

وقال عبيد الله بن عبد الله بن ظاهر

واذا سالتك رشف ريقك قلت لي   أخشى عقوبة مالك الاملاك
ما ذا عليك جعلت قبلك في الثرى   من ان أكون خليفة المسواك

وقال الهذلي

وما صهباء صافيــة لصب   كلون الصرف منجاب قذاها
تشج بنطفــة من ماء مزن   أحلتــه برضراض عراها
باطيب مشرعا من طعم فيها   اذا ما طار عن سنة كراها

(١) الاخدود الحفر في الارض

(المعنى) يقول ان لهن خدود حمر كالنار المتقدة أو كالتفاح في حمرته او كالراح الممزوجة بالماء أو كحمرة الشفق عندالصباح

(٢) يشعشعه أي يرققه . الخفر الحياء . الجلنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة زهر الرمان

(المعنى) يقول ان هذه الخدود كالورد في أكمامه تتفتح من النظر اليها كما يتفتح الورد من سقوط الندى عليه فكانما احمرارها الجلنار وكانما ابيضاضها في لمعانه وتموجه ماء واقف جار

(٣) الياقوت حجر معروف . والمرجان كذلك .

وَقَدِ اتَّشَحْنَ بُرُودًا مِنْ إِبْرِيسِمٍ وَخَزٍّ . وَاسْتَبْرَقٍ وَقَزٍّ . كَأَنَّهَا رَقْرَاقُ السَّرَابِ . أَوْ بُرُودُ الشَّبَابِ . وَكَأَنَّ أَلْوَانَهَا أَصِيلٌ شَفَّ عَنْهُ غَمَامٌ . أَوْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ فِي أَطْوَاقِ الْحَمَامِ ١

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا
تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ
كَمَا اسْتَعَانَتْ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا
كَأَنَّ إِخْمَصَهَا بِالشَّوْكِ مُنْتَعِلُ

(المعنى) يقول انك ايتها الحسناء اذا مشيت على الحصباء اكسبتها لون خديك لانعكاس اضوئهما عليها فصارت قطعها كقطع الياقوت والمرجان الاحمرين وهذه الفقرات ايضاً وصف فيها لمؤلف الخدود ونضارتها واتذكر هنا معنى من المعاني الشعرية يناسب هذا الموضوع وهو . عاتب عاشق معشوقته حتى اخجلها بعتابه فتورد خداها حياءً وخفراً فحسنت في عينه فاقتطف منها قبلة فسألته في ذلك بغضب فقال لها هذا غرسي الذي غرسته وقد جنيته فكان اعتذاره هذا من احسن الاعتذارات في موقف مثل هذا الموقف

(١) اتشحن لبسن الاوشحة . الابريسم الحرير . الخز اسم دابة ثم اطلق على الثوب المتخذ من وبرها . الاستبرق غليظ الديباج . القز ضرب من الابريسم . رقراق السراب ما تلألأ منه برود الشباب كناية عن غضاضة الصبا ونضارته

(المعنى) يقول وحسان هذا القصر قد لبسن برودًا من حرير عليها صور الرجال والدنانير وغير ذلك فهي عليهن تلمع كما تلمع السراب او كأنها لحسنها نضارة الصبا وبهجته وكأن الوانها في اصفرارها لون الاصيل تحت ستار الغمام أولون أشعة الشمس اذا انعكست عن اطواق الحمام وهي تشبيهات جميلة

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ الْمِسْكُ أَصْوِرَةً
وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ ١

---

(١) الغراء البيضاء الواضحة والجمع غرد وغران · الفرعاء التامة الشعر · مصقول عوارضها اي مصقولة صفحة الخد · الهوينا المهل · تمشي الوجى اي يمشي مشية الرقيق القدم الحافي · الوحل وزان كتف الماشي في الوحل · الوسواس صوت الحلي · العشرق كَزِبْرِج جمع عشرقة وهي شجرة قدرذراع لها حب صغار اذا جفت صوتت بمر الريح · زجل اي للريح صوت في خلاله · هِرْكَوْلة كبرذونة الحسنة الجسم والخلق والمشية والضخمة المرتجة الارداف · الفنق بضمتين الجارية المنعمة · درم مرافقها اي لا تستبين كعوبها ومرافقها من الشحم واللحم · الاخمص باطن القدم · الاصورة جمع صوار بالضم ويكسر الرائحة الطيبة والقليل من المسك · الزنبق دهن الياسمين · الورد اي الذي له رائحة الورد · الاردان جمع ردن بالضم وهو الكم من الثوب · الشمل اسم من شمل الامر اي عمّ

(المعنى) هذه الابيات من قصيدة للاعشى ميمون بن جندل الاسدي ومطلعها

ودع هريرة ان الركب مرتحل   وهل تطيق وداعا ايها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها   تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها   مر السحابة لا ريث ولا عجل

وهي طويلة جدًّا تنوف عن الستين بيتًا من الشعر العربي البليغ واورد صاحب الاغاني ان الشعبي قال الاعشى اغزل الناس في بيت واخنث الناس في بيت واشجع الناس في بيت وكلهم تضمنتهم هذه القصيدة فاما اغزل بيت فقوله

غراء فرعاء مصقول عوارضها   تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل

واما اخنث بيت فقوله

قالت هريرة لما جئت زائرها   ويلي عليك وويلي منك يا رجل

واما اشجع بيت فقوله

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا   او تنزلون فانا معشر نُزُل

ومعنى الابيات التي جاءت في المتن يقول ان كل حسناء من الحسان اللواتي في القصر بيضاء واضحة ذيالة الشعر براقة صفحة الخد فاذا مشت كان مشيها الهوينا والتؤدة كما يمشي الحافي الاقدام

وَعَلَيْهِنَّ الْحَلْيُ مِنْ أُرْبَةٍ وَدَاحٍ · وَيَارَجٍ وَوِشَاحٍ · وَقَرْمَلٍ وَعِضَادٍ وَنَقْرِسٍ وَزِرَادٍ[١] · خَاتَمٌ فَارِدٌ · كَأَنَّهُ عُطَارِدُ · وَسِوَارٌ لَمَّاعٌ · كَأَنَّهُ الْهِلَالُ فِي الذِّرَاعِ[٢]

نَكَسْتِ قُرْطَيْكِ تَعْذِيبًا وَمَا سِحْرًا

في الوحل ولا تسمع منها غير وسوسة الحلي فكأن صوته صوت ذلك الشجر المسمى بالعشرق اذا يبس ومرت به الريح فهي ضخمة الجسم مملوءته فلا يبين لها كعب ولا مرفق او كانها في مشيتها قد انتعلت بالشوك فهي تهتز ذات اليمين وذات اليسار واذا قامت تارج المسك منها وذكت رائحتها وشممت من اردانها رائحة دهن الياسمين · و يعجبني من هذه القصيدة قوله بعد هذه الابيات

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً باطيب منها نشر رائحة ... ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

(١) الاربة بالضم القلادة · الداح السوار · اليارج بفتح الراء القلب والسوار · الوشاح بالضم والكسر كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر · القرمل ضفائر من شعر او صوف او ابريسم تصل به المرأة شعرها · العضاد الدملج · النقرس شيء يتخذ على صنعة الورد تغرزه المرأة في رأسها · الزراد المخنقة

(المعنى) يقول وعلى نساء هذا العصر حلي في لباتهن وعلى رؤوسهن واوساطهن وفي مرافقهن وذكر أنواع الحلي التي كانت للعرب وشابهها من صنعة هذا العصر وهو غاية في البراعة وقدرة من المؤلف على حسن الصياغة

(٢) الفارد اسم فاعل يقال شيء فارد أي متفرد · عطارد نجم من الخنّس معروف يصرف ويمنع من الصرف · السوار القلب وهو حلية كالطوق تلبسه المرأة في زندها · الذراع منزل للقمر ينزله في الليلة السابعة من الشهر وهو ذراع الأسد

(المعنى) يقول و باصبع كل حسناء خاتم كأنه عطارد بريقاً ولمعاناً وفي ذراعها سوار لامع كانه الهلال في الذراع وهو منزلة من منازل القمر وهنا تورية جميلة وهي تشبيه السوار بالهلال وذراع الحسناء بالمنزلة التي في السماء المسمّاة بالذراع

أَخِلْتِ قُرْطَيْكِ هَارُوتًا وَمَارُوتَا [١]

***

ثُمَّ صَدَحَتِ الْمُوسِيقَاتُ . وَتَرَنَّمَتِ الْكِنَّارَاتُ . مِنْ دِرِّيجٍ وَصَنْجٍ وَزَمْخَرٍ وَوَنَجٍ [٢]

عَمَدْنَ لِإِصْلَاحِ أَوْتَارِهِنَّ
فَأَصْلَحْنَهُنَّ وَأَفْسَدْنَنِي [٣]
وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيهَا وَلَكِنْ
شَجَتْ قَلْبِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا [٤]

---

(١) القرط هو الذي يعلق في شحمة الاذن من درة ونحوها . هاروت وماروت قيل كانا ملكين وقيل انهما رجلان وكانا مشهورين بعمل السحر

(المعنى) يقول انك قد أدليت قرطيك لعذاب الناظرين اليك وما اثرا فينا تأثير السحر أتظنين ان قرطيك هما الساحران المشهوران هاروت وماروت

(٢) صدح رفع صوته بغناء . الموسيقى فن الغناء وهي كلمة يونانية . ترنم طرب صوته وغنى غناء حسناء . الدريج شيء كالطنبور يضرب به . الصنج صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى مثلها الطرب دخيل جمع صنوج . الزمخر المزمار الكبير الاسود . الونج ضرب من الاوتار او المعزف

(المعنى) يقول ثم سمعنا بعد ذلك الغناء على آلات الطرب وذكر اسماءها العربية التي وافقت مثلها من الآلات الافرنجية

(٣) الاوتار جمع وتر وهو شرعة القوس ومعلقها

(المعنى) يقول ان المغنيات بهذا القصر قد اخذن في اصلاح الاوتار للغناء ولكن لم يدرين أن في اصلاحها فساد السامع

(٤) الشجو الهم والحزن

فَكَأَنَّمَا جَاوَبَ الْبُلْبُلُ الْهِزَارَ · فِي الْأَسْحَارِ · وَشَدَا مُخَارِقُ وَزِنَامُ · بِالْأَنْغَامِ · ¹
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْأَصْوَاتُ نَسِيمٌ عَلِيلٌ · وَالْقَوْمُ أَغْصَانٌ · ² وَكُلُّ آلَةٍ صُورُ إِسْرَافِيلَ ·
يَنْفُخُ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَبْدَانِ ³ · وَإِذَا بِالْفِتْيَانِ · وَالْغِيدِ الْحِسَانِ · وَالْإِسْوَارِ · وَذَاتِ

(المعنى) يقول فلما نطقت الاوتار لم افهم لها معنى لاختلاف حركاتها وانغامها ولكني لا اجهل ما تركته في نفسي من الهم والحزن

(١) جاوب حاور · البلبل طائر صغير الجثة سريع الحركة يضرب به المثل في طلاقة اللسان · الهزار بالفتح العندليب جمع هزارات — مخارق ومخارق هذا هو ابن يحيى بن ناموس مولى الرشيد ويكنى ابا المهنا كناه الرشيد بذلك وكان قبله لعاتكة بنت شهدة وهي من المغنيات المحسنات وقد علمته مولاته طرفاً من الغناء ثم انه اخذ عن ابراهيم الموصلي وبرع في الغناء وكان حسن الصوت ذكر هارون بن مخارق قال كان ابي اذا غنى هذا الصوت

يا ربع سلمى لقد هيجت لي طرباً زدت الفؤاد على علاته وصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه عفر الظباء وظلمانا به عُصبا

يبكي ويقول انا مولى هذا الصوت فقلت له وكيف ذاك يا ابت فقال غنيته مولاي الرشيد فبكى وشرب عليه رطلاً ثم قال احسنت يا مخارق فسلني حاجتك فقلت ان تعتقني يا امير المؤمنين اعتقك الله من النار فقال انت حر لوجه الله فأعد الصوت فأعدته فبكى وشرب رطلاً ثم قال احسنت يا مخارق فسلني حاجتك فقلت ضيعة تقيمني غلتها قال قد امرت لك بها اعد الصوت فاعدته فبكى وقال سل حاجتك قلت تأمر لي بمنزل وفرش وخادم قال ذلك لك اعد الصوت فاعدته فبكى وقال سل حاجتك فقبلت الارض بين يديه وقلت حاجتي ان يطيل الله بقاءك ويديم عزك ويجعلني من كل سوء فداءك فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي · وتوفي مخارق في اول خلافة المتوكل وقيل في آخر خلافة الواثق رحمه الله — زنام هو احد الزامرين المشهورين

(المعنى) يقول انه لما صدحت الآلات فكأنما ترنم البلبل فردد صوته العندليب في وقت السحر او كانما تساند مخارق مع زنام في الغناء

(٢) (المعنى) يقول ان هذه الاصوات كانها لتاثيرها على الاجسام وترنيحها لها نسيم وكانما تلك الاجسام غصون تهتز للغناء كما تهتز الغصون للنسيم

(٣) صور اسرافيل هو الصور الذي ينفخ به اسرافيل الارواح في الابدان يوم القيامة

(المعنى) يقول وكانما كل آلة من آلات الغناء صور اسرافيل فاذا نفخ فيه الزامر فكانما اسرافيل ينفخ الروح في الجسم للحياة الاخرى

ولقد اختلف الناس في الغناء فاجازه عامة اهل الحجاز وكرهه عامة اهل العراق . قال رجل للحسن البصري ما تقول في الغناء يا ابا سعيد قال نعم العون الغناء على طاعة الله يصل الرجل بهِ رحمه و يواسي به صديقه قال الرجل ليس عن هـذا اسألك قال وعمّ سألتني قال ان يغني الرجل قال وكيف يغني فجعل الرجل يلوي شـدقيه وينفخ منخريه قال الحسن والله يا ابن اخي ما ظننت ان عاقلاً يفعل هذا بنفسه أبدًا . وقد اختلفوا مرة في الغناء عند محمد بن ابراهيم والي مكة فارسل الى ابن جريج فاتاه فسأله فقال ابن جريج لا بأس به شهدت عطاء بن ابي رباح في ختان ولده وعنده ابن سريج المغني فكان اذا غنى لم يقل له اسكت واذا سكت لم يقل له غنّ واذا لحن رد عليه . وحدث ابراهيم بن سعد الزهري قال قال لي الرشيد بلغني ان مالك بن انس يحرم الغناء فقلت يا امير المؤمنين أو لمالك ان يحرم ويحلل والله ما كان ذلك لابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم الاّ بوحي من ربه فمن جعل هـذا لمالك فشهادتي على ابي انه سمع مالكاً في عرس بن حنظلة الغسيل يتغني

سليمى ازمعت بينا فأين بوصلها اينا

ولو سمعت مالكاً يحرمه ويدي تناله لاحسنت ادبه . وكان ابن دريد من احفظ الناس لكلام العرب وقد قال ابن شاهين كنا ندخل عليه ونستحي مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفي وساله سائل مرة . فلم يكن عنده شيء غير دن من نبيذ فتصدق به عليه وحدث ابن قتيبة قال وأول من قرأ القرآن بالالحان عبيد الله بن ابي بكرة وكانت قراءته ليست على شيء من الحان الغناء - ثم اخذ ذلك عنه حفيده عبد الله بن عمر وعنه اخذ الاباضي وعن الاباضي اخذ سعيد العلاف وكان الرشيد يعجب بقراءة سعيد وكان يعرف بقارىء امير المؤمنين . وكان القراء هم الهيثم وابان وابن اعين وغيرهم يدخلون في القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية فنهم من كان يدس الشيء من ذلك دساً ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه فمن ذلك قراءة الهيثم (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) سلخه من صوت الغناء كهيئة

اما القطاة فاني سوف انعتها نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

وكان ابن اعين يدخل الشيء ويخفيه

السِّوَارِ . قَدْ وَثَبُوا لِلْفَنْزَجِ . فِي الْمَدْرَجِ

وَكُلُّ غُصْنٍ بِغُصْنٍ صَارَ مُعْتَنِقَا

مَسَرَّةً كَاعْتِنَاقِ اللاَّمِ بِالأَلِفِ [٢]

وَإِذَا فَلَكٌ يَدُورُ بِالْكَوَاكِبِ . مِنَ الْكَوَاعِبِ . وَإِذَا إِعْصَارٌ . أَوْ حَرْفٌ جَارٌّ . أَوْ مَهَارَى فِي خَبَبٍ . أَوْ نُجُومٌ ذَوَاتُ ذَنَبٍ [٣]

---

(١) الغيد جمع غيداء وهي المرأة المتثنية ليناً . الاسوار الوجيه من الناس . ذات السوار اي صاحبة السوار وهو كناية عن المرأة (الفنزج رقص للعجم يأخذ بعضهم بيد بعض) وقد اطلق السيد المؤلف على هذه الرسالة اسم الفنزج بدل (البالو) لانها كانت مستعملة في العرب ونفوراً من كلمة افرنجية تدخل على اللغة العربية وفي اللغة غناء عنها ولقد جاءت هذه اللفظة في ارجوزة من اراجيز العجاج قال في مطلعها

ماهاج احزاناً وشجواً قد شجا من طلل كالاتحمي انهجا
امسى لعافي الرامسات مدرجا واتخذته النائجات منأجا

الى ان قال يصف بقر الوحش

يتبعن ذيالاً موشى هبرجا فهن يعكفن به اذا حجا
بربض الارطى وحقف اعوجا عكف النبيط يلعبون الفنزجا

المدرج المذهب والمسلك

(المعنى) يقول فما سمعنا من الغناء قليلاً الاّ وقد قام الفتيان وتعاضدوا مع الحسان ووثب الجميع للرقص

(٢) اعتناق اللام بالالف كلفظة لا

(المعنى) يقول فما هي الاّ فترة حتى صار كل قد ملتوياً على قد مثله فرحا وسروراً كاعتناق لام لا بالفها وتلازمها

(٣) الفلك مدار النجوم . الاعصار ريح ترتفع بتراب بين السماء والارض وتستدير كانها عامود . الحرف الجار هو الحرف الذي يجر الاسماء . الخبب مراوحة الفرس بين يديه ورجليه وقيل السرعة . النجوم ذوات الذنب هي نجوم تتساقط من السماء في اوقات معلومة يعرفها الفلكيون

وَمَهْمَهٍ فِيهِ السَّرَابُ يَلْمَحُ
يَدْأَبُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا
ثُمَّ يَظَلُّونَ كَأَنْ لَمْ يَبْرَحُوا [١]

فَنَاهِيكَ بِسَيْرِ النَّضْنَاضِ عَلَى الرَّضْرَاضِ [٢] . أَوْ مَشْيِ الْقَطَا الْكُدْرِيِّ فِي الدَّمْثِ النَّدِيِّ [٣] . وَنَفْرَةِ السِّرْبِ . لِلشِّرْبِ . حَرَكَاتٌ كَأَنَّهَا لِخِفَّتِهَا سُكُونٌ . وَسَيْرٌ كَسَيْرِ الشَّمْسِ لاَ تَسْتَبِينُهُ الْعُيُونُ . وَأَمْشَاطٌ لاَ تَكَادُ تَمَسُّ الْأَرْضَ . كَأَنَّهَا

(المعنى) يقول فلما اخذن في الرقص فاذا هن كالفلك الدائر بالنجوم او الاعصار وهي الريح التي تلتف على نفسها او انهن مهارى يمشين الخبب لاهتزازهن ساعة الرقص • او انهن النجوم ذوات الذنب وهي اذيالهن المجرورة وراءهن

(١) المهمة المفازة البعيدة • السراب ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض • يلمح يلمع • يدأب الداب التعب • الطلح الاعياء

(المعنى) يقول ان هذا المرقص كالبيداء التي يموج سرابها والراقصات كالضاربين فيها فانهم كلما ساروا طالبين الماء اذ تراءى لهم السراب كلما بعد عنهم ذلك السراب فكانهم بعد التعب والنصب في السير لم يسيروا فكذلك الراقصات فان الناظر اليهن يراهن يتعبن انفسهن جيئة وذهوباً وهن لم يبرحن كانهن

(٢) النضناض الحية العظيمة • الرضراض مادق من الحصى

(المعنى) يقول ان حركاتهن اثناء الرقص مختلفات فمنها ما اشبهت سير الافعى على الحصى فانها تتلوى وتمتد وتنطوي وتنتشر

(٣) القطا الكدري طائر في حجم الحمام صوته قطا قطا والكدري ضرب منه غبر الالوان رقش الظهور صفر الحلوق • الدمث الندي المكان ذو الرمل اللين

(المعنى) يقول ومنها ما يشبه مشي القطا في الارض الندية اللينة اذ لا يسمع لها صوت لخفتها ولين الارض

آسٍ يجسُّ النَّبْضَ [١]

يُحاذِرْنَ وطْءَ الأرْضِ حتّى كأنما
يَطأْنَ بظَهْرِ الأَرْضِ هامَةَ أَصْيَدِ [٢]

وكأَنَّما الخُصُورُ ماءٌ . والصُّدُورُ هواءٌ . والأَعْنَاقُ . أَطْوَاقٌ . والسَّوَاعِد . مَسَانِدٌ . والأَلْحَانُ . مِيزَانُ [٣]

مِنْ كُلِّ مَائِسَةِ الأَعْطَافِ يَجْذِبُهَا
مَوّارُ دِعْصٍ مِنَ الكُثْبَانِ مَمْطُورِ
تَرْعَى الضُّرُوبَ بكَفَّيْهَا وَأَرْجُلِهَا
وَتَحْفَظُ الأَصْلَ مِنْ نَقْصٍ وَتَغْيِيرِ

---

(١) الامشاط جمع مشط وهو القدم . الآس الطبيب . النبض في الحيوان هو حركة القلب والعروق تكون سريعة او بطيئة كثيرة او نادرة متساوية او مختلفة يستدل بها على حالة الجسم من صحة او مرض

(المعنى) يقول وكأنهن لخفتهن وسرعة حركاتهن في الرقص يكدن ان لا يمسسن الارض كما يجس الطبيب نبض المريض بخفة ولين

(٢) الهامة الراس . الاصيد الملك الذي لا يلتفت من زهوه يميناً او شمالاً

(المعنى) يقول انهن يحاذرن ان يطأن الارض باقدامهن في الرقص فكأن الارض هامة ملك جبار يخفن قدرته ان وطئن هامته

(٣) الخصور جمع خصر وهو وسط الانسان وهو المستدق فوق الورك . المساند جمع مسند وهو ما استندت عليه

(المعنى) يقول وكأن خصورهن في تأودها ولينها ماء وكأن صدورهن في رفرفتها ساعة الرقص هواء وقد التف العنق بالعنق فصار له كالطوق والتوى الذراع على الذراع فاضحى له كالمسند والحان الغناء كالميزان يزن به الرقص خوفاً من خروجهن عن اصوله

وَتُعْرِبُ الرَّقْصَ مِنْ لَحْنٍ فَتَلْحِقُهُ
مَا يَلْحَقُ النَّحْوَ مِنْ حَذْفٍ وَتَقْدِيرِ
وَفِي يَدَيْهَا غَضِيضُ الطَّرْفِ ذُو هَيَفٍ
صَاحِي اللَّوَاحِظِ يَثْنِي عِطْفَ مَخْمُورِ
تَظَلَّمَتْ وَجْنَتَاهُ وَهْيَ ظَالِمَةٌ
وَطَرْفُهُ سَاحِرٌ فِي زِيِّ مَسْحُورِ [1]

***

وَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ شَطْرَيْنِ . وَأَمْسَى بَيْنَ بَيْنَ . رُفِعَتِ الرِّيَاطُ . عَنْ قَاعَةِ السِّمَاطِ [2] . فَإِذَا زُخَارِيُّ وَرُوَاءٌ . وَزِبْرِجٌ وَبَهَاءٌ . وَبُنُودٌ تَخْفُقُ . وَتَهَاوِيلُ

---

(١) المائسة المائلة المتبخترة . الاعطاف جمع عطف وهو الجانب . الموّار المائج المضطرب وهو فعال للمبالغة . الدعص كثيب الرمل المجتمع . الكثبان جمع كثيب وهو التل من الرمل يسمى به لانه انكثب اي انصب في مكان فاجتمع فيه . الممطور اي الذي اصابه المطر . الضروب جمع ضرب وهو الجزء الاخير من المصراع الثاني من البيت . الحذف والتقدير يجوز الحذف والتقدير في جملة مسائل ليس هذا موضعها . غضيض الطرف اي الطرف الفاتر المسترخي الاجفان . الهيف النحول . المخمور من اصابه الحميا من السكر

(المعنى) يقول ان كل واحدة منهن مائلة العطف اذا قامت جذبها كفل رجراج يكاد يقعدها فهي تراعي في الرقص حركات الضروب من الشعر الملحن على الانغام بيديها ورجليها وتحفظ اصله فلا يدخل عليه نقص او تغيير فهي عالمة به بحيث اذا كان ملحناً اعربته وألحقت الحذف والتقدير به كما يلحقان النحو ويرقص معها شاب فاتر اللحظ صاحيه اهيف القد يثني عطف الثمل النشوان فاذا احمرت وجنتاه من الرقص فكانما تظلمتا من التعب والاين ولكنهما ظالمتان لمن ينظر اليهما وكذلك طرفه فانه يرى لفتوره وتكسره انه مسحور ولكنه هو الساحر

(٢) الشطر النصف . بينَ بين بين ظرف بمعنى وسط ومعنى بين بين اي بين الجيد

تَأْلَقُ • وَصِحَافٌ مِنْ جزَعٍ • وَجَامٌ مِنْ يَنَعٍ • وَغَرَبٌ وَأَكْوَابٌ • وَصَرَاحِيَاتٌ وَعِلَابٌ • وَقَذْمُورٌ وَوَرْسِيٌّ • وَخَزَفٌ صِينِيٌّ [١] • وَفِي كُلِّ رُكْنٍ رَوْضَةٌ مُعْشِبَةٌ • وَبَنَانَةٌ مُخْصِبَةٌ • وَنَوَرْدَجَةٌ نُوَّارٍ • وَرِعْلَةٌ أَرْطَابٍ وَأَزْهَارٍ • فَكَأَنَّمَا القَاعَةُ جَوْنَةُ عَطَّارٍ • أَوْ أَيْكَةٌ غِبَّ قِطَارٍ • [٢] وَبَيْنَ ذَلِكَ سِمَاطُ الْمُعِزِّ فِي قَاعَةِ الذَّهَبِ • وَجَفْنَةُ ابْنِ جُدْعَانَ فِي الْعَرَبِ [٣] • وَقِطَعٌ مِنْ نُونٍ • وَلَحْمُ طَيْرٍ مِمَّا

والردئي او خلافه وهو تركيب مزجي واصلها بين و بين منصوب الجزئين كخمسة عشر • الرياط جمع ريطة وهي الملاءة • السماط سماط الطعام ما يبسط ليوضع عليه

(المعنى) يقول ولما انتصف الليل وامسى على شطرين رفعوا الغطاء عن الموائد

(١) الزخاري يريد الزخرف • الرواء حسن المنظر • الزبرج الزينة • البهاء الحسن والظرف • البنود جمع بند وهو العلم • تخفق تضطرب • التهاويل الزينة والتصاوير والنقوش والحلي • تألق اي تضيء وتلمع • الصحاف جمع صحفة وهي قصعة كبيرة منبسطة • الجزع حجر نفيس • الجام الاناء • الينع العقيق • الغرب القدح • الاكواب جمع كوب وهو كوز مستدير الرأس لا عروة له • الصراحيات جمع صراحية وهي آنية للخمر • العلاب جمع علبة وهي قدح ضخم • القذمور الخوان من الفضة • الورسي اقداح النضار • الخزف ما صنع من الطين وسوي بالنار فصار فخاراً • الصيني نسبة الى الصين

(المعنى) يقول فلما انكشف الغطاء عن موائد الطعام فاذاهي قد زخرفت بالنباتات الناضرة والزينات الجميلة والتصاوير المتقنة واذا الاواني من فضة وذهب وعقيق وخلافه

(٢) البنانة الروضة • النوردجة الطبق الذي يوضع عليه الازهار • الرعلة الاكاليل من ريحان وآس • الارطاب جمع رطب وهو اطيب الازهار • الجونة بالضم سليلة مغشاة بالادم عند تكون العطارين • الايكة الشجرة • غب قطار اي بعد مطر

(المعنى) يقول وفي كل ركن من اركان غرفة الطعام روضة من الرياض وطبق عليه ازهار واكاليل من آس وريحان فكان الغرفة لرائحتها الزكية سليلة عطار او كانها شجرة قد بللها المطر فانتشرت رائحتها وتأرج طيبها

(٣) المعز هو المعز لدين الله الفاطمي احد الملوك الفاطميين وفاتح مصر القاهرة ومؤسسها على

يَشْتَهُونَ • وَطَبَاهِجَةٌ وَخُرذَابٌ • وَصَلاَئِقُ وَصِنَابٌ • وَالسِّلَّجُ وَالرَّشْرَاشُ • وَالقَتَنُ وَالْهَشَاشُ [1] • وَالْفَانِيذُ وَالْمُسَيَّرُ • وَاللَّوْزِينَجُ وَالْمُزَعْفَرُ [2] • وَأَثْمَارٌ جَنِيَّةٌ • مِنْ

يد كاتبه جوهر القائد الشهير — وقاعة الذهب قلنا ان القصر الكبير كان يحوي قصوراً صغيرة في داخله سميت باسماء مخصوصة فمن تلك القصور قصر الذهب او قاعة الذهب وكان يوضع فيها سماط مشهور في ايام المواسم وصفه المقريزي — جفنة بن جدعان في العرب فابن جدعان هو عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب الجواد المشهور في الجاهلية صاحب الجرادتين وهما أمتان مغنيتان وقد وهبهما لشاعره امية بن ابي الصلت • قال ابو عبيدة كان ابن جدعان سيداً في قريش فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ فسال عنه فقيل له الفالوذ قال وما الفالوذ قال لباب البر يلبك مع عسل النحل قال ابغوني غلاماً يصنعه فاتوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدم به مكة معه ثم امره فصنع له الفالوذ بمكة فوضع الموائد بالابطح الى باب المسجد ثم نادى مناديه الا من اراد الفالوذ فليحضر فحضر الناس فكان فيمن حضر امية بن ابي الصلت فقال فيه

ومالي لا احييه وعندي — مواهب يطلعن من النجاد
لابيض من بني تيم بن كعب — وهم كالمشرفيات الحداد
لكل قبيلة هاد ورأس — وانت الرأس تقدم كل هادي
له داع بمكة مشمعلّ — وآخر فوق دارته ينادي
الى ردح من الشيزى ملاء — لباب البر يلبك بالشهاد

(المعنى) يقول وفوق ذلك السماط من الجفان ما يشبه جفان ابن جدعان في العرب عظمة وكبر حجم او كأن هذا السماط سماط المعز في قاعة الذهب فان المعز كان كريماً جواداً مطروق الساحة كثير الضيفان

(١) النون الحوت • الطباهجة طعام من بيض وبصل ولحم مشرح • الخوذاب نوع من انواع الطعام • الصلائق جمع صليقة وهي القطعة المشواة من اللحم • الصناب الخردل بالزبيب • السلج اصداف بحرية فيها شيء يؤكل • الرشراش اللحم الخارج من التنور تقطر مادته • القتن سمكة عريضة قدر راحة الكف • الهشاش خبز رخو لين

(المعنى) يقول وعلى موائد الطعام كل هذه الاصناف من الاطعمة وذكر اسماءها جميعاً مما وافقت الاطعمة الافرنجية •

(٢) الفانيذ ضرب من الحلواء • المسير نوع من الحلواء • اللوزينج من الحلواء شبه

مِشْلَوْزٍ وَمُلَّاحِيَّةٍ . وَجَوْحٌ صِنْوَانٌ . وَمِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ [١] . وَرَحِيقٌ . مِنْ قَرْقَفٍ وَقَنْدِيلٍ . وَدَاذِيٍّ وَسَلْسَبِيلٍ . فِي رِيحِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ . وَمِزَاجِ الْعِضْرِسِ وَالْبَنْدِ [٢] . مَوَائِدُ لَا يَفْنَى مَا عَلَيْهَا وَلَا يَنْفَدُ . كَأَنَّهُ نَعِيمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ كُلَّمَا فَنِيَ يَتَجَدَّدُ [٣]

وَفِتْيَةٍ كَالرُّسُلِ الْقِمَاحِ
بَاكَرْتُهُمْ بِأُكُلٍ وَرَاحِ

القطائف يؤدم بدهن اللوز . المزعفر الفالوذ

(المعني) يقول ومن اصناف الطعام الموجودة على هذه الموائد انواع الحلواء وذكر اسماءها

(١) المشلوز المشمش الحلو . الملاحية العنب . الجوح جمع جوحة وهي البطيخة الشامية . صنوان أي متجاوران

(المعني) يقول ومن الاطعمة اصناف الفواكه من بطيخ وخلافه صنوانا صنوانا وازواجا ازواجا — حدث ابراهيم بن المهدي قال زارني الرشيد بالرقة وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب اليه منها جاما فيه سمك فاستصغر القطع فقال لم صغر طباخك تقطيع السمك فقلت يا امير المؤمنين هذه السنة السمك قال فيشبه ان يكون في هذا الجام مائة لسان فقال مراقب الخادم يا امير المؤمنين فيه اكثر من مائة وخمسين فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك فاخبره انه قام بأكثر من الف درهم فرفع الرشيد يده وحلف ان لا يطعم شيئاً دون ان يحضره الف درهم فلما حضر المال امر ان يتصدق به وقال ارجو ان يكون كفارة لسرفك في انفاقك ثم ناول الجام بعض الخدم وقال اول سائل تراه فادفع اليه هذا الجام

(٢) الرحيق الخمر . القرقف الخمر . القنديل من اسماء الخمر . الداذي الخمر . السلسبيل مثله . العضرس اطيب الماء . البند الذي يسكر من الماء وهي كلمة لغوية نفيسة

(المعنى) يقول وقد جاء على هذه الموائد من اصناف الخمر كلما عتق وقدم وقد ذكر اسماءها العربية

(٣) (المعنى) يقول ان هذه الاطعمة لكثرتها كلما فرغ شيء جاؤا بغيره فكانت كطعام اهل الجنة كلما فني يتجدد غيره وهذا معنى حسن جميل

وَزَعفَرَانٍ كَدَمِ الْأَذْبَاحِ
وَقَيْنَةٍ وَمِزْهَرٍ صَدَّاحِ (١)

٭٭٭

(١) الرسل الناقة السهلة السير • القماح جمع قامح وهو الذي يرفع راسه عند الحوض ويمتنع في الشرب • الأذباح الذبائح • القينة الامة المغنية • المزهر العود يضرب به ويقال له البربط ايضاً • الصدّاح فعال للمبالغة وهو الصائح بصوته • ولنذكر هنا قول الشعراء في العود والطنبور فمن ذلك قول بعضهم وقد اجاد في وصف العود

وعود له نوعان من لذة المنى ... فبورك جان يجتنيه وغارس
تغنت عليه وهو رطب حمامة ... وغنت عليه قينه وهو يابس

وقال آخر في مغنية

كانما رقة مسموعها ... رقة سلوى سقيت دمعه
غنت فلم تحوج الى زامر ... هل تحوج الشمس الى شمعه

وقال ابن الرومي في مغنية

ظبية تسكن القلوب وترعا ... ها وقمرية لها تغريد
تتغنى كانها لا تغني ... من سكون الاوصال وهي تجيد
مدّ في شأو صوتها نفس كا ... ف كانفاس عاشقيها مديد
وارق الدلال والغنج منه ... وبراه الشجا فكاد يبيد
فتراه يموت طورا ويحيا ... مستلذ بسيطه والنشيد
وتر العزف في يديها مضاه ... وتر الزحف فيه سهم شديد
واذا ما انتضته للشرب يوما ... ايقن القوم انها ستصيد
معبد في الغناء وابن سريج ... وهي في الضرب زلزل وعقيد
عيبها انها اذا غنت الا ... حرار ظلوا وهم لديها عبيد
ليت شعرى اذا ادام اليها ... كرة الطرف مبدئٌ ومعيد
اهي شيءٌ لا تسام العين منه ... ام لها كل ساعة تجديد

والشعر في المغنيين كثير وقد جئنا منه هنا بما فيه الكفاية

خَمْرٌ كَأَنَّهَا الذَّبِيحُ · أَوِ الْمِرِّيخُ · خُلِقَتْ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ التَّارِيخُ · عَيْنُ الشَّمْسِ · فِي كَأْسٍ · وَيَاقُوتٌ مُذَابٌ · فِي أَكْوَابٍ [1] · شُعْلَةٌ شَعْلَاءُ · يُوقِدُهَا الْمَاءُ · بَرْقٌ فِي غَمَامَةٍ · وَوَرْدٌ فِي كِمَامَةٍ [2] · مُنًى وَمَنُونٌ · وَرِيقُ لَيْلَى فِي فَمِ الْمَجْنُونِ [3] · كَأَنَّهَا سِرَاجٌ · يُوقَدُ فِي زُجَاجٍ · أَوْ إِكْسِيرٌ · أَوْ دَمْعٌ طَايِقٌ على

---

(١) الذبيح كوكب احمر ٠ المريخ كوكب عظيم من كواكب السماء

(المعنى) يقول وثم خمر كالكوكب المتقد طال عليها القدم فكانما عصرت قبل ان يوضع التاريخ فهي في الكاس كعين الشمس ضياء ونوراً او ياقوت احمر مذاب في اقداح

(٢) الشعلاء المتوقدة · الكمامة الغلاف الذي ينشق عن الثمر ويحيط به سميت كامة لانها تستر ما تحتها

(المعنى) يقول ان هذه الخمر كالشعلة المتقدة ولكن الماء يأججها بدل ان يخمدها وهي ايضاً في الكاس كالبرق في الغمام لاحمرار هذا وابيضاض ذاك او كالوردة في كمها لم تتفتح ويكون احمرارها شديداً

(٣) المنى جمع منيـة · المنون المنية وهي الموت · المجنون وليـلى فالمجنون هو قيس ابن الملوح بن مزاحم وصاحبته هي ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة المكناة بام مالك وخـبرها مع المجنون ان المجنون كان يهواها وهما صبيان فعلق كل واحد منهما صاحبـه وهما يرعيان مواشي اهلهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه فقال بعد ذلك

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

ثم بعد ذلك زوجها ابوها من غيره فعلم بذلك قيس فاختبل عقله ومن هنا اطلق عليه المجنون وهام في الفلوات واستأنس الى الوحش في القفار وقد استعدى اهلها عليه السلطان فهدر دمه حينما شاع امره وفشا بين القبائل وسارت بشعره الركبان فمن ذلك قوله

اذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت روائع عقلي من هوًى متشعب

وقالوا صحيح مابه طيف جنة ولا الهم الاّ بافتراء التكذب

تجنبت ليلى ان يلج بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب

أَسِيرٍ . أَوْ دِينَارٌ مَنْقُوشٌ . أَوْ وَرَقُ الْمَرْدَقُوشِ [١] . أَوْ عَمُودٌ مِنْ صَبَاحٍ . بَيْنَ السُّقَاةِ وَالْأَقْدَاحِ [٢] . وَكَأَنَّ حَبَبَهَا عِقْدٌ . أَوْ دَمْعٌ عَلَى خَدٍّ . أَوْ لَأْمٌ . وَالْمَاءُ حُسَامٌ [٣] . مِنْظَارٌ يُكَبِّرُ الْمَحْسُوسَ . فِي النُّفُوسِ . إِنْ فَرَحٌ . وَإِنْ تَرَحٌ [٤] . تَبْعَثُ عَلَى الصِّدْقِ . فِي النُّطْقِ . فَتَعْقِدُ اللِّسَانَ . لِلْكِتْمَانِ [٥] . تَحَكَّمَ فِي الْعَقْلِ حُكْمُ مَنْ جَارَ . أَوْ حُكْمَ الزَّمَانِ فِي الْأَحْرَارِ [٦] . شُرْبٌ يَلَذُّهُ

الا انما غادرت يا ام مالك   صدى اينما تذهب به الريح يذهب

وهي طويلة واخبار المجنون كثيرة وما زال بهما الحب حتى دفن معها

(المعنى) يقول وقد جمعت هـذه الخمر بين لذة التمني ومرارة الموت فكانها في لذتها ريق ليلى في فم المجنون

(١) الاكسير ما يلقى على الفضـة ونحوها تحيله ذهباً وهو من خرافات الاقـدمين . ورق المردقوش جمع مردقوشة وهي نبت يزرع في البيوت وغيرها دقيق الورق كالريحان عطري الرائحة

(المعنى) يقول او كان هـذه الخمر مصباح في زجاجة او انها اكسير تحيـل شاربها من الغم الى الفرح او انها دمعة طليق على ماسور في صفائها او انها دينار منقوش لحسنها ورواءهـا او ورق المردقوش في دقته ورقته

(٢) (المعنى) يقول انها لضياءها المنبعث منها كانها عمود من نور ممتد بين الساقي والكاس

(٣) الحبب الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر . اللام جمع لامة وهي الدرع

(المعنى) يقول وكان حببها عقد في انتظامه وحباته او قطرات دمع على خد احمر وكان الماء حسام في صفائه . وكان ذلك الحبب درع تندرع به من ذاك الحسام

(٤) المنظار في الاصـل المرآة ثم استعمل حديثاً على قطعتين منعكفتين من البلور الشفاف الصافي يوضعان على العينين فيجسمان المرئي . الترح الحزن

(المعنى) يقول هي لشاربها كالمنظار اذا وضع على العينين فانه يكبر ويجسم كل شيء فهي تجسم كل شيء فان كان فرحاً فالفرح عظيم وان كان ترحاً فالترح تجعله جسيما

(٥) (المعنى) يقول انها اي الخمر تبعث شاربها على الصدق ثم تعقد لسانه كيلا يبوح باسراره

(٦) (المعنى) يقول انها تحكم على العقل حكم الظالم الجائر فتفسده او حكم الزمان في الاحرار

غَيْرُ الظَّمْآنِ . وَلاَ يَرْوَى الْمَرْءُ مِنْهُ وَهُوَ صَدْيَانٌ . وَسَقْيٌ يُنْبِتُ الْوَرْدَ فِي الْخُدُودِ . وَالرَّنَحَ فِي الْقُدُودِ[١] . كَأَنَّهَا فِي النَّفْسِ . رُوحُ الرَّجَاءِ وَرَاحَةُ الْيَأْسِ[٢] . مِنْطَادٌ يَخْرُجُ بِالنُّفُوسِ . مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ الْمَنْكُوسِ[٣] . جَمْرٌ وَلاَ شَرَرٌ . وَنَفْعٌ أَقَلُّ مِنْ ضَرَرٍ[٤]

ويعجبني قول بعض الشعراء في الصبر على حكم الزمان

تعز فان الصبر بالحر اجمل   وليس على ريب الزمان معول
فلوكان يغني ان يرى المرء جازعاً   لحادثة او كان يغني التذلل
لكان التعزى عند كل مصيبة   ونائبة بالحر اولى واجمل
فكيف وكل ليس يعد وحمامه   وما لامرئ عما قضي الله مرحل
فان تكن الايام فينا تبدلت   بؤوسا بنعمي والحوادث تفعل
فما لينت منا قنـاة صليبة   ولا ذللتنـا للذى ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة   تحمل ما لا يستطاع فتحمل

(١) الصديان الظمآن . الرنح التمايل من سكر

(المعني) يقول انها شرب لذيذ لغير الظمآن وسقي اذا شربه شاربه انبت الورد في خديه وخلق الميلة في عطفيه

(٢) (المعني) يقول انها في صدر شاربها كالرجاء والامل في اثلاجهما للصدر وكراحة اليأس فان صاحبها يجد ارتياحاً عند ما يعسر عليه مطلب ولم ينله

(٣) المنطاد كلمة حديثة تطلق على مركبة الهواء البخارية التي اخترعت حديثاً . المنكوس المقلوب .

(المعنى) يقول انها تخرج بشاربها من هذا العالم كأنه ركب منها منطاداً

(٤) (المعني) يقول انها كالجمر الذي لا شرر له ثم ختم المقال عنها بان ضررها اعظم من نفعها ولقد قال الله تعالى (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) وكثيراً ما وصف الشعراء الخمر لمجرد الوصف والخيال لا لتحسينها فمن ذلك قول الشريف الرضي

سقى الله يوماً ساعدتنا كؤوسه   على حين ما جاد الزمان بسعد

عَجِبْتُ لِمَنْ عَدَّ بَعْضَ الْبِحَارِ
تَغْرِيقَهُ نَفْسَهُ فِي قَدَحْ (١)

* * *

جلونا عليه الخمر حتي تكشفت فقاقيعها عن لونها المتورد
نفض لنا عنها حباباً كأنه قذًى يتمشى بين اجفان ارمد
وندمان صدق تسلب الراح عقله وتسلبها خداه حسن التورد
فلا زالت الايام تجري صروفها علينا بمغبوط من العيش سرمد

وقال احد شعراء العصر

لعمرك ما راحت بلبي صبابة ولا نازعتني مهجتي سورة الخمر
ولا هاجني وجد ولا رسم منزل عفاء ولكن هكذا سنة الشعر

(١) (المعنى) يقول اني لأعجب من الرجل يقطع البحار ثم يغرق نفسه في قدح صغير ·

ولنذكر اقوال الشعراء في وصف الخمر فمن ذلك قول زهير

ولقد اغدو على شرب كرام نشاوى واجدين لما نشاء
لهم راح وراووق ومسك تعل به جلودهم وماء
امشي بين قتلى قد اصيبت نفوسهم ولم تقطر دماء
يجرون البرود وقد تمشت حميا الكأس فيهم والغناء

وقال حسان بن ثابت

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل
ولها دبيب في العظام كأنه فيض النعاس واخذه بالمفصل
عبقت اكفهم بها فكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل

وقال جميل

فما بكت النساء على قتيل باشرف من قتيل الغانيات
فلما مات من طرب وسكر رددت حياته بالمسمعات
فقام يجرّ عطفيه خماراً وكان قريب عهد بالممات

وقال عبد الله بن العباس الربيعي

وَلَمَّا هَمَّ اللَّيْلُ · بِطَيِّ الذَّيْلِ · وَأَشْرَفَ الظَّلَامُ · عَلَى الانْصِرَامِ · هَبَّ الأَضْيَافُ · لِلانْصِرَافِ · فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ · يَتَكَلَّمُ بِتَرْجُمَانٍ · وَيَنْظُرُ إِلَى الأَنَامِ · بِعَيْنٍ إِنْسَانُهَا قَدْ نَامَ · تَثَبَّتَ فِي خَلَجٍ · وَتَمَاسُكٌ فِي فَلَجٍ (١) · وَإِذَا زَهْرٌ مَنْثُورٌ · وَدُخَانٌ مَنْشُورٌ · وَقَدَحٌ مَكْسُورٌ · وَجَمِيلٌ مَخْمُورٌ (٢) · وَلَيْلٌ كَالْغُدَافِ · وَنَدًى يَبُلُّ الأَطْرَافَ · وَقُرٌّ لَوْ رَمَيْتَ فِيهِ كَأْسَ الرَّحِيقِ · عَادَ عِقْدًا

ومستطيل على الصهباء باكرها   في فتية باصطباح الراح حذاق
مضي بها مامضى من عقل شاربها   وفي الزجاجة باق يطلب الباقي
فكلّ شيء رآه خاله قدحاً   وكل شيء رآه ظنّه الساقي

وقال البحتري

فاشرب على زهر الرياض يشوبه   زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشوق الذي قد ضلّ في الاحشاء
يخفي الزجاجة لونها فكأنها   في الكف قائمة بغير اناء

والشعر في الخمر ووصفها كثير في شعر الجاهلية والمخضرمين والمولدين وقد جئنا هنا بالكفاية منه

(١) طي الذيل كناية عن اخذه في الانتهاء · الانصرام الانقطاع · انسان العين حدقتها السوداء · الخلج الاضطراب وعدم الاستمساك · الفلج تباعد ما بين القدمين

(المعنى) يقول ولما اخذ الليل في الانصراف ومحا الله آيته اخذ الاضياف في هذا القصر يخرجون وقد اخذت منهم الحميا ونالت من رؤوسهم وعقدت السنتهم ودبت في مفاصلهم فاذا كل واحد منهم يتكلم بترجمان وينظر بعين ملئت بالنعاس ويمشي مشية المقيد الذي قد اختلجت افخاذه وتباعدت اقدامه

(٢) القدح الاناء · المخمور الذي غلب عليه السكر

(المعنى) يقول واذا الزهر الذي كان منتظماً قد انتثر وقد انطفأت النيران ولكن قد بقي دخانها مخيماً في الجو والاقداح مكسورة ومطروحة على البسط والفتيات قد غلب عليهن الخمار · ويعجبني قول ابي نواس في هذا المعنى

ودار ندامي عطلوها وادلجوا   بها اثر منهم جديد ودارس

مِنْ عقيقٍ ۱ · وَكَوَاكِبُ كَأَنَّهَا أَعيُنٌ حُولٌ · أَوْ زَهْرٌ مَطْلُولٌ · أَوْ عِقْدٌ مُنْتَثِرٌ · أَوْ جِلْدُ نَمِرٍ · فَمَا زَالَ الْجَمْعُ يَنْصَرِفُ · وَاللَّيْلُ يَنْكَشِفُ · حَتَّى بَدَا الصَّبَاحُ فِي التُّخُومِ · بَيْنَ النُّجُومِ · كَأَنَّهُ غَدِيرٌ مُنْبَجِسٌ · فِي رَوْضَةِ نَرْجِسٍ ۲ · أَوْ سَيْلٌ طَمَى عَلَى نُوَّارٍ · أَوْ مُلاَءَةٌ جَمَعَتْ لُؤْلُؤَ النِّثَارِ · فَغَابَ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ · كَوَاكِبُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ۳ .

***

مساحب من جرّ الزقاق على الثرى   واضغاث ريحان جنيّ ويابس
اقمنا بهـا يوماً ويوماً وثالثـاً   ويوماً له يوم الترحـل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية   حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتهـا كسرى وفي جنباتها   مهاً تدّريهـا بالقسي الفوارس
فللراح ما ذرّت عليه جيوبها   وللماء ما دارت عليه القلانس

(١) الغداف هو غراب القيظ يكون ضخم الجناحين اسودهما · الندى ما سقط آخر الليل · الطراف الثوب · القر البرد

(المعنى) يقول واذا الليل اسود كالغراب واذا الندى يتساقط كعادته في اخريات الليل واذا الجو في نهاية البرودة فلو رميت فيه كاساً من الخمر لجمد وتحجر وعاد كحبات العقيق

(٢) الحول جمع حولاء وهي التي بها حول · المطلول الذي اصابه الطل · النمر ضرب من السباع منقط الجلد نقطاً سوداً و بيضاً · التخوم جمع تخم وتُخم بفتح الفاء وضمها الفصل بين الارضين من المعالم والحدود · الغدير النهر الصغير · المنبجس المنفجر · النرجس نبت من الرياحين تشبه به الاعين

(المعنى) يقول وامست الكواكب كانها اعين اصابها الحول فهي تنظر بمأخرها او انها زهر بلله الطل او عقد انتثر وتفرقت حباته او انها جلد نمر مرقط وما زال بعد ذلك ينصرف الجمع وقد بدا الصباح في الافق وافاض نوره بين النجوم كما ينفجر الغدير في روضة نرجس

(٣) طمي ارتفع · الملاءة هي ثوب يلبس على الفخذين · النثار الجوهر او النقود التي تنثر في المواسم

(المعني) يقول او كان الصباح سيل ارتفع على نوار تخلل ضوئه النجوم او كانه ملاء

جمع فيها النثار فاندمج وغاب في ذلك النور كواكب الارض وهي الحسان وكواكب السماء وهي النجوم الزواهر . وكل ما تقدم وصف لطلوع الشمس وشروقها وافاضة النور على الكون وانصرام الظلام ولنذكر قول الشعراء في ذلك اتماماً للفائدة فمن ذلك قول ابي نواس

وبتنا كغصني بانة عطفتهما   مع الصبح ريحا شمأل وجنوب
الى ان بدا ضوء الصباح كانه   مبادي نصول في عذار خضيب

وقال آخر

وليل كأن نجوم السماء   به مقل رنقت للهجوع
ترى الغيم من دونها حاجبا   كما احتجبت مقلة بالدموع

***

الوفاقات في العادات

وعدنا في شرح هذه الرسالة ان نأتي في آخرها بنبذة من رسالة كتبها سماحة المؤلف في الوفاقات في العادات بين الافرنج والعرب ووفاء بالوعد نثبت هنا ما قاله السيد المؤلف

(١) — مما يدل على ان العرب كان عندهم ما يشبه من وجه تمثيل الوقائع المعروف الآن (بالتياترو) هذه القصة الآتية وهي

قال ابو عبد الرحمن بشر كان في زمن المهدي رجل صوفي وكان عاقلاً عالماً لا يترك اسلوباً ولا سبيلاً للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهذيب الاخلاق وتربية النفوس الاّ فعله وكان يخرج كل يوم اثنين وخميس الى جهة بخارج بغداد فيجتمع عليه الخلائق من رجال ونساء وصبيان فيصعد تلاً وينادي بأعلى صوته ما فعل النبيون والمرسلون أليسوا في اعلي عليين فيقولون نعم فيقول هاتوا ابا بكر الصديق فينقدم رجل فيجلس بين يديه فيقول جزاك الله خيراً ابا بكر عن الرعية فقد عدلت وقمت بما فرضه الله وخلفت محمداً صلي الله عليه وسلم فاحسنت الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حلّ وتنازع وفرغت منه الى اوثق عروة واحسن ثقة وفعلت وفعلت ويذكر ما قام به من جليل الاعمال ثم يقول اذهبوا به الى اعلي عليين . ثم ينادي هاتوا عمر فينقدم رجل آخر فيقول جزاك الله خيراً ابا حفص عن الاسلام قد فتحت الفتوح ووسعت الفيء وسلكت سبيل الصالحين اذهبوا به الى اعلى عليين بحذاء ابي بكر . ثم يقول هاتوا عثمان فينقدم رجل فيجلس بين يديه فيقول له خلطت في تلك السنين ولكن الله تعالى يقول خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسي الله ان

يثوب عليهم ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه · ثم يقول هاتوا علي بن ابي طالب فيتقدم رجل فيقول جزاك الله خيرًا عن الامة ابا الحسن بسطت العدل وزهدت في الدنيا واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر وانت ابو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة اذهبوا به الى اعلى عليين · ثم يقول هاتوا معاوية فيجلس بين يديه رجل فيقول له انت القاتل عمار بن ياسر وخذيمة بن ثابت ذا الشهادتين وحجر الكندي الذي اخلقت وجهه العبادة وانت الذي جعل الخلافة ملكاً واستأثر بالفيء واستبطر بالنعمة وانت اول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض احكامه وفعل كذا وكذا و يعدد من اعماله ثم يقول اذهبوا به فاوقفوه مع الظلمة · ثم يقول هاتوا يزيد فيجلس بين يديه رجل فيقول له يا باغي انت الذي قتلت اهل الحرّة وابحت المدينة ثلاثة ايام وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآويت المحدثين وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمثلت بشعر الجاهلية

ليت اشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الاسل

وقتلت حسينًا وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الابل اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار. ولا يزال يذكر واليًا بعد وال حتى يبلغ عمر بن عبد العزيز فيقول هاتو عمر فيجلس بين يديه رجل فيقول جزاك الله خيرًا عن الاسلام فقد احييت العدل بعد موته والنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق وابطلت اللعن على المنابر اذهبوا به فالحقوه بالصديقين · ثم يذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان يبلغ دولة بني العباس فيسكت فيقال له هذا ابو العباس السفاح امير المؤمنين فيقول فبلغ امرنا الى بني هاشم ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعًا

(٢) — وكانت عادة البالو او ما يقاربها معروفة عند ملوك الاسلام من الاتراك والشراكسة بمصر وانما كانت خالية من النساء في الرقص · قال المقريزي ما فحواه ان الاشرف خليل حين اتم قصره المعروف بالاشرفي سنة ٦٩٢ صنع مهما لم يصنع نظيره ودعا اليه الامراء ليحتفلوا بالدار الجديدة فلما اجتمعوا وقاموا للرقص امر السلطان الخازندار وكان واقفًا بين يديه ومعه اكياس من الذهب ان ينثرها على رؤوسهم فنثرت وهذه العادة وصلت اليهم من المغول

(٣) وكانوا احيانًا يصورون الوقائع التاريخية كما تفعل الفرنجة اليوم فمن ذلك ما ذكره المقريزي في الصحيفة ٣١٨ من الجزء الثاني من خططه ما نصه : وكان البازروي سيد الوزراء قد احضر بمجلسه القصير وابن عزيز المصورين فقال ابن عزيز انا اصور صورة اذا رآها الناظر ظن

انها خارجة من الحائط (هذا النوع يتفاخر به صناع الافرنج الآن وله اسم معروف عندهم) فقال القصير لكن انا اصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلة في الحائط فقالوا هذا اعجب فامرهما ان يصنعا فصورا صورة راقصتين في صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كانها داخلة في الحائط وتلك ترى كانها خارجة منه فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة حنية دهنها اسود كانها داخلة في صورة الحنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر في صورة حنية صفراء كانها بارزة من الحنية فاستحسن البازروي ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتامي الرسام المشهور صورة يوسف عليه السلام في الجب وهو عريان والجب كله اسود واذا نظره الانسان ظن ان جسمه باب من دهن لون الجب" (وهذه الصورة يشبهها الآن ما يصنعه الافرنج من تصوير صور الملائكة والقديسين)

قال المقريزي وقد امعنت شرح ذلك في الكتاب المؤلف في طبقات المصورين المنعوت (بضوء النبراس وأنس الجلاس في اخبار المزوقين من الناس) وذكر المقريزي ايضاً عند الكلام (على المنظرة ببركة الحبش) انها منظرة مدهونة فيها طاقات كشرف تطل على بركة الحبش وصوّر فيها الشعراء كل شاعر وبلده وكتب بجانب راس كل شاعر منهم قطعة من الشعر

(٤) — وقد كانوا يستعملون الورق والجلود مكان النقود في وقت الحاجة كما تفعل الدول الآن قال ابو تمام

لم يتندب عمر للابل يجعل من ... جلودها النقد حين عزه الذهب

وكان فعل ذلك امير المؤمنين عمر بن الخطاب

(٥) — وقد كانوا يتهادون بالزهور والرياحين في ايام المواسم والاعياد كالافرنج الآن وشاهده قول النابغة

رقاق النعال طيب حجزاتهم ... يحيون بالريحان يوم السباسب

ويوم السباسب عيد من اعيادهم

(٦) وقد كانوا يرفعون ما على رؤوسهم للتعظيم على قول وشاهده قول بعضهم

ولما اتانا بعيد الكرى ... خضعنا له ورفعنا العمارا

والعمارة كل ما يلبس على الراس وهناك رواية اخرى وهي ان العمار المقصود به الريحان

(٧) — وقد كانوا يقيمون تمثالاً للرجل المشهور عندهم أو الصالح ليبقى ذكره بينهم . ودليل ذلك في تفسير كلمة (يعوق) وانه صنم لكنانة وكان رجلا من صالحي زمانه فلما مات اقاموا له

تمثالاً حتى يروه وفعلوا ذلك بسبعة من بعده ثم تمادى بهم الامر بعد ذلك الى ان اتخذوا تلك التماثيل اصناماً يعبدونها

(٨) — وكانوا يقصون اذناب الخيل قال امرؤ القيس

على كل مقصوص الذنابا معاود   بريد السرى بالليل من خيل بربرا

(٩) — وكانت النسوة يرسلن ذيول ثيابهن ولا سيما في الحلل النفيسة التي يلبسنها في ايام المواسم قال امرؤ القيس

خرجت بها امشي تجر وراءنا   على اثرينا ذيل مرط مرحل

(١٠) — ومن عاداتهم الانحناء في السلام فانها كانت عادة لبعض قبائل العرب كغسان ونحوها وفي القسطلاني في شرح باب المصافحة (قيل يارسول الله الرجل يلقى اخاه أينحني له قال لا قال فيأخذ بيده و يصافحه)

(١١) — ومما هو عادة الآن عند الافرنج وكان مستعملاً عند بعض ملوك العرب . تصوير الملوك على السكة المضروبة من الدنانير والدراهم . قال الثعالبي في اليتيمة « حكى غلام ابي الفرج الببغاء ان سيف الدولة امر بضرب دنانير للصلات في كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته فامر يوماً لابي الفرج منها بعشرة دنانير فقال ارتجالا

نحن بجود الامير في حرم   نرتع بين السعود والنعم
ابدع من هذه الدنانير لم   يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته   في دهرنا عوذة من العدم

(١٢) — أَمَرَة الدول والملوك وتسمى عند الافرنج (أرمواري) وهي صورة حيوان أو نبات او غيره يجعلها الملك وسماً له يوسم به ما يختص به من الاشياء كالسكة او الاعلام او الآثار المنشأة الى غير ذلك . وقد كان الملك الظاهر بيبرس من سلاطين مصر اتخذ صورة الاسد أمَرَة له وصوره على السكة التي ضربها من دنانير ودراهم وكذلك صوره على منشآته التي انشأها وغيرها فمن ذلك قناطر ابي المنجا وهي قناطر موجودة الى الآن بالقليوبية وعليها صورة الاسد الذي امر بتصويره عليها الملك الظاهر

(١٣) — بيوت الامتعة وهي المعروفة الآن (بالموزيه) او (الانتقخانة) وهي مواضع تحفظ فيها الآثار القديمة من ملابس الملوك وآثارهم وفي كتب التاريخ قصة مشهورة في ذلك . حكى الاصمعي وكان يحدث هارون الرشيد بسير ملوك بني امية فلما بلغ سيرة سليمان بن عبد الملك

قال له بلغني يا امير المؤمنين انه كان نهماً وكان يؤتي بالكبش مشوياً فيستعجل اخذ كلاه قبل ان يبرد فيلف جبته على يده فيتقي بها الحرارة فياخذ الكلي فقال له الرشيد قاتلك الله ما اعلمك بسير القوم ودعى بصاحب بيت الامتعة فاتاه بجبب ملوك بني امية فاستخرج منها جبب سليمان فاذا اكامها دسمة . ومن ذلك قصة كأس ام حكيم بنت يحيي بن الحكم ابن ابي العاص امرأة هشام بن عبد الملك وهي ان احد المغنين عند احد خلفاء بني العباس واظنه الواثق غنى بشعر فيه ذكر كأس ام حكيم وكان كأساً مشهوراً فسر من غنائه واستدعي بالكأس فاحضر من خزائن الامتعة وامر بان يشرب فيه ليلته

(١٤) — الاستئذان قبل الدخول في المحلات اما بدق الباب او غيره . وفي القرآن الكريم « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » وفي الاحاديث ادلة على ذلك كثيرة

(١٥) — تقديم ورقة الطعام قبل الاكل وفيها اسماء الاطعمة التي ستقدم في الخوان او تعديد الاسماء حتى تعلم وفي الكتب الاسلامية ما يفيد وقوع مثل هذا عندهم ففي كتاب الاحياء ان الامام ابا حنيفة اضافه رجل فلما حضر الطعام قدم له خريطة فيها اسماء ما عنده من الطعام . ومثله ما هو مذكور في قصة عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز وذلك ان بلال بن ابي بردة سأل احد جلساء عبد الاعلى فقال له ما يفعل هذا الشيخ معكم اذا قدم لكم الطعام . فقال اذا اتيناه وحضر وقت الطعام دعا القائم على الطعام فيسأله عما عنده فيسمى له انواع الطعام واحداً فواحداً فسأله بلال بن ابي بردة عن سبب ذلك وماذا يقصد به فقال له ليمسك كل رجل عما لا يشتهى ويأخذ فيما يشتهى

(١٦) — وفي اوائل كتاب الحيوان للجاحظ هذه العبارة « مقالة من أبوا وجوب الامامة ومن يروا الامتناع من طاعة الائمة الذين زعموا ان ترك الناس سدى بلا قيم عليهم وهملا بلا راع لهم اجدر ان يجمع ذلك بين سلامة العاجل وغنيمة الآجل وان تركهم نشرا لا انتظام لهم ابعد من المفاسد واجمع لهم على المراشد » وهذه العبارة تفيد ولا شك انه كان هناك فرقة تشبه فرق الفوضويين والنهليست وتقول بقولهم وترى رأيهم : الى غير ذلك من عادات اخرى كثيرة

هذا ومن الوفاقات في الالفاظ كلمة (حَمَادِ) فانها توافق كلمة (مِرسى) الفرنجية ومعناها احمدك واشكرك . وكذلك كلمة (المسمعة) فانها توافق كلمة (التليفون كما في شرح القاموس) .

قطعة

أَشَعْرَةٌ بَيْضَاءُ أَمْ
أَوَّلُ خَيْطِ الْكَفَنِ
أَمْ تِلْكَ سَهْمٌ مُرْسَلٌ
لاَ يُتَّقَى بِالْجُنَنِ
وَالزَّرْعُ إِنْ هَاجَ فَقَدْ
حَانَ الْحَصَادُ وَأَنَّي
فَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا
عَانَيْتُهُ فِي زَمَنِي [1]

وكذلك كلمة (القهرمانة) فانها توافق في الفرنجية (الكماريرا) اي الخادمة التي تقوم بحوائج البيت · وكذلك كلمة (مرحى) تقال للرجل اذا اصاب المرمى فيمكن ان تقوم مقام كلمة (براڤو) الفرنجية : ومن بحث في مجد العرب وحضارتهم وجد الكثير من عاداتهم توافق عادات الفرنجة اليوم

(١) الجنن جمع جنة وهي كل ما وقي من سلاح · هاج الزرع يبس واصفر · أني كرضي وضعت في الاصل لمعنى ابطأ وتجيء بمعنى قرب حملاً للفعل على ضده · عانى الشيء قاساه وعالجه

(المعنى) يقول اطال الله بقاءه وقد نجمت في رأسه اول شعرة من شعرات الشيب · هل هذه شعرة بيضاء ام اول خيط من خيوط الكفن ام هي قد ارسله القضاء فلا درع يقي منه ولا جنة تصده ثم ضرب للشيب مثلاً من ابدع الامثال واقربها مناسبة فقال ان الزرع اذا هاج اي اخذ ان ييبس ويصفر فقد آن ميعاد حصاده وأني قطافه · اقول ان من الشعر لما يدب الى مواضع التأثير من النفوس فيملك اجزاءها فيؤثر فيها تاثيره المطلوب · وهذه روح قد خص الله بها من شاء من الشعراء وقليل ما هم · اذ ليس كل شاعر قادراً على التأثير فان الشاعرين قد يتفقان

في معنى واحد بل ربما سجا في بحر واحد ونظما على روي واحد ولكنهما يفترقان في التأثير فاذا قرأت ما نظماه وجدت ان احدهما قد ملك عليك مشاعرك ونال اربته من نفسك ورأيت الطلاوة بادية على شعره · فاذا عمدت ان تقرأ للثاني ما نظمه رأيته وقد نفر منك ولم يستقر في صدرك وند عن سمعك · فاذا تساءلت عن السبب في ذلك قلت لا سبب سوى الروح التي اودعها الله في شعر الاول واخلى منها شعر الثاني وهي الفيصل الفارق بين الشاعر والناظم

وهذه اربعة ابيات نظمها السيد في الشيب تمثل لك العبرة والعظة وتقف بك على باب الشيخوخة فتريك الصبا ونضارته عن يمينك · والهرم وعبوسته عن يسارك وهذه الصفة لا تتوفر في انسان الا اذا كان شاعرًا بقلبه ولسانه · ولنذكر قول الشعراء في الشيب اتمامًا للفائدة قال لبيد في الكبر

أليس ورائي ان تراخت منيتي　　لزوم العصا تحني عليها الاصابع
اخبر اخبار القرون التي مضت　　ادب كأني كلما قمت راكع
فاصبحت مثل السيف اخلق جفنه　　تقادم عهد القين والنصل قاطع

وقال المخارق اليشكري

وكنت اباري الرائحين للتي　　فاصبح باقي نبتها قد تقضبا
وقد ذهبت الا شكيرًا كانه　　على ناهض لم يبرح العش ازغبا

وقال مسلم بن الوليد

الشيب كره وكره ان يفارقني　　اعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضي الشباب ويأتي بعده خلف　　والشيب يذهب مفقودًا بمفقود

وقال الطائي

غدا الشيب مختطًا بفوديّ خطة　　طريق الردى منها الى الموت مهيع
هو الزور يجفي والمعاشر يجتوي　　وذو الالف يقلى والجديد يقلع
له منظر في العين ابيض ناصع　　ولكنه في القلب اسود اسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا　　وانف الفتى من وجهه وهو اجدع

وقال محمد بن هانىء

الم يأتها انا كبرنا عن الصبا　　وانا بلينا والزمان جديد
فليت مشيبًا لا يزال ولم اقل　　بكاظمة ليت الشباب يعود

صلاح الدين بن ايوب

إِذَا بَكَرَ الْعَارِضُ مِنْ جَانِبِ الْجَوْلَانِ . كَأَنَّ بِهِ كُثُبًا مِنَ الرَّمْلِ أَوْ أَنَّ رُكْنَيْهِ رُكْنَا أَبَانٍ . أَوْ أَنَّ فِيهِ فُحُولًا تُجَرْجِرُ مِنْ قَطِمٍ . أَوْ كَتَائِبَ فِي الْحَدِيدِ وَالْبُرُوقِ أَسِنَّةٌ وَخُذُمٌ (١) . وَكَأَنَّ كُلَّ مُزْنَةٍ فِيهِ جَفْنٌ وَلْهَانٍ . أَوْ أَطْبَاءُ غُرَيْرِيَّةٍ رَعَتِ السَّعْدَانَ . فَيَا سَقَى الْغَيْثُ وَقَدْ أَغْدَقَ . ذٰلِكَ الْقَبْرَ بِجِلَّقَ (٢)

وقال التيمي

وان امرءًا قد عاش سبعين حجة الى منهل من ورده لقريب

اذا مامضى القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب

(١) بكر تقدم واتى بكرة . العارض السحاب المعترض في الافق . الجولان جبل بالشام الكثب جمع كثيب وهو التل من الرمل وسمي بذلك لانه انكثب اي انصب واجتمع في مكان واحد . ابان جبل شرقي الحاجر فيه نخل وماء . الفحول جمع فحل وهو الذكر من كل حيوان والمقصود به هنا ذكر الابل . تجرجر تردد اصواتها في حناجرها . القطم هياج الفحل . الكتائب جمع كتيبة وهي القطعة من الجيش والأسنة جمع سنان وهو حديدة الرمح . الخذم جمع خذوم وهو السيف القاطع

(المعنى) يقول اذا ورد السحاب مبكرًا وجاء من جانب الجولان كأنه وهو منعقد ملبد كثب وتلال من الرمال أو ان طرفيه لضخامتهما ركنا ذلك الجبل المسمى بابان او ان زمجرة الرعود فيه وهديرها جعجعة الفحول الهائجة أو ان ذلك السحاب لزرقة لونه كتائب غارقة في الحديد والبروق فيه لبريقها ولمعانها اسنة وسيوف

(٢) المزنة كظلمة السحابة البيضاء . الولهان الذاهب العقل . اطباء جمع طبي بكسر و بضم حلمات الضرع التي من خف وحافر وظلف وسبع . غُرَيْرِيَّة نسبة الى غُرَيْر وهو فحل من فحول الابل . السعدان نبت من أفضل مراعي الابل ومنه المثل (مرعى ولا كالسعدان) . اغدق المطر كثر قطره . جلق بكسر اللام وفتحها دمشق

(المعنى) يقول وكأن كل مزنة لسحها وسيلانها جفن ولهان من العشق فان عينه ثرة على

أَضِنُّ عَلَى القَطْرِ أَنْ يَسْتَهِلَّ
عَلَى غَيْرِ أَجْدَاثِكُمْ أَوْ يَصُوبَا [١]
لَوْ أَنْبَتَتْ تُرَبُ الرِّجَالِ عَلَى
قَدْرِ العُلَى وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ
نَبَتَتْ عَلَيْهِ مِنْ شَجَاعَتِهِ
تِلْكَ الجَنَادِلُ بِالقَنَا السُّمْرِ [٢]

انْتَهَتِ الدَّوْلَةُ الفَاطِمِيَّةُ . إِلَى الأَيَّامِ العَاضِدِيَّةِ [٣] . وَقَدْ تَخَطَّتِ الفِرِنْجِ

الدوام أو ان هذه المزنة ضرع ناقة رعت السعدان الذي هو افضل مراعي الابل فيكون درها غزيرًا فياسقي الغيث وهو مغدق ذلك القبر بدمشق وهو قبر صلاح الدين يوسف بن ايوب كما سيأتي وجملة فياسقي الغيث جواب اذا بكر العارض

(١) ضنّ بخل . القطر المطر . يستهل يشتد انصبابه . الاجداث جمع جدث وهو القبر . يصوب ينصب وينزل

(المعنى) يقول اني لأبخل ان يجود القطر قبورًا غير قبوركم واجداثًا غير اجداثكم بل يخصص تعميمه عليكم وعلى امثالكم

(٢) الترب جمع تربة وهي المقبرة . نباهة الذكر اشتهاره . الجنادل جمع جندل وهي الحجارة الواحدة جندلة . السمر جمع اسمر وهو الرمح

(المعنى) يقول لو ان مقابر الرجال تنبت على اقدار معاليهم في هذه الحياة لأنبتت جنادل صلاح الدين يوسف رماحًا سمرًا وذلك لبأسه وشجاعته

(٣) الدولة الفاطمية هم ملوك مصر من العبيديين أولهم المعز لدين الله وآخرهم العاضد وكانت بداءة ملكهم في مصر من سنة ٢٩٧ ونهاية ملكهم في سنة ٥٥٥ هجرية . واسماؤهم هي : المعز لدين الله . والعزيز بالله ابو النصر نزار بن المعز . والحاكم بامر الله ابو علي منصور . والظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي بن الحاكم . والمستنصر بالله ابو تميم . والمستعلي بالله ابو القاسم احمد . والآمر باحكام الله ابو علي المنصور . والحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد . والظافر

الرِّبَاطَ • وَأَحْرَقَ شَاوَرُ الْفُسْطَاطَ ¹ • وَقُرِعَتِ النَّوَاقِيسُ فِي الْقُدْسِ • وَأَضْحَتِ

باعداء الله اسماعيل • والفائز بنصر الله عيسى • والعاضد لدين الله عبدالله بن يوسف : وكان مقر الخلافة الفاطمية قبل مصر في القيروان من بلاد افريقية وكان ابتداء ملكهم فيها على يد ابي عبد الله الشيعي سنة ٢٩٧ وانتهاؤه في افريقيا سنة ٣٣٤ وهذه اسماء ملوكهم بافريقيا : عبد الله المهدي وابنه ابو القاسم محمدالقائم بامر الله • واسماعيل المنصور بن القائم : العاضدية نسبة الى العاضدلدين الله وهو آخر ملوك مصر من العبيديين وذلك انه بعد وفاة الخليفة الفائز اخذ الصالح بن رزيك وزير العاضد يهتم في اقامة في من يخلفه فقدموا له شيخاً من الاسرة الفاطمية لم يكن ثمّ احق منه للخلافة فهم بمبايعته فجاء احد اصدقاء الصالح وهمس في اذنه قائلاً « ان سلفك في الوزارة كان احسن تدبيراً منك لانه لم يسلم نفسه لخليفة سنه اكثر من خمس سنوات » وهو سن الفائز حينما تولى الخلافة • فرنت هذه العبارة في اذن الوزير فعدل عن تنصيب هذا الشيخ وعمد الى عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ولم يكن بالغاً رشده فبايعه ولقبه بالعاضد لدين الله وهو الخليفة الرابع عشر للدولة الفاطمية ثم ازوجه ابنته ومعها ثروة عظيمة • وقد كان الصالح محسوداً من اعدائه من وجهاء الدولة واعيانها وقد فتحت اعينهم عليه وفي جملتهم عمة الخليفة فعزمت على قتله فارسلت اولاد الراعي فكمنوا له في دهاليز القصر وضربوه حتى سقط على الارض على وجهه وحمل جريحاً لا يعي الى داره فمات يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هجرية • ثم استوزر ابنه محيي الدين رزيك ولقب بالملك العادل وكنيته ابو شجاع وهذا استخلف شاور ثم استوزر بعد ذلك صلاح الدين يوسف بن ايوب فاستبد بالحكم واستولى على الديار المصرية وعزم على القبض على العاضد وأشياعه واستفتى الفقهاء في قتله فافتوه بجواز ذلك لما كان عليه العاضد واشياعه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع فى الصحابة والاشتهار بذلك • اما الخليفة العاضد فاصيب بسبب الاهانة التي لحقت به بمرض شديد ثم حجز عليه في احدى غرف القصر الداخلية وبعد ايام قليلة مات في يوم الاثنين ١١ محرم سنة ٥٥٧ هجرية وبموته انتهت ايام الدولة الفاطمية وخلفتها الدولة الايوبية التي ابتدأت بسلطنة السلطان صلاح الدين كما سياتي في محله من شرح هذه الرسالة

(١) الرباط الثغر • الفسطاط بالضم علم لمصر القديمة — شاور هو الامير ابو شجاع شاور بن مجير بن نزار وخبره ان الصالح بن رزيك الذي تقدم ذكره كان قد ولى شاوراً الصعيد الاعلى من ارض مصر واوصي ولده العادل ان لا يتعرض لشاور بمساءة ولا يغير عليه حاله فانه لا يامن

عصيانه والخروج عليه فكان كما اوصى . وكان شاور ذا نجابة وشهامة وفروسية وهمة سولت له ان ياخذ الوزارة من الملك العادل ابن رزيك فسار لهذا الفرض من الصعيد في جموعه من طريق الواحات حتى وصل الاسكندرية ومنها وصل الى القاهرة فدخلها يوم الاحد الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فهرب الملك العادل واهله من القاهرة ونال شاور بغيته واخذ موضعه من الوزارة : وقد كان الملك الصالح بن رزيك قد انشأ في وزارته امراء يقال لهم البرقية وجعل في مقدمتهم احدهم و يقال له ضرغام ابو الاشبال فترقي هذا الرجل حتى صار صاحب الباب فلما تولى شاور الوزارة طمع ضرغام هذا في سلبه اياها فجمع لذلك رفقته فتخوف منه شاور وجمع اليه رجاله فاصبح الجيش فرقتين فرقة مع ضرغام واخرى مع شاور فلما كان بعد تسعة اشهر من وزارة شاور اي في رمضان سنة ٥٥٨ هجرية ثار ضرغام وصاح على شاور فاخرجه من القاهرة وقتل ولده الاكبر المسمى بطي فخرج شاور من القاهرة يريد الشام واستقر ضرغام في وزارة الخليفة العاضد بعد شاور وتلقب بالملك المنصور فحمد الناس سيرته فانه كان فارس عصره وكان عاقلاً كريماً لا يضع كرمه الا في "نعمة ترفعه أو مواراة تنفعه الا انه كان سريع العقوبة اذا ظن في احد شراً . وفي اثناء ذلك قصد الفرنجة بلاد مصر فخرج اليهم همام اخو ضرغام وحاربهم فغلبوه ونزلوا على حصن بلبيس وملكوا بعض السور ثم عادوا الى بلادهم . ثم جاء الخبر بقدوم شاور ومعه اسد الدين شيركويه بن شادي وهو كردي الاصل وكان شيركويه هذا واخوه نجم الدين ايوب في خدمة الاتابك نور الدين في الشام منذ مدة طويلة واظهرا من اللياقة ما جعل له فيهما الثقة التامة فلما سار شاور الى دمشق استنجد بنور الدين ليرجع الوزارة الى يده فنور الدين لم يرد اضاعة فرصة كهذه تجعل له يداً بأمور مصر فارسل معه اسد الدين شيركويه في كثير من الغز وسار معه يوسف ابن اخيه نجم الدين بن ايوب وكان صغير السن ولم يكن لأبيه رضى بسفره في هذه الاخطار على صغر سنه الا انه ابي الا الرحيل طوعاً لهوى النفس في حب المجد والعلى ولعل التقادير ساقته الى مصر ليكون سلطاناً عليها تمتد سلطته الى اقصى الممالك الاسلامية . وسار الاتابك مشيعاً بنفسه جيوشه حتى حدود مصر وقصده من ذلك ايهام الصليبيين الرابطين في بلاده والذين فى طريقه انه آت لمحاربتهم فانحصروا في مدنهم ومرّ جيشه بامان حتى وصل مصر فلما علم ضرغام بقدوم شاور ومن معه سار بالعسكر اول يوم من جمادي الآخرة سنة ٥٥٩ هجرية الى بلبيس وكانت له وقعة مع شاور انهزم فيها . ثم انه وقعت له بعد ذلك مع ضرغام جملة وقائع كان الظافر فيها شاور بضرغام وانتهى الامر اخيراً بقتل ضرغام من ايدي العامة وتولية شاور

الوزارة . فلما استلم شاور الوزارة صار يدفع للاتابك نور الدين ثلث محصولاتها مقابلة لما بذله في اعادته اليها الاّ ان الاتابك لم يكن هذا حد مطامعه في مصر فقد كان له بتلك الحملة غرضان الاول ان يقضي حق شاور الذي استصرخ به والثاني ان يستعلم احوال مصر لأنه بلغه انها ضعيفة من الجند وان نظامها مختل . وقد كان شاور اتفق سرًّا مع نور الدين ان يسلمه مصر وظن انه قادر على دفع جيوش نور الدين فينال السلطة لنفسه . فكتب الى شيركوبه ان يسير الى سوريا وقد كان معسكرًا بجوار القاهرة فاطلق شيركوبه فرقة من جيشه استولت على بلبيس . فلما علم شاور بذلك عمد الى معاهدة الصليبيين على اخراج جنود شيركوبه . فدخل الصليبيون القاهرة اخيرًا . والى هنا اشار السيد المؤلف بقوله « وقد تخطت الفرنج الرباط . واحرق شاور الفسطاط » ثم ان شيركوبه تقدم وعسكر في الجيزة ووقعت بينه وبين الصليبيين مواقع كثيرة كانت الحرب بينهما سجالاً واستولى شيركوبه على الاسكندرية واقام عليها ابن اخيه يوسف صلاح الدين . وقد جاءت للصليبيين نجدة من الشام فزادتهم عددًا فلما رأى شيركوبه انه غير قادر على مقاومتهم اراد ان يعاهدهم على خروج الصليبيين والسوريين معًا من مصر وترجع الاسكندرية الى شاور فقبل الفريقان بذلك وعاد شيركوبه وابن اخيه الى دمشق . أما الصليبيون فلم يبرحوا القاهرة الاّ اذا دفع لهم شاور مائة الف دينار وتبقى منهم حامية في القاهرة فقبل شاور بذلك وخرج الصليبيون . لكنهم بعد قليل نقضوا هذه المعاهدة وارسلوا جيشًا جرارًا استولوا به على مصر . فتحير شاور في ذلك واستنجد بالاتابك نور الدين فارسل له جيشًا تحت قيادة شيركوبه وفي اثناء ذلك امر شاور باحراق مدينة الفسطاط لكيلا يحتمي بها الصليبيون . ثم ان شيركوبه قدم على مصر واخرج الصليبيين من كل ارضها . ثم انه دخل القاهرة باحتفال عظيم وذلك في ربيع ثاني سنة ٥٦٤ هجرية وسار توًّا الى مقر الخلافة فاستاء شاور من ذلك واراد الانتقام من شيركوبه فاظهر الحب له واضمر البغض والوقيعة به ثم نوى على دعوته لوليمة يعد له فيها معدات الهلاك فعلم يوسف صلاح الدين بذلك وبعض كبار جيش السوريين فنووا عليه ما نواه على اميرهم وجعلوا يترقبون خطواته فبينما كان قادمًا الى معسكر السوريين لزيارة احتاطوا به وقبضوا عليه وأوثقوه بالحديد فاتصل ذلك بشيركوبه فشق عليه ذلك وطلب الى رجاله ان لا يوقعوا به شرًّا . ولكن الخليفة العاضد بعث يطلب رأسه فارسلوه له حالاً وسطوا على داره فنهبوها ثم بموته انتهت مدته التي اضر فيها بمصر ضررًا عظيماً وقد تولى بعده شيركوبه الوزارة ولم يمكث في منصبه الا شهرين وخمسة ايام فقط وعاجلته المنيه ثم بعد موته ولى العاضد ابن اخيه صلاح الدين الوزارة

الدُّنيا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ حَبْسُ[1]

بَادَتْ وَأَهْلُوهَا مَعًا فَجَمِيعهُمْ
بِبَقَاءِ مَوْلاَنَا الْوَزِيرِ خَرَابُ[2]

---

(١) النواقيس جمع ناقوس وهو مضراب النصارى
(المعنى) يقول انه بعد ان أحرق شار الفسطاط وكان ذلك من سوء تدبيره وامتلاك الفرنجة كثيرًا من الشام ومصر وقرعت النواقيس في القدس وضاقت الدنيا بالمسلمين حتي صارت مما نالهم من الجور والظلم كأنها حبس
(٢) بادت هلكت
(المعنى) هذا البيت الذي استشهد به سماحة المؤلف لاحد الشعراء يهجو به الوزير ابن العلقمي حيث كان سببًا في خراب بغداد على يد التتر فيقول ان بغداد قد بادت وباد اهلها فالجميع فدى لمولانا الوزير وهو من باب التقريع — وان العلقمي هو الوزير ابو طالب مؤيد الدين محمد بن محمد بن علي العلقمي البغدادي الرافضي كان وزير المستعصم العباسي ولي الوزارة ١٤ سنة فاظهر الرفض وكان وزيرا خبيرا بتدبير الملك ولم يزل ناصحًا لاصحابه واستاذه الى سنة ٦٥٦ هجرية ففيها افتتن السنية والشيعة ببغداد . فامر ابو بكر بن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وكان اهله روافض واستباحوا الاعراض فعظم ذلك على ابن العلقمي وضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار فكاتب التتر سرًّا واطمعهم في بغداد وسهل لهم امر اخذها . وكان يريد بذلك في اقامة خليفة علوي . قيل ومن الحيل التي استعملها في مكاتبة التتر انه اخذ رجلا وحلق رأسه حلقًا بليغًا وكتب عليه بالابر ما اراد ونفض الكحل على الكتابة فصارت كالوشم وانزل الرجل عنده الى ان غزر شعره وغطى الكتابة فجهزه وقال له ان وصلت مرهم بحلق رأسك ودعهم يقرأوا الكتابة . وكان آخر ما كتبه على رأسه «اقطعوا الورقة» فلما قرأ التتر الكتابة ضربوا عنق الرجل . وكتب ايضًا الى وزير ارسل رسالة يطلعه فيها على ذلك منها انه قد نهب الكرخ المكرم وقد ديس البساط النبوي المعظم . وقد نهبت العترة العلوية . واستوسرت العصابة الهاشمية . وقد حسن التمثيل بقول القائل

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

كَمْ مِنْ ظَلُومٍ تَزُولُ دَوْلَتُهُ
وَلَيْسَ مَا سَنَّ مِنْ أَذًى زَائِلْ

وقد عزموا على نهب الحلة والقيل · بل سولت لهم انفسهم امرا فصبر جميل

اري تحت الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام
فان لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية ام نيام

الى آخر ما كتبه من اثارة النفوس والحض على قتال الخليفة فتمت له بغيته ونال اربته وكان ما اراد واقتتل الفريقان على مرحلتين من بغداد وكانت القيادة على جيش بغداد للدوادار ركن الدين وعلى جيش التتر لهولاكو ولتاجو · فانهزم عسكر الخليفة ودخل هولاكو بغداد من الجانب الشرقي وتاجو من الجانب الغربي · وخرج ابن العلقمي الى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال ان هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم و يريد ان يزوج ابنته بابنك ابي بكر وحسن له الخروج الى هولاكو فخرج اليه المستعصم في جماعة من اكابر دولته فانزلوا في خيمة · واستدعي ابن العلقمي الفقهاء والاماثل فاجتمعوا هناك ومن جملتهم ركن الدين الدوادار والمستنصري احد الشجعان واستاذ دار الخلافة محيي الدين بن الجوزي واولاده وهناك صار يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة موهما لهم ابن العلقمي انهم يحضرون عقد ابن الخليفة على بنت هولاكو · فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر فدخل تاجو ووضعوا السيف في بغداد وهجموا على دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ولم يسلم الاّ من كان صغيرا فانه اخذ اسيرا ودام القتل والنهب في بغداد اربعين يوماً وقتلوا ايضاً الخليفة المستعصم وابنه ابا بكر · قيل ودخل بعد ذلك على ابن العلقمي وهو جالس في الديوان رجل من عامة التتر راكباً فرسه فسار الى ان وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما اراد وبال الفرس على البساط فاصاب الرشاش ثياب الوزير وهو صابر لهذا الهوان يظهر قوة النفس وانه بلغ مراده وهكذا انعكس الحال مع ابن العلقمي بعد ان كان مؤملا من التتر النجاح وعضّ يديه ندماً وبخه هولاكو فمات غما في اواخر سنة ٦٥٦ هجرية وهكذا كان على يد ابن العلقمي انقراض الدولة العباسية وقيام دولة التتر ببغداد ولله في خلقه شؤون

(١) (المعنى) يقول ان الظالم يزول ملكه وتندثر دولته ولكن يبقى ظلمه في الناس مقيما:

حُمْقُ الأُولى يحكُمُونَ النَّاسَ يُضحكُني
وَسوءُ فعلهم في النَّاسِ يُبكيني
ماالذئبُ قدعاثَ بينَ الضأنِ أفتكَ منْ
هذي الوُلاةِ بهاتيكَ المَساكينِ [١]

(المؤلف)

وَإِذَا قَدْ ظَهرَ فِي الأُمَّةِ سَمَيْذَعٌ نِقابٌ . كَأَنَّهُ قَسْوَرٌ غابٍ . قُلَّبٌ حُوَّلٌ لَوْ عادَتْهُ نُجومُ الأُفقِ لَعادَ ذُو الرُّمْحِ مِنْهَا وَهُوَ أَعْزَلُ [٢] . يَمْبِسُ وَهُوَ رَاضٍ

والظلم شيمة من شيم النفوس الخبيثة طالما كانت سبباً في هدم اركان الدولات وخراب الممالك . قيل ان رجلا قام الى عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر فانشده

ان الذين بعثت في اقطارهــا   نبذوا كتابك واستحل المحرم
طلس الثياب على منــابر ارضنا   كلٌّ يجور وكلهــم يتظلم
واردت ان يلي الامانة منهم   عف وهيهات الامين المسلم

و يروي للمنصور قبل الخلافة

حتى متى لا نرى عدلا نسر به   ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به   اذا تلون اهل الجور الوانا
يا للرجال لداء لا دواء له   وقائد ذي عمى يقتاد عميانا

(١) عاث افسد

(المعنى) يقول يضحكني ما اراه من حماقة الذين يسوسون الناس وهم لا يدرون السياسة . ويبكيني ما اراه في الناس من اثار افعالهم السيئة فيهم فالذئب بين قطيع الغنم اقل فتكا من فتك هؤلاء الولاة بهؤلاء المساكين المظلومين . وهذان البيتان هما من نظم السيد المؤلف ودرتان من درره

(٢) السميذع السيد الكريم الشريف . نقاب الرجل العلامة ومنه قوله

كَالسَّحَابِ · وَيَضْحَكُ وَهُوَ غَاضِبٌ كَالْقِرْضَابِ ¹ · عَاجِلُ الْعَفْوِ آجِلُ الِانْتِقَامِ ·
كَأَنَّ الْمُلُوكَ صَفٌّ وَهُوَ الْإِمَامُ ² · طَبِيبٌ بِأَدْوَاءِ الْأُمَمِ حَذَاقٌ · يُعَالِجُ
تَارَةً بِالسُّمِّ وَطَوْرًا بِالتِّرْيَاقِ ³ · وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي فَضْلِهِ اثْنَانِ · نَطَقَتْ بِمَآثِرِهِ

كريم جواد اخو ماقط   نقاب يحدث بالغائب

قسور غاب اي الاسد الرابض بالغاب · قلّب حوّل اي بصير بتقليب الامور · ذو الرمح اي السماك الرامح وهو نجم قدام الفكة يقدمه نجم مستطيل الشعاع يقولون هو رمحه · الاعزل الذي لا سلاح معه والاعزل احد السماكين لانه لا سلاح معه كما كان مع الرامح

(المعنى) يقول فبينما الامر كما ذكرت والدنيا على ما وصفت والفرنجة في القدس والمسلمون في الضيق واذا قد منّ الله على المسلمين برجل شريف النجار كريم سديد الرأي صائبه كالليث بأساً وشجاعة بصير بتقلب الامور محتال لها لو عادته النجوم لانقلب ذو الرمح وهو ذلك النجم الذي في السماء اعزلا وهو النجم الثاني المسمى بالسماك الاعزل وهنا تورية حسنة

(١) القرضاب السيف القطاع

(المعنى) يقول انه يعبس في حالة الرضى فيكون مثله كمثل السحاب اذا اكفهرّ امطر فكانه راض عن الارض التي يمطرها او كمثل السيف فانه يضحك بريقاً وهو يقتل

(٢) (المعنى) يقول انه مع قدرته على العقوبة في كل وقت فانه يعجل عفوه ويؤجل انتقامه وهي صفة من صفات اهل النخوة والمروءة وملاّك الامم وارباب السياسة فانهم يأخذون المجرم بالعفو ليقلع عن جرمه وينصفون المحسن ليزداد في احسانه وبذلك يقل المجرمون ويكثر الطيبون فتهدأ النفوس وتطمئن القلوب فينتشر العدل في الامة فتعيش في راحة تامة الى ما شاء الله

وقال حاتم

تحلم عن الادنين واستبق ودهم   ولن تستطيع الحلم حتى تحلما
وعوراء قد اعرضت عنها فلم تضر   وذي اود قومته فتقوما
واغفر عوراء الكريم ادخاره   واعرض عن شتم اللئيم تكرما

(٣) الحذاق الماهر · الترياق دواء مركب يدفع السموم

(المعنى) يقول انه طبيب ماهر يداوي الامم تارة بالسم واخرى بالترياق وهي صفة ثانية

أَلْسُنُ الْخُرْسَانِ وَالْخُرْصَانِ ١ ، فَقَرَّتْ بِظُهُورِهِ الْقُلُوبُ ، وَإِذَا هُوَ صَلَاحُ الدِّينِ

من صفات الذين يرأسون الامم و يديرون حركة الدولات فانهم يضعون عقوبتهم في من لا ينفع فيه العفو و يعفون عن من لا تجدي فيه العقوبة

قال النابغة الجعدي

ولا خير في حلم اذا يكن له   بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولاخير في جهل اذا لم يكن له   حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

وقال المتنبي

من الحلم ان تستعمل الجهل دونه   اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

وقال ابن قيس الرقيات

واني لآبي الشر حتى اذا ابي   يجنب بيتي قلت للشر مرحبًا
واركب ظهر الامرحتى يلين لي   اذا لم اجد الأعلى الشر مركبا

(١) الخرسان جمع اخرس وهو الذي انعقد لسانه عن الكلام · الخرصان اسنة الرماح نسبة لبلدة بالبحرين تباع فيها الرماح

(المعنى) يقول انه واحد اجمعت الناس على الاقرار بفضله فلم يختلف فيه اثنان حتى ان الاخرس نطق به · وقال حسان بن ثابت في الفخر

لعمرك ما الملهوف ياتي بلادنا   لنمنعه بالضائع المتهضم
ولا ضيفنا عند القرى بمدفع   ولا جارنا في النائبات بمسلم
وما السيد الجبار حين يريدنا   بكيد على ارماحنا بمحرم
مطاعيم في المشتى مطاعين في الوغى   اذا الحرب كانت كالحريق المضرم
وتلقى لدى ابياتنا حين نجتدي   مجالس فيها كل كهل معمم

وقال حبيب بن المزدلف

لقد علمت افناء شيبان اننا   قبيلة صدق في الامور النوائب
وانا اذا ما الحق اعوز اهله   أوى كل مطلوب الينا وطالب

وقال ابو فراس الحمداني

انا اذا اشتد الزما   ن وناب كل خطب وادلهم

أَلفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقاء العدا بيض السيو ف وللندى حمر النعم
هذا وهذا دأبنا يودي دم ويراق دم

(١) (المعنى) يقول ان الذي ذكرته لكم ووصفته بما تقدم من الكلام والذي قرت بظهوره القلوب هو صلاح الدين يوسف بن ايوب — وصلاح الدين هو ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شادي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والشامية والعراقية واليمنية اتفق المؤرخون على ان اباه من دُوين آخر عمل اذربيجان وجميع اهل تلك البلاد اكراد وقد تقدم انهُ جاء الى مصر مع عمه اسد الدين شيركويه وقلنا انه تولى الوزارة بعد عمه المذكور . فلما تولى الوزارة ابت الجيوش السورية الرضوخ له لصغر سنه فأخذهم باللين واستجلب خواطرهم فاجمعوا على ولائه والضرب بسيفه فعظم نفوذه وكثر نصراؤه فشاغل الحسد مؤتمن الخلافة (جوهر الخصي) وحدثته نفسه بخلع صلاح الدين ووافقه كثير من الجند والامراء المصريين واجمع رأيهم ان يبعثوا الى الافرنج ببلاد الساحل ليستدعونهم الى القاهرة حتى اذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكره ثاروا وهم بالقاهرة واجتمعوا مع الافرنج على اخراجه من مصر . فسيروا رجلاً الى الفرنجة وجعلوا كتبهم معه في نعل فسار الرجل حتى قرب من بلبيس فاذا ببعض اصحاب صلاح الدين هناك فانكر امر الرجل بسبب انهُ جعل النعلين في يده وراءها وليس فيهما اثر المشي والرجل رث الهيئة فارتاب واخذ النعلين وشقهما فوجد الكتب ببطنهما فحمل الرجل والكتب الى صلاح الدين فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت فاذا الذى كتبها من اليهود الكتاب فأمر بقتله فاعتصم بالاسلام واسلم وحدثه الخبر فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة فخاف على نفسه ولزم القصر وامتنع من الخروج فأعرض صلاح الدين عن ذلك جملة وطال الامد فظن الخصي انه قد اهمل امره وشرع يخرج من القصر وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية في بستان فخرج اليها في جماعة وبلغ ذلك صلاح الدين فانهض اليه عدة هجموا عليه وقتلوه فغضب لذلك العسكر المصري وثاروا باجمعهم وقد انضم اليهم عالم كبير من الامراء المصريين فحاربهم صلاح الدين فانهزم اولاً ثم اشتد عليهم ثانية حتى هزمهم وما زال راكبًا اقفيتهم محكماً فيهم السيف حتى لم يبق منهم الا الشريد وتلاشى من هذه الواقعة امر العاضد . ومن غريب الاتفاق ان الذي فتح مصر للدولة الفاطمية وبني

القاهرة يدعى جوهرًا والذي كان سببًا في زوال هـذه الدوله وخراب القاهرة يدعى جوهر الملقب بمؤتمن الخلافة . فلما انتهت هذه الواقعة عاد صـلاح الدين الى السكون وولى اخاه طوران شاه الذي ابلى معه في هذه الواقعة بلاءً حسنًا قوص واصوان وعيذاب . وكانت تولية صـلاح الدين سببًا لاضطراب الصليبيين فتشاوروا في امرهم فقر رأيهـم على ان يرسلوا بطريرك صور فريدريك مع يوحنا اسقف عكا لاستمداد ملوك فرنسا وانكلترا وسيسيليا وغيرهم من الامراء المسيحيين فلم ينجح مسعاهم غير ان امبراطور القسطنطينية ارسـل عمارة مؤلفة من مائة وخمسين شراعًا ملآنة بالذخائر والمؤن والعدة والرجال فاتحدت مع جيوش عسقلان وساروا برًّا وبحرًا الى مصر حتى اذا بلغوا الفرما ساروا حتى اتوا دمياط فعسكروا بينها وبين البحر وذلك في سـنة ٥٦٥ هجرية وكانت هـذه الحملة تحت قيادة اموري فظن انه قادر على اخـذ دمياط بالهجوم الاّ انه رأى منها مقاومة ودفاعًا الزماه الاقامة على الحصار فنفذت مؤونتهم فارادوا العبور في النيل فاوقفهم حاجز اقامه المسلمون وهو عبارة عن سلسلة قوية من الحديد طرفها الواحد ممكن بمتاريس دمياط والطرف الآخر ببرج هائل منيع الجانب فلما علموا ذلك رجعوا الى اعقابهم خائبين وتوجهوا الى سوريا . وفي السنة التالية سار صلاح الدين فى جيش عظيم فدخل فلسطين فعلم اموري وهو في عسقلان ان صلاح الدين قد حاصر قلعة دارون وهو دير قديم للنصارى فأسرع لمهاجمته فحاربه صلاح الدين وقهره ونزل على غزة فامتلكها ثم علم ان الفرنجة احتلوا أيلة فما زال بها حتى فتحها وقتل من كان فيها وأقام فيها من ثقاته من يعتمد عليهم وعاد الى القاهرة . ثم بعد عودته اصبح الخليفة العاضد ليس في يده الاّ السلطة الدينية فشرع صلاح الدين في سلبه اياها فحرض أميرا فارسيًا ليخطب في الناس باسم الخليفة المستضيء بامر الله العباسي فخطب في الناس بذلك فلم يعارضه احد ثم انه عمم الخطبة في جميع مساجد القاهرة ومن هذا الوقت انتقلت الخلافة من مصر الى بغداد ثانية . ثم ان الامام العاضد توفي بعد ايام قليلة وذلك في ١١ محرم سنة ٥٦٧ هجرية . ومن هذا الوقت خلا الجو لصلاح الدين واصبح لا معارض له وابتدأت به دولة الايوبيين فلما تولى اخذ يعمل خفيـة في الاستقلال بمصر ويجتهد في تربية الاحزاب واعداد القوات ويعمل ايضًا على كيـد الصليبيين واخراجهم من مصر وسوريا فجاهد في ذلك كثيرًا ووقعت بينه وبينهم حروب جمة حفظها له التاريخ في صدور اسفاره وتركت له اسما لا تمحوه كرور الليالي والايام . ومن اشهر تلك المواقع واقعة حطين وفتح بيت المقدس الذي نصر الله به المسلمين على المسيحيين فبعد ما رأى الصليبيون انهم غير قادرين على مقاومته لجأوا الى الصلح فاجابهم الى طلبهم فاتفق رايهم على ان يقيموا

أَنْتَ الأَمِيرُ الَّذِي وَلَّتْهُ هِمَّتُهُ
بِغَيْرِ عَهْدٍ مِنَ السُّلْطَانِ مَعْهُودِ ١

***

أَقْبَلَتْ جُمُوعُ فِرِنْجَةَ مُهْطِعِينَ ، وَأَرْسَوْا لِحَرْبِ الصَّلِيبِ عَلَى حِطِّينَ ٢ ، فَلَقِيَهُمْ

على شطوط السواحل . ومن ثمّ اراح الله صلاح الدين من الحروب التي كابدها . على ان المنية التي عجزت ان تهاجم هذا الشجاع الباسل في ساحة الحرب لم تخش مهاجمته وهو على فراشه بين اولاده ففي يوم الجمعة ١٥ صفر ركب السلطان لملاقاة الحجيج فعاد الى منزله كسلا ثم غشيته حمى ثم اصبح في اليوم الثاني اشد كسلاً منه في اليوم الاول وما زال المرض يزداد عليه يوماً بعد يوم حتى توفاه الله في يوم الاربعاء ٢٧ صفر سـنة ٥٨٩ وكان يوم موته يوماً لم يصب الاسلام بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وكان سنه عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٤ سنة ٥ في مصر و١٩ في سوريا ودفن في جلق وهي دمشق رحمه الله رحمة واسعة

(١) (المعنى) يقول انك ايها الامير جلست على عرش الملك من غير ان ترثه عن آبائك وانما رمت بك همتك اليه فتبوأته واخذته اغتصاباً . قال ابن الرومي يمدح ابا الصقر

وقلّ من ضمنت خيراً طويته ... الا وفي وجهه للبشر عنوان
تلقاه وهو مع الاحسان معتذر ... وقد يسيء مسيء وهو منان
اذا بدا وجه ذنب فهو ذو سنة ... وان بدا وجه خطب فهو يقظان
اذا تيممك العافي فكوكبه ... سعد ومرعاه في واديك سعدان
احيا بك الله هذا الخلق كلهم ... فأنت روح وهذا الخلق جثمان
قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا ولكن لعمري منه شيبان
وكم اب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علا برسول الله عدنان

(٢) مهطعين مسرعين . ارسوا ثبتوا . حرب الصليب تقدم ذكرها في ترجمة شاور وصلاح الدين . حطين هي مدينة بالشام كانت بها وقعة عظيمة مشهورة بين وصلاح الدين كان النصر له فيها عليهم

(المعنى) يقول ان الفرنجة اقبلوا مسرعين على حطين وثبتوا للحرب

بِجَحْفَلٍ جَرَّارٍ . وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ [١]

بِأُحْدٍ وَبَدْرٍ حِينَ مَاجَ بِأَهْلِهِ

وَفُرْسَانِهِ أُحْدٌ وَمَاجَ بِهِمْ بَدْرُ

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَالنَّضِيرِ وَخَيْبَرٍ

وَبِالْخَنْدَقِ الثَّاوِي بِعَقْوَتِهِ عَمْرُو [٢]

---

(١) الجحفل الجيش . الجرار الكثير . المهاجرون الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الصحابة . الانصار هم انصار النبي صلى الله عليه عليه وسلم غلب فيه جانب الاسمية على جانب الوصفية ولهذا نسب اليه على لفظه فقيل انصاري

(المعنى) يقول انهم لما اقبلوا على حطين ليحاربوا صلاح الدين لقيهم بجيش عرمرم وحمل فيهم حملة المهاجرين والانصار وهي تلك الحملات التي عرفها منهم الاسلام في بداءته وقرت بها عيون المسلمين واجزل الله بها لهم ثوابه

(٢) (المعنى) يقول ان حملاته فيهم كانت كحملات المهاجرين والانصار حينما كانوا باحد و بدر وحينما كانوا بحنين والنضير وخيبر والخندق الذي قتل به عمرو بن ود العامري . اشهور احد هوجبل بالمدينة وكانت به الواقعة المشهورة التي كانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وخبرها مشهور لا حاجة لذكره — واقعة بدر هي الواقعة الكبرى التي اظهر الله بها الاسلام واعزه وقوى اهله وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً — حنين هو اسم موضع في طريق الطائف الى جنب ذي المجاز وكانت به الواقعة المشهورة المسماة باسمه وتسمى ايضاً غزوة اوطاس وهو اسم لموضع كانت به الواقعة — النضير نسبة الى قبيلة كبيرة من اليهود يقال لهم بني النضير ينسبون الى هارون اخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف المؤرخون على السنة التي وقعت فيها هذه الغزوة واجمعوا على انها كانت في السنة الرابعة وامرها شهير — خيبر بوزن جعفر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام خرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع واقام في حصارها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها في صفر من السنة المذكورة — الخندق وتسمى غزوة الاحزاب

نَظَرُوا إِلَيْكَ فَقَدَّسُوا وَلَوْأَنَّهُمْ
نَطَقُوا الْفَصِيحَ لَكَبَّرُوا وَلَهَلَّلُوا ١

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ شَعْبٍ وَأُمَّةٍ
عَلَى وَاحِدٍ لَازِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدِ ٢

أَلَا تَنْتَهِي عَنَّا مُلُوكٌ وَتَتَّقِي
مَحَارِمَنَا لَا يَبُوْأُ الدَّمُ بِالدَّمِ ٣

وكانت سنة خمس وفيها قتل عمرو بن ود العامري الشجاع المشهور قتله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهذا معنى قوله (وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو) يقصد به عمرًا بن ودّ العامري وخبر هذه الوقائع جميعها مشهور ولذلك لم نرد التفصيل في جميعها ومن اراده فليطلبها من كتب التاريخ والسير

(١) قدسوا يقال قدس الرجل نزهه ووصفه بكونه قدوسا والقدوس الطاهر المنزه وكل فعّول مفتوح سوي قُدّوس وذُرّوح وهو الذباب الهندي وفُرّوج وهو فرخ الدجاجة · كبروا قالوا الله اكبر · هللوا قالوا لا اله الا الله وهو مأخوذ من الهيللة كالبسملة والحوقلة

(المعنى) يقول ان الاعداء نظروا اليك فقدسوا لان التقديس عام يكون بالقلب والجوارح ولو كانوا ينطقون الفصيح لكبروا وهللوا اجلالاً واعجاباً والفضل ما شهدت به الاعداء

(٢) الشعب بالكسر الحي العظيم · القرن النظير في الشجاعة

(المعنى) يقول انكم جمعتم انفسكم وانسللتم من كل شعب وأمة لتحاربوا واحداً لا زلتم على طول الدوام مع كثرتكم ووفرتكم نظير واحد والجملة الاخيرة من البيت دعائية ومعناها اودع الله قلوبكم الرهبة والخوف حتى انكم مع جمعكم الكثير تكونون قرنًا لواحد مما اكسبه الله الشجاعة والبسه رداء البأس والقوة · ويريد اجتماع امم الافرنج لحرب الصليب

(٣) لا يبوا الدم بالدم يقال باء دمه بدمه اي عدله وباء فلان بفلان بواء قتل به وصار دمه بدمه فعادله ومنه المثل « باءت عرار بكحل » وهما بقرتان انتطحتا فماتتا يضرب لكل مستويين ويقال « بؤ به » اي كن ممن يقتل به ومنه قول المهلهل لبجير « بؤ بشسع نعل كليب »

حُمْسٌ يُقَابِلُ مِنْهُمُ الأَعْدَاءَ . أَمْثَالَ الجَحَّافِ وَأَبِي بَرَاءٍ ١ . كَأَنَّهُمْ فِي

(المعنى) يقول الا تنتهي عنا هذه الملوك ونتقي محارمنا لا تنتهكها فان دمنا لا يعادل دمهم ولا يساويه فيبوأ به بل هو اشرف منه

(١) حمس جمع احمس وهو الشجاع — الجحّاف هو الجحاف بن حكيم السلمي الذي ضرب به المثل فقيل (افتك من الجحاف) وخبر فتكه ان عمير بن الحباب السلمي كان ابن عمه فنهض في الفتنة التي كانت بالشام بين قيس وكلب بسبب الزبيرية والمروانية فلقي في بعض تلك المغاورات خيلاً لبني تغلب فقتلوه فلما اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ووضعت تلك الحروب اوزارها دخل الجحاف على عبد الملك والاخطل عنده فالتفت اليه الاخطل فقال

الا سائل الجحاف هل هو ثائر لقتلى اصيبت من سليم وعامر

فقال الجحاف مجيباً له

بلى سوف ابكيهم بكل مهند وابكي عميرًا بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ماظننتك تجترىء عليّ بمثل هذا ولو كنت مأسوراً فحم الاخطل فرقا من الجحاف فقال عبد الملك لا ترع فاني جارك منه فقال الاخطل يا امير المؤمنين هبك تجيرني منه في اليقظة فكيف تجيرني في النوم فنهض الجحاف من عند عبد الملك يسحب كساءه فقال عبد الملك ان في قفاه لغدرة ومر الجحاف لطيته وجمع قومه واتى الرصافة ثم سار الى بني تغلب فصادف في طريقه اربعمائة منهم فقتلهم ومضى الى البشر وهو ماء لبني تغلب فصادف عليه جمعاً من تغلب فقتل منهم خمسمائة رجل وتعدى الرجال الى قتل النساء والولدان فيقال ان عجوزًا نادته فقالت حربك الله يا جحاف اتقتل نساء اعلاهن ثديّ واسفلهن دميّ فانخزل ورجع فبلغ الخبر الاخطل فدخل على عبد الملك وقال

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعوّل

فاهدر عبد الملك دم الجحاف فهرب الى الروم فكان بها سبع سنين ومات عبد الملك وقام الوليد بن عبد الملك فاستؤمن للجحاف فامنه فرجع — ابو براء هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فارس قيس ويقال له ملاعب الاسنة ضرب به المثل فقيل (افرس من ملاعب الاسنة) سمي بذلك لقول اوس بن حجر فيه

ملاعب اطراف الاسنة عامر فراح لها حظ الكتيبة اجمع

الصُفُوفِ حُتُوفٌ · أَوْ أُسُودٌ أَظَافِرُهَا السُّيُوفُ ¹ · وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حُبِّهِمْ لِلْقِتَالِ · يَرَوْنَ

اخذ اربعين مرباعاً في الجاهلية وهو احد بني أم البنين الخمسة الذين يفتخر بهم لبيد في رجزه المشهور وهو الذي يقول فيه

نحن بنو أم البنين الاربعه ونحن خير عامر بن صعصعه
والمطعمون الجفنة المرعبه والضاربون الهام تحت الخيضعه

وهم مالك بن جعفر وطفيل ابو عامر المشهور الذي يضرب به المثل ايضاً فيقال افرس من عامر ابن الطفيل وربيعة بن مالك وعبيدة بن مالك ومعاوية بن مالك وجعلهم لبيد اربعة لاجل القافية

(المعنى) يقول ان جند صلاح الدين حمس بواسل يلاقي منهم عدوهم امثال الجحاف وابي براء الفارسين المشهورين

(١) الحتوف جمع حتف وهو الموت

(المعنى) يقول كانهم في وسط الصفوف من العدو موت يجول فيهم او اسود لهم اظفار من سيوفهم · قال بعض بني مازن

يباشر في الحرب المنايا ولا يرى لمن لم يباشرها من الموت مهربا
اخو غمرات ما يوزع جأشـه اذا الموت بالموت ارتدى وتعصبا

وقال ود أل بن تميل المازني

مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشـفرتين يماني
اذا ستنجدوا لم يسألوا من دعاهم لاية حال ام باي مكان

وقال بعض بني مازن

وقد علموا بان الحرب ليست لاصحاب المجامر والخـلوق
ضربنا كم على الاسلام حتى اقمنا كم على وضح الطريق

ووصف بعضهم جنده فقال انهم مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل ارجلهم أنضاء عبادة واطلاح بر ينظر الله اليهم في جوف الليل منحنية اصلابهم مع اجزاء القرآن كلما مر احدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً اليها واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كان زفير جهنم بين اذنيه موصوص كلالهم بكلالهم كلال الليل بكلال النهار اذا ا كلت الارض ركبهم وأيديهم

النَّقْعَ لَيْلَ وِصَالٍ ¹ . تَمُوجُ عَلَى صُدُورِهِمُ الْفَضْفَاضَةُ السَّلُوقِيَّةُ . وَالزَّغْفُ الْحُطَمِيَّةُ .

وانوفهم وجباههم استقلوا ذلك في جنب الله حتى اذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد اشرعت والسيوف قد انتصبت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت و برقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضب بالدماء محاسن وجهه . وقال عبد العزيز بن زرارة في الجلد وقلة المبالاة

وليلة من ليالي الدهر كالحة ... باشرت في هولها مرأى ومطلعا
ونكبة لو رمى الرامي بها حجرا ... اصم من جندل الصوان لانصدعا
مرت عليّ فلم اطرح لها سلبي ... ولا اشتكيت لها وهناً ولا جزعا

وقال الشنفرى

واني لحلو ان اريدت حلاوتي ... ومر اذا نفس العزوف امرت
ابيّ لما آبي سريع افادتي ... الى كل نفس تنتحي في مسرتي
اذا ما اتتني ميتتي لم ابالها ... ولم تذر خالاتي الدموع وعمتي

(١) النقع الغبار

(المعنى) يقول انهم من شدة حبهم للقتال وشغفهم به يخيل لهم ان سواد النقع وتلبده ليل وصال وهذا المعنى حسن جميل . قال ابن الرومي

ومعترك تبدو نجوم حديده ... وقد لفه ليل من النقع اقتم
شهدت القنا فيه تعطف والظبا ... تفلل والبيض الحصين تحطم
فلم اك ممن حاص عن غمراتها ... ولا غاص فيها حيث غاص المغمم
ولم اغشها الاّ علياً بانها ... هي المجد او مطرودة الحد صيلم

وقال الشريف الرضي

خفاف على اثر الطريدة في الفلا ... اذا ماجت الرمضاء واختلط الطرد
كأن نجوم القذف تحت سروجها ... تهاوي على الظلماء والليل مسود
يعيد عليها الطعن كل ابن همة ... كأن دم الاعداء في فمه شهد
يضاربه حتى ما لصارمه قوى ... ويطعن حتى ما لذ ابله جهد
اذا عربي لم يكن مثل سيفه ... مضاء على الاعداء انكره الجد

وَكَأَنَّ كُلَّ دِرْعٍ رُدْنٌ هَلْهَالٌ . أَوْ غَدِيرٌ تُحَرِّكُ عَلَيْهِ شَمَالٌ ¹ . وَفِي أَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ الْيَزَنِيَّةُ . وَالسِّهَامُ الْحِجْرِيَّةُ ² . وَكَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ أَرْقَمُ . وَكُلَّ كِنَانَةٍ

---

(١) تموج اي تضطرب فيبدو لها لألاء الفضفاضة الدروع الواسعة . السلوقية نسبة الى قرية باليمن تنسب اليها الدروع . الزغف الدروع الواسعة اللينة . الحطمية نسبة الى رجل يقال له حطمة بن محارب كان يصنع الدروع . الردن بالضم اصل الكم . الهلهال الرقيق من الثياب والمقصود به هنا الرقيق من الدروع . الشمال بالفتح و بالكسر الريح التي تهب من قبل الحجر بين مطلع الشمس و بنات نعش

(المعنى) يقول وعليهم دروع تموج فكأن كل درع لدقته ثوب رقيق او انه في لألائه غدير موّجته الريح الشمالية فهو معرّج . قال ابو العلاء المعري يصف درعاً

وهي بيضاء مثل ما اودع الصيـ ف حمى الوهد نطفة الشؤبوب
فاذا ما نبذتها في مكان مستو هم سردها بالدبيب
كهلال الحياة او كقميص لهلال الحيات غير مجوب
واذا صادفت حد وراجرت فيـ ـه إراق الشريب ماء الذنوب
كف ضرب الكماة في كل هيج فضلات من ذيلها المسحوب
نثرة من ضمانها للقنا الخطي عند اللقاء نثر الكعوب
مثل وشي الوليد لانت وان كا نت من الصنع مثل وشي حبيب

(٢) اليزنية نسبة الى ذي يزن وهو ملك لحمير . الحجرية نسبة الى ديار ثمود وقيل بلادهم بالشام عند وادي القرى

(المعنى) يقول وفي ايديهم السيوف المنسوبة الى ذي يزن والسهام المنسوبة الى ثمود وهي احسن السيوف والسهام قال البحتري يصف السيف

ماض وان لم تمضه يد فارس بطل ومصقول وان لم يصقل
يغشى الورى فالرمح ليس بجنة من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يفري باول ضربة ما ادركت ولو انها في يذبل
واذا اصاب فكل شيء مقتل واذا اصيب فما له من مقتل

جِلْدَةُ شَيْهَمِ

كَأَنَّ شُمُوساً نَازَعَتْ شُمُوسَا

دُرُوعَنَا وَالْبِيضَ وَالتُّرُوسَا (٢)

أَخَذُوا قِسِيَّهُمْ بِأَيْمُنِهِمْ

وقال الشماخ يصف القوس

اذا انبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلي اوجعتها الجنائز

وقال آخر فيها

وهي اذا انبضت عنها تسمع ترنم الثكلي ابت لا تهجع

وقال ابو العيال الهذلي في السهام

فترى النبال تغير في اقطارها شمساً كأن نصالهن السنبل

(١) الكنانة جعبة تجعل فيها السهام . الشيهم ذكر القنافذ وقيل ما عظم شوكه من ذكورها جمع شياهم

(المعني) يقول وكان كل سنان ثعبان في التوائه وتعرجه وكان كل كنانة جلدة قنفذ وذلك لمشابهة السهام التي فيها لشوك القنفذ وهو معنى دقيق جدًّا . قال مزرد بن ضرار يصف الرماح

ومطرد لدن الكعوب كانما يغشاه منباع من الزيت سائل

اصم اذا ما هز مارت سراته كما مار ثعبان الرمال المواثل

له فارط ماضي الفرار كانه هلال بدا في ظلمة الليل ناحل

وقال ابو تمام

من كل ازرق نظار بلا نظر الى المقابل ما في متنه اود

كانه كان ترب الحب من زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد

(٢) التروس جمع ترس بالضم وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه

(المعني) يقول كان الدروع والسيوف والتروس لتموجها وبريقها ولمعانها شموس اختلطت

يَتَعَظَّلُونَ تَعَظُّلَ النَّمْلِ

وَإِذَا تَكَافُحٌ وَجِلَادٌ ، وَأَبْطَالٌ فِي عِصْوَادٍ ، وَجُسُومٌ تَحْتَ الصَّعِيدِ وَرُؤُوسٌ فَوْقَ الصِّعَادِ ٢ ، وَعِثْيَرٌ فِي الْعَنَانِ ، كَادَتْ تُفَرِّخُ فِيهِ الْعِقْبَانُ ، أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ بِهِ سِتًّا وَالسَّمَاءُ ثَمَانٍ ٣ ، وَخَيْلٌ تَنْزِعُ قُبًّا ، وَتَضْبَحُ وَثْبًا ، كَأَنَّهَا فِي الْجَدَدِ ،

بشموس فكان لها لالاء شديد

(١) يتعظلون يقال تعظل القوم على فلان اجتمعوا عليه

(المعنى) يقول انهم لكثرتهم وأخذهم وردهم في ساحة الحرب وبأيديهم قسيهم كالنمل في اجتماعه وتداخله البعض في البعض ، قال ابان بن عبدة

بجيش تظل الباق في حجراته ... بيثرب أخراه وبالشام قادمه

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب ... تحرك يقظان التراب ونائمه

(٢) التكافح التضارب تلقاء الوجوه ، الجلاد التضارب بالسيوف ، العصواد بالضم والكسر الجلبة والاختلاط في ضرب او خصومة ، الصعيد التراب وقيل وجه الارض ، الصعاد جمع صعدة وهي القناة المستوية

(المعنى يقول وقد ابتدأ الكفاح والجلاد وعلا الصخب واللغب فاذا بالاجسام تحت التراب والرؤوس فوق الرماح : قيل لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل المصعب خطب في الناس فقال في خطبته « انا والله لا نموت حتف أنوفنا ولكن قصفا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ليس كما يموت بنو مروان » ، اقول والغريب انه لا يعلم في العرب ستة قد قتلوا في بيت واحد غير آل الزبير قتل عمارة يوم قديد وقتل ابوه مصعب في الحرب بينه وبين عبد الملك وقتل ابوه الزبير بوادي السباع وقتل ابوه العوام يوم الفجار وقتل ابوه خويلد في الجاهلية

(٣) العثير الغبار ، العنان السحاب ، تفرخ اى تصير ذات فرخ ، العقبان جمع عقاب وهو طائر معروف

(المعنى) يقول ان الجنود اثاروا العثير حتى تلبد في الجو على رؤوسهم فكادت تفرخ فيه العقبان فكأنهم رفعوا ارضاً من الارضين السبع صارت به السموات السبع ثمان والارضين ستا

دُوْرٌ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ ¹

وَالعَادِيَاتُ أَسَابِيُّ الدِّمَاءِ بِهَا
كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابُ تَرْجِيبِ ²

وَطَعْنُ كُلِّ طَعْنَةٍ نَجْلَاءَ . لَا يَنْفَعُ فِيهَا عَصَائِبُ الخُمُرِ وَلَا ثَمَرُ الرَّاءِ ³

تَعْلُو السُّيُوفُ بِأَيْدِيهِمْ جَمَاجِمَهُمْ
كَمَا يُفَلِّقُ مَرْوَ الأَمْعَزِ الضَّرَحُ ⁴

---

(١) تنزع يقال نزع الفرس اي جرى • قبا اى ضمر خصره ودق وتنزع قبا اي من الضمر والدقة . تضبح تصوت فتسمع من افواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة وهو صوت افواهها عند العدو • الجد دما استرق من الرمل والارض الغليظة ومنه المثل (من ملك الجدد امن العثار) • الشؤبوب الدفعة من المطر • البرد حب الغمام

(المعنى) يقول والخيل تثب وتضبح كأنها وهي تعد وفي الجدد مسرعة طيور ذعرت من سقوط المطر فطارت مسرعة الى اوكارها لتنجو من البلل

(٢) العاديات الخيل الواحد عاد والانثى عادية • الاسابي الطرائق من كل شيء الواحدة اسباءة • انصاب ترجيب هو نصب ينصب لذبح رجب

(المعنى) يقول والخيل وقد خضبت بالدماء كان اعناقها تلك الانصاب التي جعلت ليذبح عليها في رجب

(٣) الطعنة النجلاء اي الواسعة • العصائب جمع عصابة بالكسر وهى ما عصب به من منديل ونحوه • الخمر جمع خمار بالكسر النصيف وهو ما تغطى به المراة راسها • ثمر الراء هو شجر واحدته راءة يذر على الجرح فيشفيه

(المعنى) يقول وكانوا يطعنون اعداءهم طعناً كل طعنة واسعة لاتشفى اذا عصبت بالخمر ولا يداويها ثمر الراء

(٤) الجماجم جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ • المرو حجارة بيض براقة • الامعز الارض الصلبة • الضرح الشق

(المعنى) يقول ان سيوفهم بايديهم تعلو جماجم الاعداء فتفلقها كما يفلق الحجارة الشق ٠
هذا وقد آن لنا ان نذكر باختصار جيوش العرب واسلحتها ووقائعها وفتوحاتها البرية والبحرية تتميماً للفائدة فنقول٠ كانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وسائر حالهم واحيائهم من الاهل والولد وكانت النساء في الحروب يقمن خلف الرجال ليقاتل الرجال ذباعنهن فلايفشلون مخافة العار بسبي الحرم ٠ وكان الشعر في حروب الجاهلية يقوم بمزية الآلات الموسيقية او القرع في الطبول او النفخ بالآلات عند العجم فكانوا في خروجهم للغزوات يتغنون بالشعر في مواكبهم فيطربون وتجيش نفوس الابطال عليه ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه واما القرع على الطبول والنفخ في الابواق فلم يستعمله العرب في حروبهم وما كان عندهم الا بعد الاسلام في ايام العباسيين في المشرق والعبيديين في المغرب ٠ وكانوا ينصبون الرايات على ابواب بيوتهم لتعرف بها وكانوا يفتخرون بالراية الصفراء لانها راية لملوك اليمن واما الرايات الحمر فهي لاهل الحجاز ٠ وكان من عادة العرب قتل اسرى الحروب فان من امثالهم المضروبة (ليس بعد السلب الا الاسار وليس بعد الاسار الا القتل) ولكن اذا اكل الاسير وشرب من مال من اسره امن من القتل فاذا منوا عليه واطلقوه جزوا ناصيته وكان الشريف اذا اسر فدي بأبل كثيرة ثم لما جاء الاسلام ابطل الاسر من العرب لما ورد في الحديث لا سبأ على عربي ولاسبأ في الاسلام ولا رق على عربي في الاسلام ٠ وكانوا يقاتلون بالكر والفر ولا يعتبرون قتال الزحف صفوفا المعتبر عند سواهم من الاعاجم وكانوا يصفون ابلهم والظهر الذي يحمل ظعائنهم وراء عسكرهم فيكون فئة لهم ويسمونها المجبوزة ثم في مبادىء الاسلام جعل العرب حروبهم زحفاً وابطلوا الكر والفر وذلك لسببين الاول ليقابلوا اعداءهم بمثل مقابلتهم والثاني لانهم كانوا مستميتين في حروبهم والزحف اقرب الى الاستماتة وقد جاء القرآن بذلك (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص) ٠ وكانت العرب تحسن حمل السلاح ويعدون للحرب عدتها من مثل الرمح والسيف والدرع والترس والقوس وغيرها من انواع الاسلحة المتعددة الاسماء والاوصاف ٠ وكان من عادتهم انه اذا التقت فئتان منهم شد كل واحد منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها وسعى الساعون في الصلح فان ابتا الا التمادي في القتال قلب كل منهما الرماح واقتتلتا بالاسنة ولذلك يقولون في المثل من عصى اطراف الزجاج اطاع عوالي الرماح وعالية الرمح ضد سافلته ٠ وكانوا من شدة عشقهم للحروب وشغفهم بها يسمون سيوفهم باسماء اشتهرت بها وعرفت فمن ذلك ذو الفقار وذو الحيات وذو النون الى غير ذلك من الكنى والالقاب ٠ هذه

وَإِذَا الْعُدَاةُ بَيْنَ هَارِبٍ بِذَمَائِهِ · وَبَارِكٍ مُتَجَعْجِعٍ فِي دِمَائِهِ
وَآخَرَ قَسْرًا أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا
فَعَالَجَ غُلاً فِي ذِرَاعَيْهِ مُقْفَلاً[1]
وَإِذَا جُمُوعُهُمْ كَأَنَّهَا عَرْفَجٌ عَلِقَتْ بِهِ نَارٌ · أَوْ لَيْلٌ كَشَفَهُ نَهَارٌ[2] · وَإِذَا بِالْقُدْسِ قَدْ فُتِحَ لِلْمُسْلِمِينَ · وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ[3]

كيفية حروبهم في البر ايام الجاهلية ولم نعلم انهم حاربوا في البحر ابدًا الاَّ بعد الاسلام في ايام معاوية رضي الله عنه فانه مهد للمسلمين ركوب البحر والجهاد على اعواده واستخدم لهم من النوتية فئة تكررت ممارستها للبحر وانشأ السفن والشواني (جمع شواة وهي مركب الحرب والقتال والعظيم منها يسمى بارجة) الى ان بلغت في ايامه الفًا وسبعمائة واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب للبحر وعلى حافته وكانوا يسمون صاحب قيادة الاساطيل (الملندا) نقل من لغة الافرنج وانشأ عبد الملك بن مروان دار الصناعة في تونس لعمل الآلات البحرية وما زال امر العرب يتقوى في البحر حتى سادوا عليه جميعًا واتسعت بذلك ممالكهم وافتتحوا كثيرًا من السواحل والجزائر واتسعت تجارتهم اتساعًا عظيمًا

(١) العداة جمع عادي وهو العدو ومنه قول امرأة من العرب (اشمت رب العالمين عاديك) أي عدوك · الذماء البقية · المتجعجع الضارب بنفسه الارض · القسر القهر · الغل الطوق من الحديد او القد يجعل في العنق او في اليد

(المعنى) يقول فلما كادت ان تنتهي الحرب اذا بالاعداء كل واحد منهم اما هارب بما بقي فيه من حياة واما جريح يتخبط في دمائه واما مأسور يعالج قيده المقفل

(٢) العرفج شجر سهلي واحدته بهاء

(المعنى) يقول واذا بجموع العدو اضحت كالعرفج الهشيم فسرعان ما تسري فيه النار او كالليل الذي كشفه نور النهار وضوؤه

(٣) (المعنى) يقول فبعد ذلك فتح الله القدس للمسلمين وكانت العاقبة لمن اتقى وصبر · قال شاعر يصف قلعة عظيمة بعد هدم

مَحَا النَّاقُوسَ وَالصُّلْبَانَ عَنْهُ
وَأَثْبَتَ هَلْ أَتَى فِيهِ وَطَاهَا [١]

ابي

سَقَتْ رَحْمَةُ اللهِ الضَّرِيحَ وَمَا ضَمَّا

وحلقاء قد تاهت على من يرومها ... بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يزر عليها الجوجيب غمامه ... ويلبسها عقداً بأنجمه الشهب
فابرزتها مهتوكة الجيب بالقنا ... وغادرتها ملصوقة الخد بالترب

وسأل عثمان رضي الله عنه بعض من وفد عليه عن حصن بناحية هراة فقال

محلقة دون السماء كأنها ... غمامة صيف زال عنها سحابها
فما يبلغ الاروى شمار يخها العلى ... ولا الطير الا نسرها وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان اهلها ... ولا نبحت الا النجوم كلابها

(١) الناقوس مضراب النصارى • الصلبان جمع صليب وهو العود الذي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليه • هل أتى سورة هل أتى وهي من القرآن • طه سورة من القرآن واسم من اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(المعنى) يقول محا الناقوس والصلبان من القدس وأقام فيه امر الاسلام

قبل أن نبدأ في شرح هذه القصيدة نأتي بنبذة في تاريخ بيت سماحة المؤلف نختصرها من خطط المرحوم علي باشا مبارك قال: بيت اسس على التقوى بدعائم المجد الاثيل • وشرف سما هامة الثريا فليس يحتاج فضله الى اقامة دليل • الفخار شعاره • والوقار دثاره فهو الغني عن الاطراء • والاسهاب في الثناء • كيف لا وهو البيت المشيد البناء • والشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء • قد أجاب الحق سبحانه وتعالى في تلك السلالة الشريفة دعاء جدها الصديق بقوله وأصلح لي في ذريتي فليس في أغلب المعمورة الاسلامية من جميع الانحاء مكان الا وقد طلعوا فيه بدوراً منيرة • وأينعوا به رياضا زاهية نضيرة • مناهلها غزيرة • لا تنفك عنها

أعين المجد قريرة حتى ذكر سيدي أبو الحسن البكري في تفسيره أن جماعة من الاولياء وأكابر العلماء كانوا من البكرية المتصلين بهذا النسب الشريف لكنهم من بيت آخر وان كانت الشجرة المباركة تجمعهم الى الغاية القصوى وهي نسب سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه كالشيخ فخر الدين الرازي صاحب التفسير والشيخين الكبيرين عبد الرحمن بن الجوزي وعبد الرحمن البسطامي ومجد الدين صاحب القاموس والشيخ شمس الدين محمد الحنفي وكالامام بن الوردي بدليل قوله في لاميته

غير انى احمد الله على نسبي اذ بأبي بكر اتصل

وغير ذلك من العلماء والفضلاء الذين طلعوا على الدنيا بدور هدى اذ منهم العالم الجليل والكاتب النبيل والشاعر المجيد والورع الصالح والولي التقي ممن خلص نسبهم وتمحص حتى قال شيخ السنة الشيخ عبد السلام اللقاني (كل الانساب داخلها الكذب الآن الا نسبة البكرية الى الصديق فانها صحيحة مقطوع بها ولنذكر هنا سلسلة البيت الطاهر نقلاً عنه ايضاً اتماماً للفائدة فنقول • ان مؤلف هذا الكتاب هو صاحب السماحة السيد محمد توفيق البكري بن السيد علي أفندي البكري بن السيد محمد افندى البكري بن السيد محمد أبي السعود بن السيد محمد بن السيد عبد المنعم بن السيد محمد البكري بن السيد أبي المواهب بن السيد محمد أبي المواهب زين العابدين ابن السيد محمد بن السيد محمد أبي السرور زين العابدين بن السيد محمد ابى المكارم زين العابدين ابيض الوجه بن السيد محمد أبي الحسن المفسر بن السيد محمد ابي البقاء جلال الدين بن السيد عبد الرحمن جلال الدين بن السيد احمد بن السيد محمد بن السيد احمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عوض بن الشيخ عبد الخالق بن الشيخ عبد المنعم بن الشيخ يحيي بن الشيخ الحسن بن الشيخ موسى ابن الشيخ يحيي بن الشيخ يعقوب بن الشيخ نجم بن الاستاذ عيسى بن الاستاذ شعبان بن الاستاذ عيسى بن الاستاذ داود بن الاستاذ محمد بن الاستاذ نوح بن الاستاذ طلحة بن سيدي عبد الله الصديقي بن سيدي عبد الرحمن الصحابي بن سيدنا ومولانا ابي بكر الصديق عبد الله رضي الله تعالى عنه وعنهم اجمعين • بن ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خذيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان • • فيجتمع الصديق رضي الله تعالى عنه مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجد السادس وهو مرة بن كعب كما تقدم : هذا هو النسب البكري وأما النسب الحسني فمن جهة أم جدهم السادس عشر السيد احمد لانه بن السيدة الشريفة فاطمة بنت ولي الله تعالى السيد تاج الدين بن السيد محمد بن السيد

وروَّتْ بِهِ هاماً ورَوَّتْ بِهِ عَظْما [١]

يَعزُّ على العَلْياءِ أنْ يسكُنَ النَّدى

تُراباً وأنْ نُلقِي بِهِ الحَسَبَ الضَّخْما [٢]

وَأَنْ تُسكِتَ الأحْدَاثُ مِحْرَابَ سَاجِدٍ

عبد الملك بن السيد عبد المؤمن بن السيد عبد الملك بن السيد يرحم بن السيد حسان ابن السيد سليمان بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد عبد الملك بن السيد الحسن المكفوف بن السيد علي بن السيد الحسن المثلث بن السيد الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط ابن سيدتنا فاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه . وهؤلاء السادة نسبة الى سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه ففي كتاب العمدة نقلاً عن الاستاذ ابي المكارم الصديقي أنه قال « وبحمده تعالى جدتي لوالدتي من بني مخزوم فولدني من قريش ثلاثة بيوت . بنو تيم . وبنو مخزوم . وبنو هاشم . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ثم قال (والذي فلق الحب والنوى وعلى العرش استوى ليس اعتمادي الا عليه ولا ثقتي الا به) انتهى ملخصاً عن كتاب الخطط لعلي باشا مبارك وقد ذكر عجالة مختصرة من ترجمة كل واحد من السادة البكرية ممن ذكرهم في هذه السلسلة الوثيقة فمن أرادها فليطلبها من محالها في الكتاب المذكور

(١) رحمة الله مغفرته . الضريح القبر . ضم جمع . روت سقت . الهام جمع هامة وهي الرأس

(المعنى) يقول سقى الله برحمته هذا الضريح وما ضمه من مجد عظيم وشرف باذخ وروّى هامات وعظاماً يحويها

(٢) يعز يشق . الندى الكرم . الحسب ما يكون للرجل من الرفعة والشرف . الضخم العظيم

(المعنى) يقول يعز على المجد والشرف أن يسكن الكرم في الثرى وأن نضع فيه الحسب العظيم . قال الشاعر

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا   أجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر

وَكَانَ بِهِ التَّسْبِيحُ يَنْعِمُهُ نَعْمَا ١

كَأَنَّكَ كَنْزٌ قَدْ دَفَنَّاهُ فِي الثَّرَى

كَأَنَّكَ غُنْمٌ قَدْ أُحِيلَ لَنَا غُرْمَا ٢

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْجُفُونُ غَمَائِمٌ

فَمُذْ حُجِبَتْ أَضْوَاؤُكَ انْسَجَمَتْ سَجْمَا ٣

* * *

فان ينقطع منك الرجاء فانه　　سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

(١) الاحداث جمع حدث وهو الامر الحادث المنكر والنازلة · المحراب مقام الأمام · التسبيح مصدر سبح أي قال سبحان الله · ينعمه يملأه

(المعنى) يقول وشق على العلياء أيضاً أن تسكت أحداث الزمان محراب ساجد لله قائم بطاعته وقد كان التسبيح يملأ ذلك المحراب وينعمه ·

(٢) الكنز المال المدفون في الارض · الثرى التراب · الغنم الغنيمة · الغرم الغرامة

(المعنى) يقول كأنك وقد دفناك في التراب كنز مدفون او كأنك لما كنت بيننا غنم فاستحال الى غرم بعد موتك من فجيعتنا بك · قال عبد المحسن الصوري

قالوا ألم تحضر علياً بعد ما　　دفنوه قلت هناك بئس المحضر

لا أستطيع أرى المعالي بينكم　　محمولة وأرى المكارم تقبر

لم يمض قبلك من أراه أسوة　　فأقول هذا مثل ذاك فأصبر

ما كان أكثرهم وأنت جليسهم　　وأقلهم اذ شيعوك وكبروا

(٣) انسجمت امطرت

(المعنى) يقول كأنك شمس وكأن جفوننا غمائم فان حجبت الشمس انسجمت هذه الغمائم والشمس اذا حجبت أمطر الغمام عادة · قال منصور النميري

سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض　　فحسبك مني ما تجن الجوانح

كأن لم يمت حي سواك ولم تقم　　على أحد الا عليك النوائح

أَلاَ فِي جِوَارِ اللهِ مَوْلًى عَهِدْتُهُ
يُجِيرُ عَلَى الأَيَّامِ إِنْ وَهَصَتْ ظُلْمَا ١
لَهُ كَنَفٌ يُنْمَى لآلِ مُحَمَّدٍ
تَؤُمُّ الْمُلُوكُ الصِّيدُ أَبْوَابَهُ أَمَّا ٢
وَكَفَّانِ كَانَا كَالْفُرَاتِ وَدِجْلَةٍ

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها　　لقد حسنت من قبل فيك المدائح
فما أنا من رزء وان جل جازع　　ولا بسرور بعد موتك فارح

(١) ألا استفتاحية • جوار الله أي عهده وأمانه • وهص كلمة جامعة من معانيها كسر وزمى ووطيء بالقدم وخرّب وشدخ الرأس

(المعنى) يقول ألا في ذمة الله وعهده مولى عهدنا به ان عض الدهر بأنيابه ورمى بالفادح المثقل اجار منه ومن ظلمه • قال محمد بن منصور

انعي فتى الجود الى الجود　　ما مثل من انعى بموجود
أنعى فتى مصّ الثرى بعده　　بقية الماء من العود
فانثلم المجد به ثلمة　　جانبها ليس بمسدود
اليوم تخشى عثرات الندى　　وعدوة البخل على الجود

(٢) الكنف الجانب والمراد به هنا الموئل والملجأ • الآل الأهل تؤم تقصد • الصيد جمع أصيد وهو الملك الذي لا يلتفت يميناً ولا شمالاً من زهوه • امّا قصدا

(المعنى) يقول له جانب ينسب لآل محمد صلى الله عليه وسلم تقصده عظماء الملوك وتؤمه

وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه يرثي امير المؤمنين ابا بكر الصديق

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة　　فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها　　بعد النبي واوفاها بما حملا
الثاني اثنين والمحمود مشهده　　واول الناس طرّا اصدق المرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا　　من البرية لم يعدل به رجلا

يَرِيشَانِ مَنْ خَصَّا بِجُودٍ وَمَنْ عَمَّا [1]

---

(١) الفرات نهر عظيم من اشهر انهار الدنيا قيل ان منبعه في ارمينيا ثم يتحول الى انهر عديدة ثم يصب في دجلة فتصير دجلة والفرات نهراً واحداً عظيما وقد ورد الفرات في الشعر العربي فمن ذلك قول رفاعة بن ابي الصيفي

الم ترها متى من حب ليلى ... على شاطي الفرات لنا صليل
فلو شربت بصافي الماء عذب ... من الاقذاء زايلها العليل

دجلة نهر بغداد لا تدخله الالف واللام ومنبعه من موضع يقال له عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد وهذا النهر تتفرع منه انهار كثيرة على جملة جهات • وللشعراء في وصف دجلة كلام طويل نأتي هنا بما فيه الكفاية منه • قال ابو العلاء المعري

سقيا لدجلة والدنيا مفرقة ... حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا
وبعدها الا احب الشرب من نهر ... كانما انا من اصحاب طالوتا
ذم الوليد ولم اذمم بلادكم ... اذ قال ما انصفت بغداد حوشيتا

ولابن التمار الواسطي يصف ضوء القمر على دجلة

قم فاعتصم من صروف الدهر والنوب ... واجمع بكأسك شمل اللهو والطرب
أما ترى الليل قد ولت عساكره ... مهزومة وجيوش الصبح في الطلب
والبدر في الأفق الغربي تحسبه ... قد مدّ جسرا على الشطين من ذهب

يريشان مضارع راش يقال راش فلان فلانًا نفعه وأغناه وأعانه • خص خصص • عمّ شمل (المعنى) يقول ولأبي كفان كان لمجتديها كنهر الفرات ونهر دجلة في نفعها ودرها الخصب على الناس وكانا يغنيان و ينفعان الخاص والعام والقريب والبعيد • وقال الأبيرد الرياحي

فتى الحي والأضياف ان روحتهم ... بليل وزاد السفر ان أرمل السفر
سلكت سبيل العالمين فما لهم ... وراء الذي لاقيت مغدى ولا قصر
وكل امرىء يوماً سيلقى حمامه ... وان نأت الدعوى وطال به العمر
وابليت خيراً في الحياة وانما ... ثوابك عندي اليوم أن ينطق الشعر

وقالت الخنساء

ألا هبلت أم الذين غدوا به ... الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وَعِلْمٌ هُوَ الْيَمُّ الَّذِي قَدْ تَنَـوَّرَتْ
أَوَاذِيَّهُ الْوُرَّادُ فَاسْتَصْغَرُوا الْيَمَّا (١)
وَبَطْشٌ لِمَنْ عَادَاهُ تَحْسَبُ أَنَّهُ
شِهَابٌ هَوَى فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ رَجْمَا (٢)
وَصَدْرٌ هُوَ الدَّهْنَاءُ فِي الْأَزْمِ فُسْحَةً
وَلَيْلَةُ سِرٍّ عِنْدَ أَسْرَارِهِ كَتْمَا (٣)

وما ذا يوارى الموت تحت ترابه — من الجود يابؤس الحوادث والدهر
فشأن المنايا اذ أصابك ريبها — لتعدو على الفتيان بعدك أو ترى

(١) اليم البحر . تنورت تبصرت . الأواذي امواج البحر . الوراد جمع وارد وهو من يرد الماء

(المعنى) يقول وكان رحمه الله عالما علمه كاليمّ وهو البحر الخضم الذي لو أبصرته وراده لصغر في أعينهم اليمّ الحقيقي

(٢) البطش القوة والعنف . الشهاب ما يرى كانه كوكب انقض . العفرية لغة في عفريت وجمعه عفارية الرجم مفرد رجم النجوم التي يرمى بها

(المعنى) يقول وكان له بطش وقوة على من عاداه كأنه شهاب من شهب الرجم في هويها اثر عفريت من الجن ممن يسترقون السمع كما ورد في القرآن العظيم

(٣) الدهناء تقصر وتمد سبعة احبل من الرمل في عرضها بين كل جبلين شقيقة وطولها من حزن ينسوعة الى رمل يبرين وهي من أكثر بلاد الله كلاءً مع قلة اعذاء ومياه واذا اخصبت الدهناء ربعت العرب جمعاً لسعتها وكثرة شجرها وهي عذاة مكرمة نزهة من سكنها لا يعرف الحمى لطيب تربتها وهوائها . وقد أكثر الشعراء من ذكر الدهناء قال اعرابي حبس بحجر اليمامة

هل الباب مفروج فأنظر نظرة — بعين قلت حجر افطال احتمالها
الا حبذا الدهنا وطيب ترابها — وارض خلاء يصدح الليل هامها

وَقَوْلٌ عَرِيقٌ فِي الفَصَاحَةِ لَوْ غَدَتْ
تُسَاجِلُهُ عُرْبٌ إِذًا أَصْبَحُوا عُجْمَا [١]

ونص المهاري بالعشيات والضحى   الى بقروحي العيون كلامها

وقالت العيوف بنت اخي ذي الرمة

خليلي قوما فارفعا الطرف وانظرا   لصاحب شوق تنظرا متراخيا

عسى ان نرى والله ما شاء فاعل   بأكثبة الدهنا من الحي باديا

وان حال عرض الرمل والبعد دونهم   فقد يطلب الانسان ما ليس رائيا

الازم مصدر ازم علينا الدهر اشتد وقل خيره • ليلة سر السر آخر الشهر وهي ليلة تكون احلك الليالي واكتمها للاشياء لذلك قال الشاعر في وصف زنجية ولدت لبعض الامراء ولد

وجاءت به أم من الزنج برة   كليلة سر انجبت بهلال

(المعنى) يقول وله صدر فسيح الجوانب اذا اشتد دهر او ادلهم خطاب او عض الزمان الضعفاء والمساكين بأنيابه العصل وهذا الصدر مع كونه كالدهناء في الفسحة والرحب يكون لدى الاسرار كليلة السر التي لا يظهر فيها شيء لحلوكتها • قال الشاعر في حفظ السر وكتمانه

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم   على سر بعض غير اني جماعها

يظلون شتى في البلاد وسرهم   الى صخرة اعيي الرجال انصداعها

لكل امرئ شعب من القلب فارغ   وموضع نجوى لا يرام اطلاعها

وقال الآخر

فلا تفش سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحاً
واني رايت غواة الرجال لا يتركون اديما صحيحا

(١) العريق الأصيل • تساجله تباريه

(المعنى) يقول وله قول أصيل في الفصاحة لو ساجلته العرب وهم هم ارباب الفصاحة واللسن لأصبحوا أمامه عجما لكنا و يريد بالعراقة في الفصاحة ان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد وابو بكر رضي الله عنه وعلي وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما كانوا اجداده فسرت اليه

وَعَدْلُ هُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَدْ قَضَى بِهِ
أَبُو حَفْصٍ الْفَارُوقُ فِي طَيْبَةٍ حُكْمَا
فَهَذَا أَبِي مِنْ بَيْتِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ

فصاحتهم ودبت الى موضع النطق منه فلذلك كان قوله عريقا في الفصاحة قالت الخنساء

وقافية مثل حد السنان تبقى ويذهب من قالها
تسهلتها ثم ارسلتها ولم يطق الناس ارسالها

وقال شاعر جاهلي

فانأهلك فقد ابقيت بعدي قوافي تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لوان الشعر يلبس لارتدينا

(١) ابو حفص كنية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين وجد الراثي والمرثي وهو اشهر من ان نترجمه فلا حاجة الى ترجمته • طيبة هو اسم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم يقال لها طيبة وطابة قال ياقوت في كتابه معجم البلدان عن ذكر طيبة • قرأت بخط ابي الفضل العباس بن علي الصولي بن برد الخيار عن خالد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وكان لا يصعده الا يوم الجمعة فانكر الناس ذلك فكانوا بين قائم وجالس فأومأ النبي صلى الله عليه وسلم اليهم بيده أن اجلسوا ثم قال : اني لم اقم بمقامي هذا الاّ لامر ينفعكم ولكن تميما الداري اخبرني ان بني عمٍّ له كانوا في البحر فاخذتهم ريح عاصف فالجأتهم الى جزيرة فاذا هم بشيء اسود أهدبَ كثير الشعر فقالوا ما انت قالت انا الجساسة قالوا اخبرينا فقالت ما انا بمخبرتكم بشيءٍ ولكن عليكم بهذا الدير فان فيه رجلاً هو بالاشواق الى محادثتكم فدخلوا فاذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق شديد التشكي مظهر للحزن فسألهم من أي العرب انتم فقالوا عن قوم من العرب من اهل الشام قال فما فعل الرجل الذي خرج فيكم قلنا بخير قاتله قومه فظهر عليهم قال فما فعلت عين زعر قالوا يشربون ويسقون قال فما فعل نخل بين عمان وبيسان قالوا يطعم جناه في كل حين قال فما فعلت بحيرة طبرية قالوا يتدفق جانباها فزفر ثلاث زفرات ثم قال لو تد أفلت من وثاقي هذا لم ادع ارضاً الا وطئتها برجلي الا طيبة فانه ليس لي عليها سلطان • ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه انتهى فرحي هذه طيبة والذي

إِلَى نَضَدٍ مِنْ هَاشِمٍ يَفْرَعُ النَّجْمَا[1]

نفس محمد بيده ما فيها طريق واسع ولا دقيق ولا سهل ولا جبل الا عليه ملك الى يوم القيامة
وقال عبيد الله بن قيس الرقيات

يا من راى البرق بالحجاز فما اقبس ايدى الولائد الضرما
لاحسناه من نخل يثرب فالحرة حتى اضا لنا راضما
اسقى به الله بطن طيبة فالروحاء فالاخشبين فالحرما
ارض بها تثبت العشيرة قد عشنا وكنا من اهلها علما

(المعنى) يقول وكان عادلاً في حكمه فكان عدله العدل الذي كان يقضي به بين الناس في طيبة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه كان شهيراً بالعدل والانصاف •

(١) من انتهى اليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن وهم · هاشم · وأمية ونوفل · وعبد الدار · وأسد · وتيم · ومخزوم · وعدي وجمح · وسهم · فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقي الحجيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الاسلام · وكان من بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش واذا كانت عند رجل اخرجها اذا حميت الحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد اعطوه العقاب وان لم يجتمعوا على أحد راسوا صاحبها فقدموه · وكان من بني نوفل الحارث بن عامر وكانت اليه الرفادة وهي ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج · وكان من بني عبد الدار عثمان بن طلحة كان اليه اللواء والسدانة مع الحجابة والندوة أيضاً في بني عبد الدار · وكان من بني أسد يزيد بن زمعة ابن الأسود وكانت اليه المشورة وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتى يعرضوه عليه فان وافقهم ولا هم عليه والا تخير وكانوا له اعواناً واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف · وكان من بني تيم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت اليه في الجاهلية الاشناق وهي الديات والمغرم فكان اذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه · وكان من بني مخزوم خالد بن الوليد كانت اليه القبة والاعنة فاما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش واما الاعنة فانه كان على خيل قريش في الحرب · وكان من بني عدي عمر بن الخطاب وكانت اليه السفارة في الجاهلية وذلك انهم كانوا اذا وقعت بينهم و بين غيرهم حرب بعثوه سفيراً وان نافرهم حي لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا

وما ذاكَ فِي مدْحيهِ شِعرٌ وَإِنَّمَا
خَلاَئقهُ دُرٌّ أَجدْتُ لَهُ نَظْمَاً ١

***

أَيَقْطُرُ هَذَا الدَّمْعُ كَالشَّمْعِ أَوْ أَحْمَى
وَيُصْبِحُ هَذَا الْهَمُّ كَالسَّهْمِ أَوْأَصْمَى ٢

به . وكان من بني جمح صفوان بن امية وكانت اليه الايسار وهي الازلام فكان لا يسبق بامر عام حتي يكون هو الذي تسييره على يديه . وكان من بني سهم الحارث بن قيس وكانت اليه الحكومة والاموال المحجرة التي سموها لآلهتهم : فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية . اقول من قرأ ما كتبناه وجد ان السيد المؤلف حفظه الله له فيمن ذكرنا ثلاثة اجداد كل واحد منهم له مفخرة في الجاهلية قبل الاسلام ويتصل نسبه بقريش . اولهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهو من تيم بن مرة القرشي . وهو جـده من جهة الصلب وهذا معنى قوله (فهذا ابي من آل تيم بن مرة) . وثانيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من بني عدي القرشي وجد السيد من جهة البطون كما ذكرنا في اول شرح القصيدة نقلاً عن علي باشا مبارك . ثم قلنا هنا لك ان السيد ينتهي نسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وامه فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ومن عبـد المطلب العباس ابنه وهو الثالث . ومن كان له هذا النسب الواضح في الجاهلية والاسلام له ان يفتخر و يقول ما قاله غير مدافع ولا منازع . النضد العز والشرف . يفرع يعلو

(المعنى) يقول بعد ما ذكر ما كان عليه أبوه من السجايا الكريمة فهذا أبي أي هذا الذي ذكرته لكم هو ابي الذي ينتهي نسبه الى تيم بن مرة وهو هو والذي ينتهي نسبه ايضاً وشرفه ومجده الى هاشم ومن له هذا النسب الوضاح فان له شرفاً يعلو ذروة النجم

(١) مدحيه يريد في مدحي اياه أوله وهو يستعمل كثيرا في اشعار العرب

(المعنى) يقول ان كل ما ذكرته لأبي من السجايا والاخلاق الحسنة لم اذكره مدحاً فيه وافتخار ونسقتها به وانما هي اخلاقه التي كالدر نظمتها فكانت عقداً ثميناً

(٢) الشمع موم العسل يستصبح به ٠ احمى اسخن ٠ اصمى اسرع

وَتَخْشَعُ نَفْسِي كُلَّمَا شِمْتُ بِاللِّوَى
قُبُورَ بَنِي الصِّدِّيقِ إِذْ رُفِعَتْ ثَمَّا ١

(المعنى) يقول ويستفهم استفهاماً انكاريا هل الدمع الذي يقطر من عيني كالشمع حينما تذيبه حرارة الذبالة فيتساقط حاراً او هو احمى منه ويقول وهل هـذا السهم الذي بين جوانحي كالسهم في سرعة اختراقه او اسرع • وعلى ذكر الشمع الذي جاء في المتن نذكر ابياتاً قالها كشاجم في وصفه

وخود من بنات النحل تكسى   بواطنها واظهرها عوارى
كواكب لسن عنك بآفلات   اذا ما اشرقت شمس العقار

وله يرثي اباه

تزداد فيك مصيبتي   خطرا اذا نهنهت نفسي
واري الاسى مني عليك اليوم اعظم منه امس
فأظل فيك مخالفاً   اهل التسلي والتأسي
لا تبعدن ابي الشفيق   وان غدوت رهين رمس
ولقد علت دنياي بعدك وحشة من بعد انس
وسقى ضريحك وابل   يضحي بصوبته ويمسي
وعشيت في ظلام الخطوب وكنت مصباحي وشمسي
وتركتني غرضا لنبل الحادثات وكنت ترسي
فتمكنت انياب ريب الدهر من عضي ونهسي

(١) تخشع تسكن • شمت ابصرت • اللوى بالكسر وفتح الواو والقصر هو في الأصل منقطع الرملة يقال قد الويتم فانزلوا اذا بلغوا منقطع الرمل وهو ايضاً موضع بعينه قد اكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فمز الفصل بينهما والمراد به هنا منقطع الرملة واما اللوى فهو واد من اودية بني سليم ويوم اللوى وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع ومما يدل على انه واد قول بعض العرب

لقد هاج لي شوقاً بكاء حمامة   ببطن اللوى ورقاء تصدع بالفجر
هتوف تبكي ساق حر ولا ترى   لها عبرة يوماً على خدها تجري

وَقَرْنَ بِأَكْنَافِ البِطَاحِ كَأَنَّهَا
يَلَمْلَمُ أَوْ ثَهْلَانُ أَوْ جَبَلَا سَلْمَى ١

تغنت بصوت فاستجاب لصوتها   نوائح بالاصناف من فنن السدر
واسعدنها بالنوح حتى كأنما   شربن سلافًا من معتقة الخمر
دعتهن مطراب العشيات والضحى   بصوت يهيج المستهام على الذكر
تجاوبن لحنا في الغصون كأنها   نوائح ميت يلتدمن على قبر
فقلت لقد هيجن صبا متيما   حزينًا وما منهن واحدة تدرى

وقال نصيب

وقد كانت الايام اذ نحن باللوى   تحسن لي لو دام ذاك التحسن
ولكن دهرًا بعد دهر تقلبت   بنا من نواحيه ظهور وابطن

بنو الصديق تقدم ذكرهم في اول شرح هذه القصيدة . ثمّ هناك

(المعنى) يقول ان نفسى تخشع وتسكن كلما نظرت قبور بني الصديق هيبة واعتبارًا اذ رفعت هنا لك باللوى . قال ابو العتاهية يرثي اخاه

بكيتك يا اخي بدمع عيني   فلم يغن البكاء عليك شيًا
وكانت في حياتك لي عظات   وانت اليوم اوعظ منك حيًا

(١) وقرن سكنّ . الاكناف جمع كنف وهو الجانب . البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى — يلملم جبل في الطائف على ليلتين او ثلاث قال ابو دهبل

فما نام من راع ولا ارتد سامر   من الحي حتى جاوزت بى يلملما

ثهلان جبل بالعاليه وهو من جبال نجد قال الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا   بيتًا دعائمه اعز واطول
بيتًا زرارة محتب بفنائه   ومجاشع وابو الفوارس نهشل
فادفع بكفك ان اردت بناءه   ثهلان ذوالهضبات هل يتحلحل

جبلا سلمى اذا اطلق هذا اللفظ فانما يراد به جبلا طيء اجأ وسلمى وهما غربي فيد وبينهما مسير ليلتين وفيه قرى كثيرة ومنازل طيء في الجبلين عشر ليال من دون فيد الى اقصى اجأ الى القريات من ناحية الشام و بين المدينة والجبلين على غير الجادة ثلاث مراحل و بين الجبلين وتيماء

وَإِمَّا تَرَاءَتْ هِيلَتِ النَّفْسُ عِنْدَهَا
قُشَعْرِيرَةً لِلْهَيْبِ أَوْ وَجَمَتْ وَجْمَا (١)

جبال و بين الجبلين وفدك ليلة و بينهما و بين خيبر خمس ليال · قال عارق الطائي

ومن جاء حولى رعان كانها   قنابل خيل من كميت ومن ورد
ايوعدني والرمل بيني وبينه   تأمل رويدا ما امامة من هند

وقال زيد بن مهلهل الطائي

جلبن الخيل من اجأ وسلمى   تخب نزائعاً خبب الركاب
جلبنا كل طرف اعوجي   وسلهبة كخافية الغراب
نسوق للحزام بمرفقيها   شنون الصلب صماء الكعاب

وسميا بجبلي سلمى تسهيلاً في اللفظ وشهرة سلمى

(المعنى) يقول ان قبور بني الصديق قد سكنّ بجوانب البطاح كانها الجبال التي ذكرها هيبة وعظمة

(١) تراءت تبدت · هيلت فزعت · القشعريرة وجل النفس · الهيب الخوف · وجمت عجزت عن التكلم من شدة الحزن

(المعنى) يقول اذا تراءت هذه القبور فزعت النفس من الانقباض والحزن واعتورها للهيبة وجوم فلم تنطق · قال كشاجم يرثي اباه

يا ابتي اي اسى   لم تبق لابن ثكلك
خلفته مقتفيا   الى المعالي سبلك
وددت لو بجسدي   كنت احتملت عللك
وددت انّي للمنايا   كنت يوماً بدلك
يا ابتي كل اب   يورد يوماً منهلك
والحي يقفو من مضي   به الردى حيث سلك
من اي شيء يعجب الباكون و الراثون لك
امن سرير حملك   ام من تراب أكلك

أُهِيلَ عَلَى مِثْلِ العَوَالِي تُرَابُهَا
وَوَارَتْ لَدَى أَطْبَاقِهَا الدِّينَ وَالعِلْمَا ١
إِذَا مَا تَبَدَّى الدَّجْنُ يَحْبُو كَأَنَّمَا
تَعَلَّقَ لُجُّ البَحْرِ أَرْدَانَهُ السُّحْمَا
وَيَضْحَكُ فِي خِيطَانِهِ البَرْقُ مَوْهِنًا
كَمَا ضَحِكَ البَاكِي إِذَا أَكْبَرَ الهَمَّا
فَحَيَّا الحَيَا تِلْكَ القُبُورَ فَطَالَمَا
سَقَى أَهْلُهَا الظَّمْآنَ مِنْ فَضْلِهِمْ نُعْمَى ٢

ام للضريح الضيق الارجاء كيف شملك

(١) اهيل صب" • العوالي الرماح • وارت سترت • اطباق جمع طبق وهو وجه الارض (المعنى) يقول ان تراب هذه القبور اهيل على مثل الرماح طولا ونفاذا وهي صفة ممدوحة عند العرب وانها ضمت اهل الدين والعلم • قال الشريف الرضي

غاض غدير الكلام ما بقي الدهر وقرت شقاشق الخطب
ياعلم المجد لم هويت وقد كنت امين العماد والطنب
يا مقول الدهر لم صمت وقد كنت زمانا امضى من الشهب
يا ناظر الفضل لم غضضت وما كنت قديما تغضى على الريب

وقال يرثي

وجه كلمع البرق غاض وميضه قاب كصدر العضب فل" مضاؤه
ان الذي كان النعيم ظلاله امسى يطنب بالعراء خباؤه
قدخف عن ذاك الرواق حضوره ابدا وعن ذاك الحمى ضوضاؤه

(٢) تبدى ظهر • الدجي الغمام الاسود • يحبو يدنو بعضه الى بعض • تعلق تمسك •

غابة بولونيا

يُقْبِلُ الْمَرْءُ عَلَى بَارِيسَ فَإِذَا حَدَائِقُ وَقُصُورٌ ۰ وَلَيْلٌ كَسَوَادِ الْعَيْنِ كُلُّهُ
نُورٌ [١] ۰ وَإِذَا الْبُرْجُ فِي طَخْيَةِ اللَّيْلِ ۰ كَأَنَّ سِرَاجَهُ سُهَيْلٌ [٢]
خَطَّ الْهِلَالُ عَلَى الدُّجَى بِبَنَانِهِ

لج البحر موجه ۰ اودان جمع ردن وهو الكم ۰ السحم السود جمع اسحم ۰ موهنا اي في نصف الليل ۰ اكبر الشيء رآه كبيراً ۰ حيا من التحية ۰ الحيا المطر ۰ نعمى ضد بؤسى

(المعنى) يقول اذا ما ظهر الغمام يتدانى بعضه لبعض وهو مملوء بالقطر كأن موج البحر تعلق باهدابه السود وقد لمع البرق فأضاء خيطانه وهي مرسلة على الارض فأشبهت لمعته ضحكة الباكي اذا عظمت المصيبة وجل الخطب انتشر البلية ما يضحك اذا كان الامر كذلك والغيم على ما وصفت والبرق كما ذكرت فحيا هذا المطر هذه القبور فطالما اروى قطانها كل ظامئ من معروفهم وجودهم نعما كثيرة ورفدا عظيما ۰

(١) باريس هي عاصمة بلاد الفرنسيس ومن احسن بلاد الله منظرا وجمالا ووضعا ونظاما

(المعنى) يقول اذا اقبل المرء على باريس راى بها حدائق وقصورا وابصر ليلا قد لمعت فيه الاضواء والانوار فصار كحدقة العين سوداء ولكنها ملئت بالنور : قال ابو العلاء المعري يصف الليل

رب ليل كانه الصبح في الحسن وان كان أسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو لما وقف النجم وقفة الحيران
فكاني ما قلت والبدر طفل وشباب الظلماء في عنفوان
ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

(٢) البرج المراد به هنا برج (ايفل) وهو برج مرتفع جدا اقيم على قواعد اربع في وسط باريس ۰ الطخية الظلمة ۰ سهيل كوكب احمر من كواكب السماء

(المعنى) يقول وقد اقيم في هذه المدينة برج مرتفع كان السراج الذي وضع في ذروته سهيل

خَطًّا رَأَيْتُ الْكَوْنَ ضِمْنَ بَيَانِهِ ١

بُرْجٌ مَاثِلٌ . كَأَنَّهُ بُرْجُ بَابِلَ . غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ فَرَّقَ الْبَشَرَ . وَهَذَا جَمَعَ الْبَدْوَ وَالْحَضَرَ ٢ . وَإِذَا الْمَدِينَةُ . كَأَنَّهَا فِي يَوْمِ الزِّينَةِ . وَقَدْ جَاشَتِ الطُّرُقُ بِالسَّيَّارَةِ . وَزَخَرَتِ الْبَرَازِيقُ بِالنَّظَّارَةِ . فَكَأَنَّمَا انْفَضَخَ سَيْلُ الْعَرِمِ . وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ سَبِيلٍ جَيْشٌ مُنْهَزِمٌ ٣ . وَكَأَنَّ كُلَّ بَهْوٍ إِيوَانٌ . وَكَأَنَّ كُلَّ شَاهِقَةٍ رَأْسُ غُمْدَانَ ٤ .

---

(١) (المعنى) يقول ان الهلال خط على الدجى خطًّا فاناره وكشف ظلمته فاستبان الكون وهو استشهاد حسن للغاية وذلك لمناسبة السراج الموضوع فوق البرج

(٢) الماثل القائم . برج بابل تقدمت ترجمته في غير هذا الموضع من الكتاب

(المعنى) يقول ان هذا البرج القائم في باريس وهو برج ائفل كانه برج بابل غير ان ذاك فرق البشر في وقت تبلبل الالسنة كما ورد في اسفار التاريخ وهذا جمع الناس بباريس في المعرض المقام بها عند انشائه سنة ١٨٨٩

(٣) جاشت من جاش البحر بالامواج هاج واضطرب . السيارة القوم يسيرون . زخرت امتلأت . البرازيق الطرق المصطفة حول الطريق الاعظم وهي كلمة حسنة جدًّا تؤدي معنى (الترتوار) تمامًا . النظارة القوم ينظرون الى الشيء . انفضخ تدفق سيل العرم هو الذي سال بارض اليمن فاغرقها وفرق اهلها ايدي سبا

(المعنى) يقول وكان المدينة لاختلاط الناس وازدحامهم في يوم زينة لان الطرق قد اكتظت بالمارة وزخرت افاريزها بالناس فكانهم وهم يموجوا بعضهم في بعض سيل العرم في ارتطامه او انهم جيش منهزم في تداخله واصطدامه

(٤) البهو البيت المقدم امام البيوت وهو المسمى الآن في لغة الافرنج بالصالون . الايوان الصفة العظيمة والمراد ايوان كسرى . الشاهقة مؤنث الشاهق وهو المرتفع من الابنية — غمدان هو قصر ليشرح بن يحصب بناه بين صنعاء وطيوة وجعله على اربعة اوجه وجعل في اعلاه مجلسًا بناه بالرخام الملون وجعل على كل ركن من اركانه تمثال اسد من اعظم ما يكون من الاسد فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت في جوفه فيسمع له زئير كزئير السباع

وَكَأَنَّمَا كُلُّ بُسْتَانٍ • شِعْبُ بَوَّانَ ¹ • وَكُلُّ حَائِطٍ سَدُّ ذِي الْقَرْنَيْنِ • وَكُلُّ طَرِيقٍ

وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلاً فكان سائر القصر يلمع كما يلمع البرق فاذا اشرف عليه الانسان من بعض الطرق ظنه برقاً ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح وفيه يقول ذو جدن الهمذاني

مصابيح السليط يلحن فيه ... اذا يمسي كتوماض البروق

فاضحى بعد جدته رمادا ... وغير حسنه لهب الحريق

وفي غمدان يقول دعبل بن عليّ الخزاعي

منازل الحيّ من غمدان فالنضد ... فمأرب فظفار الملك فالجند

ارض التبابع والاقيال من يمن ... أهل الجياد وأهل البيض والزرد

لم يدخلوا قرية الاوقد كتبوا ... بها كتاباً فلم يدرس ولم يبد

بالقيروان وباب الصين قد زبروا ... وباب مرو وباب الهند والصغد

وقال ابو الصلت يمدح ذايزن

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دار منك محلالا

تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وهدم غمدان في ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه

(المعنى) يقول وكأن كل بهو لاتساعه الايوان وكل شاهقة من البنيان رأس غمدان وهو ذلك القصر المشهور

(١) شعب بوّان بارض فارس بين ارجان والنوبندجان وهو احد المتنزهات المشهورة بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة انواع الاطيار قال الشاعر

فشعب بوّان نوادي الراهب ... فثمّ تلقى ارحل النجائب

وهو موضع من احسن ما يعرف في شجر الجوز والزيتون وجميع الفواكه النابتة في الصخر • وعن المبرد انه قال قرأت على شجرة بشعب بوان

اذا أشرف المحزون من رأس تلعة ... على شعب بوان استراح من الكرب

والهاه بطن كالحريرة مسه ... ومضطرد يجري من البارد العذب

وطيب ثمار في رياض اريضة ... على قرب اغصان جناها على قرب

وَادٍ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ١ . وَكُلُّ قَنْطَرَةٍ قَنْطَرَةُ خُرَّازَاذَ . أَوْ قَنْطَرَةُ الْبَرَدَانِ بِبَغْدَاذَ ٢ .

فبالله يا ريح الجنوب تحملي الى اهل بغداد سلام فتى صب

وذكر اهل الادب انه قرأ على شجرة دُلب تظل عيناً جارية بشعب بوان

متى تبغني في شعب بوان تلقني لدى العين مشدود الركاب لي الدُّلب

واعطي واخواني الفتوة حقها بما شئت من جد وما شئت من لعب

يدير علينا الكاس من لو رأيته بعينك ما لمت المحب على الحب

وقال المتنبي في شعب بوان

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كرمن من الحران

غدونا تنفض الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمان

فسرت وقد حجبن الحر عني وجئن من الضياء بما كفاني

والقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان

(المعنى) يقول وكان كل بستان في نضارته وزهوه شعب بوان المنتزه الشهير

(١) سد ذي القرنين هو سد محكم البنا وهو المشهور بسد يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكره في القرآن واختلف المفسرون في تعريفه واكثروا القول من ذلك فمن اراده فليطلبه من محاله — الوادي بين الصدفين اي بين رأسي الجبلين المتقابلين

(المعنى) يقول ان كل حائط في باريس كانه لسموقه وارتفاعه ومحكم بنيانه سد ذي القرنين وكأن كل طريق واد بين الصدفين

(٢) قنطرة حرازاذ ام ازدشير بسمرقند بين ايدج والرباط من عجائب الدنيا طولها الف ذراع وعلوها مائة وخمسون اكثرها مبني بالرصاص والحديد — قنطرة البردان ببغداذ نسبة الى البردان قرية من قري بغداد على سبعة فراسخ منها قرب صريفين وهي من نواحي دجيل وفيه يقول جحظة

ادفع ورود الهم عنك بقهوة مخزونة في حانة الخمار

وَكُلُّ قَصْرٍ قَصْرُ الْمُشْتَهَى • وَكُلُّ كَنِيسَةٍ كَنِيسَةُ الرُّهَا ١
تُلْفِي بِهَا نَفَرًا دَقَّتْ شُخُوصُهُمُ
مِنَ التَّرَهُّبِ إِلاَّ نِضْوَ أَشْبَاحِ
يُكَرِّرُونَ نَوَاقِيسًا مُرَجَّعَةً

جازت مدى الاعمار فهي كأنها عند المذاق تزيد في الاعمار
يسعى بها خنث الجفون منعم في خده ماء النضارة جار
في رقة البردان بين مزارع محفوفة ببنفسج وبهار
بلد يشبه صيفه بخريفه رطب الاصائل بارد الأسحار

(المعنى) يقول وكان كل قنطرة في باريس قنطرة حرازاذ المشهورة او قنطرة البردان ببغداذ وذلك لطولهما وغرابتهما

(١) قصر المشتهى • هو قصر من قصور الملوك الفاطميين بمصر وكانوا قد أعدوه للنزهة في أوقات فراغهم وترييحاً لانفسهم من عناء الملك واعبائه

كنيسة الرُّها نسبة الى مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ • قال أبو الفرج الاصبهاني حدثني ابو محمد حمزة بن القاسم الشامي قال اجتزت بكنيسة الرُّها عند مسيري الى العراق فدخلتها لاشاهد ما كنت اسمعه عنها من العجائب فبينما أنا اطوف اذ رأيت على ركن من أركانها مكتوباً

ولي همة أدنى منازلها السها ونفس تعالت بالمكارم والنهى
وقد كنت ذا آل بمرو سرية فبلغت الأيام بي بيعة الرُّها
ولو كنت معروفاً بها لم أقم بها ولكنني أصبحت ذا غربة بها
ومن عادة الأيام ابعاد مصطفى وتفريق مجموع وتبغيض مشتهى

قال فاستحسنت النظم فحفظته وقال عبيدالله من قيس الرقيات

فلو ما كنت أروع أبطحيا أبيّ الضيم مطرح الدناء
لو دعت الجزيرة قبل يوم بنسى القوم أطهار النساء
فذلك أم مقامك وسط قيس وتغلب بينها سفك الدماء

عَلَى الزَّبُورِ بِإِمْسَاءٍ وَإِصْبَاحِ ١

وقد ملأت كنانة وسط مصر　　الى عليا تهامة فالرهاء

وقد نسب ابن مقبل اليها الخمر فقال

سقتني اصهباء درياقة　　متى ما تلين عظامي تلن

رهاوية مترع دنها　　ترجع من عود وعس مرن

(المعنى) يقول وكان كل قصر من قصورها لضخامة بنيانه وارتفاع اركانه قصر المشتهى وكل كنيسة كنيسة الرُّها

(١) النفر القوم · دقت رقت · الشخوص الذوات والاجسام · الترهب التعبد · النضو المهزول · الاشباح جمع شبح وهو الشخص · النواقيس جمع ناقوس وهو مضراب النصارى · الزبور الكتاب بمعنى المزبور اي المكتوب وغلب على مزامير داود النبي عليه الصلاة والسلام ومنه قول الشاعر

مقفرات دارسات　　مثل آيات الزبور

(المعنى) يقول انك ترى في الكنائس التي بباريس قوماً من القسوس لم يبق منهم الا أنضاء مهزولة فلا تسمع منهم الا اصوات النواقيس تضرب عند تلاوتهم لآيات الزبور في وقت المساء والصباح · قال كشاجم في دير القصير بمصر

سلام على دير القصير وسفحه　　فجنات حلوان الى النخلات

منازل كانت لي بهن مآرب　　وكن مواخيرى ومنتزهاتى

اذا جئتها كان الجياد مراكبي　　ومنصرفي في السفن منحدرات

والحان مما امسكته كلا بنا　　علينا ومما صيد بالشبكات

وقال محمد بن العاصم المصري فيه

ان دير القصير هاج ادكارى　　لهو أيامنا الحسان القصار

وزماناً مضى حميداً سريعاً　　وشباباً مثل الرداء المعار

ولو أن الديار تشكو اشتياقاً　　لشكت جفوتي وبعد مزارى

ولكادت تسير نحوى لما قد　　كنت فيها سيرت من اشعارى

وكأني اذ زرته بعد هجر　　لم يكن من منازلى ودياري

اذ صعودي على الجياد اليه　　وانحداري في المعنقات الجواري

وَقَدْ أُقِيمَ عَلَى كُلِّ حَنِيَّةٍ . صَنَمٌ يَعُوقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ [١] . وَتَجْرِي فِي كُلِّ رَحْبَةٍ عَيْنٌ تَجْرِي عَلَى صَخْرٍ . كَعَيْنِ الْخَنْسَاءِ عَلَى صَخْرٍ [٢] . وَاجْتَمَعَ فِي كُلِّ مَرْجٍ . زُورٌ

بصقور الى الدماء صواد   وكلاب على الوحوش ضواري
منزلاً لست محصياً ما لقلبي   ولنفسي فيه من الاوطار
وكأن الرهبان في الشعر الاسود سود الغربان في الاوكار
كم شربنا على التصاوير فيه   بصغار محثوثة وكبار
صورة في مصور فيه ظلت   فتنة للقلوب والابصار
اطربتنا بغير شدو فاغنت   عن سماع العيدان والمزمار
لا وحسن العينين والشفة اللمياء منها وخدها الجلنار
لا تخلفت عن مزارى دهرا   هي منه ولو نأى بي مزارى

(١) الحنية في الاصل القوس وذلك لانحنائها ثم تستعمل للمنعطفات • يعوق صنم لقوم نوح او كان رجلاً صالحاً من صالحي زمانه فلما مات جزعوا عليه فاتاهم الشيطان في صورة انسان فقال امثله لكم في محرابكم حتى تروه كلما صليتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتخذوا تلك الامثلة اصناماً يعبدونها

(المعنى) يقول وقد اقيم على كل منعطف من تلك المنعطفات صنم كيعوق الذي اقامه اهل الجاهلية اكراماً له

(٢) الرحبة الساحة المتسعة • — الخنساء هي بنت عمر بن الحارث بن الشريد واسمها تماضر والخنساء لقب وقع عليها وكانت من اشهر نساء العرب وصخر هو اخوها قتله زيد بن ثور الاسدي يوم ذي الاثل ولما قتل حزنت عليه حزناً شديداً وبكت عليه كثيراً ومن شعرها قولها ترثيه

الا ما لعينك ام مالها   لقد اخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الارض اثقالها
فان تك مرة اودت به   فقد كان يكثر تقتالها
سأحمل نفسي على خطة   فاما عليها واما لها
فان تصبر النفس تلق السرور وان تجزع النفس اشقى لها

وَصَنْجٌ ۰ وَبَدَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ غَرَائِبُ هِنْدِمَنْدَ ۰ وَعَجَائِبُ كَوْكَبَانَ وَالسُّغْدِ ۱

* * *

وقالت ايضاً ترثيه

فان صخرا لوالينا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحار

وان صخرا لتاتم الهداة به ... كانه علم في رأسه نار

لم ترأه جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار

مثل الرديني لم تنفد شبيبته ... كانه تحت طي البرد اسوار

وقالت فيه ايضاً

اعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

الا تبكيان الجرىء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته امردا

يحمله القوم ما عالهم ... وان كان اصغرهم مولدا

وان ذكر المجد الفيته ... تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقد ادركت الخنساء الاسلام واسلمت ۰

(المعنى) يقول وجرى في كل رحبة عين ماء تجري على الصخور والاحجار كانها عين الخنساء المشهورة على أخيها صخر المذكور

(۱) المرج أرض واسعة فيها نبت كثير ۰ الزور مجلس الغناء ۰ الصنج صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب دخيل جمعه صنوج — هندمند قال في القاموس هو نهر بسجستان ينصب اليه الف نهر فلا تظهر فيه الزيادة و ينشق منه الف نهر فلا يظهر فيه النقصان وهو من عجائب الدنيا — كوكبان حصن باليمن رصع داخله بالياقوت فكان يلمع كالكوكب — السغد ناحية كثيرة المياه نضرة الاشجار متجاوبة الاطيار مؤنقة الرياض والازهار ملتفة الاغصان خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة أيام لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال اشجارها وقصبتها سمرقند وربما قيلت بالصاد

(المعنى) يقول ان كل مرج في باريس فيه حديقة للغناء وصنوج تضرب واجتمع في كل ناحية غرائب كغرائب الدنيا المشهورة التي منها صرواح وهندمند

وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ حَرَجَةٌ مِنْ نُزَهِ الدُّنْيَا . يُقَالُ لَهَا (غَابَةُ بُولُونيَا) [١] . وَهِيَ بِطَاحٌ فِي بِطَاحٍ . وَرَوْضَةٌ فُسَاحٌ . وَشَجَرٌ دَوَّاحٌ . وَعِدٌّ جِلْوَاحٌ [٢] . وَطُرُقٌ بَيْنَ الْأَدْغَالِ . كَهُدًى فِي ضَلَالٍ [٣] . وَشُمُوسٌ بَيْنَ الْأَشْجَارِ . كَأَنَّهَا نِثَارٌ [٤] . وَكَأَنَّ الْأَزْهَارَ فِي حِيَالِهَا . فُرُشٌ . وَالْأَنْهَارَ فِي خِلَالِهَا . صَوَارِمُ فِي كَفٍّ مُرْتَعِشٍ .

---

(١) الحرجة مجتمع الشجر . النزه جمع نزهة وهي الارض ذات الخضر والرياض — غابة بولونيا هي قطعة من الارض واسعة ممتدة كلها شجر وحياض وفيها طرق رحيبة للمركبات يخرج اليها أهل الثروة والجمال من اهل باريس في مركباتهم الفاخرة ولا سيما في الاحاد والاعياد

(المعنى) يقول وفي مدينة باريس قطعة من الارض مخضلة النبات ملتفة الاشجار من احسن غياض الدنيا ونزهها يقال لها غابة بولونيا

(٢) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى . الروضة هي الارض النضرة ولا تكون روضة الا معها ماء او الى جانبها . الفساح الواسعة . الدواح الشديد العلو . العد الماء الجاري . جلواح واسع

(المعنى) يقول أن هذه الغابة هي بطاح متسعة ورياض فسيحة وشجر مرتفع وماء جار

(٣) الادغال جمع دَغَل وهو الشجر الكثير الملتف

(المعنى) يقول وفي هذه الحرجة طرق لمرور الناس بين اشجارها الملتفة المظلة كالهدى بين الضلال وهو معنى حسن جدا

(٤) النثار ما ينثر في العرس للحاضرين وكان نثار العرب من ثمرفاما في هذا العصر فالنثار من ذهب وفضة وغيرهما .

(المعنى) يقول كان تخلل ضوء الشمس من بين اغصان الاشجار نثار طرح على الارض . قال . الشاعر يصف الخضرة والروض

أما ترى الارض قد اعطتك عذرتها مخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها وللربيع ابتسام في نواحيها

وَالنَّهَارَ فِي ظِلَالِهَا . فَجْرٌ بَيْنَ الضِّيَاءِ وَالْغَبَشِ ١ . وَكَأَنَّ فِي كُلِّ غُصْنٍ صَوْتَ غِنَاءٍ . وَفِي كُلِّ عُشٍّ بَيْتًا فِيهِ ضَوْضَاءُ ٢ . وَكَأَنَّ الأَغْصَانَ . مُوَاصِلٌ غَضْبَانُ . أَوْ كَأَنَّهَا وَهِيَ تَمِيلُ وَتَعْتَدِلُ . شَارِبٌ ثَمِلٌ . أَوْ أَنَّهَا تُرِيدُ العِنَاقَ وَيَمْنَعُهَا الْخَجَلُ ٣

مَا فِيـــهِ إِلاَّ رَوْضَـةٌ أَوْ جَوْسَقٌ

---

(١) حيال الشيء جانبه . خلال الشيء ما حوالي حدوده . الصوارم جمع صارم وهو السيف القاطع . الغبش ظلمة آخر الليل

(المعنى) يقول وكان الازهار بجانب هذه الحرجة فرش موشية بالاحمر والاخضر والاصفر وغيره وكان الانهار وهي تبدو من اغصانها المتكاثفة سيوف في اكف مرتعشة وذلك لبريقها ولمعانها . وكأن ضوء النهار في ظلال الاغصان لكدورة لونه وعدم ظهوره وسطوعه تماماً فجر اكتنفه ظلمة الليل وطلوع الصباح . قال كشاجم يصف روضاً

وروض عن صنيع الغيث راض ... كما رضي الصديق عن الصديق
اذا ما القطر اسعـده صبوحا ... أتم له الصنيعة في الغبوق
يعـير الريح بالنفحات ريحا ... كأن ثراه من مسك سحيق
كأن الطل منتـثرًا عليه ... بقايا الدمع في خدّ المشوق
كأن النرجس البري فيـه ... مداهن من لجين للخلوق
يذكرني بنفسجه بقايا ... صنيع اللطم في الخد الرقيق

(٢) العش موضع الطائر . الضوضاء الجلبة .

(المعنى) يقول وكأن في كل غصن صوت غناء لما عليه من تغريد الطير وكان كل عش والعصافير تذقذق فيه بيت فيه ضوضاء وجلبة

(٣) الثمل المخمور

(المعنى) يقول وكأن الاغصان وهي تميل بها الريح وتعد لها وهي تتراوح مواصل غضبان وذلك لانها بدنوها تكون موصلة وببعدها تكون غضبانة او كانها وهي تتأود شارب مخمور قد عبث به السكر أو كانها حسناء تريد ان تعتنق ويمنعها حياء العذراء

أَوْ جَدْوَلٌ أَوْ بُلْبُلٌ أَوْ رَبْرَبُ [١]

بَيْنَ دَيْرِ الْعَاقُولِ مُرْتَبَعٌ يُشْرِفُ [٢]

مُحْتَلُّهُ إِلَى دَيْرِ قُنَّا

حَيْثُ بَاتَ الزَّيْتُونُ مِنْ تَحْتِهِ

الْكَرْمُ عَلَيْهِ وُرْقُ الْقَمَارِي تُغَنِّي

---

(١) الجوسق القصر . الجدول قناة الماء . البلبل طائر صغير ذو صوت حسن . الربرب القطيع من البقر

(المعنى) يقول ان هذه الغابة ما فيها الا روضة او جدول ماء او طائر البلبل يغرد في اغصانها او قطيع من البقر

(٢) دير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخًا على شاطىء دجلة وبالقريب منه دير قنّا وفيه يقول الشاعر

فيك دير العاقول ضيعت ايا مي بلهو وحث شرب وطرف

وندامای كل حر كريم حسن دله بشكل وظرف

بعدما قد نعمت في دير قنا معهم فاصفين احسن قصف

بين زين الديرين جنة دنيا وصفها زائد على كل وصف

دير قنا قال ياقوت في معجم البلدان هو على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً بين النعمانية وهو في الجانب الشرقي معدود في اعمال النهروان وبينه وبين دجلة ميل وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها الصافية ويقال له دير الاسكون وهو دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء وفيه مائة قلاية لرهبانه وهم يتبايعون هذه القلالى بينهم من الف دينار الى مائتي دينار وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين دينارا وفي وسطه نهر جار هذه صفته قديماً واما الان فلم يبق من ذلك غير سوره وقد وصفته الشعراء . فقال ابن جمهور

يا منزل اللهو بدير قنى قلبي الى تلك الربى قد حنا

سقيا لايامك لما كنا نختار منك لذة وحسنا

وَفِي جَوَانِبِ هَذِهِ الْحَرَجَةِ صُخُورٌ وَشِعَابٌ . وَأَحْجَارٌ وَهِضَابٌ . يَتَفَجَّرُ مِنْهَا مَاءٌ عُرَانِيَةٌ ذُو دُفَّاعٍ . فِي حَفَافَيْهِ الْآسُ وَالدَّلَّاعُ [١] . وَتَجْرِي بَيْنَهَا خُلُجٌ كَأَنَّهَا أَرَاقِمُ جَدَّتْ فِي الْهَرَبِ . أَوْ فَرَّتْ مِنْ طَلَبٍ . وَكَأَنَّ كُلَّ خَلِيجٍ حُسَامٌ . وَالظِّلُّ صَدَاهُ . أَوْ أَنَّهُ جَامٌ . وَالْأَصِيلُ طِلَاهُ . أَوْ أَنَّ ذَاكَ الظِّلَّ عِذَارٌ فِي خَدٍّ أَسِيلٍ .

ايام لا انعم عيشا منا   اذا انتشينا وصحونا عدنا
اذا فني دن نزلنا دنا   حتى يظن اننا جننا
ومسعد في كل ما اردنا   يحكي لنا الغصن الرطيب الادنا
احسن خلق الله اذ تحنا   وجس زير عوده وغنا
بالله يا قسيس يابا قنا   متى رأيت الرشأ الاغنا
متى رأيت فتنتي تجنى   آه اذا ما ماس او تثنى
أسأت اذ احسنت فيك الظنا

الكرم شجر العنب . ورق القماري ضرب من الحمام

(المعنى) يقول ان بين دير العاقول ودير قني مرتبع جميل فيه الزيتون والكرم وقد باتت تغرد عليه القماري . وللشعراء في وصف الاديرة براعة زائدة وكانت هي محل انسهم وشربهم فمن ذلك قول كشاجم

محاسن الدير تسبيحي وامساحي   وخمرة في الدجى صبحي ومصباحي
اقمت فيه الى ان صار هيكله   بيتي ومفتاحه للانس مفتاحي
منادماً في قلاليه رهابنة   راحت خلايقهم اصفى من الراح
وكم حننت الى حاناته وغدا   شوقي يكابر اصواتاً باقداح

(١) الشعاب جمع شعب بالكسر وهو مسيل الماء في بطن واد . الهضاب جمع هضبة وهو المكان المرتفع على وجه الارض . العرانية مايرتفع من أعالي الماء . الدفاع طحمة الموج والسيل . خفافيه طرفيه . الآس شجر الريحان . الدلاع نبت

(المعنى) يقول وفي جوانب هذه الحرجة صخور وشعاب وفيها هضبات مرتفعة وربي ينفجر فيها ماء وقد نبت على حافاته الآس وغيره من النباتات

أَوْ طُرَّةٌ عَلَى جَبِينٍ صَقِيلٍ[١] . وَكَأَنَّ الْحَصْبَاءَ . فِي الْمَاءِ . ثَنَايَا عِذَابٌ . فِي رِضَابٍ[٢]

فَيَا حَبَّذَا ظَهْرُ الْحَزِيزِ وَبَطْنُهُ
وَيَا حُسْنَ وَادِيهِ إِذَا مَاؤُهُ زَخَرْ
وَيَا حَبَّذَا نَهْرُ الْأُبُلَّةِ مَنْظَرًا
إِذَا مَدَّ فِي إِبَّانِهِ الْمَاءُ أَوْ جَزَرْ[٣]

---

(١) الخلج جمع خليج وهو جزء من البحر . الجام الكاس . الاصيل وقت ما بين العصر الى غروب الشمس . الطلا اسم من اسماء الخمر . العذار اول ما ينبت من الشعر على العارض . الاسيل الخد اللين الطويل . الطرة الناصية الصقيل الاملس

(المعنى) يقول وتجرى في وسط هذه الحرجة خلجان كالاراقم الهاربة المذعورة وكان كل خليج يجري في ظلال الاشجار لضوئه وصقالته سيف يعلوه من الظل صدأ او أن كل خليج لا يبضاض لونه وبريقه كاس من البلور وسقوط الاصيل عليه طلاء او كان ظلال الاشجار عليه عذار على خد املس أو أنه طرة من الشعر على جبين براق

(٢) الثنايا الاسنان . العذاب الباردة . الرضاب الريق .

(المعنى) يقول وكأن الحصباء تحت الماء لنصاعتها وشكلها ثنايا عذاب يجري عليها الريق

(٣) حبذا مركب من حب فعل مدح وذا اسم اشارة فاعل له في الصحيح وتلزم هذه الصورة . ظهر الحزيز مواضع كثيرة من العرب وجمعه حزان وأحزة . قال الشمردل بن شريك في حزيز رامة

ولقد نظرت فردَّ نظرتك الهوى بحزيز رامة والحمول غوادي

نهر الابلة نسبة الى بلدة تسمى بهذا الاسم على شاطيء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة لان البصرة مصرت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت الابلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد وكان سكانها قوماً من الفرس يعملون في البحر فلما قرب منهم العرب نقلوا ما خف من متاعهم مع عيالاتهم على اربعمائة سفينة واطلقوها . وكان خالد بن صفوان يقول ما رأيت أرضاً مثل الابلة مسافة ولا اغدى نطفة

***

وَأَهْيَبُ مَا تَكُونُ هَذِهِ الْحَرَجَةُ إِذَا غَابَ النُّورُ . وَأَقْبَلَ الدَّيْجُورُ . وَأَمْسَى الْكَوْنُ كَأَنَّهُ لَوْحٌ مَمْسُوحٌ . أَوْ رَاهِبٌ فِي مُسُوحٍ ١ . وَتَرَاءَتْ هِيَ كَأَنَّهَا حَسْنَاءُ فِي سِتْرٍ . أَوْ صَحِيفَةٌ بَيْضَاءُ كُسِّرَتْ عَلَيْهَا زُجَاجَةٌ مِنْ حِبْرٍ ٢ . وَكَأَنَّمَا صُبِغَ كُلُّ

ولا اوطأ مطية ولا اربح لتاجر ولا اصفى لعائد وأمانهرها الضارب الى البصرة فحفره زياد وحكى أن بكر بن النطاح الحنفي مدح ابا دُلف العجلي بقصيدة فاثابه عليها عشرة الآف درهم فاشترى بها ضيعة بالابلة ثم جاء بعد مديدة وانشده أبياتاً

بك ابتعت في نهر الابلة ضيعة — عليها قصير بالرخام مَشيد

الى جنبها أخت لها يعرضونها — وعندك مال للهبات عتيد

فقال ابو دلف وكم ثمن هذه الضيعة الاخرى فقال عشرة آلاف درهم فأمر ان يدفع ذلك اليه فلما قبضها قال له اسمع مني يا بكر • ان الى جنب كل ضيعة أخرى الى الصين والى مالانهاية له فاياك ان تجئني غداً وتقول الى جنب هذه الضيعة ضيعة أخرى فان هذا شيء لا ينقضي • المد ارتفاع ماء البحر • والجزر ضده

(المعني) يقول يا حبذا ظهر الحزيز في منظره الجميل وبطنه ويا حسن ذلك الوادي اذا زخر وعج ماؤه ويا حبذا منظر الابلة اذا جزر الماء او مد فيه والابلة الآن قرية ذات مياه وجنات يسقيها فرع من الفرات ويرتفع ماؤه بالمد حتى يغطي البساتين والنخيل ثم تنكشف بالجزر يعني أن منظر الغابة مثل هذا

(١) الديجور الظلام • اللوح كل صفيحة عريضة يكتب عليها • المسوح جمع مسح بالكسر وهو الكساء من شعر ثوب تلبسه الرهبان

(المعنى) يقول ان الانسان اذا ولج هذه الحرجة في وقت غاب فيه النور وخيم الظلام عليها وامسى الكون كانه لوح من الصفيح كان مكتوباً فمسح اوانه راهب في المسوح السود أصابته خشية ومسته هيبة

(٢) (المعني) يقول وبدت هذه الحرجة في الظلام كانها غادة حسناء في خمار او انها لنضارتها وهي في الظلام صحيفة بيضاء انصبّ عليها حبر فاحالها الى صحيفة سوداء

غُصْنٍ بِسَوَادٍ . وَكَأَنَّ كُلَّ فَرْعٍ جَنَاحُ غُرَابٍ مُنْآدٍ [١] . وَكَأَنَّ أَشْجَارَهَا أُلْجِمَ مُتَلَاطِمٌ . أَوْ قَنًا مُتَلَاحِمٌ . وَكَأَنَّ فِي كُلِّ أَيْكَةٍ قُبَّةً تَتَهَدَّمُ . وَفِي كُلِّ عُودٍ حَيَّةً تَتَرَنَّمُ [٢] . وَكَأَنَّ تُرْبَهَا إِثْمِدٌ . وَكَأَنَّ حَصْبَاءَهَا يَنَعٌ أَوْ زَبَرْجَدٌ . وَكَأَنَّ الْمَصَابِيحَ فِيهَا أُشْعِلَتْ لِتُرِيَ الظَّلَامَ . لَا لِتَكْشِفَ الْإِعْتَامَ [٣] . وَكَأَنَّ النُّجُومَ

---

(١) المنآد المنحني المنعطف

(المعنى) يقول وكانما اكتسى كل غصن من الظلام ثوبا اسود أوانه وهو منحني ومنعطف على شجرته وهو قاتم اللون جناح غراب منآد

(٢) المتلاطم الضارب بعضه بعضاً . القنا الرماح وكل عصا مستوية . المتلاحم المشتبك . الايكة الشجرة العظيمة . تترنم تغني والمراد به الفحيح

(المعنى) يقول وكان اشجار هذه الحرجة لتكاثفها لج قد التطم بعضه في بعض او انها لاشتباك غصونها قنامتلاحم وكأن في كل شجرة قبة مضروبة حتى اذا ضغط الريح على هذه الايكة وهوى بها صارت كان تلك القبة تهدم وكأن حفيف الريح بالاشجار حية لها فحيح

(٣) الاثمد بالكسر حجر يكتحل به . الينع حجر أسود . الزبرجد حجر يشبه الزمرد وهو اخضر قاتم . الاعتام السير في العتمة

(المعنى) يقول وكأن ترب هذه الحرجة وقدخيم الظلام عليها اثمد وحصباءها زبرجد و ينع ويقول ان الظلام حينما القى رواقه على هذه الغابة كان شديداً متلبداً حتى ان المصابيح التي اشعلت في هذه الغابة لم تكن لكي تكشف الظلام بل لترى هذه الظلام فقط . ولقد اكثر الشعراء في وصف الليل واشتداد ظلامه فمن ذلك قول احمد بن محمد الانطاكي

ليلي بتنيس ليلى الخائف العاني   تفنى الليالى وليلى ليس بالفاني
أقول اذ لج ليلي فى تطاوله   ياليل أنت وطول الدهر سيان
لم يكف انى فى تنيس مطرح   مخيم بين أشجان وأحزان
ما صاعد البرق من تلقاء ارضهم   الا تذكرت ايامى بنعمان
ولو حننت الى نجران من طرب   الا تكنفنى شوق لنجران
لا تكذبن فامصر وان بعدت   الا مواطن اطرابى واشجانى

فَوقَ تِلْكَ الأَغْصَانِ . أَسِنَّةٌ عَلَى مُرَّانٍ . أَوْ أَنَّ كُلَّ غُصْنٍ مِنْ ذَلِكَ السَّمُرِ وَالْخَطِّ . حَسْنَاءُ وَالثُّرَيَّا فِي أُذْنِهَا قُرْطٌ ⁽¹⁾ . وَكَأَنَّ الْمَجَرَّةَ جَدْوَلٌ فِيهِ الْحُوتُ وَالسَّرَطَانُ . يَسْقِي مِنْ عَلُ ذَلِكَ الْبُسْتَانُ ⁽²⁾

* * *

ليالي النيل لا انساك ما هتفت	ورق الحمام على دوح واغصان
اصبو الى هفوات فيك لي سلفت	قطعتهن وعين الدهر ترعاني
مع سادة نجب غر غطارفة	في ذروة المجد من ذهل بن شيبان
وذي دلال اذا ما شئت انشدني	وان اردت غناء منه غناني
ما زال يأخذها صفراء صافية	حتى توسد يسراه وخلاني
كم بالجزيرة من يوم نعمت به	على تصاحب نايات وعيدان
سقيا لليالتنا بالدير بين ربى	باتت تجود عليها سحب نيسان
والطل منحدر والروض مبتسم	عن اصفر فاقع او احمر قان
والنرجس الغض منهل مدامعه	كان اجفانه اجفان وسنان

(١) الاسنة الرماح . المران الصلبة اللدنة الواحدة مرانة . السمر شجر من العضاه وليس في العضاه اجود خشبا منه . الخط نوع من الاشجار . الثريا سبعة نجوم متجمعة في السماء القرط الذي يعلق في شحمة الاذن من درة ونحوها

(المعنى) يقول وكان النجوم وقد ظهرت فوق تلك الحرجة اسنة على اغصانها التي شبهت الرماح الطويلة او ان كل غصن لارتفاعه ولدونته حسناء والثريا كالقرط في اذنها

(٢) المجرة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد النظر وانما ينتشر ضوؤها فيرى كانه بقعة بيضاء . الحوت برج في السماء . السرطان أيضاً برج في السماء . من عل اسم بمعنى فوق فان أريد به المعرفة كان مبنياً على الضم وان اريد به النكرة كان معرباً مجروراً والمراد به هنا المعرفة

(المعنى) يقول وكأن المجرة جدول ولذلك كان فيه الحوت والسرطان اللذان هما من دواب البحر واتى بهما تورية عن البرجين اللذين هما في السماء ويقول ان ذلك الجدول يسقي ذلك البستان من عل وقال ابن هانىء في النجوم

فَإِذَا بَزَغَ الْقَمَرُ . وَالْقَى نُورَهُ بَيْنَ الشَّجَرِ . الْفَيْتَهَا كَأَنَّهَا غَادَةٌ كَعَابٌ . عَلَيْهَا نِقَابٌ . وَكَأَنَّ قِطَعًا مِنْ مَاسٍ . بَيْنَ الْأَغْرَاسِ . وَكَأَنَّ الْبَدْرَ عَيْنٌ . تَسِيلُ عَلَيْهَا بِاللُّجَيْنِ [١] . وَكَأَنَّ فِي كُلِّ خُوطٍ سِرَاجٌ . وَكَأَنَّ فِي كُلِّ بِرْكَةٍ زِئْبَقٌ رَجْرَاجٌ [٢]

كأن سهيلاً في مطالع افقه مفارق الف لم يجد بعده الفا
كأن بني نعش ونعشا مطافل بوجرة قد اضللن في مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود فآونة يبدو وآونة يخفى

(١) بزغ طلع . الكعاب البارزة النهد . النقاب القناع على مارن المرأة تستر به وجهها . الماس حجر متقوم اي ذو قيمة اعظم ما يكون حجماً كالجوزة . الاغراس جمع غرس وهو المغروس . العين مصب ماء القناة . اللجين الفضة

(المعنى) يقول اذا طلع القمر والقى اشعته على الشجر رأيت الحرجة كأنها حسناء انتقبت بقاب وكأن قطع اشعته البيضاء وهي ملقاة على الاغراس حبات ماس وكان القمر عين تسيل على الحرجة بفضة

(٢) الخوط الغصن الناعم . البركة مستنقع الماء . الزئبق سيال معدني . الرجراج المضطرب

(المعنى) يقول وكأن كل غصن وقد اكتسى بضوء القمر عليه سراج وكأن في كل بركة وقد تكسر عليها ضوء القمر وقد ارتعش ماؤها واضطرب زئبق مرتج . وقال بعضهم

علل فؤادك باللذات والطرب وباكر الراح بالبانات والنخب
اما ترى البركة الغناء لابسة وشيا من النور حاكته يد السحب
واصبحت من جديد الروض في حلل قد ابرز القطر منها كل محتجب
من سوسن شرق بالطل محجره واقحوان شهي الظلم والشنب
فانظر الى الورد يحكي خد محتشم ونرجس ظل يبدي لحظ مرتقب
والنيل من ذهب يطفو على ورق والراح من ورق يطفو على ذهب
ورب يوم نقعنا فيه غلتنا بجاحم من فم الابريق ملتهب
شمس من الراح حيانا بها قمر موق على غصن يهتز في كثب

وَكَأَنَّ عَلَى الشِّعَابِ · سَرَابٌ · وَكَأَنَّ كُلَّ زَهْرَةٍ ثَغْرٌ بَاسِمٌ · وَفِي كُلِّ جَدْوَلٍ أَسِنَّةٌ وَصَوَارِمُ ١

وَلَقَدْ خَبَطْتُ الْغَابَ أَسْأَلُ لَيْلَهُ
عَنْ سِرِّ صُبْحٍ فِي حَشَاهُ مُضْمَرِ ٢
تَدُوسُ الْخَيْلُ إِنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ
مُتُونَ سَجَنْجَلٍ مُتَرَاصِفَاتِ ٣

* * *

فَإِذَا مَا انْطَفَأَ النَّجْمُ مَعَ الصَّبَاحِ · كَأَنَّهُ مِصْبَاحٌ · وَبَدَا الْفَجْرُ تَحْتَ الْغَيْهَبِ · كَأَنَّهُ مَاءٌ تَحْتَ طُحْلُبٍ ٤ · وَتَلَاهُ الْإِشْرَاقُ · كَالشَّجَّةِ السِّمْحَاقِ · أَوْ نَارٍ فِي رَمَادٍ ·

أرخى ذوائبه وانهز منعطفا كصعدة الرمح في مسودة العذب

(١) الشعاب جمع شعب بالكسر وهو مسيل الماء في بطن الارض ·السراب ما تراه نصف النهار من الحر كالماء يلصق بالارض

(المعنى) يقول وكان الشعاب وقد طفا عليها ضوء القمر سراب تموج عليها وكأن كل زهرة لنور القمر ثغر مبتسم وكأن في كل جدول لاستطالة شبح القمر عليه اسنة وسيوف

(٢) خبطت وطأت · الغاب شجر متلف

(٣) المتون الظهور · السجنجل المرآة · متراصفات مضموم بعضها الى بعض

(المعني) يقول ان ضوء القمر على ارض الحرجة كالمرايا المتقاربات المتلاصقات فان مرت عليها الخيل كانت كأنها تدوس هذه المرايا ·وكل ما تقدم وصف للنجوم والليل والانوار وطلوع القمر والزهور والرياض

(٤) الغيهب الظلام · الطحلب خضرة تعلو الماء المزمن

(المعنى) يقول فاذا ما طلع الصباح بضوئه رأيت النجم انطفا كما يطفأ المصباح في الصباح وقد بدا الفجر كالماء تحت الطحلب

أَوْ سَيْفٍ عَلَيْهِ دَمٌ جِسَادٌ ١ . أَلْفَيْتَ الْحَرَجَةَ كَأَنَّ عَلَيْهَا خُسْرُوَانِيَّةً . فَوْقَهَا وَشَائِعُ مِنْ ذَهَبٍ سَائِلٍ . أَوْ حُلَّةً مَوْشِيَّةً . بِهَا جَادِيٌّ جَائِلٌ ٢ . وَكَأَنَّمَا عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ دِينَارٌ . وَفِي كُلِّ جَدْوَلٍ كَأْسُ عُقَارٍ . وَكَأَنَّ كُلَّ غَرْسٍ . عَبْهَرٌ . وَكُلَّ زَهْرَةٍ شَنْفٌ أَنْضَرُ ٣

نَزَلُوا بِأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ وَغَادَرُوا
أَرْضاً تَرِبُّ الشِّيحَ وَالْقَيْصُومَا ٤

---

(١) الاشراق طلوع الشمس . الشجة جراحة الرأس خاصة . السمحاق قشرة رقيقة فوق عظم الرأس وبه سميت الشجة اذا بلغتها . جساد مصدر جسد الدم اي لصق

(المعنى) يقول وتلا الفجر طلوع الشمس كالشجة الطويلة التي بلغت السمحاق أو النار المصهورة في الرماد أوأنه سيف لصق به دم أحمرقاني

(٢) الخسروانية نوع من الثياب ملونة . الوشائع جمع وشيعة وهي الطريقة في البردوكل لفيفة وشيعة . الموشية المطرزة . الجادي الزعفران . الجائل في الاصل الغير مستقر والمقصود به هنا المتموج

(المعني) يقول حتى اذا ما فاض نور الشمس على هـذه الحرجة رأيت كأنما نشرت عليها خسروانية وكأن الجداول فيها وقد صبغتها أشعه الشمس وشائع أي طرق من ذهب سائل أو أن الحرجة حلة موشية أي مطرزة وأشعة الشمس عليها كالزعفران المتموج

(٣) العقار الخمر . العبهر نبت اصفر . الشنف بالفتح القرط . الانضر الذهب

(المعنى) يقول وكأنما على كل ورقة من اوراق اشجار هذه الحرجة دينار من ذهب وذلك لاصفرارهذه الاوراق من ضوء الشمس وكأن في كل جـدول ايضاً كاس من الخمر لصفرة الماء بلون الشمس وكأن كل زهرة من زهراتها قرط من الذهب ومن امثال العرب (احسن من الشنف الانضر)

(٤) ترب تجمع . الشيح نبات أنواعه كثيرة وكله طيب الرائحة . القيصوم نبات ذهبي الزهر طيب الرائحة يتداوى به

(المعنى) يقول وقد أراد ان يستشهد لما هو فيه من وصف الحرجة وهي مكتسية لون الذهب

***

وَفِي هَذِهِ الْغَابَةِ (حَدِيقَةُ النَّبَاتِ) وَهِيَ رَقْمَةٌ زَهْرَاءُ . وَوَدِيقَةٌ غَلْبَاءُ[1] . كَأَنَّمَا نُشِرَ كِتَابُ دِيسقُورِيدِسَ فِي بُسْتَانِهَا . وَنُثِرَتْ رُبِيعِيَّاتُ كُشَاجِمَ بَيْنَ أَيْكِهَا وَخِيطَانِهَا[1] . أَوْ كَأَنَّهَا رَامَةُ أَوْ خَفَّانُ . أَوْ أَنَّهَا سَفِينَةُ نُوحٍ حَمَلَتْ كُلَّ

من اشعة الشمس عليها فذكر هـذا البيت لمشابهة لون الزعفران لصبغة الشمس فقال ان أحبابي الذين ترحـلوا عن بلاد العرب نزلوا بأرض تنبت الزعفران وغادروا الأرض التي تنبت الشيح والقيصوم وهي بلاد البداوة

(١) الرقمة الروضة . الزهراء المشرقة . الوديقة الروضة الخضراء . الغلباء المتكاثفة

(المعنى) يقول وفي هذه الغابة المسماة (غابة بولونيا) حديقة النبات وهي روضة جمعت الكثير من انواع النباتات على اختـلاف اجناسها وتباين انواعها فكانها وادي أُشي الذي يقول فيه الشاعر

يا حبذا حين تمسي الريح باردة   وادي أُشي وفتيان به هضم
ياليت شعري عن جنبي مكشحة   وحيث يبني من الحناءة الاطم
عن الاشاعرة هل زالت مخارمها   وهل تغير من آرامها أرم
وجنة ما يذم الدهر حاضرهـا   جبارها بالندى والحمل محتزم

(٢) ديسقوريدس نباتي مشهور جداً وعلى الخصوص في كتب العرب ولد في عين زربة وهي سيزاريا أوغسطا القديمة في القرن الاول للميلاد وقد الف كتباً كثيرة في النبات ولم يبق من كتب ديسقوريدس الطبية الا خمسة من لم يكن بين اليونان اشهر من ديسقوريدس وثيوفرست في علم النبات وزاد ديسقوريدس على ثيوفرست بانه اشتغل في معرفة خواص النباتات الطبية أكثر مما اشتغل في ما هيتها الطبيعية ولذلك اعتبرت كتبه كثيراً وطبعت عدة مرات و ينسب اليه ايضاً كتاب في المواد السامة وما يضادها من الادوية وآخر في العلاجات . ووجد نسخة خط منسوبة اليه أتى بها بسبك من القسطنطينية الى فينا في اواسط القرن السادس عشر وفيها صور النباتات وصور اشهر الاطباء الاقدمين وصورتان لديسقوريدس نفسه ويظن انها تاليف ابنة الامبراطور اوليبروس ونسخة اخرى منسوبة اليه أيضاً محفوظة في المكتبة الملكية بفرنسا

تتضمن الفاظاً عربية وقبطية يظن انها كتبت في مصر نحو القرن التاسع واقدم نسخة مطبوعة من تصانيف ديسقوريدس طبعت سنة ١٤٩٩ وآخر طبعة لها كانت ١٥٩٨ وهي احسن نسخة وترجمت كتب ديسقوريدس الى كل اللغات الاوربية واما علماء العرب فاخذوا عنها كثيراً وترجموها من اليونانية وشرحوا بعضها وطال زمان اشتغالهم بها وقد نص على كتبه كاتب جلبي المعروف بحجي خليفة في كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون بقوله «كتاب الادوية في خمس مقالات لديسقوريدس استوعبها ابن البيطار في جامعه بنصه اولا في الادوية العطرية ثانياً في الحيوانات ورطوباتها والحبوب والبقول ثالثاً في اصول النباتات والبزور والصموغ رابعاً في حشائش باردة وحارة خامساً في الكرم «انواع الاشربة والادوية المعدنية ويذكر مقالتين في سموم الحيوان منسوبتين اليه ولم يتكلم عن الادوية وفسر كتاب الأدوية ابن البيطار المذكور في كتاب وله السبق في معرفة الادوية» وذكر كاتب جلبي لديسقوريدس كتاباً في الحشائش والنبات وقال داوم اربعين سنة علي معرفة منافعها حتى وقف على منافع البذور والحبوب والقشور واللبوب وصنف واخبر به تلاميذه وقال في موضع آخر «كتاب ديسقوريدس الحكيم صور فيه الحشائش بالتصوير الرومي وكان مكتوباً بالقلم الأغريقي الذي هو اليوناني القديم وفي سنة ٣٤٠ هجرية بعث رومانس قيصر صاحب القسطنطينية الى الملك الناصر صاحب الاندلس براهب يسمي نيقولا لاستخراج ما جهل من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس الى اللسان العربي وترجمه اسطفان بن بسيل الترجمان» وهذا دليل كاف على اعتناء العرب بكتب هذا الحكيم —

كشاجم هو أبو الفتح محمود بن السند بن شاهك الكاتب المعرف بكشاجم كان أديباً شاعراً مجيداً متفنناً وقد اشتهر في شعره بوصف الربيع والزهور والرياض حتى ضرب به المثل فقيل انضر من ربيعيات كشاجم ومن ربيعاته قوله

يا طيب يوم خلاعة وبطالة ... قصرته بتمتع ولذاذة
في روضة جليت على أبصارنا ... في ما اكتسته من الحلي النابت
والغيث يبكي في خلال نباتها ... والبرق يضحك منه ضحك الشامت
والورد كالوجنات والأنفاس من ... ظبي غرير عند صب بايت
وتعلق الاترج في اغصانه ... مثل النهود قد اتكت او كادت
وتجاوبت نغم الحمائم بالضحى ... يسجعن بين بلابل وفواخت
يوم حمدت به الزمان وحكمت ... فيه الشمول من العقول بخارت

حَيَوَانٍ ١ . فَفِيهَا (الْقَسْوَرَةُ) أَبُو الْأَشْبَالِ . يَرْسُفُ فِي الْأَغْلَالِ . كَأَنَّهُ فِي

وقال

حي الربيع تحية المستقبل ... اهدى السرور لنا بغيث مسبل
متكاثف الأنواء منغدق الحيا ... هطل الندى هزم الرعود مجلجل
جاءت بعزل الجدب فيه فبشرت ... بالخطب انواء السماك الاعزل
في ليلة حجب السماء نجومها ... فكأنها افلت وان لم تافل
والبدر من خلل الغمام كأنه ... قبس يضيء وراء ستر اكحل
وكان لمع البرق في وجناته ... كف الشجاع تهز متن المنصل
يدنو فيحسب للرياض معانقاً ... طورا و يعطفه هبوب الشمأل
كالصب هم بقبلة حتى اذا ... لحظته عين رقيبه لم يفعل
فامنح اخاك الغيث وجه طلاقة ... والق الربيع بانسة وتهلل
واعرف له حق القدوم بقهوة ... عذراء تمزج بالزلال السلسل
صهباء تجلي في الزجاج و يتقى ... منها اليم القتل ان لم تقتل
كالخد لاقته العيون فعصفرت ... مبيض وجنته بلحظ مخجل
من كف مياس القوام كأنه ... ريحانة ريانة لم تذبل

الايك جمع ايكة وهو الشجر العظيم . الخيطان جمع خوط وهو الغصن الناعم

(المعنى) يقول فكأنما حديقة النبات نشر كتاب ديسقورس في بستانها او فرقت ربيعيات كشاجم بين اشجارها واغصانها

(١) رامة منزل بينه و بين الرمادة ليلة في طريق البصرة الى مكة ومنه الى امرة وهي آخر بلاد بني تميم و بين رامة و بين البصرة اثنا عشر مرحلة وفيها جاء المثل (تسئلني برامتين سلجما)وقيل رامة هضبة وقيل جبل لبني دارم وهي مشهورة بالغزلان وقال جرير

حي الغداة برامة الاطلالا ... رسما تحمل اهله فأحالا
ان السواري والغوادي غادرت ... للريح مخترقا به ومجالا
لم الق مثلك بعد عهدك منزلا ... فسقيت من سبل السماك سجالا
أصبحت بعد جميع اهلك دمنة ... قفرا وكنت محلة محلالا

الرِّتَاجِ . يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فِي سِجْنِ الْحَجَّاجِ [١] . فِي هَامَةٍ . كَهَضْبَةٍ مِنْ

و يقال له خفية وقال الشاعر

من المحميات الغيل غيل خفية ترى تحت لحييه الفريس المعفرا

سفينة نوح هي السفينة التي ورد ذكرها في القرآن والتي نجا نوح بها وقومه وكثير من انواع الحيوان من الطوفان

(المعنى) يقول ان هذه الحديقة جمعت كثيراً من انواع الحيوان فكانها رامة اوخفان فان في الاولى الظباء وفي الثانية الاسود اولانها لجمعها الصنوف من الحيوان سفينة نوح وقد ذكرها مجملة وفي التالي تفصيل لبعض ما فيها من الحيوان ووصف كل على حدته

(١) القسورة الاسد . الاشبال جمع شبل وهو ولد الاسد . يرسف يمشي مشية المقيد . الاغلال جمع غل وهو القيد . الرتاج الباب العظيم — يزيد بن المهلب هو ابو خالد يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الازدي . لما مات ابوه المهلب بن ابي صفرة استخلف ولده يزيد مكانه ويزيد ابن ثلاثين سنة فمكث نحوا من ست سنين من يومئذ فعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج ابن يوسف وولى مكانه في خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي وصار يزيد في يد الحجاج وكان الحجاج زوج اخته هند بنت المهلب وكان يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة ويخشى منه لئلا يترتب مكانه فكان يقصده بالمكروه في كل وقت كي لا يثبت عليه وهرب يزيد من حبس الحجاج الى الشام يريد سليمان بن عبد الملك فاتاه فشفع له الى اخيه الوليد بن عبد الملك فامنه وكف عنه ثم ولاه سليمان خراسان حين افضت اليه الخلافة فافتتح جرجان ودهستان واقبل يزيد يريد العراق فتلقاه موت سليمان بن عبد الملك فصار الى البصرة فاخذه عدي ابن ارطاة فاوثقه وبعث به الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فحبسه عمر فهرب من حبسه واتى البصرة ومات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه اليه اخاه مسلمة فقتله . وكان يزيد فارساً شجاعاً مدبراً حكيماً جواداً كريماً حكي الاصمعي قال ان الحجاج قبض على يزيد واخذه بسوء العذاب فساله ان يخفف عنه العذاب على ان يعطيه كل يوم مائة الف درهم فان اداها والا عذبه الى الليل قال فجمع يوماً مائة الف درهم ليشتري بها عذابه في يومه فدخل عليه الاخطل الشاعر فقال

ابا خالد بادت خراسان بعدكم وصاح ذوو الحاجات اين يزيد

فلا مطر المروان بعدك مطرة ولا اخضر بالمروين بعدك عود

تِهَامَةٍ · وَعَيْنَيْنِ · كَنَارَيْنِ فِي غَارَيْنِ ١ · وَنَابٍ · كَأَنَّهُ سَيْفُ زُهَيْرِ بْنِ جَنَابٍ ٢ وَظُفْرٍ · كَأَنَّهُ هِلَالٌ فِي أَوَّلِ شَهْرٍ ٣ · وَ (الْفِيَلَةُ) كَأَنَّهَا بُرُوجٌ مُشَيَّدَةٌ · أَوْ قَنَاطِرُ مُقَرْمَدَةٌ · أَوْ قِطَعٌ مِنَ اللَّيْلِ عَلَى الأَرْضِ · أَوْ لُجَجُ الْبَحْرِ يَدْفَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ٤ ·

فما لسرير الملك بعـدك بهجة ولا لجواد بعـد جودك جود

فاعطاه المائة الف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال يا مروزي افيك هذا الكرم وانت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم وما بعده واخبار يزيد بن الملهب كثيرة وتاريخه طويل وفي هذا القدر كفاية — الحجاج بن يوسف الثقفي قد تقدمت ترجمته في غير هذا الموضع من الكتاب

(المعنى) يقول فمن هذه الحيوانات الاسد يرسف في قيوده واغلاله كيزيد بن الملهب في سجن الحجاج

(١) الهامة الرأس · الهضبة الارض المرتفعة · تهامة موضع معروف · الغار الكهف

(المعنى) يقول ان هذا الاسد له رأس تبلغ في ضخامتها الهضبة وله عينان كانهما وهما في جحاظيها ناران في كهفين

(٢) الناب السن خلف الرباعية · سيف زهير بن جناب من سيوف العرب المشهورة واسمه البج

(المعنى) يقول ولهذا الاسد ناب محـدد الطرف كانه سيف زهير المري المشهور في سيوف العرب

(٣) الظفر من الاسد البرثن

(المعنى) يقول وله ظفر كانه في اعوجاجه والتوائه هلال في اول الشهر

(٤) الفيلة جمع فيل وهو حيوان معروف · البروج الحصون · المشيدة المطلية بالشيد · المقرمدة المطلية بالقرمد او مبنية بالآجر والحجارة · قطع الليل القطع من الظلام · اللجج جمع لجة

(المعنى) يقول وفي هذه الحديقة من انواع الحيوان الفيلة و وصفها لضخامة اجسامها بالحصون المرتفعة او انها قطع من الظلام المتراخي على الارض او انها وهي مزدحمة في الحديقة ومضطربة في حبسها امواج البحر تصطدم وتلتطم

أَوْ سَحَابٌ ثِقَالٌ . أَوْ أَنَّ أَخْفَافَهَا رَحَى تُطْرَحُ وَتُشَالُ [١] . أَوْ أَنَّهَا لَيْلٌ وَالنَّابُ هِلَالٌ . أَوْ أَنْيَابُهَا رِمَاحٌ طِوَالٌ [٢]

إِذَا مَا رَكِبَ الْفِيلَ
لِحَرْبٍ أَو لِمَيْدَانِ
رَأَتْ عَيْنَاكَ سُلْطَانَا
عَلَى مِنْكَبِ شَيْطَانِ [٣]

---

(١) الثقال الثقيلة الممتلئة . الخفاف جمع خُف بالضم للبعير والنعام بمنزلة الحافر من غيرهما . الرحى طاحون وهي حجر مستدير . تطرح وتشال توضع وترفع

(المعنى) يقول او ان هــذه الفيلة لضخامتها وسيرها كالسحب الثقيلة الممتلئة بالماء او ان اخفافها وهي تنقلها في السير رحى توضع وترفع لثقلها

(٢) الناب السن . الرماح جمع رمح .

(المعنى) يقول او ان هذه الفيلة لاسوداد جلدها ظلام وموضع الناب من شدقها موضع الهلال من السماء او ان انيابها رماح طويلة

(٣) المنكب مجتمع رأس الكتف والعضد

(المعنى) يقول اذا ركب الفيل للحرب او للمواكب رأيت ملكاً على منكب شيطان ولم نرفى وصف الفيل غير ما اورده الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر عند ذكر الصاحب بن عباد قال : لماحصل الصاحب في وقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر خراسان امر من بحضرته من الشعراء ان يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدى كرب

اعددت للحدثان سابغة وعداء علندا

فقال ابو الحسن

فيل كرضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت اكنافها برقا ورعدا
فتراه من فرط الدلال مصعرا للناس خدا

(وَالْفَهْدُ) كَأَنَّمَا عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقٌ · أَوْ نَثَرَ عَلَيْهِ الشَّجَرُ الْأَوْرَاقَ يُرِيدُ الْفَتْكَ وَلَا يُرِيدُ · (أَمَكْرٌ وَأَنْتَ فِي الْحَدِيدِ) [١] · وَ (الظِّبَاءُ) تَمْرَحُ بَيْنَ الْآكَامِ · كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهَا حَرَامٌ [٣] · كَأَنَّ كُلَّ ظَبْيَةٍ دُمْيَةٌ · وَكَأَنَّ فِي

يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا
متمرد كالافعوان تمده الرمضاء مدا
او كم راقصة تشير به الى الندمان وجدا
أذناه مروحتان اسندتا الى الفودين عقدا

(١) الفهد سبع يصاد به وهو من السباع شديد الغضب ذو وثبات • الحدق جمع حدقة وهي سواد العين • النطاق مايشد به الوسط

(المعنى) يقول ومن حيوانات هذه الحديقة الفهد وهو كانه لرقشة جلده كانما انتطق بحدق العيون او انه لنقشة أديمه نثر الشجر عليه اوراقه

(٢) (امكر وأنت في الحديد) هذا مثل يضرب لمن أراد ان يمكر وهو مقهور وقائله عبد الملك بن مروان قاله لسعيد بن عمرو بن العاص وكان مكبلاً فلما أراد قتله قال يا امير المؤمنين ان رأيت ان لا تفضحني بان تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فافعل وانما اراد سعيد بهذه المقالة ان يخالفه عبد الملك فيما أراد فيخرجه فاذا اظهره منعه أصحابه وحالوا بينه وبين قتله فقال يا أمية امكر وأنت في الحديد

(المعنى) يقول ان الفهد لغدره ومكره ولسجنه في قفص من حديد يريد ان يغدر ولا قدرة له على الغدر وضرب لذلك المثل وهو من أحسن الاستشهادات التي انفرد بها السيد المؤلف في كتابته

(٣) الظباء جمع ظبي • تمرح تنشط وتفرح • الآكام جمع اكمة وهي التل

(المعنى) يقول ومن حيوانات هذه الحديقة الظباء تثب بين آكام اصطناعية تصنع تقليداً للطبيعية لتأنس بها الحيوانات الوحشية وهي في محل مأمون بحيث لا تمتد اليها يد قانص ولا يذعرها صائد فكانها ظباء مكة في حرمة صيدها

مَحَاجِرِهَا عُيونُ لَيْلَى وَمَيَّة [1]

شَادِنٌ يَرْتَعِي الزُّهُورَ بِبَارِيسَ

وَلاَ يَرْتَعِي الْخَلاَ بِالنِّبَاجِ [2]

وَ (حِمَارُ الْوَحْشِ) أَحْقَبُ مُدْمَجٌ . كَأَنَّهُ الْمِحْلَجُ . مُلَمَّعُ الْأَطْرَافِ . كَأَنَّمَا بُسِطَ عَلَيْهِ طِرَافٌ [3] . بِهِ شَامٌ . كَأَنَّهَا خُطُوطُ الْأَقْلَامِ [4] . وَإِلَى جَانِبِهِ قُودٌ

---

(١) الدمية الصورة من عاج • المحاجر جمع محجر وهو عظم العين • ليلى ومية اسمان من أسماء نساء العرب

(المعنى) يقول كأن كل ظبية في الحسن والنصاعة دمية أو ان في محاجرها عيون ليلى ومية لحلاوة عيون العربيات

قال عدي بن الرقاع

وكأنها بين النساء اعارها عينيه احور من جآزرجاسم

وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

(٢) الشادن الغزال . يرتعي يرعى . الخلا الرطب من النبات . والوحدة خلاة . النباج بالفتح الآكام العالية

(المعنى) يقول ان هذه الظباء بوجودها في باريس ترعي الزهور بها ولا ترعي الرطب من النبات بين التلال والآكام وانى لها ذلك وقد انتقلت من بلاد البدو والوبر الى الحضر

(٣) الاحقب حمار الوحش في موضع حقبه بياض . المدمج المتداخل في بعضه . المحلج ما يحلج عليه القطن . ملمع الاطراف اي ملونها . طراف الطراف الثوب الملون

(المعنى) يقول ومن حيوانات هذه الحديقة حمار الوحش وهو احقب متداخل في بعضه فكانه لصلابته وخفته عود المحلج وقد تلون جلده فكانما بسطت عليه ظرافًا

(٤) الشام جمع شامة وهي خطوط سود مخالفة لما في جوارها

(المعنى) يقول وبجلد هذا الحمار خطوط سود كانها خطوط الاقلام في الصحف البيضاء

ثَمَانٍ · كَأَمْرَاسِ الْكَتَّانِ · يَدُورُ بِهَا بَيْنَ الْأَسْوَارِ · كَأَنَّهُ إِسْوَارٌ[١] · وَقَدْ ذَكَرَ بَطْحَاءَ عُمَانَ · وَالْغُوَيْرَ وَالصَّمَّانَ · حَيْثُ كَانَ يَرْعَى الْجِزَعَ وَالْأَرْدَابَ · إِلَى أَنْ تَتَصَوَّحَ الْأَعْشَابُ[٢] · فَيَسُوقُهَا فِي الْبَيْدَاءِ · إِلَى عُيُونِ الْمَاءِ · تَنْجِدُ فِي

---

(١) القود جمع قوداء وهي الذلولة المنقادة · امراس الكتان الحبال منه · الاسوار جمع سور وهو الحائط المقام · الاسوار قائد الفرس

(المعنى) يقول ان هذا الحمار الوحشي يمشي وبجانبه ثمانأُتن من جنسه كالحبال من الكتان في ضمورها وصلابتها يدور بها بين حواجز الحديقة كقائد وهو يقود جنده

(٢) البطحاء الارض المتسعة — عمان بلدة على سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانعام بهاعدة انهار وارحية يديرها الماء · قال الاحوص بن محمد الانصاري

اقول بعمان وهل طربي به … الى اهل سلع ان تشوقت نافع
اصاحي الم يحزنك ريح مريضة … وبرق تلالا بالعقيقين لامع
وان غريب الدار مما يشوقه … نسيم الرياح والبروق اللوامع
وكيف اشتياق المرء يبكي صبابة … الى من نأى عن داره وهو طامع
وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة … بنا وبكم من علم ما الله صانع
اريد لانسى ذكرها فيشوقني … رفاق الى ارض الحجاز رواجع

وقال الحطيم العكلي يذكر عمان

اعوذ بربي أن ارى الشام بعدها … وعمان ما غنى الحمام وغردا
فذاك الذي استنكرت يا أم مالك … فاصبحت منه شاحب اللون اسودا
واني لماضي العزم لو تعلمينه … وركاب اهوال يخاف بها الردى

الغوير ماء لكلب بين العراق والشام بارض السماوة وقيل ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة فيه بركة وقباب لام جعفر تعرف بالزبيدية — الصمان ارض غليظة دون الجبل والصمان ارض فيها غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة تنبت السدر ورياض معشبة واذا أخصبت ربعت العرب جمعا وكانت الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة والصمان ايضاً من نواحي

الْأَوْعَاثِ · وَتَرْمِي أَيْدِيهَا بِالْعَرَارِ وَالْجَثْجَاثِ[1] · مُسْتَوِيَاتٍ فِي الصَّفِّ · كَأَصَابِعِ الْكَفِّ · تَحِيدُ عَنْ أَظْلَالِهَا فَرَقًا · وَتَهْوِي فِي الصَّوَّانِ زَلَقًا[2] · حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْمَنْهَلَ وَرَدَتْهُ تَمْصَعُ بِالْأَذْنَابِ · مِنْ لُوحٍ وَذُبَابٍ[3] · وَقَدِ اخْتَبَأَ لَهَا الصَّائِدُ فِي غِيلٍ قَصْبَاءَ · وَنَامُوسٍ فِي جَوْفِ شَجْرَاءَ · وَفِي يَدِهِ سِهَامٌ حَجَرِيَّةٌ ·

الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت

لمن الديار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصمان

فالقريات من بلاس فداريا فسكاء فالقصور الدواني

الجزع مجتمع الشجر · الارطاب جمع رطب كصرد لضيج البسر · تصوح تيبس · الاعشاب جمع عشب بالضم وهو الكلاء الرطب

(المعنى) يقول ان هذه الحمر تتذكر وهي بباريس مواطنها الاصلية من مثل بطحاء عمان ومياه الغوير وخضر الصمان وهي المواضع التي يرعى بها الكلاء والارطاب الى ان تيبس اعشابها فينكفئ يبحث عن غيرها

(١) البيداء الفلاة المتسعة · تنجد تعلو · الاوعاث جمع وعث وهو الطريق الخشن · العرار بالفتح بهار ناعم اصفر طيب الرائحة · الجثجاث نبت من امرار الشجر

(المعنى) يقول ان هذا الحمار الوحشي يسوق القود التي معه في البيداء ليوردها الماء فتظل سائرة معه في كل ارض خشنة وهضبة مرتفعة وتخبط بيديها النبت فتدهسه

(٢) تحيد من حاد عن الشيء مال عنه · فرقا خوفا · تهوى تسقط · الصوان الحجر الصلب · زلقا زللا

(المعنى) يقول فاذا سارت هذه الحمر تسير وهي مستويات في صفها استواء أصابع اليد وانتظامها فاذا ما رأت اظلالها واشباحها في الارض حادت عنها خوفاً وجزعاً فتثب لتنجو منها فلا يزال الظل يتبعها فمن ذعرها تعثر في الجلاميد فتسقط

(٣) المنهل المورد · وردت بلغت · تمصع تحرك ذنبها وتضرب به · اللوح العطاش · الذباب هو البعوض الذي يكون على المناهل

(المعنى) يقول حتى اذا بلغت الماء وردته وهي تحرك اذنابها من حرقة العطش ومن

وَكَبْدَاءُ نَبْعِيَّة [١] · فَرَمَى فَأَلْقَى أَتَانًا · وَانْصَاعَ الْبَاقُونَ مَثْنَى وَوُحْدَانًا [٢]

وَالتَّمَاسِيحُ وَالتَّيَاتِلُ وَالأَيِّلُ

اسم الذباب

(١) اختبأ اختفى وكمن · الغيل بالكسر الشجر الكثير · القصباء قال سيبويه واحد وجمع وهي الاجمة · الناموس بيت الصائد · الشجراء الشجر الملتف كالاجمة · حجرية نسبة الى الحجر وهي ديار ثمود بواد القرى بين المدينة والشام وقال الاصطخري الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود قال الله تعالى « وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين » قال ورأيتها بيوتًا مثل بيوتنا في اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهي جبال اذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا يكاد يرتقي كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها احد الا بمشقة شديدة وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » وقال جميل

اقول لداعي الحب والحجر بيننا ووادي القرى لبيك لما دعانيا

فما احدث النأي المفرق بيننا سلوًا ولا طول اجتماع تقاليا

كبداء القوس يملأ الكف مقبضها · نبعية نسبة الى النبع وهو شجر تتخذ منه القسي ومن اغصانه السهام

(المعنى) يقول وقد اختبأ لها الصائد في اجمة ملتفة الاشجار وفي يد ذلك الصائد سهام منسوبة الى حجر التي تقدم ذكرها وقوس مصنوعة من النبع

(٢) الاتان الحمارة مؤنثة · انصاع انفتل راجعًا · مثنى ووحدانًا ازواجًا وافرادًا

(المعنى) يقول حتى اذا رمى فاصابت سهامه انثى منهن فذعر الباقون وانقلبوا في البيداء راجعين وكل ما تقدم من هذه الفقرات وصف للحمر الوحشية في مواطنها الاصلية وكيف كانت تسير في البيداء وترد المناهل وترعى العشب وكيف كان يختبئ لها الصائد في الغابات والادغال وقد أجاد السيد في كل ذلك غاية الاجادة حتى انك عند ما تقرأ هذه الفقرات ظننت نفسك في جزيرة العرب ايام الجاهلية تستظل بالسلم والضال وتستنشق الشيح والقيصوم وقد مرت عليك هذه الحمر ورأيتها كما وصفها السيد المؤلف وهي براعة في التصوير وقدرة فائقة على التعبير

شَتَّى وَالرِّيمُ وَالْيَعْفُورُ [١]

وَ (الْكِلَابُ) • عَلَى أَضْرَابٍ • فَمِنْهَا الضَّارِي • الَّذِي أَعَدَّهُ الشَّاعِرُ لِلطَّارِي

أَعْدَدْتُ لِلضِّيفَانِ كَلْباً ضَارِياً
عِنْدِي وَفَضْلَ هِرَاوَةٍ مِنْ أَرْزَنِ [٢]

وَمِنْهَا الأَلُوفُ • الدَّاعِي بِالْمَعْرُوفِ

وَفَرْحَةٍ مِنْ كِلَابِ الْحَيِّ يَتْبَعُهَا
مَحْضٌ يَزُفُّ بِهِ الرَّاعِي وَتَرْعِيبُ [٣]

---

(١) التماسيح جمع تمساح وهو حيوان بحري • التياتل جمع تيتل نوع من البقر الوحشي • الايل كقنّب وخلّاب وسيد الوعل • شتى كثيرة • الريم الظبي • اليعفور ولد البقر الوحشي

(المعنى) يقول وفي هذه الحديقه كل ما ذكره من الحيوانات من مثل التمساح والتيتل والايل والظبي واليعفور يعني انها جمعت الكثير من الحيوانات على اختلاف انواعها

(٢) الاضراب الانواع • الضاري المتعود على الصيد الخبير به • الطاري المقبل • الضيفان جمع ضيف • الفضل البقية • الهراوة العصا • الارزن شجر صلب تتخذ منه العصي

(المعنى) يقول وفي هذه الحديقة من الحيوانات الكلاب وهي انواع مختلفة فاراد ان يفصل ويذكر كلا على حدته فقال ان منها الضاري وهو المتعلم العقور الذي أعده صاحبه لكل من يطرأ عليه وذكر بيتاً لشاعر من الشعراء وهو قوله اني اعددت كلباً ضارياً لكل ضيف يطرقني وعصا صلبه متخذة من شجر الارزن

(٣) الالوف الكثير الالفة والاستأنس • الفرحة المسرة • الحي القبيلة • المحض الخالص والمراد به هنا اللبن الخالص وهو من اطلاق العام وارادة الخاص • يزف يسرع • الترعيب جمع ترعيبة وهي انقطعة من السنام

(المعنى) يقول ومن هذه الكلاب المستأنس الذي يفرح بطروق الضيفان لانه ينساله

وَمِنْهَا السَّلُوقِيُّ الَّذِي كَأَنَّهُ الْقَوْسُ إِلاَّ أَنَّهُ السَّهْمُ . وَالْعِفْرِيتُ إِلاَّ أَنَّهُ الرَّجْمُ . اِذَا وَقَفَ فَهُوَ نُونٌ . أَوْ سَابَ فَهُوَ مَنُونٌ [١] . وَ (الْحَيَّاتُ) . كَأَنَّهَا دُرُوعٌ مَطْوِيَّاتٌ . وَكَأَنَّ نَفْحَهَا غَلَيَانُ مِرْجَلٍ . أَوْ صَرِيفُ نَابَيْ جَمَلٍ [٢] . وَبَيْنَهَا الْحَارِيَةُ . وَأُخَرُ كَأَنَّهَا جُزُوعُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [٣]

تَرَى قِطَعًا مِنَ الْأَحْنَاشِ فِيهِ

شيء من الجزور الذي يذبح للضيف فينبح الطارق نبح الفرح ويتبع هذه الفرحة ان يجيء الراعى باللبن وبقطع اللحم لتقدم للاضياف

(١) السلوقي نسبة الى قرية باليمن تنسب اليها الكلاب والدروع . النون حرف من حروف الهجاء . ساب انفلت

(المعني) يقول ومن هذه الكلاب الصنف المعروف بالسلوقي الذي هو كالقوس في شكله وانحناء متنه الاَّ انه في الانفلات كسهم هذه القوس والذي هو كالعفريت في توهم شكله الاَّ انه كالشهاب الذي ترجم به العفاريت والذي هو في وقوفه يشبه حرف النون في تقوسه واذا انطلق وراء الطريدة كان في سرعة المنون وهو الموت

(٢) الحيات الافاعي . الدروع جمع درع معروف . مطويات عكس منشورات . النفح صوت الحية . غليان مرجل صوت القدر . الصريف صوت اصطكاك انياب الجمل

(المعنى) يقول ومن الحيوانات التي في هذه الحديقة الحيات وهي لرقش ظهورها كالدروع المطويات فاذا نفحت كان فحيحها كصوت القدر في الغليان اوانها صريف انياب الجمل اذا اصطك بعضها ببعض

(٣) الحارية الافعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبق الاَّ رأسها ونفسها وسمها وهي اخبث ما يكون . جزوع نخل خاوية اي اصول نخل متآكلة الاجواف

(المعني) يقول ومن هذه الحيات صنفان احدها الحارية وهي الضئيلة كبرًا وهرمًا وثانيهما الجسيمة التي كانها جزوع نخل ضخامة وعظماً

جَمَاجِمُهُنَّ كَالْخَشَلِ النَّزِيعِ

وَ(النَّاقَةُ) ثَمَّةَ كَأَنَّهَا عَرَبِيٌّ فِي سُوقِ الْأَهْوَازِ . أَوْ كَلَامٌ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْمَجَازِ . قَدْ أَضْنَاهَا الشَّوْقُ إِلَى كُلِّ مَرْوَرَاةٍ أَقْفَرَ مِنْ أَبْرَقِ الْعَزَّافِ . وَمِنْ

---

(١) الاحناش جمع حنش وهو الحية . الجماجم الرؤوس . الخشل الدوم اليابس . النزيع المقطوف

(المعنى) يقول انك ترى جملة من الاحناش في هذه الحديقة كان رؤوسهن دوم مقطوف قال النابغة يصف حية حارية

صل صفا لاتنطوي من القصر ... طويلة الاطراق من غير خفر
داهية قد صغرت من الكبر ... كانما قد ذهبت به الفكر
مهروتة الشدقين حولاء النظر ... تفتر عن عوج حداد كالابر

وقال الهذلي يصف اثارها على الطريق

كأن مزاحف الحيات فيه ... قبيل الصبح آثار السياط

(٢) ثمة هناك — الاهواز كورة بين البصرة وفارس وسوق الاهواز من مدنها واهل الاهواز معروفون بالبخل والحمق وسقوط النفس وقد سكن بها قوم من اشراف العرب فانقلبوا الى طباع اهلها وهي كثيرة الحمى ووجوه اهلها مصفرة مغبرة وسوق الاهواز تخترقها مياه مختلفة منها الوادي الاعظم وهو ماء تستر يمر على جانبها ومنه يأخذ واد عظيم يدخلها على هذا الوادي قنطرة عظيمة عليها مسجد واسع وعليه ارحاء عجيبة ونواعير بديعة وماؤه في وقت الممدود احمر يصب الى الباسيان والبحر ويخترقها وادي المسترقان وهو من ماء تستر ايضاً وسكرها اجود سكر وعلى الوادي الاعظم شاذروان حسن عجيب متقن الصنعة معمول من الصخر المهندم يحبس الماء على انهار عدة وبازائه مسجد لعلي بن موسى الرضا رضي الله عنه بناه في اجتيازه به وهو مقبل من المدينة يريد خراسان . وقد غزا المغيرة بن شعبة سوق الاهواز في ولايته بعد ان شخص عتبة بن غزوان من البصرة في آخر سنة ١٥ او اول سنة ١٦ فقاتله البيروان دهقانها ثم صالحه على مال ثم نكث فغزاها ابوموسى الاشعري حين ولاه عمر البصرة بعد المغيرة ففتح سوق الاهواز عنوة كما فتح سائر بلاد خوزستان — المجاز الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له

بَرِّيَّةِ خَسَافِ ¹ . لاَ مَاءَ بِهَا إِلاَّ مَأْجٌ زُعَاقٌ كَأَنَّهُ خَمْرُ بُرَاقَ ² . يَحْدُوهَا هَنَاةَ .

(المعنى) يقول ومن حيوانات هذه الحديقة الناقةوهي لكونهافي مواطن غير مواطنها كالعربي الغريب النازل من بلاد الاعاجم في سوق الاهواز او انها كلمة وضعت في غير موضعها على سبيل المجاز

(١) اضنى اعيى . المرو راة الارض لا شيء فيها — اقفر من ابرق العزاف . هي برية بين السوجير و يانس بأرض الشام بستة فراسخ وقيل هو ماء لبني اسد بن خذيمة بن مدركة مشهور وهو في طريق القاصد الى المدينة من البصرة يجاء من حومان فالدرّاج اليه ومنه الى بطن نخل ثم الطرق ثم المدينة وانما سمي العزاف لانهم كما يزعمون يسمعون فيه عزيف الجن قال حسان ابن ثابت

طوي ابرق العزاف يرعد متنه حنين المتالي فوق ظهر المشايع

وقال رجل يهجو بني سعيد بن قتيبة الباهلي

ابني سعيد انكم من معشر لا يعرفون كرامة الاضياف
قوم لباهلة بن اعصران هم غضبوا حسبتهم لعبد مناف
قرنوا الغداء الى العشاءوقربوا زاد العمر ابيك ليس بكاف
وكانني لما حططت اليهم رحلى نزلت بابرق العزاف
بينا كذاك اتاهم كبراؤهم يلحون في التبذير والاسراف

ومن برية خساف هي مفازة بين الحجاز والشام وقيل انها برية بالس وحلب مشهورة عنداهل هذين البلدين وكان بها قرى واثر عمارة وهي تمتد خمسة عشر ميلاً قال الاعشى

فمن ديار بالهضب هضب القليب فاض ماء الشؤون فيض الغروب
اخلفتني به قتيلة ميعا دي كانت للوعد غير كذوب
ظبية من ظباء بطن خساف ام طفل بالجو غير ربيب
كنت اوصيتها بالا تطيعي في قول الموشاة والتخبيب

(المعنى) يقول ان هذه الناقة قد انحلها الشوق الى محالها من كل ارض مقفرة جدبة كابرق العزاف و برية خساف

(٢) المأج الماء الاجاج . الزعاق المر الذي لا يطاق شربه . خمر براق نسبة الى قرية من

أَرْفَقُ بِالْإِبِلِ مِنْ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ[1] . فَتَصِلُ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِسُحْرَةٍ . وَتَشْكُلُ أَخْفَافُهَا كُلَّ مَجْهَلٍ بِحُمْرَةٍ[2]

ضَرَبْنَ بِأَلْحِيِهِنَّ وَالرِّيحُ قَرَّةٌ
عَلَى قُلَّتَيْ إِرْوَنْدَ بَعْدَ كَلَالِ[3]

قرى حلب تسمى بهذا الاسم وبينها وبين حلب نحو فرسخ ولعل الاخطل اياه عني بقوله

وماء تصبح التلصات منه   كخمر براق قد فرط الاجونا

(المعنى) يقول ان هذه المروراة التي تشتاقها الناقة لا ماء بها الاَّ كل ماء آجن مر كانه في مرارته خمر براق

(١) يحدو يرفع صوته بالحداء . هناة الرجل الحاذق — ارفق بالابل من مالك بن زيد مناة هو سبط تميم بن مرة وكان يتحمق الاَّ انه كان آبل اهـل زمانه ثم انه تزوج وبني بامرأته فاورد الابل اخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها فقال مالك

اوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا تورد يا سعد الابل

فاجابه سعد وقال

تظل يوم وردها مزعفرا   وهي خناطيل تدوس الخضرا

(المعنى) يقول ان هذه الناقة يحدوها حاد حاذق ارفق بالابل من الرجل المعروف في العرب بكثرة الابل والرفق بهن المسمى بمالك بن زيد مناة

(٢) العشية وقت المساء . السحرة آخر الليل . تشكل تخلط . الاخفاف جمع خف وهو من البعير بمنزلة الحافر من غيره . المجهل الارض التي لا يهتدى فيها

(المعنى) يقول انها تشتاق تلك الاماكن التي كانت تسير بها في العشية حتى كانت تصلها بالسحرة اي انها تسري الليل باجمعه فيصيبها الوجى فتدمي اخفافها فتخلط اكدرار تراب المجاهل بحمرة الدم السائل من اخفافها

(٣) الالح جمع لحي وهو عظيم الحنك . القرة الباردة . القلة رأس الجبل — أرْوَنْد اسم جبل نزه خضر نضر مطل على مدينة همذان واهل همذان كثيرًا ما يذكرونه في احاديثهم واسجاعهم واشعارهم ويعدونه من اجل مفاخر بلدهم وكثيرًا ما يتشوقونه في الغربة وفيه يقول عين القضاة

مَجَالُ وُحُوشٍ وَمَجْلَى أَنِيسٍ

عبد الله بن محمد الميانجيّ في رسالة كتبها الى اهل همذان وهو محبوس

ألا ليت شعري هل ترى العين مرة ذرى قلتي اروند من همذان
بلاد بها نيطت على تمائمي وارضعت من عفانها بلبان

وقال بعض شعرائهم يفضله على بغداد ويتشوقه

وقالت نساء الحي اين ابن اختنا الا خبرونا عنه حييتم وفدا
رعاه ضمان الله هل في بلادكم اخو كرم يرعي لذي حسب عهدا
فان الذي خلفتموه بارضكم فتى ملأ الاحشاء هجرانه وجدا
ابغدادكم تنسيه اروند مربعا ألا خاب من يشري ببغداد اروندا
فدتهن نفسي لم يمعن بما ارى رمى كل جيد من تنهده عقدا

وقال محمد بن بشار يصف اروند

تزينت الدنيا وطاب جنانها وناح على اغصانها ورشانها
وامرعت القيعان واخضر نبتها وقام على الوزن السواء زمانها
وجاءت جنود من قرى الهند لم تكن لتأتي الاّ حين يأتي اوانها
مسودة دعج العيون كانما لغات بنات الهند تحكي لسانها
لعمرك ما في الارض شيء نلذه من العيش الاّ فوقه همذانها
اذا استقبل الصيف الربيع واعشبت شماريخ من اروند شم قنانها
وهاج عليه بالعراق واهله هواجر يشوي اهلها لهبانها
سقتك ذرى اروند من سيح ذائب من الثلج انهارًا عذابًا رعانها
ترى الماء مستنًا على ظهر صخرة ينابيع يزهى حسنها واستنانها
كان بها شوبًا من الجنة التي تفيض على سكانها حيوانها
فيا ساقي الكاس اسقياني مدامة على روضة يشفي المحب جنانها
مكللة بالنور تحكي مضاحكا شقائقها في غاية الحسن بانها
كان عروس الحي بين خلالها قلائد ياقوت زهاها اقترانها
تهاويل من حمر وصفر كانها ثنايا العذارى ضاحكا اقحوانها

فَيَا حُسْنَ لَهْوٍ وَيَا مَنْظَرْ [١]

واشعار اهل همذان في اورند ووصفهم منتزهاتها كثير . الكلال التعب

(المعنى) يقول ان النياق ضربن بشافرهن على قلتي اروند بعد تعب في السير ومشقة

(١) المجال موضع الجولان . المجلى المظهر . المنظر ما نظرت اليه فاعجبك

(المعنى) يقول ان هذه الغاية بما فيها من حديقة النبات والحيوان هي مجال الوحش يرتع فيها . ومظهر من مظاهر الانس تلذه النفس ومنظر من مناظر الجمال يروق للعين فيا حسن ملهى به ويا منظراً ترتاح اليه النفس ويهدأ له الخاطر وتقر به العين

يظن بعض الناس ان الشعر هو كما قيل في تعريفه (الكلام الموزون المقفى) وهو ليس كذلك بل الشعر هو كما قال صاحب السماحة المؤلف في وصف احد البلغاء الحكماء في اول رسالة من هذا الكتاب وهي رسالة القسطنطينية وهو قوله (قد بذّ الاوائل والاواخر . شاعر الاّ انه فيلسوف وفيلسوف الاّ انه شاعر . فكره عالم الحقيقة والمثال . لان الفلسفة شعر الاّ انها حقيقة والشعر فلسفة غير انه خيال) وانما الكلام الموزون المقفى هو المحل المختار الذي يسكنه الشعر ومن ألطف تعبيرات العرب تسمية هذا المحل (بالبيت) فيقولون بيت الشعر الذي يسكنه . وقلت المحل (المختار) لان الذي جرى عليه الاختيار من قديم هو وضع كثير من الشعر في ذلك المحل وهي (الاوزان الموسيقية) . على ان معظم الشعر واجوده لم يوضع في ذلك المحل بل اختير له النثر المرسل والمرسل المسجع في العربية وهذا الذي يسميه الافرنج (الشعر المنثور) ومن انفس واعظم ما كتب في ذلك باللغة العربية هو كتاب (صهاريج اللؤلؤ) هـذا الذي نشرحه . اما القافية فقد جرى الاصطلاح عليها ايضاً تتميماً للنغم الموسيقي اي الوزن الاّ ان العجم من فرس وافرنج وغيرهم جعلوها بطريقة سهلة لانهم جعلوا لكل شطرتين قافية او لكل اربع شطرات قافية ونحو ذلك فلم يقيدوا الشعر الا بقيد خفيف يسهل معه البلوغ الى جميع الاغراض وتناول كثير من الافكار اما العرب فقد جعلوا القافية واحدة في كل القصيدة فاصبحت الاجادة في الشعر عندهم او البلوغ به الى التعبير عن المقاصد المختلفة من اصعب الامور . على انه كان للعرب نوع من نظم الشعر يشابه ما قلناه عن شعر العجم وهو النوع المسمى بالمسمط . قال في لسان العرب « الشعر المسمط ما قفي ارباع بيوته وسمط في قافية مخالفة يقال قصيدة مسمطة وسمطية » قال امرؤ القيس

ذات القوافي

سَقَى دُورَمَيَّةَ بِالْأَجْرَعِ
مُسِفٌّ مِنَ الدَّجْنِ لَمْ يُقْلِعِ
وَلَوْ تَرَكَ الشَّوْقُ دَمْعاً بِجَفْنِي
سَقَيْتُ الْمَنَازِلَ مِنْ أَدْمُعِي (١)

* * *

ومستلئم كشفت بالرمح ذيله   اقمت بعضب ذي سفاسف ميله
فجعت به في ملتقى الخيل خيله   تركت عتاق الخيل تحجل حوله
كأن على سرباله نضح جربال

والرجز ايضاً من هذا القبيل . وقد اراد المؤلف حفظه الله بهذه القصيدة التي اسماها « ذات القوافي » ايجاد مثال للشعر المتعدد القوافي في العربية وفك هذا القيد الشديد المانع للشعر من الارتقاء فتجول افكار الشعراء في كل ميادين الخيال . وتتناول كل شاردة وواردة من حقيقة ومثال

(١) دور جمع دار . مية اسم من الاسماء التي تطلقها العرب على نسائهم . الاجرع الجرعاء وجمعه اجارع كابطح واباطح لانه مأخوذ مأخذ الاسماء دون الصفات يقال (نزلوا بالاجارع) قال ذو الرمة

وما يوم حزوى ان بكيت صبابة   لعرفان ربع او لعرفان منزل
يوول ما هاجت لك الشوق دمنة   بأجرع مقفار مرب محلل

ولا يكون مربا محلاً الا وهو ينبت النبات والاجرع المكان فيه سهولة ورمل و يقال جرَع وجرْع وجرعاء وجرَعة ومنه جرعاء مالك بالدهناء قرب حزوى وقال ذو الرمة ايضاً

وما استجلب العينين الا منازل   بجمهور حزوى او بجرعاء مالك
اربت رويا كل دلوية بها   وكل سماكيّ ملث المبارك

شَجِيٌّ يَحِنُّ لِأُلَّافِهِ
وَيَصْبُو إِلَى دَهْرِهِ الْغَابِرِ
فَهَلْ عَائِدٌ لِي زَمَانٌ مَضَى
بِنَعْفِ الْغُوَيْرِ إِلَى الْحَاجِرِ (١)

* * *

مسف المسف من الدجن القريب من الارض لثقله • الدجن المطر الغزير • يقاع ينكشف

(المعنى) يقول سقى المطر الغزير الدائم التهطال دار المية بالاجرع ولو لم ينفسد دمعي ويستنزفه الشوق لسقيت هذه الدور منه فأرويتها • قال كثير في الدور

ومنها باجزاع المقاريب دمنة وبالسفح من فرحان آل مصرع
مغاني ديار لا تزال كأنها بافنية الشطان ريط مضلع

وللسيد مؤلف هذا الكتاب

دار لليلى باللوى اضحت يبابا دثره
فمن يزرها يلقها معرفة كنكره

وقال ابن المعتز

لمن دار وربع قد تعفى بنهر الكرخ مهجور النواحي
محاه كل هطال ماح بربل مثل افواه اللقاح
فبات بليل باكية ثكول ضرير النجم منهم الصباح
وأسفر بعد ذلك عن سماء كأن نجومها حدق الملاح
سقى ارضا تحل بها سليمى ولا سقى العوازل واللواحي
مهفهفة لها نظر مريض واحشاء تضيع من الوشاح

(١) الشجيّ المشغول والحزين وشدد باخراجه على فعيل وجعل بمعنى مشجو • يحن يشتاق • الالاف جمع الف وهو الانيس المعاشر • يصبو يميل • الغابر الماضي • نعف الغوير النعف المكان المرتفع والغوير تصغير غور وهو ماتداخل وما هبط ومنه غور تهامة يقال للرجل

أَرَى بَيْنَ أَحْنَاءِ صَدْرِيَ نَارًا
تُؤَجِّجُهَا الرِّيحُ إِمَّا هَفَتْ
وَبَيْنَ جُفُونِي سُحُبًا ثِقَالاً

قد أغار اذا دخل تهامة قال اعرابي

اراني ساكناً من بعد نجد بلاد الغور والبلد التهاما
وربما مشيت بحرّ نجد وربما ضربت به الخياما
وربما رأيت بحرّ نجد على اللأواء اخلاقاً كراماً
اليس اليوم آخر عهد نجد بلى فاقروا على نجد السلاما

والاغوار في بلاد العرب كثيرة ومواضعها مشهورة فمن اشهرها غور ملح وهو ماء لبني العدوية قال الهيش بن شراحيل

فان قتلت اخي اذحم مقتله فلست اول عبد ربه قتلا
لقيته طيبا نفسا بميتته لما رأى الموت لا نكسا ولا وكلا
وقد دعوتك يوم الغور من ملح الى النزال فلم تنزل كما نزلا
فلا عدمت امرأها لتلك خيفته حتى حسبت المنايا تسبق الأجلا
ولا اسنة قوم ارشدوك بها سبل الفرار فلم تعدل بها سبلا

وقالت ماجدة البكرية

الا يا جبال الغور خلين بيننا وبين الصبا يجرى علينا شنينها
لقد طال ما حالت ذرا كن بيننا وبين ذرى نجد فما نستبينها

وقال جميل

يغور اذا غارت فؤادي وان تكن بنجد يهم مني الفؤاد الى نجد
اتيت بني سعد صحيحاً مسلماً وكان سقام القلب حبّ بني سعد

وقال الاحوص

وانك ان تنزح بك الدار آتكم وشيكا وان يصعد بك العيس اصعد
وان غرت غرنا حيث كنت وغرتم او انجدت انجدنا مع المتنجد

إِذَا مَا تَأَلَّقَ بَرْقٌ هَمَتْ (١)

* * *

وَسَاوَرَنِي الْحُبُّ حَتَّى ثَوَى
كَأَيْمٍ عَلَى مُهْجَتِي مُلْتَوِي
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا كَرَوْضٍ غَدَا
بِغَيْرِ الْمَدَامِعِ لَا يَرْتَوِي (٢)

* * *

الحاجر منزل للحاج بالبادية

(المعنى) يقول اني شجي أحن وأشتاق الى ألف بعد وتناءى واصبو الى زمن الغبطة والسرور الذي مضى فهل عائد لي ذلك الزمن ايام كنا بالغوير والحاجر • وهذه سنة الشعراء في الغزل والنسيب وتذكر الامكنة

(١) الاحناء الجوانب • هفت تطايرت • الثقال الممتلئة • تألق لمع واضاء • همت سالت

(المعنى) يقول اني احس بنار كامنة في صدري اذا ماهبت الريح اججتها وبدموع غزيرة في في جفني اذا ما لمعت البروق ارسلتها لان الريح اذا هبت على النيران اوقدتها واذا اومض البرق امطر الغيث • وذلك لهبوب الريح وايماض البرق من ناحية تلك الامكنة المذكورة في الابيات المتقدمة

قال ابن المعتز يصف سحابة تألق فيها برق

باكية يضحك فيها برقها موصولة بالارض مرخاة الطنب
رأيت فيها برقها منذ بدا كمثل طرف العين أو قلب يجب
جرت بها ريح الصبا حتى بدا منها لي البرق كامثال الشهب
تحسبه طوراً اذا ما انصدعت احشاؤها عنه شجاعاً يضطرب
وتارة تخاله كأنه سلاسل مفصولة من الذهب

(٢) ساوره غالبه • ثوى أقام • الأيم الثعبان

وَقَدْ هَجَرَتْ مُقْلَتَايَ الْـكَرَى
كَأَنَّ بِهُدْبِي رُؤُوسَ الْإِبَرْ
وَلَوْ كَانَ مَا بِي بِهَذَا الْغَمَامِ
لَأَمْطَرَ بِالْجَمْرِ أَوْ بِالشَّرَرْ [١]
فَجِسْمِي أَصْبَحَ كَالشَّمْعِ يُفْنِيهِ
سَـكْبُ الدُّمُوعِ وَوَقْدُ الْحُرَقْ

(المعنى) يقول وغلب عليّ الحب فصار على قلبي كثعبان ملتو عليه ثم عرف الحب فقال لعمرك ما الحب الاّ كروضة لاتورق اغصانها ولا تتفتح زهراتها الاّ اذا سقيت بالدموع . قال ابن الرومي

لاتعجبا ان دمعاً فاض عن حرق ماء أفاضته نار من مراجله
أراق دمعي هوى ظبي أراق دمي يا للقتيل بكى من حب قاتله

وقال أيضاً

لاتنفسا عبرة أجود بها فلست أبكى بها على الدمن
لم يخلق الدمع لامرىء عبثاً الله أدرى بلوعة الحزن

وقال المتنبي

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي
حلت دون المزار فاليوم لو زرت لحال النحول دون العناق

(١) الكرى النوم . الهدب شعر اشفار العين

(المعنى) يقول وقد هجرت عيوني المنام كأن أطراف هدبي أسنة الأبر فاذا ماانطبق الجفن على الجفن منعته تلك الأسنة ولو كان الذي بي من الشجا وحرقته بهذا الغمام لما أمطرنا غيثاً مدرارا بل أمطرنا جمراً وشراراً .

فَلاَ أَلْبَسُ الثَّوْبَ إلاَّ وَجِسْمِي
مِنْ تَحْتِ ثَوْبِي كَثَوْبٍ خَلَقْ [1]
نَحَلْتُ فَلَوْ زُرْتُهَا مَا خَشِيـ
ـتُ رَقِيباً يَرَانِيَ فِيمَنْ يَرَى
وَلَوْ زُرْتُ مَيَّةَ فِي يَقْظَةٍ
لَظَنَّتْ بِأَنِّي خَيَالٌ سَرَى [2]

قال ابو طاهر الواسطي

عهدي بنا ورداء الشمل يجمعنا — والليل أطوله كاللمح بالبصر
فالآن ليليَ مذ غابوا فديتهم — ليل الضرير فصبحي غير منتظر

(١) الشمع موم العسل · سكب الدموع هطلانها الدائم · وقد اتقاد · الحرق جمع حرقة وهو ما يجده الانسان من لذعة الحب · خَلَق قديم بالي

(المعنى) يقول ان جسمي من الحب أصبح كالشمع يفني كلما سالت دموعه والتهبت ذبالته

(٢) الخيال ماتشبه لك في الحلم وهو الطيف

(المعنى) يقول انى نحلت فلو زرت مية لم اخش الرقيب فانه من شدة نحولي لا يراني بل لو زرتها وكان ذلك في اليقظة لظنت اني من نحول جسمي خيال طرقها في المنام ·

قال عمر بن ابي ربيعة في النحول

رات رجلاً ايما اذا الشمس عارضت — فيضحى وأيما بالعشي فيخصر
اخا سفر جواب ارض تقاذفت — به فلوات فهو اشعث اغبر
قليلاً على ظهر المطية شخصه — خلا ما بقي منه الرداء المحبر

وقال خالد الكاتب

يَمُرُّ وَلَمْ أَدْرِ شَهْرٌ فَشَهْر
كَأَنِّي فِي فَلَكٍ لَمْ يُدَرْ
وَأَرْتَاحُ إِمَّا تَمَنَّيْتُهَا
وَيَا رُبَّ أُمْنِيَّةٍ كَالظَّفَرْ ¹
أَسِيرٌ وَلَا أَرْتَضِي بِالْعِتَاقِ
وَمُضْنًى وَأَجْزَعُ أَنْ أَبْرَأَ
وَإِنْ سَلِمَتْ خِلْتُهَا وَدَّعَتْ

هذا محبك حياً لا حياة به لم يبق من جسمه الا توهمه

وقال ابن عبد ربه

لم يبق من جثمانه الا حشاشة مبتئس
قدرق حتى ما يرى بل ذاب حتى ما يحس

(١) الظفر الفوز

(المعنى) يقول يمر شهر على اثر شهر وأنا لم أدر وذلك من الهوى كاني في فلك غير سائر لاني لا أعلم الايام والليالي وارتاح ان تذكرت المحبوبة وتمنيتها ويارب أمنية كالظفر وأخرجه مخرج المثل . قال الشريف الرضي في ذكر الحبيب وتمنيه

بنفسي واهلي من اذاعن ذكرهم امات الهوى مني فؤادا وأحياه
تمنيتهم بالرقمتين ودارهم بوادي الغضى يا بعد ما اتمناه

وقال المخزومي

بينما نحن من بلاكث بالقاع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك أذ دعاني لك الشوق وللحادبين كرّا المطيا

وَأَحْسَبُ مُقْــتَرَبِي مُنْتَأى

إِذَا كُنْتُ وَحْدِي أَكُونُ وَإِيَّاكِ

أَوْ خَالِيًا فَاشْـتِغَالِي بِكِ

وَأَطْلُبُ الْمَجْدَ وَالْمَــكْرُمَاتِ لِتَـ

ـحْسُنَ لِي شِيمَةٌ عِنْـدَكِ ٢

لِيَحْنُوَ قَلْبُكِ رِفْقًـا عَلَيَّ

فَالصَّخْرُ بِالْمَاءِ قَـدْ يَنْبَجِسْ

وَصُونِي الْوِدَادَ وَفِيهِ الذَّمَاءُ

فَإِنْ يُورِقَ الْعُودُ إِمَّا يَبِسْ ٣

---

(١) الاسير المأسور • العتاق الخروج عن الرق • المضنى المريض • المقترب القرب • المنتأى البعد

(المعنى) يقول اني اسير من الهوى ولكنني لا ارتضى أن اعتق واني مريض معنى منه ولكني اجزع من البرء لاني ارى أسري في الحب عتقاً وسقمي فيه شفاء ومن شدة الشغف اتخيل انها ان سلمت كانها ودعتني وان قربت منها كانها بعيدة عني

(٢) الشيمة الخصلة والسجية

(المعنى) يقول اني اذا كنت وحدي اكون معك بذكراك واذا خلوت من اشغالي ويراني الناس ويظنوني خالياً اكون في ذلك الوقت مشتغلاً بك مفكراً فيك واني لا أسعى في طلب العلى والمجد والمكرمات الا لتحسن خصالي لديك فاكون محبباً عندك

(٣) ليحنو اي لينعطف • ينبجس ينفجر • الذماء البقية

لِمَيَّةَ خَــدٌّ بِهِ وَرْدَة
تُفَتِّحُهُ نَظْرَةٌ أَوْ خَجَــلْ
وَقَدٌّ قَضِيفٌ إِذَا مَا انْثَنَى
يُخَالُ بِهِ رَنَحٌ أَوْ ثَمَلْ ١
وَوَجْهٌ إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ
نَظَرْتَ لِوَجْهِكَ فِي مائِهِ
وَجَفْنٌ تُرَنِّقُهُ فَــتْرَةٌ
كَمُسْتَيْقِظٍ بَعْدَ إِغْفَائِهِ ٢

(المعنى) يقول لينعطف قلبك رفقاً فانه ان كان من صخر فقد ينبع من الصخر الماء وصوني البقية من الوداد ولا تفرطي فيها فان العود اذا يبس لا يورق ثانية • قال المتنبي

ذودينا من حسن وجهك ما دام فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا في هذه الدار نكرمك فان المقام فيها قليل

(١) القد القوام • القضيف الاهيف • الرنح التمايل • الثمل اخذ الشراب

(المعنى) يقول ان مية لها خد عليه وردة تتفتح هذه الوردة اذا نظروا اليها فانها من الحياء يحمر الوجه وكذلك عند ما تخجل ولها ايضاً قوام اذا ما تأود حسبته مال من الرنح أو السكر •

(٢) ترنق رنق النوم عينيه خالطها • الفترة الضعف والانكسار

(المعنى) يقول ولها وجه اذا نظرت اليه كان كالمرآة صقالة فانك ترى وجهك في مائه ولها أيضاً جفن قد خالطه انكسار وضعف اذا نظرته رأيته كمن قام من نومه و به شدة التهويم والنعاس •

كَأَنِّيَ فِي مَدْحِهَا سَاجِـعٌ
وَدَمْعِيَ فِي عُنُقِي طَوْقُهُ
تَشُوقُ فُؤَادِي فَأُثْنِي عَلَيـ
ـهَا كَعُودٍ يُضَوِّعُهُ حَرْقُهُ ¹

* * *

زَمَانٌ إِذَا مَا تَذَكَّرْتُهُ
تَخَيَّلْتُهُ حُلُمًا فِي الْكَرَى
وَعَهْدُ الشَّبَابِ كَرُؤْيَا إِذَا
مَضَتْ أَدْرَكَتْهَا نُفُوسُ الْوَرَى ²

---

(١) الساجع الحمام . الطوق ما دار بعنق الحمامة . العود ضرب من الطيب يتبخر به . يضوع ينشر رائحته

(المعنى) يقول كأنى في وصفها ومدحها والثناء عليها ساجع وكأن دمعي طوق ذلك الساجع وهي كلما شاقت فؤادي ازيدها ثناء ومدحاً كالعود الذي كلما وضعته في النار انتشرت رائحته .

(٢) الكرى النوم . الرؤيا الحلم

(المعنى) يقول وقد أعاد ذكر الزمن الذي وصفه في هذه القصيدة وهو زمان الصبا اني اتخيله الآن كالحلم الذي يراه النائم في نومه فانه بعد انقضائه تدركه نفس الحالم ولك ان تقرأ هذا البيت هكذا

المولود

يَمَّنَ اللهُ طَلْعَةَ الْمَوْلُودِ
وَحَبَى أَهْلَهُ بِطُولِ السُّعُودِ
فَهُمُ الضَّامِنُونَ حِينَ تَوَالَى
مُنْسِيَاتُ الْعُهُودِ حِفْظَ الْعُهُودِ
لَاعَقِمْتُمْ يَاآلَ وَهْبٍ فَمَا الدُّنْ
يَا لِقَوْمٍ أَمْثَالِكُمْ بِوَلُودِ ١
فَسَلَامٌ عَلَى جَنَابِكَ وَالْمَنْهَلِ
وَالظِّلِّ وَالأَيَادِي الْجِسَامِ
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ

وعهد الشباب كرؤيا اذا ما انقضت ادركتها نفوس الورى

وقال ابن الرومي في عهد الشباب

كان الشباب وقلبي فيه منغمس في لذة لست ادري ما دواعيها
يمضي الشباب ويبقى من لبانته شجو على النفس لاينفك يشجيها

(١) يمّن بارك . الطالعة الرؤية والوجه حبى اعطى لاعقمتم اي لا اصابكم العقم وهو عدم الولادة

(المعنى) بارك الله في طلعة هذا المولود وأعطي أهله السعود الدائم فان أهل هذا المولود ضامنون حفظ العهود في وقت ينسي الانسان فيه حفظ العهد

وزادَ في عِـدَّتِكُمْ أَعْتَبا ١

(ما وراءك يا عصامُ) ٢ (يا بُشْرايَ هذا غلامٌ) ٣ سيفٌ سُلَّ مِنْ قرابٍ ٠ وَلُؤْلُؤَةٌ جاء بها عُبابٌ ٠ ولَيْثٌ غابٍ ٠ في شِبْلٍ ٠ وباقعةٌ نقابٌ ٠ في طِفْلٍ ٤ وَعالَمٌ كَبيرٌ ٠ في شَخْصٍ صَغيرٍ ٠ كالشَّمْسِ في الماويَةِ ٠ والأَرْضِ في مُصَوَّرِ الْجُغْرافيَةِ ٠

---

(١) الجناب الفناء ٠ المنهـل المورد ٠ الظل الفيء والمراد به هنا الكنف ٠ الايادى جمع يد وهي النعمة والعطية ٠ الجسام الكبار ٠ أعتب أرضى

(المعنى) يقول أقرى السـلام هذا الجناب والكنف والمورد والعطايا الجسام ويقول ان الدهر اذا جنى على ابنائه و والى عليهم الخطوب والشـدائد ثم زاد في عدتكم فما جنى لانه أرضانا فاغتفرنا له جناياته

(٢) ما وراءك ياعصام هـذا مثل عربي قيل ان المتكلم به النابغة الذبياني قاله لعصام بن شهبر حاجب النعمان وكان النعمان مريضاً فسأله النابغة عن حال النعمان فقال ما وراءك يا عصام ومعناه ما خلفت من أمر النعمان وقيل غير ذلك ٠ يا بشراي هذا غلام هذه الفقرة تضمين آية من كتاب الله في سورة يوسف وذلك أن أخوة يوسف حينما ألقوه في الجب (وجاءت سيارة فأرسـلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشراى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون) ثم أخرجوه وأخذوه معهم الى مصر

(المعنى) يقول وقد ابتدأ باحسن ابتداء في تهنئة بمولود ما وراءك يا عصام فكان الجواب من أحسن الاجوبة في الموضوع عينه وهو قوله يا بشراي هذا غلام أي الغلام المولود

(٣) القراب غمد السيف ٠ العباب البحر العظيم ٠ الليث الأسد ٠ الشبل ولد الأسد ٠ الباقعة الذي لا يفوته شيء ولا يدهى ٠ النقاب الرجل العلامة

(المعنى) يقول ان هذا المولود وقد خرج للوجود كالسيف الذي سل من غمده أو كاللؤلؤة التي جاء بها بحر خضم وهو كناية عن أبيـه أو أنه أسد عظيم في شبل صغير أو حاذق بصـير في طفل ٠

(٤) الماوية المرآة ٠ مصور الجغرافية هو صورة الأرض في طرس صغير

(المعني) يقول بل هو عالم كبير في شخص صغير كالشمس وهي أكبر الاجرام السماوية

وَالْعُنْوَانِ مِنَ الْكِتَابِ • وَالْفَذْلَكَةِ مِنَ الْحِسَابِ ¹ • وَالنَّخْلَةِ الْعَيْدَانَةِ فِي النَّوَاةِ • وَالْكِتَابِ الْمُؤَلَّفِ فِي الدَّوَاةِ • وَالثَّقَلَيْنِ • فِي حَدَقَةِ الْعَيْنِ ² • أَمِيرٌ • سَرِيرُهُ سَرِيرٌ ³ • تَنَقَّلَ فِي أَصْلَابِ أَوَائِلِهِ • كَالْقَمَرِ فِي مَنَازِلِهِ • حَتَّى لَاحَ كَالْهِلَالِ • وَسَعَى كَالْبَدْرِ لِلْكَمَالِ ⁴ • صَغِيرٌ وَهُوَ الْأَوَّلُ قَدْرًا • كَمَا يُبْتَدَأُ فِي الْعَدِّ بِالإِصْبَعِ الصُّغْرَى ⁵ • إِنْ تَأَخَّرَ عَنْ غَيْرِهِ فِي الزَّمَنِ فَكَمَا تَأَخَّرَ وَاثِبٌ • أَوْ

فانك ترى صورتها في المرآة أو كالأرض العظيمة في مصور الجغرافية فانك تراها مع سعتها مرسومة فوق صحيفة صغيرة

(١) العنوان سمة الكتاب وديباجته • الفذلكة يقال فذلك حسابه فذلكة أنهاه وهي منحوتة من قول الحاسب اذا أجمل حسابه فذلك كذا وكذا اشارة الى حاصل الحساب ونتيجته فالفذلكة كل ما هو نتيجة متفرعة على ما سبق حسابًا كان او غيره

(المعنى) يقول بل هو كالعنوان يعرف به الكتاب كله او كالنتيجة من الحساب وهي حاصلة

(٢) العيدانة الطويلة • النواة بذر التمر • الثقلان الانس والجن • حدقة العين سوادها الاعظم

(المعنى) يقول بل هو كالنخلة فانها مع طولها في نواة صغيرة • وكالكتاب المؤلف فانه يكون في الدواة وكالثقلين فان حدقة العين مع صغرها تحيط بهما • اقول ان كل ما تقدم هو وصف للشيء الكبير يكون في جسم صغير وذلك لمناسبة صغر جسم المولود ولكن انظر الى هذه الفقرات كم جاء السيد المؤلف فيها بالمعاني العالية في معنى واحد وكيف قلبها فكأنه سار فيها على ما وصف

(٣) السرير الاول المراد به مهد الطفل والسرير الثاني سرير الملك

(المعنى) يقول انه امير فمهده سرير ملك ودست رئاسة

(٤) اصلاب جمع صلب • اوائله اي آباؤه • منازله جمع منزلة وهي ما ينزل بها القمر

(المعنى) يقول ان هذا المولود قد تنقل في اصلاب آبائه الاولين واحداً فواحداً كما يتنقل البدر في منازله فكانت اصلاب اوائله له بمثابة المنازل للقمر وما زال حتى طلع على الدنيا كالهلال ثم سعى فيها كما يسعى البدر ليبلغ الكمال

(٥) (المعنى) يقول هو صغير ولكنه ان عدّ أولى القدر كان في اولهم فمثله كمثل الخنصر

نَقَدَّمَ عَلَيْهِ سِوَاهُ فَكَمَا تَقَدَّمَ الْفَجْرُ الْكَاذِبُ ¹ . وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ شَدَا يَلْعَبُ بِالْكُرَةِ . كَمَا يَلْعَبُ الصَّبِيُّ بِالْكُرَةِ ² . وَإِذَا هُوَ (أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ) . وَ(أَبْأَى مِنْ حُنَيْفِ الْحَنَاتِمِ) ³ . وَ(أَحْزَمُ مِنْ سِنَانٍ) . وَ (أَعْدَلُ مِنَ

من اصابع اليد يبتدأ بها عند العد ولا يبتدأ بما هو اكبر منها

(١) الفجر الكاذب الفجر اثنان الاول الكاذب وهو المستطيل ويبدو اسود معترضا ويقال له ذنب السرحان والثاني الصادق وهو المستطير ويبدو ساطعاً يملأ الافق بياضاً يطلع بعد الاول وبطلوعه يبدو النهار

(المعنى) يقول ان هذا المولود وان كان قد تأخر عن غيره في الزمن وجاء اخيراً فانه كالواثب عند ما يثب يتأخر قليلا ويثب ليتجاوز مسافة بعيدة في وثبته وانه ان كان تقدم عليه غيره في الزمن وجاء قبله فكالفجر الكاذب قبل الفجر الصادق

(٢) شدا بمعنى اخذ . الكرة الاولى هي الكرة الارضية والثانية هي كرة من قطن او جلد او نحوه يلعب بها الصبيان

(المعنى) يقول وكأن بهذا المولود قد كبر ونبه وصار ذا نجابة ورئاسة في الامم فيلعب بالكرة الارضية كما يلعب الصبي بالكرة

(٣) (اجود من حاتم) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج كان جواداً شجاعاً مظفراً اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق واذا أثرى أنفق وكان أقسم بالله لا يقتل واحد أمه . ومن حديثه انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم يا ابا سفانة اكلني الاسار والقمل فقال ويحك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء وقد أسأتني اذ فوهت باسمي ومالك مترك ثم ساوم به العنزيين واشتراه منهم فخلاه وأقام مكانه في قده حتى أتي بفدائه فاداه اليهم . ومن حديثه ان ماوية امرأة حاتم حدثت ان الناس اصابتهم سنة فاذهبت الخف والظلف فبتنا ذات ليلة باشد الجوع فاخذ حاتم عديا واخذتُ سفانة فعللناهما حتى ناما ثم اخذ يعللني بالحديث لانام فرققت لما به من الجهد فامسكت عن كلامه لينام ويظن اني نائمة فقال لي انمت مراراً فلم أجبه فسكت ونظر من وراء الخباء فاذا شيء قد اقبل فرفع رأسه فاذا امرأة تقول يا ابا سفانة أتيتك من عند صبية جياع

الْمِيزَانِ)[١] . وَ (أَحْمَى مِنْ مُجِيرِ الظُّعْنِ) . وَ (أَعْقَلُ مِنَ ابْنِ تِقْنٍ)[٢] . وَ (أَحْيَا

فقال احضريني صبيانك فوالله لاشبعنهم قالت فقمت مسرعة فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقام الى فرسه فذبحه ثم اجج ناراً ودفع اليها شفرة وقال اشتوي وكلي واطعمي ولدك وقال لي ايقظي صبيتك فايقظتهما ثم قال والله ان هذا للؤم ان تأكلوا وأهل الصرم حالهم كحالكم فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً ويقول عليكم النار فاجتمعوا واكلوا وتقنع بكسائه وقعد ناحية حتى لم يوجد من الفرس على الارض قليل ولا كثير ولم يذق منه شيئاً . وزعم الطائيون ان حاتماً أخذ الجود عن أمه غنية بنت عفيف الطائية وكانت لا تحرز شيئاً سخاء وجودا . فضرب به المثل فقيل اجود من حاتم — (أبأى من حنيف الحناتم) من البأي وهو الفخر وكان بلغ من مفخره ان لا يكلم أحداً حتى يبدأه هو بالكلام فضرب به المثل فقيل ابأى من حنيف الحناتم

(المعنى) يقول فاذا بهذا المولود وقد ظهر في الوجود كحاتم في العطاء وحنيف الحناتم في الاباء

(١) (أحزم من سنان) قيل لم يجتمع الحزم والحلم في رجل فسار المثل بهما الا في سنان وهو مثل عربي — (أعدل من الميزان) وذلك أن الميزان يعطى كل ذي حق حقه من غير محاباة وهو مثل عربي

(المعنى) يقول واذا بهذا المولود أيضاً صار كسنان في الحزم وكالميزان في العدل

(٢) (أحمى من مجير الظُّعن) هو ربيعة بن مكدم الكناني . ومن حديثه أن نبيشة بن حبيب السلمي خرج غازياً فلقي ظعنا من كنانة بالكديد فأراد أن يحتويها فمانعه ربيعة بن مكدم في فوارس وكان غلاماً له ذؤابة فشد عليه نبيشة فطعنه في عضوه فأتى ربيعة أمه فقال . شدّي عليّ العصب أم سيار . فقد رزئت فارساً كالدينار . فقالت أمه

انا بني ربيعة بن مالك نرزأ في خيارنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك

ثم عصبته فاستقاها ماء فقالت اذهب فقاتل القوم فان الماء لايفوتك فرجع وكر على القوم فكشفهم ورجع الى الظعن وقال اني لمائت وسأحميكن ميتاً كما حميتكن حياً بأن اقف بفرسي على العقبة وأتكيء على رمحي فان فاضت نفسي كان الرمح عمادي فالنجاء النجاء فاني أرد بذلك وجوه

(مِنْ كَعَابٍ) . وَ (أَحْلَمُ مِنْ فَرْخِ عُقَابٍ)[١] . وَ (أَجْمَلُ مِنْ ذِي الْعِمَامَةِ) . وَ (آثَرُ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ)[٢] . وَ (أَجْسَرُ مِنْ قَاتِلِ عُقْبَةَ) . وَ (أَحْكَمُ مِنْ هَرِمِ بْنِ

القوم ساعة من النهار فقطعن العقبة ووقف هو بازاء القوم على فرسه متكئاً على رمحه فنزفه الدم فغاط والقوم بازائه يحجمون عن الاقدام عليه فلما طال وقوفه في مكانه ورأوه لا يزول عنه رموا فرسه فقمص وخرّ ربيعة لوجهه فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن ثم ان حفص بن الأحنف الكناني مر بجيفة ربيعة فعرفها فأمال عليها أحجارا من الحرة وقال يبكيه

لا يبعدن ربيعة بن مكدم　　وسقى الغوادي قبره بذنوب

نفرت قلوص من حجارة حرة　　بنيت على طلق اليدين وهوب

لاتنفري يا ناق منه فانه　　شراب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وبعده من مهمه　　لتركتها تحبو على العرقوب

ولم يعلم أن قتيلا حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدم فضرب به المثل وهو مثل عربي —

(اعقل من ابن تقن) هذا رجل يقال عمرو بن تقن وهو الذي يضرب به المثل فيقال أرمى من ابن تقن وكان من عاد وعقلائها ودهاتها وكان لقمان بن عاد اراده على بيع ابل له معجبة فامتنع عليه وا حتال لقمان في سرقتها منه فلم يمكنه ذلك ولا وجد غرة منه وفيه قال الشاعر

اتجمع ان كنت بن تقن فطانة　　وتغبن احياناً هنات دواهيا

فضرب بعقله المثل وهو مثل عربي

(المعنى) يقول وهو ايضاً يحمي من احتمى به كربيعة بن مكدم ويفطن لما فطن به عمرو بن تقن

(١) (احيا من كعاب) هذا مثل عربي ومعناه ان الكعاب وهي الفتاة الناهد تكون اشد حياء من غيرها من النساء الكبيرات — (احلم من فرخ عقاب) ذكر الأصمعي انه سمع اعرابياً يقول سنان بن ابي حارثه احلم من فرخ عقاب قال فقلت له وما حلمه فقال يخرج من بيضه على راس نيق فلا يتحرك حتى يقر ريشه ولو تحرك سقط فضرب به المثل وهو مثل عربي

(المعنى) يقول وايضاً فهو في الحياء كالفتاة الناهد وفي الحلم كفرخ العقاب

(٢) (اجمل من ذي العمامة) هذا مثل من امثال اهل مكة . وذو العمامة هو سعيد بن العاص بن امية وكان في الجاهلية اذا لبس عمامة لا يلبس قرشي عمامة على لونها واذا خرج لم تبق

قُطْبَةَ) . وَ (أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرٍ) . وَ (أَجْرَأُ مِنْ قَسْوَرٍ) ١

امرأة الا برزت للنظر اليه من جماله ولما افضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان خطب بنت سعيد هذا الى اخيها عمرو بن سعيد الاشدق فأجابه عمرو بقوله

فتاة ابوها ذو العمامة وابنه اخوها فما اكفاؤها بكثير

وزعم بعض اصحاب المعاني ان هذا اللقب انما لزم سعيد بن العاص كناية عن السيادة قال وذلك لأن العرب تقول فلان معمم يريدون ان كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة والعشيرة فهي معصوبة براسه فالى مثل هذا المعنى ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص ذا العصابة وذا العمامة فضرب به المثل وهو مثل عربي — (آثر من كعب بن مامة) او اجود من كعب بن مامة هو ايادي .. ومن حديثه انه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط في شهرناجر فضلوا فتصافنوا ماءهم وهو ان يطرح في القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة وتلك الحصاة هي المقلة فيشرب كل انسان بقدر واحد فقعدوا للشرب فلما دار القعب فانتهى الى كعب ابصر النمري يحدد النظر اليه فآثره بمائه وقال للساقي اسق اخاك النمري فشرب النمري نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا بقية مائهم فنظر اليه النمري كنظره امس فقال كعب كقوله امس وارتحل القوم وقالوا يا كعب ارتحل فلم يكن به قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء فقالوا له رد كعب انك وراد فعجز عن الجواب فلما يئسوا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السبع ان يأكله وتركوه مكانه فغاظ فقال ابوه مامة يرثيه

ما كان من سوقة اسقى على ظمأ خمرا بماء اذا ناجودها بردا
من ابن مامة كعب حين عيّ به زوّ المنية الا حرة وقدا
اوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب انك وراد فما وردا

زوّ المنية قدرها وعي به اي عيت به الاحداث الا ان تقتله عطشا

(المعنى) يقول واذا هو ايضاً كسعيد بن العاص جمالاً وسيادة وككعب بن مامة جودا واثرة

---

(١) (اجسر من قاتل عقبة) هو عقبة بن سلم من بني هناءة من اهل اليمن صاحب دار عقبة بالبصرة وكان ابو جعفر وجهه الى البحرين واهل البحرين ربيعة فقتل ربيعة قتلاً فاحشاً قال فانضم اليه رجل من عبد القيس فلم يزل معه سنين وعزل عقبة فرجع الى بغداد

بَيْنَ الأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ
بَخْبَخْ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ (١)
كُنْتُمْ لَهُ خَلَفاً يَهُدِّي الثَّنَاءَ لَهُ

ورحل العبدي معه فكان عقبة واقفاً على باب المهدي بعد موت ابي جعفر فشد عليه العبدي بسكين فوجأه في بطنه فمات عقبة وأخذ العبدي فادخل على المهدي فقال ما حملك على مافعلت فقال انه قتل قومي وقد ظفرت به غير مرة الا اني احببت ان يكون امره ظاهراً حتى يعلم الناس اني ادركت ثأري منه فقال المهدي ان مثلك لاهل ان يستبقى ولكن اكره ان يجترئ الناس على القواد فأمر به فضربت عنقه • ويقال ان الوجأة وقعت في شرجة منطقة عقبة قال فجعل المهدي يسائل العبدي والعبديّ يبكي الى ان دخل داخل فقال يا امير المؤمنين مات عقبة فضحك العبديّ فقال له المهدي مم كنت تبكي قال من خوف ان يعيش فاما مات ايقنت اني ادركت ثأري فضرب بجسارته المثل وهو مثل عربي — (احكم من هرم بن قطبة) هذا من الحكم لا من الحكمة وهو الفزاري الذى تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثه الجعفريان فقال لهما انتما يا ابني جعفر كركبتي البعير تقعان معاً ولم ينفر واحداً منهما على صاحبه فضرب به المثل وهو مثل عربي

(المعنى) يقول وهو في الجراءة والجسارة كقاتل عقبة وفي الحكومة كهرم بن قطبة (ابطش من دوسر) تقدم شرح هذا المثل في سير هذا الموضع من الكتاب — (اجرأ من قسور) هو الاسد وجرأته مشهورة فلذلك ضرب به المثل وهو مثل عربي

(المعنى) يقول وان هذا الوليد في البطش كدوسر وهي من احسن كتائب النعمان كما تقدم وفي الجراة والاقدام كالاسد

(١) الاشج وقيس اسمان • الباذخ العالي الطويل • بخبخ قل له بخ بخ وهي كلمة استحسان

(المعنى) يقول ان بين الاشج وبين قيس شرف باذخ فبخبخ للوالد وهو الاشج وكذلك المولود وهو قيس

كَالْمَاءِ لِلْوَرْدِ أَوْ كَالْوَرْدِ لِلْمَاءِ [1]

٭٭٭

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَهُوَ سَلِيلُ بَيْتٍ مَجِيدٍ . كَأَنَّهُ فِي الْبُيُوتِ بَيْتُ الْقَصِيدِ [2] . وَضِنْءُ وَالِدٍ لَوْ قُلْتَ لِابْنِهِ يَا ابْنَ خَيْرِ أَبٍ . فَقَدْ أَسْمَعْتَهُ لِلْعَجَمِ وَالْعَرَبِ [3] . عُذَيْقٌ مُرَجَّبٌ . لَوْ رَآهُ النَّابِغَةُ لَمَا قَالَ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ [4] . طَلَّاعُ الثَّنَايَا . كَأَنَّ اللهَ خَيَّرَهُ مَا وَهَبَهُ مِنَ السَّجَايَا . كَرِيمٌ مِعْوَانٌ . فِي زَمَنٍ تَرْكُ الْإِسَاءَةِ فِيهِ

---

(١) (المعنى) يخاطب المولود ويقول انكم كنتم لابائكم خير خلف ترك لهم الثناء من الناس وذلك من افعالكم الممدوحة فما انتم وهم الا كماء الورد وقال المتنبي .

وذلك ماء الورد ان ذهب الورد

(٢) سليل ابن

(المعنى) يقول ولم لا يكون كما وصفت وهو ابن ذلك البيت المجيد الذي كانه لحسنه بيت القصيد في ابيات القصيدة

(٣) الضنء الابن

(المعنى) يقول وهو ابن ذلك الوالد الذي لو قلت لابنه يا ابن خير اب عرفه الناس

(٤) العذيق تصغير العذق القنو وهو من النخل كالعنقود من العنب . المرجب المدعم من النخل وهو شطر من مثل عربي وهو (انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب) يضرب لمن يستشفى برايه و يعتمد عليه — النابغة هو النابغة الذبياني وقد تقدمت ترجمته في غير هذا الموضع من الكتاب وقوله لما قال (اي الرجال المهذب) هو قوله

ولست بمستبق اخا لا تلمه   على شعث اي الرجال المهذب

وهو مثل عربي

(المعنى) يقول انه يستشفى برأيه و يعتمد فلو كان في زمن النابغة الذبياني لما قال اي الرجال المهذب لأنه يجد فيه مطلوبه

غَايَةُ الْإِحْسَانِ [١] • يَذْكُرُ الْمَوَاعِدَ وَيَنْسَى الْإِحَنَ • وَيَفِي وَقَدْ خَانَ الزَّمَنُ [٢] • سَبَّاقٌ إِلَى الْعُلَا • كَأَنَّمَا الزَّمَنُ زُعَاقٌ مُزِجَ بِهِ فَحَلَا [٣] • إِلَى حِمًى كَأَنَّهُ مَا بَيْنَ أَنْيَابِ اللُّيُوثِ وَالْأَظْفَارِ • وَجَارٍ كَأَنَّهُ جَارُ الْأَرَاقِمِ يَوْمَ ذِي قَارٍ [٤] • وَصَدْرٍ

---

(١) طلاع الثنايا اي ركاب المشاق • السجايا جمع سجية وهي الخصلة والطبيعة • المعوان الكثير المعونة للناس

(المعنى) يقول انه ركاب للمشاق كان الله خيره في اي الخصال الحميدة يوجده عليها فاختار احسنها فمن خصاله انه كريم ذو معونة للناس في الوقت الحرج الذي من ترك فيه اساءته للناس فكانما احسن اليهم غاية الاحسان

(٢) المواعد جمع موعد • الاحن جمع احنة وهي الحقد واضمار العداوة

(المعنى) يقول انه يذكر مواعيده للناس وينسى ما يسيؤونه به فلا يضمر لهم حقداً وانه ليفي بما اوعد وقد خان الزمن • قال البحتري في الوفاء

فوا اسفا الا اكون شهدته ... فخاست شمالي عنده ويميني
والا لقيت الموت احمر دونه ... كما كان يلقى الدهر اغبر دوني
وان بقائي بعده لخيانة ... وما كنت يوماً قبله بخؤون

(٣) سباق كثير السبق • الزعاق الماء المر الغليظ الذي لا يشرب

(المعني) يقول انه سباق الى المعالي وان الزمان طاب للناس بوجوده فيه فكانه زعاق مزج بشيء حلو فساغ للناس

(٤) الحمى ما حمي من الشيء • الليث الاسد — يوم ذي قار • ذوقار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط وحنو ذي قار علي ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس وهو اليوم المظيم الذي انتصرت به العرب على الفرس وانتصفت منهم وكان من حديث هذه الوقعة ان النعمان بن المنذر كان قد قتل عدي بن زيد فتنكر منه ولده زيد بن عدي وسعى به عند كسرى حتي غضب عليه فخرج النعمان يطوف احياء العرب يحتمي من كسرى فاتي طيئًا فابوا ان يحموه خوفًا من كسرى ومر ببني عبس فلم يجيروه ولم يزل طائفًا في القبائل حتي وصل الى بني شيبان فلقى هانيء بن مسعود الشيباني وكان سيدا منيع

بِالْفَضْلِ مُفْعَمٌ • كَصَدْرِ الْعُودِ لاَ يَنْتَهِي مَا بِهِ مِنْ نَغَمٍ [١] • وَكَرَمٍ يَرَى أَنَّ الْوَفْرَ •
كَالظُّفْرِ • إِنْ تُرِكَ عَابَ • وَإِنْ حُذِفَ آبَ [٢] • وَفِكْرٍ كَالنِّبْرَاسِ • يَخْتَرِقُ

الجانب فاقام عنده في ذي قار • ثم ورد كتاب كسرى يستدعي النعمان على الامان فاستودع ماله واهله هانىء ابن مسعود وسار الى كسرى فقتله وولى مكانه على العرب اياس بن قبيصة الطائي • ثم طلب من هانيء ودائع النعمان فابى تسليمها فارسل كسرى الجيوش الكثيرة من عرب وعجم وحشد هانىء القبائل وفرق دروع النعمان على القوم وكانت سبعة آلاف درع والتقت الجيوش في حنوذي قار وشبت نار الحرب ونادى منادي العرب ان القوم يفرقونكم بالنشاب فاحملوا عليهم حملة رجل واحد فكان الاستظهار في أول يوم للفرس ثم كان ثاني يوم • ووقع بينهم قتال شديد فجزعت الفرس من العطش فسارت الى الجبانات فتبعتهم بكر وباقي العرب يوماً واشتد العطش بالفرس فمالوا الى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب وانهزمت الفرس وكسرت كسرة هائلة وقتل اكثرها وأبلت بنو عجل في ذلك اليوم بلاء حسناً وخارت ايادوهي مع الفرس وانهزمت لتنكسر شوكة الفرس • وكانت هذه الوقعة يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يوم منصرفه من وقعة بدر الكبرى وكان اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وافتخرت بكر بن وائل بهذا الظفر واشتهر هانىء بن مسعود شهرة عظيمة وكثر ذكر هذا اليوم في اشعارهم وكانت احياء من تغلب تسمى الاراقم ابلت في هذه الحرب بلاء عظيما وهم ستة احيا جشم • ومالك • وعمرو • وثعلبة • ومعاوية • والحرث بنو بكر ابن حبيب بن غنم ابن تغلب بن وائل

(المعنى) يقول ولهذا الوالد حمى كان ذلك الحمي بين ناب الليث والظفر وكان جاره جاور بني بكر بن وائل المسمون بالاراقم في ذلك اليوم المشهور وهو يوم ذي قار لعزة جوارهم

(١) مفعم مملوء • العود آلة الغناء • النغم الصوت

(المعنى) يقول وله صدر مملوء بالفضل والعلم ذاخر بهما فهو كصدر العود كلما ضربت عليه اعطاك نغماً فكما انه لا تنتهي نغماته فكذلك صدره لا تنتهي معلوماته وفضله

(٢) الوفر المال المتوفر • الظفر مادة قرنية تنبت في اطراف الاصابع • حذف طرح • أب رجع

لِيَسْتَضِيءَ النَّاسُ [١]

لَهُ هِمَّةٌ غَيْرَى عَلَى الْمَجْدِ بَرَّحَتْ
بِنَفْسٍ عَلَى الأَيَّامِ مِنْ تِيهِهَا غَضْبَى [٢]

وَمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْغَفْرِ وَالْعَيُّوقِ . وَسُؤْدَدٍ لاَلاَحِقٌ وَلاَ مَلْحُوقٌ [٣] . وَفَصَاحَةٍ

(المعنى) يقول وانه لكريم يرى ان المال المتوفر عنده مثله كمثل الظفر ان حذفه رجع كان وان ترك عاب اصابعه ولا جرم فالمال كلما انتقص منه في الخير عوضه الله عنه خيراً وان ابقى عليه بخلا كان ذلك داعياً للنقيصة والعاب

(١) النبراس المصباح

(المعنى) يقول وله فكر مثله كمثل السراج يحترق ولكن منفعة احتراقه لغيره وهي الاستضاءة يعني انه وهب فكره لمنفعة الناس

(٢) أحسن تعريف للهمة هو ماقيل في التعريفات للجرجاني (الهمة توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية الى جانب الحق لحصول الكمال له او لغيره) • غيرى مؤنث غائر • برحت اجهدت واتعبت • غضبي مؤنث غاضب

(المعنى) يقول ان له همة تقيم على المجد وتحافظ على اكتسابه وقد اتعبت نفسه تلك النفس العالية التي لا ترضى عن الايام وافعالها تيهاً وعجباً وقال الاخطل في هذا المعنى

وانا لحي الصدق لا غرة بنا ولا مثل من يترى البلي المضرما
نسير فتختل المخوف فروعه ونجمع للحرب الخميس العرمرما
واني لحلال بي الحق اتقي اذا نزل الاضياف ان اتجهما
اذا لم تذد البانها عن لحومها حلبنا لهم منها باسيافنا دما

(٣) الغفر ثلاثة منازل ينزلها القمر وهي من الميزان • العيوق نجم • السؤدد الشرف •

(المعنى) يقول وله رتبة علت النجم المسمى بالغفر والنجم المسمى بالعيوق على سبيل المجاز وله ايضاً شرف ومجد لا لاحق اى لا يطالب ولا ملحوق اى لا يلحقه الغير فيحصل على مثله

مَا أُعْطِيهَا جِرْوَلٌ وَضِرَارٌ . وَلاَ الأَعْشَيَانِ وَالْمُرَّارُ . وَلاَ قَامَ بِهَا ابْنُ الْحُسَيْنِ .

(١) جرول هو ابو مليكة جرول بن اوس بن مالك بن جوابة المشهور بالحطيئة احد فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك جميعه وقد اشتهر في الهجاء فانه كان ذا سفه وشر وقد كان قبيح المنظر رث الهيئة دميا قصيرا وقد بلغ من حبه للهجاء انه هجا نفسه وامه وبنيه وزوجته وسائر اهل بيته واقاربه وقد هجا الزبرقان بن بدر فاستعدي عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستدعاه عمر وحبسه في بئر فقال الحطيئة

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسيهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه القي اليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها لكن لانفسهم كانت بك الاثر

فأخرجه وقال له اياك وهجاء الناس قال اذاً يموت عيالي جوعاً هذا مكسبي ومنه معاشي قال فاياك ان تقول فلان خير من فلان ثم سلمه للزبرقان فقاده بعمامته فاستوهبته منه غطفان واخبار جرول كثيرة وكانت وفاته في حدود الثلاثين للهجرة — ضرار هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب القرشي الفهري كان ابوه الخطاب رئيس بني فهر في زمانه وكان يأخذ المرباع لقومه وكان ضرار يوم الفجار على بني محارب بن فهر وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين وهو احد الاربعة الذين وثبوا الخندق . قال الزبير بن بكار لم يكن في قريش اشعر منه ومن ابن الزبعري ومن شعره يوم الفتح

يا نبيّ الهدى اليك لجا حيُّ قريش وانت خير لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الارض وعاداهم آله السماء
والتقت حلقتا البطاق على القوم ونودي بالصيلم الصلعاء
ان سعداً يريد قاصمة الظهر باهل الحجون والبطحاء

يريد سعد بن عبادة حيث قال يوم الفتح اليوم تستحل الحرمة وقال ضرار يوماً لابي بكر رضي الله عنه نحن كنا لقريش خيراً منكم ادخلناهم الجنة وأوردتموهم النار يعني انه قتل المسلمين فدخلوا الجنة وان المسلمين قتلوا الكفار فادخلوهم النار واختلف الاوس والخزرج فيمن كان

اشجع يوم احد فمر بهم ضرار بن الخطاب فقالوا هذا شهدها وهو عالم بها فسألوه عن ذلك فقال لا ادري ما أوسكم من خزرجكم لكني زوجت منكم يوم احد أحد عشر رجلاً من الحور العين وكان له صحبة وشهد مع ابي عبيدة فتوح الشام واسلم يوم فتح مكة وقد اشتهر اسلامه وشعره — الاعشيان يريد بهما اعشى قيس واعشى تغلب فاما اعشى قيس فهو الاعشى الاكبر المسمى بميمون بن قيس المكنى ابا بصير وهو احد الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولها وهو اول من سأل بشعره وانتجع به اقاصي البلاد وكان يغني بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب . وقيل انه وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التي مطلعها

الم تكتحل عيناك ليلة ارمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا

ومنها وذكر الناقة

وآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا

متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله ندا

فبلغ قريشاً خبره فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب ما يمدح احداً قط الا رفع من قدره . فلما ورد عليهم قالوا اين اردت يا ابا بصير قال اردت صاحبكم هذا لاسلم على يديه قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق قال وما هن قال سفيان بن حرب . الزنا . قال لقد تركني الزنا وما تركته قال ثم ماذا . قال . القمار . قال لعلي ان لقيته اصبت منه عوضاً من القمار قال ثم ماذا . قال . الربا . قال ما دنت وما ادنت . قال ثم ماذا . قال . الخمر . قال أوه ارجع الى صبابة بقيت لي في المهراس فاشربها . فقال له ابو سفيان فهل لك في شيء خير لك مما هممت به قال وما هو قال نحن وهو الآن في هدنة فتاخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه حتى تنظر ما يصير اليه أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً وان ظهر علينا اتيته . قال ما اكره ذلك قال ابو سفيان يا معشر قريش هذا الاعشى فوالله لئن اتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة رماه بعيره فقتله . قال محمد بن ادريس قبر الاعشى بمنفوحة وانا رأيته فاذا اراد الفتيان ان يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبوا عليه فضلات الاقداح — واما اعشى تغلب فهو النعمان بن يحيى بن معاوية شاعر من شعراء الدولة الاموية وساكني الشام اذا حضر واذا بدا نزل في قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة وكان نصرانياً وعلى ذلك مات وكان

الوليد بن عبد الملك محسناً الى اعشى بني تغلب فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليه ومدحه فلم يعطه شيئاً وقال ما أرى للشعراء في بيت المال حقاً ولو كان لهم فيه حق لما كان لك لانك امرؤ نصراني فانصرف الاعشى وهو يقول

لعمري لقد عاش الوليد حياته امام هدى لا مستزاد ولا نزر
كأن بني مروان بعد وفاته جلاميد لا تندى وان بلها القطر

واخباره كثيرة — المرار هو بن سعيد بن حبيب بن خالد شاعر مخضرمي مجيد ومن شعره قوله وقد حبسه عثمان بن حيان والي المدينة يومئذ في ذنب اقترفه هو واخوه بدر بن سعيد فقال المرار وهو في السجن

انار بدت من كوة السجن ضوؤها عشية حل الحي بالجزع العفر
عشية حل الحي ارضاً خصيبة يطيب بها مس الجنائب والقطر
فيا ويلتنا سجن اليمامة اطلقا اسيركما ينظر الى البرق ما يغري
فان تفعلا احمدكما ولقد أرى بانكما لا ينبغي لكما شكري
ولو فارقت رجلي القيود وجدتني رفيقاً بنص العيس في البلد القفر
جديراً اذا امسى بارض مضلة بتقويمها حتى يرى وضح الفجر

وقد هرب المرّار من سجنه وبقي بدر اخوه فما زال به حتى مات فيه فقال المرّار يرثي اخاه

ألا يا لقومي للتجلد والصبر وللقدر الساري اليك وما تدري
وللشيء تنساه وتذكر غيره وللشيء لا تنساه الاّ على ذكر
وما لكما بالغيب علم فتخبرا وما لكما في امر عثمان من امر

وهي طويلة يقول فيها

ألا قاتل الله المقادير والمنى وطير اجرت بين السعافات والحجر
وقاتل تكذيبي العيافة بعد ما زجرت فما اغنى اعتيافي ولا زجري
تروح فقد طال الثواء وقضيت مشار يط كانت نحو غايتها تجري
وما القفول بعد بدر بشاشة ولا الحي آتيهم ولا أوبة السفر
تذكرت بدراً بعد ما قيل عارف لما نابه يا لهف نفسي على بدر
اذا خطرت منه على النفس خطرة مرت دمع عيني فاستهل على نحري
وما كنت بكاء ولكن يهيجني على ذكره طيب الخلائق والخبر

بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ ٠ وَلاَ هَدَرَ بِمِثْلِهَا البُحْتُرِيُّ : فِي الْجَعْفَرِيِّ ١

٭٭٭

وأخبار المرّار كثيرة وفي هذا القدر كفاية

(المعنى) يقول وله فصاحة ما أعطيها هؤُلاء الذين اشتهروا في الجاهلية والاسلام بالفصاحة والبلاغة بل ان هذا المولود يربو عليهم

(١) ان الحسين هو احمد بن الحسين المكنى ابا الطيب المتنبي اشهر الشعراء ذكرًا واعظمهم قدرًا الكوفي المولد الشامي المنشأ شاعر سيف الدولة بن حمدان وابي شجاع وكافور الاخشيدى ٠ هذا وقد اردنا ان ناتي بشيءٍ من شعره فرأينا ان سماحة المؤَلف كان قد وضع قديمًا كتابًا في اخبار أبي الطيب المتنبي ثم لم يرتض تاليفه وترصيفه فالغاه من جملة مؤَلفاته ٠ وانا لنقتطف منه هذا الفصل في مناقب ابي الطيب ومثالبه افادة للطلعين قال حفظه الله

مناقب ابي الطيب ومثالبه

※ الشجاعة ※ اي التهاون بالآلام والاقدام على ما ينبغي كما ينبغي ٠ فكان ابو الطيب رجلاً شجاعًا مقدامًا لايهاب الموت كانه لايعرفهُ ٠ وكان سيف الدولة فطن لذلك وعرف الشجاعة في سيماه عند التحاقه به فأَسلمه للروّاض فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة وكان يصحبه معه في غزواته ٠ قيل انه كان معــه في غزوة العشاء في بلاد الروم وهي تلك الغزوة التي ابلى فيها سيف الدولة البــلاء الحسن ووقف في فناء الموت حتى فنيت جيوشه ولم يبق معه الاَّ ستة انفس كان المتنبي احدهم

وربما خرج المتنبي من الشجاعة والحماسة الى التهوُّر والخرق والقاء النفس في التهلكة كما وقع له في مفتتح امرهِ مع ابي عبد الله معاذ بن اسماعيل حيث نهاه عن التهور في امر الدعوة والتعرض لما تجرع من البلايا فقال لهُ المتنبي

ابا عبد الاله معاذ اني خفيٌّ عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسيم مطلبي واني اخاطر فيه بالمهج الجسام
امثلي تاخذ النكبات منــه ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان اليَّ شخصًا لخضب شعر مفرقه حسامي

فوقع له من جرّاء ذلك ما وقع من النكبة والسجن والقيد حتى كاد يتلف كما قال

دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت مني كحبل الوريد

ومثل ذلك ما وقع له في اخريات امره مع ابي نصر محمد الجبلي لما اعلمه بحقد بني اسد عليه وتربصهم له واشار عليه بالاحتياط واستصحاب الخفراء فابى عليه ذلك وقال لأرضى ان يتحدث الناس باني سرت في خفارة احد غير سيفي ثم قال يا ابا نصر كواسر الطير تخشاني ومن عبيد العصا تخاف عليّ والله لو ان مخصرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو اسد معطشون بخمس وقد نظروا الى الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف ان يرده معاذ الله ان اشغل قلبي بهم لحظة عين . ثم ركب وسار فوقع في الهلاك وقتل هو وغلمانه جميعهم فكانه في هذه الحالة لم ينظر الى قوله

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني

وبالجملة فقد قضى ابو الطيب معظم حياته في طلب الحرب والضرب والغارة والغلب واظهار الشجاعة والباس والاكثار من ذكر ذلك في تضاعيف كلامه بحيث لا تكاد تخلو قصيدة من شعره او ارجوزة من قوله عن ذلك

وله في وصف الحروب والوقائع ونعتها طريق عجيب واسلوب غريب لا يكاد يبلغه غيره من المتاخرين قال ابن الاثير في المثل « أما أبو الطيب فخطي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواقع القتال وانا اقول فيه قولاً لست فيه متأثماً ولا منه متاثماً وذلك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه في ذلك يضل بسالكه ويقوم بعذر تاركه »

فمن طرق ابي الطيب في نعت الحروب ان يهون خطبها على النفوس ويذكر فضائلها ومناقبها ويأخذ في الموت وأمره فيلطفه ويرفقه فاذا الموت ايسر مركب يركب وذلك كقوله

ولو ان الحياة تبقى لحيّ لعددنا اضلنا الشجعانا

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جبانا

وقوله

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه

وقوله

اذا راغمت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في امر حقير　　كطعم الموت في أمر عظيم

وقوله

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه　　حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس اورده التقى　　وحب الشجاع النفس اورده الحربا

وله كذلك طريقة اخرى غريبة في بابها ساقه اليها عشقه للحروب وشغفه بها وذلك انه يعبر عنها بالفاظ الغزل والنسيب وعبارات التشبيب ومن هذا الباب قوله

والطعن شزر والارض واجفة　　كأنما في فؤادها وهل
قد صبغت خدها الدماء كما　　يصبغ خد الخريدة الخجل
والخيل تبكي جلودها عرقاً　　بأدمع ما تسحها مقل

وقوله

اعلى الممالك ما يبني على الاسل　　والطعن عند محبيهن كالقبل

وقوله

شجاع كأن الحرب عاشقة له　　اذ زارها فدته بالخيل والرجل

وقوله

وكم رجال بلا ارض لكثرتهم　　تركت جمعهم ارضاً بلا رجل
مازال طرفك يجري في دمائهم　　حتى مشى بك مشي الشارب الثمل

وقوله

فاتتك دامية الاظل كأنما　　حذيت قوائمها العقيق الاحمرا

وقوله

قد سودت شجر الجبال شعورهم　　فكأن فيه مسفة الغربان
وجرى على الورق النجيع القاني　　فكأنه النارنج في الاغصان

وقوله

حمى اطراف فارس شمري　　يحض على التباقي بالتفاني
فلو طرحت قلوب العشق فيها　　لما خافت من الحدق الحسان

❊عظم الهمة❊ اي استصغار ما دون النهاية من معالي الامور. فكان ابو الطيب ذا همة لا منتهى لها واظنه اكبر الشعراء المتاخرين علوّ همةٍ وكبر نفس

بلغ هذا الرجل بشعره من الدرجات الرفيعة ما لم تبلغه الشعراء وتحظ به الادباء فقد تنافست فيهِ الرؤساء وتحاسدت عليهِ الامراء ونال من الجوائز والعطايا والاقبال مبلغاً وافرًا وحظاً جزيلا حتى كان يمدح الامير او الرئيس فينزل لهُ من السرير ويجلسهُ بجانبه ومع هذا كله فكانت شمة الرجل ترمي بهِ فوق ذلك بمرامٍ فيرى في نفسه الغبن وان الزمان يعاكسهُ والدهر يحاربهُ ويبكي من حالهِ ويقول

ماذا رأيتُ من الدنيا واعجبهُ   أني بما أنا باكٍ منهُ محسودُ

ويقول أيضاً

الى كم ذا التخلّف والتواني   وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي   ببيع الشعر في سوق الكساد
وما ماضي الشباب بمستردٍ   ولا يوم يمرُّ بمستعادِ

وهذا كلهُ تعالٍ بالهمم على الامم وخروج من خطة الشعراء الى مراتب الملوك والامراء فان الرجل كان يتطلب الملك ويرى نفسهُ أهلاً لهُ ويخالهُ من حقوقهِ المغصوبة منهُ ويأمر نفسهُ بالصبر والسكينة حتى تحين الفرص فيتناولهُ من ايدي الملوك والرؤساء ويستعين على ذلك بالخيل والرجل ويذكر ذلك في اشعارهِ ومقالاتهِ كقولهِ

سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ   كأنهم من طول ما التثموا مردُ
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دُعوا   كثير اذا شدُّوا قليلٍ اذا عدُّوا
وطعنٍ كأنَّ الطعن لاطعن عندهُ   وضرب كأن النار من حرّهِ بردُ
اذا شئت حفّت بي على كل سابحٍ   رجالٌ كأن الموت في فمها شهد

وكقوله

وان عمرتُ جعلتُ الحرب والدة   والسمهريَّ اخاً والمشرفي أبا
بكل أشعثَ يلقى الموتَ مبتسماً   حتى كأنَّ لهُ في موتهِ أربا
قحّ يكادُ صهيلُ الخيلِ يقذفهُ   من سرجهِ مرحاً بالعز او طربا
فالموت أعذر لي والصبر اجمل بي   والبرُّ اوسعُ والدنيا لمن غلبا

وقولهِ ايضاً

لقد تصبرت حتى لات مصطبرٍ   فالآن أقحم حتى لات مقتحمِ
لأتركنَّ وجوه الخيل ساهمةً   والحرب اقوم من ساقٍ على قدمِ

بكل منصلت ما زال منتظري حتى ادلتُ لهُ من دوله الخدمِ
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلةً ويستحلُّ دم الحجاج في الحرمِ

وكقولهِ

ذريني انل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهلِ

وما زال حب الملك يدور في رأسهِ ويلعب في صدرهِ حتى بعثهُ على الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان فلم ينجح في ذلك واصابهُ من جرَّائه ما كاد يتلفهُ . فلما رأى ان الامر لا يؤتى من هذا الطريق مال الى الحيلة والراي فراى ان يقصد اميرًا من اغبياء الامراء وضعفاء الملوك فيتوسل اليهِ بالشعر حتى يقرّبهُ ويدنيهُ فاذا تمكن الانس واستحكمت المودة بينهما رغب اليهِ ان يوليهُ ولاية بعض الاطراف ثم يؤلف هنالك الرجال ويصطنع الموالي ويجمع لفيفًا من الغوغاء والدهماء فيخرج بهم للفتوحات ويدوّخ الارض ويملك الملك ويقتل العالمين كما قال

افكر في معاقرة المنايا وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيماً للقنا الخطي عزمي بسفك دم الحواضر والبوادي

ثم تأمل ابو الطيب فلم يجد في ملوك عصرهِ ورؤسائهِ اقل واضعف في عينهِ من كافور فقصدهُ ووقع لهُ منهُ ما وقع

ومن الغريب ان همة هذا الرجل لم تقف عند حدّ الملك بل تعالت بهِ فادّعى النبوة وخرج يدعو الناس اليها كما هو مشهور

❊ الحمية ❊ اي الغضب عند الاحساس بالنقص . وكان ابو الطيب من اشد الناس غضباً عند الاحساس بالنقص وهو القائل

ما ابعد العيب والنقصان من شرفي انا الثريا وذان الشيب والهرمُ

وانظر اليهِ كيف فارق سيف الدوله لما راى منهُ النقص في حقهِ والتقصير في معاملتهِ في مسئلة ابن خالويه ونحوها ولم تمسكهُ العطايا والمنح والدنيا وزينتها بل فارقهُ غير آسفٍ وخاطبهُ من مصر يقول لهُ من قصيد

انى أُصاحب حلمي وهو بي كرمٌ ولا أُصاحب حلمي وهو بي جُبُنُ
ولا اقيم على مال أُذلُّ بهِ ولا أَلذ بما عرضي بهِ درنُ
وان بليت بود مثل ودكمُ فانني بفراقٍ مثلهُ قمنُ

❊ الانفة ❊ اي بعد النفس عن الامور الدنيئة فكان من طبع أبي الطيب النفور

البعد عن الامور الدنيئة والمواطن الخسيسة ونحوها وهو القائل

ذلَّ من يغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ اخفُّ منهُ الحمامُ
من يهنْ يسهل الهوان عليهِ ما لجرحٍ بميت ايلامُ

وقال ايضاً

واحتمال الاذى ورؤية جانيهِ غذاء تضوى بهِ الاجسامُ

وقال ايضاً

ولا يروق مضيماً حسن بزتهِ وهل يروق دفيناً جودة الكفنِ

﴿ التثبت ﴾ وهو الفضيلة التي يقوى بها الانسان على احتمال الآلام · فكان ابوالطيب صبورًا على احتمال الآلام غير محتفل بالحوادث قد جرَّب الزمان وحلب اشطر الدهر وعانى مصائبهُ وآلامهُ حتى صارت لهُ عادة مالوفة لايفزع لها كما قال

انكرتُ طارقة الحوادث مرةً ثم اعترفت بها فصارت ديدنا

وقال ايضاً

الالا أُري الاحداث حمداً ولا ذمّاً فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

ثم قال

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بهِ علما

وقال وهو في السجن بين القيد والنطع

كن ايها السجن كيف شئتَ فقد وطنتُ للموتِ نفس معترفِ

﴿ النجدة ﴾ أي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يجاورها فزع · فقال ابو الطيب

اطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ
واشجع مني كل يوم سلامتي وما ثبتت الاَّ وفي نفسها امرُ
تمرست بالآفات حتى تركتها تقول امات الموت أم ذعر الذعرُ
واقدمتُ اقدامَ الأتي كأنَّ لي سوى مهجتي اوكان لي عندها وترُ
دعِ النفسَ تاخذ وسعها قبل بينها فمفترقٌ جاران دارهما العمرُ

﴿ الشهامة ﴾ وهي الحرص على الاعمال العظام توقعاً للاحدوثة فقد قضى ابو الطيب معظم عمرهِ في هذا السبيل وشعرهُ مفعم بهذا المعنى ومن قولهِ فيهِ من قصيدة

وتركك في الدنيا دوياً كانما تداول سمع المرء انملهُ العشرُ

وقال ايضاً

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعداً فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا
هما خلتان ثروة او منيّة لعلك ان تبقى بواحدة ذكرا

﴿القحة﴾ وهي المجاهاة بالكلام الغليظ واستصغار الغير في عينه . ولم يخلُ ابو الطيب منها بل كانت تظهر عليه في بعض الاحايين وتثبت في اشعاره وقد اصابه من جرّائها عناء شديد في كثير من الاحوال حتى كانت هي السبب في قتله وذلك انهُ هجا ضبة الاسدي بشعر مملوء بالسفه والوقاحة منهُ قولهُ

ما انصف القوم ضبه وأمه الطرطبه
وما يشق على الكلـ ـب ان يكون ابن كلبة

فهاج ذلك بني اسد عليه فقتلوه

(الحقد) وهو اضمار الشر اذا لم يتمكن من الانتقام . فانظر كيف كان حقده على كافور وذمه له كلما عنّ ذلك سواء كان مادحاً او راثياً او مهنئاً . قال يرثي اباشجاع فقال في اثناء القصيدة

أيموت مثل ابي شجاع فاتك ويعيش حاسدهُ الخصي الاوكع
ايدٍ مقطعة حوالي رأسه وقفاً يصيح بها الا من يصفع
ابقيت اكذب كاذب أبقيته واخذت اصدق من يقول ويسمع
وتركت انتن ريحة مذمومة وسلبت أطيب ريحة تتضوّع

وروى له بعض الرواة قصيدتي مدح في سيف الدولة لم يثبتا في ديوانه وفيهما هجاء شديد في كافور

واما (الكبر) اي استعظام المرء نفسه واستحسانه فعله دون غيره . فكان ابو الطيب ذا كبرياء وتيه كما قال فيه القائل

كان من نفسه الكبيرة في جيـ ـش وفي كبرياء ذي سلطان

ومن كبره انه كان اذا مدح سيف الدولة انشده قاعداً دون جميع الشعراء وبينما هو يمدحه يوماً بقصيدة له وهو قاعد اعترضه بعض رجال الحضرة وعذله في قعوده فنظر اليه ابو الطيب وقال له اما سمعت مطلعها وكان ذلك المطلع قوله (لكل امرئٍ من دهره ما تعوّدا) وقد اشترط على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشده لا ينشده الا وهو قاعد وانه لا يكلفه تقبيل

الارض بين يديه فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ٠ وهذه الامور وان كانت تعد من مناقب ابي الطيب وتلحق بالانفة التي هي صون النفس عن الامور الوضيعة والحمية التي هي عدم قبول النقص والحرية والاباء الا انها لما كانت حالات معروفة وأموراً مألوفة لشعراء ذلك الوقت فخروج ابي الطيب عنها وخرقه لاجماعهم عليها يعد من كبريائه وتعاليه ثم ان أبا الطيب لما قصد كافوراً ولم يتمكن عنده من هذه الحالة مال الى حالة اخرى ليتميز بها عمن سواه وهي انه كان اذا قام لمديحه وقف بين يديه وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق

قال ابو علي الحاتمي في رسالته المشهورة كان ابو الطيب عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والعظمة لا يرى احداً الا ويرى لنفسه مزية عليه حتى اذا ثقلت وطأته على اهل الادب بمدينة السلام قصدت محله فحين استؤذن لي نهض من مجلسه ودخل بيتاً الى جانبه ونزلت عن بغلتي وهو يراني ودخلت الى مكانه فلما خرج الي نهضت فوفيته حق السلام غير مشاحٍ له في ذلك وكان سبب قيامه من مجلسه ان لا يقوم لي عند موافاتي واعرض عني ساعة لا يعيرني طرفاً ولا يكلمني حرفاً وكدت اتميز غيظاً وأقبلت أسفه رأيي في قصده وهو مقبل على تكبره ملتفت الى الجماعة الذين بين يديه وكل واحد منهم يومئ اليه ويوحي بطرفه ويشير الى مكاني ويوقظه من سنته فما يزداد الا ازوراراً جرياً على شاكلة خلقه ثم توجه الي فما زادني على قوله « اي شيء خبرك »

ومن كبره انه كان يرى نفسه في عداد الرؤساء ومنزلته في منازل الملوك فيخاطبهم كما يخاطب القرين قرينه والصاحب صاحبه كقوله يخاطب ابن العميد

تفضلت الايام بالجمع بيننا ... فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

ونحو ذلك في قوله كثير

ومن كبره ايضاً وهوسه بنفسه انه كان يرى مدحه الرؤساء نعمة عليهم وانهم ان فارقهم بكوا لذلك واعولوا كما قال في سيف الدولة بعد فراقه له

رحلت فكم باكٍ باجفان شادن ... عليّ وكم باك باجفان ضيغم

وما ربة القرط المليح مكانه ... باجزع من رب الحسام المصمم

وكما قال ايضاً

لئن تركن ضميراً عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودّعتهم ندم

ومن كبره انه اذا همّ بعتاب ملك او امير تغطرف في القول واستهان به كقوله يعاتب سيف الدولة

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره　　اذا استوت عنده الانوار والظلم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم　　والله يكره ما تأتون والكرم

(البخل) كان ابو الطيب شحيحا تضرب ببخله الامثال وله في ذلك اخبار مشهورة فنها ما رواه ابو الفرج الببغا (قال) كان ابو الطيب يانس بي ويشكو من سيف الدولة ويأمنني على غيبته وكان بيني وبينه عمار دون باقي الشعراء وكان سيف الدولة يغتاظ من تكبره وتعاظمه ويجفو عليه اذا كلمه والمتنبي يجيبه في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها واذكر ليلة قد استدعى سيف الدولة ببدرة فشقها بسكين الدواة فمدّ ابو عبد الله بن خالويه طيلسانه فحثا فيه سيف الدولة صالحاً ومددت ذيل ذراعي فحثا لي جانبا والمتنبي حاضر وسيف الدولة منتظر منه ان يفعل مثل ذلك فما فعل كبراً عليه فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبي انه قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وصارت عمامته في رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة

ومن بخله انه دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفا فلما نظر ابا الطيب نهض من مجلسه واجلسه في دسته ثم قال له اختر سيفا من هذه السيوف فاختار واحداً ثقيل الحلى واختار ابن العميد غيره فقال كل واحد منهما سيفي الذي اخترته اجود ثم اصطلحوا على تجربتهما فقال ابن العميد فباذا نجربهما فقال ابو الطيب في الدنانير يؤتي بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطع فاستدعى ابن العميد عشرين ديناراً فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه واحد الخدام يلتقطها ويأتي بها اليه فقال بل صاحب الحاجة اولى (قال) ابو بكر الخوارزمي كان المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر

وان احق الناس باللوم شاعر　　يلوم على البخل الرجال ويبخل

وانما أعرب عن طريقته وعادته بقوله

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها　　وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

(قال) وحضرت عنده يوما وقد احضر مالاً بين يديه من صلات سيف الدولة على حصير قد فرشه فوزنه وأعيد الى الكيس وتخللت قطعة كاصغر ما يكون بين خلال الحصير

فاكبّ عليها بمجامعه يستنقذها منه واشتغل عن جلسائه حتى توصل الى اظهارها وانشد قول قيس بن الخطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها فقال بعض جلسائه اما يكفيك ما في هذه الاكياس حتى ادميت أصبعك لاجل هذه القطعة فقال انها تحضر المائدة

(وقال) ابو البركات بن ابي الفرج المعروف بابن ابي زيد الشاعر قد بلغني انه قيل للمتنبي قد شاع عنك البخل في الآفاق حتى صار مثلاً وانت تمدح في شعرك الكرم واهله وتذم البخل ألست القائل

ومن ينفق الساعات في جمع ماله   مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ومعلوم ان البخل قبيح ومنك اقبح لانك تتعاطى كبر النفس وعلو الهمة وطلب الملك والملك ينافي سائر ذلك فقال ان للبخل سبباً وذلك اني اذكر وقد وردت في صباي من الكوفة الى بغداد فاخذت خمسة دراهم في جانب منديلي وخرجت امشي في اسواق بغداد فمررت برجل يبيع الفاكهة فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة فاستحسنتها ونويت ان اشتريها بالدراهم التي معي فقدمت اليه وساومته ثمنها فقالي بازدراء اذهب فليس هذا من اكلك فتماسكت معه وقلت ايها الرجل دع مايغيظ واقصد الثمن فقال ثمنها عشرة دراهم فلشدة ماجبهني به لم استطع ان اخاطبه في المساومة فوقفت حائراً ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل واذا بشيخ من التجار قد مرّ بنا فوثب اليه صاحب البطيخ ودعا له وقال يامولاي ها بطيخ باكورة باجازتك أحمله الى منزلك فقال الشيخ ويحك بكم هذا فقال بخمسة دراهم فقال بل بدرهمين فباعه الخمسة بدرهمين وحملها الى داره ودعا لهُ وعاد فرحاً مسروراً فقلت ياهذا مارأيت اعجب من جهلك استمت عليَّ في هذا البطيخ وفعلت فعلتك التي فعلت وكنت اعطيتك في ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولاً فقال اسكت هذا يملك مائة الف دينار . فقلت في نفسي ان الناس لايكرمون احداً اكرامهم من يعتقدون انه يملك مائة الف دينار واعتمدت ان يكون عندي مثلها فانا اجدُّ في ذلك على ماتراه حتى يقولوا ان ابا الطيب قد ملك مائة الف دينار . وقد وقع في شعر ابي الطيب الوصية بالحزم وضبط الاموال كقوله في قصيدته التي اولها

اودُّ من الايام ما لا تودُّهُ   واشكوا اليها بيننا وهي جندهُ

ومنها

وأتعب خلق من زاد همهُ   وقصر عما تشتهي النفس وجدهُ

فلا يحلل في المجد مالك كله　　فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبره تدبير الذي المجد كفه　　اذا حارب الاعداء والمال زنده

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله　　ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

يصف كافوراً بالبخل ويرغبه فيه

(التهاون) وهو نقص القادر على التمام كما قال هو

ولم أر في عيوب الناس شيئاً　　كنقص القادرين على التمام

وقد جاء كثير من هذا في شعره · قال الصاحب بن عباد

وكان الناس يستبشعون قول مسلم * شلت وشلت ثم شل شليلها * حتى جاء هذا المبدع بقوله

وأفجع من فقدنا من وجدنا　　قبيل الفقد مفقود المثال

فالمصيبة في الراثي أعظم منها في المرثى * وأطم ما يتعاطاه التفاصح بالالفاظ النافرة والكلمات الشاذة حتى كأنه وليد خباء أو غذي لبن ولم يطأ الحضر ولم يعرف المدر

(فمن ذلك قوله)

ايفطمه التوراب قبل فطامه　　ويا كله قبل البلوغ الى الاكل

وما ادري كيف عشق التوراب حتى جعله عوذة شعره

(ولما) سمع الشعراء قبله قد أبدعوا فقالوا

بيد السماك خطامها وزمامها　　وله على ظهر المجرة مركب

تشبه بهم فجعل البنين حلواء فقال

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا　　فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

ما زلنا نتعجب من قول ابي تمام * لا تسقني ماء الملام *

فخف علينا بحلواء البنين

قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما من طامة الا فوقها طامة (وما زال) في الشعر كقول النابغة * اذن فلا رفعت سوطي الى يدي * وكقول الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلا　　ولقيت اضيافي بوجه عبوس

الى كثير من هذا الجنس للمتقدمين والمخضرمين والمحدثين فاراد التشبه بهم والصب على قوالبهم فقال

ان كان مثلك كان او هو كائن　　فبرئت حينئذ من الاسلام

وحينئذ ها هنا انفر من عير مفلت • ومن ابتداآته العجيبة في التسلية عن المصيبة

لا يحزن الله الامير فانني لآخذ من حالاته بنصيب

ولا أدري لم لا يحزن سيف الدولة اذا أخذ ابو الطيب بنصيب من القلق اترى هذه التسلية أحسن عند أمته أم قول أوس

أيتها النفس اجملي جزعاً ان الذي تحذرين قد وقعا

ومن تعقيده الذي لايشق غباره ولاتدرك آثاره

وللترك للاحسان خير لمحسن اذا جعل الاحسان غير ربيب

وما أشك ان هذا البيت اوقع عند حملة عرشه من قول حبيب

اساءة الحادثات استنبطي نفقا فقد ازالك احسان ابن حسان

(وسأله) سيف الدولة عن صفة فرس يقوده اليه او يحمله عليه فقال ابياتاً منها

ومن اللفظ لفظة تجمع الوص ف وذاك المطهم المعروف

ومن هذا وصفه يقاد اليه المركب من مربط النجار وكنت اتعجب من كلام ابي يزيد البسطامي في المعرفة والفاظه المعقدة وكلماته المبهمة حتى سمعت قول شاعرنا هذا في صفة فرس

* سبوح لها منها عليها شواهد * وما احسن ما قال الاصمعي لمن انشده

فماللنوى جذّ النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة لوصال

لو سلط الله على هذا البيت شاة لاكلت هذا النوى كله (ولم ننفك) مستحسنين جمع الاسامي في الشعر كقول الشاعر

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحرث بن شهاب

وقول الآخر • عباد بن اسماء بن زيد بن قارب • واحتذى هذا الفاضل حذوهم على مثالهم وطرقهم فقال

وانت ابو الهيجا بن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد

وحمدان حمدون وحمدون حرث وحرث لقمان ولقمان راشد

وهذه من الحكمة التي ذخرها ارسطاطاليس وافلاطون لهذا الخلف الصالح وليس على حسن الاستنباط قياس • ومن بدائعه الطريفه عند متعلقي حبله وفواتحه البديعة عند ساكني ظله

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند او طلع النخيل

فلا ادرى استهلال الابيات احسن ام المعنى ابدع ام قوله ترنج افصح • ومن لغاته الشاذة

وكلماته النادة

كل آخائه كرام بني الدنـ ـيا ولكنه كريم الكرام

ولو وقع الآخاء في رائية الشماخ لاستثقل فكيف مع ابيات منها

قد سمعنا ما قلت في الاحلام وانلناك بدرة في المنام

والكلام اذا لم يتناسب زيفه جهابذته وبهرجة نقاده ٠ وله بيت لا يدرى امدح القائل به ام رقاه وهو

شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته وصهيل

فلم يرض بان سرق من بشار قوله

والخيل شائلة لشق غبارها كعقارب قد رفعت اذنابها

حتى ضيع التشبيه الصائب بين الفاظ كالمصائب والذي لا امتراء فيه ان عالمًا من المناضلين عنه عندهم ان شوائل تشوال ابدع في صفة الخيل من قول امريء القيس

له ايطلاظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

ومن اوابده التي لا يسمع طول الدهر مثالها قوله في سيف الدولة

اذا كان بعض الناس سيفًا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

وهذا التحاذق كغزل العجائز قبحا ودلال الشيوخ سماجة ولكن بقي ان يوجد من يسمع وفي هذه القصيدة يقول

فان تكن الدولات قسما فانها لمن ورد الموت الزؤام تدوم

فان قوله الدولات وتدول من الالفاظ التي لو رزق فضل السكوت عنها لفاز ٠ ومن افتتاحه الذي يفتح طرق الكرب و يغلق ابواب القلب قوله

اراع كذا كل الانام همام وسح له رسل الملوك غمام

ولو لم يتكلم في الشعر الا من هو من اهله لما سمع مثل هذا ٠ ومن اسرافه الذي لا يصبر عنه قوله

يا من يقتل من اراد بسيفه اصبحت من قتلاك بالاحسان

فانه اخذ قول الشاعر * اصلحتني بالجود بل افسدتني * فجعل الافساد قتلاً عجرفية وتهورا هذا ومذهب الشعراء المدح بالاحياء عند العطاء و بالاماتة عند منع الحياء ولهذا استحسن قول الشاعر

شتان بين محمد ومحمد حي اماث وميت احياني
فصحبت حيا في عطايا ميت وبقيت مشتملاً على الخسران

ومن هؤلاء العوام الذين يتهالكون فيه من هذا عنده ابدع من قول البحتري

انجاتني بندى يديك فسوّدت ما بيننا تلك اليد البيضاء
صلة غدت في الناس وهي قطيعة عجباً لبر راح وهو جفاء

ومن ركيك صفته في وصف شعره والزراية على غيره

ان بعضا من القريض هذاء ليس شيئًا وبعضه احكام

ومن هذا نتيجة قريحته في نعت الشعر كيف يطمع له فيه بادعاء السبق لولا التقليد الذي صار آفة العقول وعاهة الالباب · ومما لم اقدره يلج سمعًا او يرد اذنًا قوله

جواب مسائلي اله نظير ولا لك في سؤالك لا الالا

وقد سمعت بالتمتام ولم اسمع باللالا حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف · ومن استرساله الى الاستعارة التي لا يرضاها عاقل ولا يلتفت اليها فاضل

في الخدان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا

فالمحول في الخدود من البديع المردود · ومن مدحه يبعد الغور وقد غوّر فيه لعمري وما انجد قوله

تتقاصر الافهام عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

فالمصراعان لتنافيهما يتبرأ احدهما من صاحبه تبرؤ زياد من آل ابى سفيان وآل مروان ثم الدنا من الالفاظ التي لا يبالي الانسان ان تعدم من شعره · ومن شعره الذي يدخل في العزائم ويكتب في الطلسمات

لم تر من نادمت الاكا لا لسوى ودك لي ذاكا

واحسب انه بهذا البيت اشد سرورًا من ام الواحد بواحدها وقد آب بعد فقد او بشرت به عقب ثكل · ومن ابياته السنية الجماعية

لعظمت حتى لو تكون امانة ما كان مؤتمنا بها جبرين

وقلب هذه اللام للنون ابغض من وجه المنون ولا احسب جبريل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز · ومن وسائط مقته قوله يحكي جور السلاف ويستأذن في الانصراف

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمور

وذا انصرافي الى محلي فأذن ايها الامير

ولعمري ان الخمرة اذا دبت في الكريم سلست طبعه واظهرت مثل هذا اللفظ له . وكنت اقرأ الالفاظ فلم ارا اجمع من قوله

الحازم اليقظ الاعز العالم الـ فطن الالد الاريحي الاروعا

الكاتب اللبق الخطيب الواهب الند س اللبيب الهبرزي المصقعا

ومن اضطرابه في الفاظه مع فساد اغراضه

قد خاف العباس غرتك ابنه مرأى لنا والى القيامة مسمعا

وللشعراء فن في اشتقاق اسماء الممدوحين كقول على بن العباس

كان اباه حين سماه صاعدا رأى كيف يرقى في المعالي و يصعد

فقتل المتنبي في حبل اختنق به وقال

في رتبة حجب الورى عن نيلها وعلا فسموه عليّ الحاجبا

ومن عيون قصائده التي تحير الافهام وتفوت الاوهام وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالارثماطيقي و بالاعداد الموضوعة للموسيقى

احاد أم سداس في احاد لييلتنا المنوطة بالتنادي

وهذا كلام الجكل و رطانة الزط وما ظنك بممدوح وقد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الالفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة فأي هزة تبقى هناك وأي اريحية تثبت . ومن مساءاته للطلول البالية وكلامه اشد منها بلى واكثر اخلاقاً

أسائلها عن المتديريها فما تدري ولا تذري دموعا

فان لفظة المتديريها لو وقعت في بحر صاف لكدرته ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهدته وليس للمقت غاية ولا للبرد نهاية (وهاهنا) بيت نرضى باتباعه فيه وما ظنك بحكم مناويه ثقة بظهور حقه وايراء زنده وان لم يكن التحكيم بعد أبي موسى من مقتضى الحزم وموجب العزم وهو

أطعناك طوع الدهر ياابن يوسف لشهوتنا والحاسد ولك بالرغم

وان كنا قد حكمناهم فيما يبعدهم من ان يفضلوا هذا على قول أبي عبادة

عرف العارفون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد

ومما يتصل بالفن المتقدم

عظمت فلما لم تكلم مهابة تواضعت وهو العظم عظما على العظم

فما اكثر عظام هذا البيت مع انه قول الطائي

تعظمت عن ذاك التعظم فيهم　　واوصاك نبل القدر ان لا تنبل

وكان الرجل محرباً فقال في وصف الحروب وما تنتج من رعب القلوب

فقدا اسيرا قد بلت ثيابه　　بدم وبل ببوله الافخاذا

فكأنه حسب الاسنة حلوة　　أو ظنها البرني والآزاذا

فلا يدري أكان في الحرب ام في سوق التمارين بالبصرة · ومن افتخاره بنفسه وما عظم الله من قدره

أنا عين المسود الجحجاح　　هيجتني كلابكم بالنباح

ولا أدري اهذا البيت اشرف ام قول الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا　　بيتـاً دعائمه اعـز واطول

بيتـاً زرارة محتب بفنـائه　　ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

وعهدت الادباء وعندهم ان أبا تمام افرط في قوله

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأ　　س الا من فضـل شيب الفؤاد

فعمد هذا الى المعنى فأخذه ونقل الشيب الى الكبد وجعله خضابا ونصولا فقال

الأ يشب فلقد شابت له كبد　　شيبا اذا خضبته سلوة نصلا

ومن معانيه التي تنبيء عن هوسه وعشقه لنفسه قوله

لجنية أم غادة رفـع السجف　　لوحشية لاما لوحشية شنف

وفي هذه القصيدة سقطة عظيمة لا يفطن لها الا من جمع في علم وزن الشعر بين العروض والذوق وهي قوله

تذكره علم ومنطقه حـكم　　وباطنه دين وظاهره ظرف

وذاك ان سبيل عروض الطويل ان تقع مفاعلن وليس يجوز ان تأتي مفاعيلن الا اذا كان البيت مصرعا اللهم الا ان يضعه عروضي لتمام الدائرة فهذه العروض قد الزمت القبض لعلل ليس هذا موضع ذكرها ونحن نحاكمه الى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل فلم نجد له على خطئه مساعدا ومنها بيت قد حشا تضاعيفه بالضعف وهو

ولا الضعف حتى يتبـع الضعف ضعفـه　　ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله الف

وهؤلاء المتعصبون له يصلح عندهم ان ينقش هذا البيت على صدور الكواعب وله

لو لم تكن من ذا الوري اللذ منك هو　　عقمت بمولد نسلها حواء

وانا اقول ليت حواء عقمت ولم تأت بمثله وما أظرف قول الشاعر

فرحمة الله على آدم　　رحمة من عم ومن خصصا

لو كان يدري انه خارج　　مثلك من احليله لاختصى

ومن تصريفه الحسن وضعه التقييس مكان القياس في قوله

بشر تصور غاية في آية　　تنفي الظنون وتفسد التقييسا

ويليه بيت ان لم يستحي أصحابه منه سلمناه لهم وهو

وبه يضن على البرية لا بها　　وعليه منها لا عليها يوسى

وليس بالحلو قوله

صدق المخبر عنك دونك وصفه　　من بالعراق يراك في طرسوسا

ومما انتصف فيه عند نفسه فكان الباحث لمديته والكاشف لعورته

رماني خساس الناس من صائب استه　　وآخر قطن من يديه الجنادل

وقد كنت اسمع رواية المعلي للخليل بن احمد

لكن جهلت مقالتي فعذلتني　　وعلمت انك جاهل فعذرتكا

واقتفاه هذا فقال

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله　　ويجهل علمي انه بي جاهل

وفي رافعي رايته من يشغف بهذا البيت أشد من شغفنا بقول حبيب بن أوس

أبا جعفر ان الجهالة أمها　　ولود وأم العلم جداء حائل

ومن افصاحه عن عظيم محله وابانته عن علو همته قوله

وربما اشهد الطعام معي　　من لا يساوي الخبز الذي أكله

وما ادري الى اين يخفض قائل هذا المقال في سقوط النفس والسفال ومن تشبيهاته المتناسقة في الخذلان قوله

وشوق كالتوقد في فؤاد　　كجمر في جوانح كالمحاش

ومن مجازاته التي خلقها خلقاً متفاوتاً تخفيفه الغاش وهذا مالا اعلم سامعاً باسم الادب يسوغه او يتسمح فيه فيجوزه وذلك في قوله

كأنك ناظر في كل قلب　　فما يخفى عليك محل غاش

ولا يزال يركب القوا في الصعبة ثقة بالقريحة السمحة فيبتدئ زائية بقوله كفرندى فرند سيفي الجراز حتى امتد به النفس فقال

تقضم الجمر والحديد الاعادي دونه قضم سكر الاهواز

وهذا السكر اذا جمع الى البرني والآزاذ فيما تقدم من شعره تم الامر وليس العجب منه ولكن ممن يظنه معصوماً لا يرى له زلل ولا يوجد في شعره خلل وفي هـذه يصف الممدوح ومعرفته بالمديح فيقول

ملك منشد القريض لديه يضع الثوب في يدي بزاز

وفي اقل مما ذكرنا غنى للمنصف وان لم يكن في اكثر منه كفاية للمتعسف ومما دلنا به على حفظ الغريب قوله

تجفت وهم لا يجخفون بها بهم شيم على الحسب الاغر دلائل

يريد بالجخف البذخ والفخر من قول الشاعر

أيوعدني بجخف بني عمير وقد اخمت شاعر كل حي

وليس هذا الا كلام صبية وله يريد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا فأتي باخزى الخزايا

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبـد الله بعرانا

ومن الناس أمه فهل انبسط لركوبها والممدوح ايضاً لعل له عصبة لا يحب ان يركبوا اليه فهل في الارض افحش من هذا السحب واوضع من هذا البسط وكانت الشعراء تصف المآزر تنزيها لالفاظها عما يستبشع ذكره حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع الى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال

اني على شغفي بما في خمرها لاعفت عما في سراويلاتهـا

وكثير من العهر احسن من عفافه — هذا ما كتبه سماحة المؤلف في مناقب ابو الطيب ومثالبه

—البحتري. هو ابو عبادة ويكنى ابا الحسن واسمه الوليد بن عبيد بن يحيى وينتهي نسبه الى يعرب ابن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور كان فصيحاً فاضلاً حسن المشرب والمذهب نقي الكلام مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر سوى الهجاء حتى انه لما قارب الوفاة دعا بهجوه فاحرق كل ما وجد منه . ولد بمنبج ونشأ وتخرج بها ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء اولهم المتوكل العباسي وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء واقام ببغداد دهراً طويلاً ثم عاد الى الشام . قيل ولمـا كان بمنبج كان يكثر قول الشعر يمدح به اصحاب البصل والباذنجان ومن من صفهم وينشد الشعر في كل مكان يكون فيه . وكان اول امره في الشعر ونباهته فيه انه سار الى ابي تمـام الطائي وهو

بحمص فعرض عليه شعره وكانت الشعراء تقصده لذلك فلما سمع البحتري اقبل عليه وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال انت اشعر من انشدني فكيف حالك فشكا اليه القلة فكتب ابو تمام الى اهل معرة النعمان وشهد له بالحذق وشفع له اليهم وقال امتدحهم فسار اليهم فاكرموه بكتاب ابي تمام ورتبوا له اربعة الاف درهم فكانت اول مال اصابه . وشعره في الطبقة العليا ويقال له سلاسل الذهب وشرح ديوانه ابوالعلاء المصري وسماه عبث الوليد ومن نخب قصائده قوله يمدح المتوكل ويهنئه بالعيد

اخفي هوى لك في الضلوع واظهر والام من كمد عليك واعذر

ومنها في المدح

بالبر صمت وانت افضل صائم وبسنة الله الرضية تفطر

فانعم بيوم الفطر عينا انه يوم اغرّ من الزمان مشهر

اظهرت عزّ الملك فيه بجحفل لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقدغدت قدرا يسير بها العديد الاكثر

فالخيل تصهل والفوارس تدعي والبيض تلمع والاسنة تزهر

والارض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب اغبر

والشمس طالعة توقد في الضحى طورا ويطفئها العجاج الاكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير

فافتن فيك الناظرون فاصبع يومي اليك بها وعين تنظر

يجدون رؤيتك التي فازوا بها من انعم الله التي لا تكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا

حتى انتهيت الى المصلى لابسا نور الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيت مشية خاضع متواضع لله لا يزهي ولا يتكبر

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لمشى اليك المنبر

ابديت من فصل الخطاب بحكمة تنبي عن الحق المبين وتخبر

ووقفت في برد النبي مذكرا بالله تنذر تارة وتبشر

وانتقل البحتري في اخر عمره الى الشام ثم رجع الى منبج وتوفي بها بداء السكتة سنة ٢٨٤

— الجعفري تقدمت ترجمته في غير هذا الموضع من الكتاب وهو قصر الخليفة المتوكل واتينا هنالك

فِدًى لِتَيَّاكَ الفَصَاحَةِ كُلُّ شُوَيْعِرٍ نَعَّابٍ · فِي لُكْنَةِ النَّبَطِ وَجَاهِلِيَّةِ الأَعْرَابِ ⁽¹⁾ · قَالَ فَلَهْوَجَ · فَأَرْخَصَ الثَّلْجَ وَأَغْلَا العَرْفَجَ · كُلُّ بَيْتٍ غَيْرُ مَطْبُوعٍ · كَأَنَّهُ نَافِقَاءُ اليَرْبُوعِ ⁽²⁾ · وَكَلَامٌ كَالوَزِينِ · جَيِّدُهُ مِائَةٌ إِلَّا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ ⁽³⁾ ·

يقول البحتري وغيره فيه

(المعنى) يقول وانه لفصيح فصاحة ما قالها المتنبي بين السماطين في قصور الملوك الذين مدحهم ولا نطق بها البحتري في دار الخليفة المتوكل · وكان المتنبي يقعد بين السماطين اذا انشد ولا يقف كغيره من الشعراء فليم في ذلك وهو ينشد سيف الدوله قصيدته الدالية

فقال هل سمعت اول هذه القصيدة التي انشدها ان اولها « لكل امرئ من دهره ماتعودا » فسكت اللائم

(١) فدًى مصدر فدى ومعناه هنا الدعاء اي نفدي بما سياتي · اسم اشارة لتوسط المؤنث وتصغيرها تياك وتدخل عليها هاء التنبيه فيقال هاتيك · الشويعر تصغير شاعر · نعاب كثير النعب وهو صوت الغراب واستعمل هنا مجازًا للذم · اللكنة العي وعدم القدرة على النطق · النبط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين

(المعنى) يقول فدى لهذه الفصاحة كل شويعر ينعب نعب الغراب ولا يغرد تغريد الحمائم كناية عن اللكنة

(٢) لهوج الامر لم يحكمه ولم يبرمه · الثلج معروف · العرفج شجر سهلي · مطبوع يقال شاعر مطبوع اي ياتي بالشعر من دون تكلف وتتبع قاعدة موضوعة لذلك وغير مطبوع ضده · نافقاء اليربوع احدى حجرة اليربوع يكتمها و يظهر غيرها فاذا اتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفقت

(المعنى) يقول انه شاعر اذا قال لم يحكم قوله ولم يبرمه فللبرودة التي في كلامه كثر الثلج فصار رخيصًا فاحتاج الناس الى الوقد لدفع هذه البرودة فغلا العرفج وكان كل بيت من ابياته نافقاء اليربوع لحقارته

(٣) الوزين الحنظل

(المعنى) يقول وكلام لمرارته كالحنظل والجيد منه واحد في المئة ولكن السيد المؤلف حفظه

وصُحفٌ لا تُنوّرُ الأبصارَ . إلاّ إذا أُحرقتْ في النارِ ١

زَمانٌ حوى العيّ أبناؤهُ
فأفصحُ منْ ناطقٍ راغيهْ ٢
وما الكِبْرُ طبّي فيهم غيرَ أنّني
بَغيضٌ إليّ الجاهلُ المتعاقلُ ٣

* * *

يا مالِكيْ سرْحَ القريضِ أتتْكُما
منّي حَمولةُ مُسْنِتينَ عِجافِ ٤
لا تَعرفُ الوَرَقَ اللُّجينَ وإنْ تَسَلْ
تُخبِرْ عنِ القُلّامِ والخِذْرافِ
سَوائرُ شعرٍ جامعٍ بَدَدَ العُلى

الله تلطف في التعبير فجاء له بالمائة اولاً ثم استثنى منها تسعة وتسعين فكان الجيد واحد في كل مائة

(١) (المعنى) يقول وان الصحف التي تقرأ فيها شعرهم لا تضيء للابصار الا اذا احرقها الانسان في النار ليرتفع لهيبها فتضيء وهو معنى في غاية الدقة

(٢) الراغية الناقة

(المعنى) يقول فاننا اصبحنا في زمن نضب ماء الفصاحة فيه ولم يحو ابناؤه غير العي والحصر فان الناطق منهم والفصيح فيهم افصح منه الناقة الراغية

(٣) الطب الدواء

(المعنى) يقول وما تكبرت عليهم لاداويهم مما بهم كلا ولكني ابغض الجاهل الذي يدعي العقل والفضل

(٤) السرح المال السائم . القريض الشعر . الحمولة الابل التي تحمل . مسنتين اصابهم

تَعَلَّقْنَ مَنْ قَبْلِي وَأَتْعَبْنَ مَنْ بَعْدِي
يُقَدِّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعَمِّدٌ
لِإِحْكَامِهَا تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ (١)
لِكَيْمَا تَحْمِلَ الرُّكْبَانُ شِعْرِي
بِوَادِي الطَّلْحِ أَوْ وَادِي الْخُزَامَا
وَكَيْمَا تَعْلَمَ الْفُصَحَاءُ أَنِّي
خَطِيبٌ عَلَّمَ السَّجْعَ الْحَمَامَا
وَقَدْ أَطْلَعْتُهُنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ

الجدب . عجاف جمع عجفاء . وقال الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

اللجين الورق اللاصق بالارض . القلام كرمان القاقلي وهو نبت . الخذراف نبات ربعي اذا احس الصيف يبس الواحدة خذرافة

(المعنى) يقول مالكي سرح القريض والشعر انتكما قصيدة بدوية من نظم اهل البدو الذين تصيبهم السنون الشديدة لا تعرف الورق اللجين وهو ما يكون في اراضي الحضر وانما ان سالتها عن غذائها اخبرتك انه القلام والخذراف وهو من اشجار البادية والمقصود بالبيتين ان القصيدة عربية بدوية

(١) سوائر جمع سائرة . البدو المتفرق . السرد اسم جامع للدروع وسائر الحلق لانه مسرد فيثقب طرفا كل حلقة بمسمار

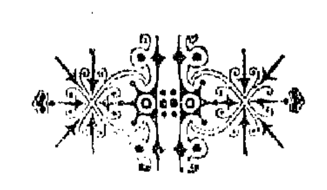
(المعنى) يقول سوائر شعر أي قصائد سائرات في البلاد لتجمع العلاء المتفرق وانها لتزحزح من قبلي وتسبقه بالفضل وانها اتعبت من يجيء بعدي وانها يفكر فيها صانع ماهر تعمد احكامها واتقانها تفكير داود عليه السلام في نسجه للدروع

بدورا لا يفارقن التماما

هذا آخر ما أملاه في هذا السفر عبد الله الفقير اليه أبو النجم محمد بن علي الملقب بتوفيق البكري الصديقي العمري التيمي الهاشمي القرشي سبط آل الحسن عفي عنه والحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وعلى آله وصحابته . وتابعيهم باحسانه

(١) وادي الطالح والحزاما موضعان . السجع تغريد الحمائم . اطلعتهن اظهرتهن . التماما الكمالا

(المعنى) يقول اني صنعت هذا الشعر لتحمله الركبان الى البلاد القاصية ولان تعلم الفصحاء والبلغاء اني خطيب مصقع مفوه تعلمت الحمائم سجعه و يقول واني اظهرت هـذه القصائد في كل صقع وناد واطلعتهن بدوراً طوالع لا يدركهن المحاق ولا يفارقهن التمام . وهذا آخر ما عن لنا ان نشرح به هذا الكتاب الجليل القدر الجم الفائدة الكثير المنفعة راجين من الله ان يجعله نافعا مقبولاً باسطين اكف الضراعة اليه ان يكثر في الامة العربية مثل سماحة مؤلفه حفظه الله ليجدد عهد الفصاحة العربية . والبلاغة اليعربية والحمد لله اولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



الفهرس

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

تم الفهرس